

الثرثرات المحبّبة

الرسائل

الثرثرات المحبّبة

الرسائل

فراس حج محمد

منشورات



للثقافة والنشر

فلسطين - نابلس

2024

الكتاب: التراث المحببة

المؤلف: فراس حج محمد

موضوع الكتاب: رسائل

الطبعة الأولى: 2024

تصميم الغلاف: الفنانة ميسم فراس

لوحة الغلاف: الفنان الفرنسي جان هونوري فراجونارد "1732-1806".

ISBN:978-9950-381-14-8

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

منشورات



للثقافة والنشر

شارع جمال عبد الناصر - نابلس - فلسطين

تلفون: 00970/9/2313969

Email: abu_rafat_be@hotmail.com

المعرض: شارع سفيان - مجمع القوقا التجاري

الطابق الأرضي تلفون: 00970/9/2338219

نابلس - فلسطين

الإهداء:

إلى كلّ امرأةٍ راسلتها ورسالتني مع خالص الحبّ والتقدير، وإن انتهت العلاقة إلا أن اللغة لن تنتهي، فما زال في جعبتها الكثير لتقوله...

ف. ح

المقدمات

لماذا توقفت عن كتابة الرسائل؟

(1)

قرأت رسائل لكثيرين من الأدباء والأديبات شرقاً وغرباً. وإن مناسبة الحديث عن رسائل الأدباء عدا قيمتها الإبداعية في حد ذاتها، فإنها مصدر مهم من مصادر فهم الكاتب، ولاسيما الشاعر، كما وضحت ذلك في كتابي "بلاغة الصنعة الشعرية".

كم بقي من هذه الرسائل اليوم، ومن منطقية وجودها ومبرر حياتها، فقد جنت علينا التكنولوجيا بأدواتها المعاصرة، فحرمتنا المزيد من الرسائل، فكما قالت أحلام مستغانمي في روايتها الأسود يليق بك: "أية سعادة وأية مجازفة أن يحتفظ المرء برسالة حب إلى آخر العمر، اليوم "أحبك" قابلة للمحو بكبسة زر، هي لا تعيش إلا دقيقة ولا تكلف إلا فلساً". إن سهولة الوصول إلى الطرف الآخر والعبث معه قضى على إمكانية كتابة رسائل حب أدبية، فشروط نشأتها وازدهارها قد انتهت، هذا ما قاله أحد القراء معلقاً على واحدة من هذه الرسائل التي أكتبها لك، متجاوزاً هذا الظرف وغاضاً الطرف عن هذا المنطق: "أدب الرسالة، أدب عريق وعميق في سبر أغوار النفس البشرية والتأريخ لمرحلة أو مراحل مجتمعية. هذا الفن مات، استشهد على يد التقنية الحديثة"¹. لا تسمح لي بالموت يا عزيزتي واكتبي؛ لعلنا نساهم في جعل جذوة هذا الفن صالحة إلى أمد طويل.

على الرغم من ذلك إلا أنني في عام 2018 في شهر مايو/ أيار- ولعله في نهايته- بدأت أكتب مجموعة رسائل إلى شاعرة عربية، علماً أنني كتبت لها قبل ذلك رسائل كثيرة، ونشرتها في كتب: "رسائل إلى شهرزاد"، و"الإصحاح الأول لحرف الفاء- أسعدت صباحاً يا سيدي"، ونسوة في المدينة" و"متلازمة ديسمبر". بل لا يكاد كتاب سردي لي يخلو من رسائل موجهة.

وفي هذا الكتاب أيضاً رسائل قبل هذا التاريخ إلا أن هذا التاريخ هو بداية كتابة رسائل مختلفة في لغتها وموضوعاتها، ولا يعني هذا أيضاً أنني سلمت من التكرار، بل ربما وقعت في شركه وأنا غير منتبه. إضافة إلى أنني في أحيان قليلة كتبت رسائل لغير هذه الشاعرة، وقد أثبتت تلك الرسائل كلها، سواء تلك التي كتبتها أو تلك التي ردت هي أو غيرها من النساء الأخريات عليّ بها.

(2)

عندما أرسلت الرسالة: "أنا أكذب أكثر عندما أكتب"² أرسلت لي الكاتبة الفلسطينية روز شوملي تقول: "قرأت نصك الجميل وأرى أنه يصلح ليكون مقدمة رواية. أرجو أن تأخذ موضوع الرواية جدياً". هذا المساء أيضاً تقرأ صديقة، أكاديمية جامعية ومترجمة شهادتي التي بعنوان: "الأثر

¹ أحياناً تكون التكنولوجيا حافزاً ومشجعاً على الكتابة، وصرت أميل إلى هذا الرأي.

² رسالة الجمعة: 2018/6/1 (رسائل 2018).

السّيء في النّصّ للمرأة الرّديئة"، وتعبّر عن افتتانها بالنص لدرجة رغبتها في أن تلعن كاتبها، وأني أمتلك نفسا سرديا، يؤهلي لكتابة رواية. ثمة كتاب وكتابات غيرهما منهم شاعرتي التي كتبت لها الرسائل يرون أنني سأكتب الرواية عاجلا أم آجلاً.

أسأل نفسي لماذا الرواية؟ هل واجب عليّ إذ أحسن السرد أن أكتب رواية؟ لماذا لا أصنع شكلي الخاص بي. لا أدري ما سيكون؟ هذا المساء قرأت مقالة للدكتور عادل الأسطة حول رواية أمجد ناصر "حيث لا تسقط الأمطار"، وأتى في مقالته على قضية التجنيس، والكتابة خارج التصنيف المعهود.

في كتابة قديمة لي منذ أكثر من ثلاث سنين أعلنت أنني لن أكتب الرواية، وأن هذا الجنس الأدبي الذي يتكاثر في حضنه كثير من الكتابات أكثرها لا ينتمي له. كتابة لقيطة في حصن الرواية، عدا أنني أرى أن الرواية لن تعمر كثيرا فلولا مجموعة الجوائز الممنوحة لهذا الجنس لم تجد هذه المواليذ المشوهة. لماذا عليّ أن أضع نفسي في سياق ميّت؟ ولماذا عليّ أن أهجر حريتي في الكتابة كما تشتهي الكتابة ذاتها؟ لماذا عليّ الخضوع والخنوع اللاواعي لفكرة الكتابة لإرضاء الذوق الثقافي العام؟ ولماذا تحوز الرواية كل هذا الألق المرّضي القصير العمر؟

كتبت كثيرا عن هذا الهوس واتخذت قراري بشأنه. مقتنع أن الكتابة الجيدة إن وجدت في كتاباتي فهي جيدة، إن كانت مقالا أو رسالة أو قصيدة أو قصة قصيرة جدا، أو ربما نصا لا جنس له يتكّى على السرد ولا يعوص فيه حتى نهايته.

أحب أن أقرأ الروايات وأحب أن أكتب عنها. وأحب أن أتأمل مشهديتها الكرنفالية الحالبة التي يساهم في صنعها الإعلام والمؤسسات الثقافية ودور النشر وسيل الدولار الذي سحب الكتاب جميعا إلى ساحة الرواية، فأخذوا بالرقص، قليل منهم من أجاد وأغلبهم يتعثرون ويمرض ولا أظن أن له شفاء من داء الرواية العضال. كتاب لا يحسنون من صنعة الكتابة شيئا يتقافزون كالقرود مرة يتسلقون غصن الشعر فيكسرونه وينكسرون، ومرة يتعربشون على جذع الرواية فيتزحلقون، فيرتطمون في الوحل. كتاب ضائعون في منتصف متاهة صنعوها بأيديهم، فلا يدرون ماذا يصنعون لا مشروع ثقافيا لهم ولا ما يحزنون، فقط يريدون الكتابة، والكتابة فقط.

أنا أبدو مثلهم أحيانا لكنني لا أتسلق غصنا ولا أتعربش جذعا، فقط أريد أن أكتب ما أحلم به من شيء حلمت به، لعله يكون مشروعا. أكره الانزلاق إلى ما يطلبه السوق الثقافي، لعلي لا أستطيع، فشلت في الشعر والقصة، فلا أريد أن أفشل في الرواية أيضا مع تقديري لكل من رأني جديرا بلعبة الكتابة الخطرة في الرواية.

(3)

كتبت ما يزيد عن مائة رسالة، وفي جميعها لم يدر في خلدي أنني أكتب رواية، أو أنها ستشكل مشروعا روائيا، فقد فطنت جيدا إلى أنني أكتب رسالة حب وأدب ونقد وشعر، محددة المرسل

إليه، هذا المرسل إليه الذي لم يكن يحفل بتلك الرسائل فتوقفت مرغماً، وإن بقي في النفس شيء من تلك الرسائل، وأني لم أقل فيها كل ما أردت قوله. تنازعتني نفسي لأعود لكتابتها، ولكنني ألجم رغبتي، فلا معنى لها. وأعوّض ذلك بكتابة أخرى قد تشفي هذه الرغبة. فثمة أعزاء عليك يقتلون مشاريعك أيضاً، وليس فقط أعداؤك. لكم أن يتصور أحدكم أنه يكتب رسالة لا يرد عليها، فما بالكم أن تكتب أكثر من مائة رسالة؟ وخوفاً من الوقوع في الشرك الروائي كان يجب عليّ أن أنهي الشوط وإن بقيت عطشاناً لما أنا عطش له.

مؤلم ما أنا فيه جدّاً، ولا أقول ذلك إلا للتعبير عن هذه الحالة التي وصلت إليها بفعل كثير من الظروف، لكنّ أهمها على الإطلاق هو أنه لا فائدة مرجوة من حبيبٍ هو ليس لك، نلتقي، ونكتب، ونحب ونفترق، لتنام هي في حضن رجل آخر، وأنا في حضن امرأة أخرى، ولا يبقى سوى الألم، لعله هو نفسه الذي قاله غسان كنفاني يوماً: "البقاء مع شخص تحبّه، وأنت تعلم أنّك ستفارقه كاللعب تحت المطر؛ ممتعٌ، لكنك تعلم أنّك ستمرض لاحقاً". وها أنا مريض بالفعل، ولا أظنني سأشفى، وهل يشفى من ذهبته نفسه حشرات على حبيب لم يرحمه، ولم يرأف به؟

في معنى النبيل: لن أكون رجلاً نبيلاً إذا¹

لم أفكر قبل اليوم بمعنى النبيل، أو كيف يمكن أن يكون الإنسان نبيلاً. الغريب أنه لا يوجد أي صديق لي يحمل هذا الاسم، ربّما أيضاً لا يحملون هذه الصفة، ألم يقولوا: قل لي مَنْ صديقك أقل لك من أنت. وأنا لست نبيلاً، فلا أصدقاء نبيلون لي بالضرورة. ربّما الأصحّ من هذا وذاك هو أنه لا أصدقاء لي بالمعنى الدقيق للكلمة.

ضربتني هذه الكلمة في مقتل هذا النهار، من بدايته، الساعة الثالثة صباحاً أصحو أفتش البريد الإلكتروني، ثمّة رسالة بين الغضب والعتب والتهديد، تختم الرسالة "ينبغي أن تكون نبيلاً". بصفتي أحد المشتغلين باللغة، تعلّمماً وتعلّماً وكتابياً يجب عليّ أن أدرك معنى هذه الكلمة. ما هو النبيل قلت؟ وكيف تكون نبيلاً في الكتابة؟ لأنّ الرسالة الغاضبة ربطت النبيل مع الكتابة. عليّ أن أواجه مفرداتي، ومعانيها. أنا كاتب "غير نبيل" في المحصلة. كيف؟ أتخيّل ما يلي:

لست كاتباً "غير نبيل" لأنني أفشي أسرار حياتي الشخصية في الكتابة، لم أترك شيئاً منها إلا وتحدّثت عنه. لا بأس فكلّ الكتاب على هذا النحو غير "نبيلين"، لأنّهم يكتبون من وعن حياتهم الشخصية. لست حزيناً لذلك إطلاقاً، بل سأكون سعيداً وأنا أصنّف كاتباً "غير نبيل"؛ فلم أختلق ولم أتخيّل، وكنت صادقاً، الصدق يتنافى مع النبيل في الكتابة على ما يبدو.

تخيّل آخر:

أنا كاتب "غير نبيل" لأنني كتبت بإخلاص تجربتي العاطفية، بكلّ حذافيرها، فأنا لم أقد أيّ كاتب في مشاعره، أو عواطفه، أو في صنعة الكتابة، صنعت لغتي من أعصابي، وحملتّها تولّياتي وأحزاني، كلّ ما كنت أشعر به من حبّ ويأس وألم وفرح أودعته كما هو في الشعر والسرد والقصص، كلّ الكتاب الذين عشقوا فكتبوا، وتألّموا واشتهوا محبوباتهم وتخيّلوهنّ في أوضاع عشقية مجنونة. ألا يحقّ للعاشق أن يتخيّل اللذة مع محبوبته؟ وهل إذا أعرب عن هذا التخيّل سيكون "غير نبيل". أنا فعلتها، وبكلّ ما أوتيت من قوّة روحية وجسدية وكانت (تلك المرأة) سعيدة بذلك، وعلمتني كيف تكون الشهوة حارقة بلذّة متناهية، حتّى أوشك الأمر أن يكون حقيقياً. هنا أنا كاتب "غير نبيل"، للأسف عند كاتب الرسالة وعند كثير من القراء.

ليس الأمر تخيلاً الآن:

كيف أكتب أنا؟ وما هي مصادري في الكتابة؟ عدا ما ذكرته سابقاً بفعل الكتابة، أنا أعتقد أن كلّ شخص يرسل لي جملة من أي مكان، وبأيّ شكل كانت، أصبحت جزءاً من معرفتي، ويحقّ لي أن أقتبسها وأستخدمها، فقد قيلت لي، فهي ملكي إذاً بمعنى أو بآخر، ننتشارك أنا والشخص بها لا شكّ

¹ في رسالة ردا على نص "بعيداً عن الفضول" (متلازمة ديسمبر، دار بدوي للنشر، ألمانيا، 2023، ص18) طالبيني إحداهنّ أن أكون رجلاً نبيلاً، فكتبت هذا الردّ على رسالتها. (نُظر الرسالة في مجموعة رسائل عام 2021)، ص227.

في ذلك، لكنّ لي نصيباً كبيراً منها، سواء أرضي الشخص أم لم يرض؟ وسواء أذكرت اسمه أم لم أذكره؟ له عليّ فقط ألا أشوّه الجمل، وأن أكون أميناً في النقل. أخذت الكثير من الجمل والكلمات والتعبيرات والأفكار من محادثاتي مع الأصدقاء، وبنيت كثيراً من النصوص على شذرات من كلامهم، أعيد تركيبه وترتيبه دون أن أخلّ بالمعنى ليكون مناسباً للنشر.

هل هذا التصرف يجعلني كاتباً "غير نبيل"؟ لا يحقّ لأحد ما أن يعاتبني إن استخدمت كلماته لي ليصفني بأنني "غير نبيل"، إن كان لا يثق بي لماذا يحدثني ويصادقني، ويحبّني (إن كنت أتحدّث هنا أيضاً عن امرأة ما) إلا إذا كان هو يضمّر لي عكس ما أضمر له، يضمّر لي الشرّ والخديعة والأذى، وكان طوال الوقت يتسلّى بي، وعندما وجد ما يشغله ذهب، وتركني غارقاً في وهمي الكبير، وليس هذا وحسب، بل يطالبني بأن أكون "كاتباً نبيلاً". أيّ منطق هذا؟ وأيّ نبلٍ في هذه المسألة؟

أعتقد أنّني كاتب "خائب الظنّ"، مودع، لم يعد لي شيء، وليس معي شيء سوى أن أعتاش على ضجيج الكلمات يتردّد صداها في رأسي، لم يخسر أحد من الكتابة كما خسرت، خسرت نفسي- والمعنى هنا حرفي وليس مجازياً مطلقاً- وخسرت أن أكون كاتباً نبيلاً، لذا عليّ الاعتراف أنّه من اللازم ألا أكون أيضاً "رجلاً نبيلاً". ولا أظنّ أنّي هنا أستدرّ عطف أحد أو أبتزّه عاطفياً، إنما هو فقط تحديد لمعالمي الكتابية، اللغوية والنفسية.

ولا أدري، أخيراً، هل اللغة تفضحني مجدداً أم تتبّهني وتضع لي النقاط على الحروف، عندما تقول في تعريف النبل: "خُلِقَ حميد، يتحلّى صاحبه بالذكاء والنجاة في ذاته، والفضل والرّفق في تعامله مع الناس، مع جدّقي في الرأي والعمل"؟ إنّني أوكد أنّه ليس لي نصيب من مظاهر النبل جميعها؛ لا في الذات، ولا في التعامل، ولا في العمل، فأنيّ كاتب وأيّ رجل "غير نبيل" هو أنا إذآ؟ وعلى ذلك فمشروع "الرسائل" هذا الذي أصبح ناجزاً، هو مشروع "غير نبيل" بالضرورة، لأنّه تجسيد لكل ما سلف. فثمة كتابة غير نبيلة أيضاً كما هو الكاتب سواء بسواء.

30 آب 2021

التصدير

- "إن حُباً دون رسالة هو حبّ لا يمكن أن يكون".
 - الكاتب الكندي جان ماري بوبار
 - "الرسائل علامات انفصال، علامات نكتبها للضرورة لأننا بعيدان الواحد عن الآخر".
 - فرناندو بيسوا إلى حبيبته أوفيليا
 - "كم خسرتنا حين توقفنا عن كتابة الرسائل، لا يمكنك إعادة قراءة مكالمة هاتفية".
 - الكاتبة الأمريكية ليز كارينتينير
 - يحكى أن رجلاً أحب امرأة صادقة وجميلة، فبادلها الوفاء، وعاهدها أن يقيم على محبتها لها، ولحين من الزمن مضى كل شيء على ما يرام، وعاشت الفتاة بخير ووثام، ثم حصل ما جعل الرجل ينشغل عنها فتركها، وجعلت تنتظره طويلاً لكنه لم يعد، وأخذ محبوبها يشفقون لها بينما يهزأ بها العذال، الذين جعلوا يشيرون إليها قائلين: "ها قد نبذك ولن يعود مطلقاً". فالتست الفتاة حرجتها، وراحت تقرأ في السر الرسائل التي كان حبيبها يكتبها لها، وكان في تلك الرسائل يعدها بالبقاء دوماً على العهد، فراحت تقرأ وتبكي، لكنها وجدت فيها شيئاً من العزاء والسلوى لقلبها، فكفكت دموعها وأوصدت في وجه الشك قلبها.
 - وفي إطلالة يوم مشرق مفرح، إذا بالرجل الذي أحبته يعود، ولما دري بأن الناس كانوا يشككون سألها كيف حافظت على وفائها فأرته رسائله وأكدت له ثقته المطلقة.
- (منقول من أحد المصادر)

رسائل إلى أميرة الوجد (ش. ح)

نبضٌ على نبضٍ تناغمَ عاقلاً وسرى بعمقِ الاشتياقِ غرامُ

الثلاثاء: 2012/6/5

إليك ما زال القلب نابضا يهديك سره وآماله، ويعطيك شعوره فائضا برجاء المحبة الموصولة
بنبضات الروح التي تشتاقك كل لحظة، وقتي جارح فعلا، أتذكرك في كل ثانية عند طعام أو شراب
عند سماع أغنية أو مشاهدة تلفاز، عندما أمسك قلما لأخط فيه ما أخط، عندما أفتح كتاب الله
لأقرأ فيه، تحاصريني في كل دقة قلب، أتعامد مع أحزاني فلا تهدأ أو تستكين بل على العكس تسير
بي نحو مهاوي الجنون، أسترجع اللحظات المقتنصة للزمن الهارب منا، أكاد أختنق، بل إنني
أختنق، فيجف الريق، وتغرورق النفس ببكاء يؤلم ويحرق الأعصاب، مهما كتبت وكتبت لن تبلغ
الحروف جزءا بسيطا من ألمي وشوقي، فلهذا در المعاني كم تخون!

سأظل مشتاقا إليك، ولن يخفت نورٌ تسلل في خاطري، ليعمرني ويغمرني بك، سأظل مشتاقا
لصنعي بين كفيك طيرا يغني راقصا يشدو لك الحب ألحانا وارفة دانية الثمر، لألاءة في البهجة
والحضور.

سأظل مشتاقا لكل التفاصيل التي كانت تسافر في دمانا، وتشرح عنا حينا وحنينا، وتحفر روحنا
على جدار الوقت كي لا ينسى أحدا أو كلانا تلك الروح التي اشتعلت بنا في كل لقاء، ونمت وأنبئت
في الحب سبع مسافات خضر تفوح بنا كل حين.

سأظل مشتاقا لصوتك النادي النديّ العامر بالموسيقى، يرسمني أيقونة بشكل لا يتكرر إلا على
شفتيك عندما أتكور بين شفاهك كحبة من كرز.

سأظل مشتاقا لتلك اللمسة الحانية والنظرة الصافية، والرحيق الساحر.

سأظل أسابق الوقت كي أكون بين يديك طفلا يستقي من رضاب شفاهك حليبه الذي يرويه يا أنثى
الحليب وأنثى العسل.

سأظل ماءك أتساقط ندى بين راحتك، يا غيمة مشبعة بأنا، بماء الروح، تسكبينك في كأس من
ضياء ورؤى.

سأظل مشتاقا لعينيك اللتين أراني فيهما نظرة شوق ولهفة من قصيدة وأغنية وضمة من ورود
الصباح، أسرح الأحلام فيها، وأقبس من شذاك العطر يا مغتسل العطور وشذاها الفاتحات على
جسد حريري بض ليس به غير اشتها وجرة من زهر...

سأظل مشتاقا لكلمة "أحبك" خارجة من شفتيك غيمة من حياة وبارقة من نور روح.

الاثنين: 2014/3/24

صباحك سعيد وموشى بزهر اللوز بل أقرب، لا أريد لنوار اللوز أن يبتعد عن صباحاتنا الفيروزية،
أعود لأكتب لك وأهني نفسي بالحب، لقد انتبهت هذا الصباح، فقلت: "من زمن لم تصبّح على
أصدقاتك على الفيس بوك، فلتصبح على الجميع".

إنه صباح مميز وجميل، فيه من عبق الروح ما فيه، وفيه من الشوق ما فيه، وفيه من اتصال الروح ما يجعله أبديا لا يزول ولا يحول، فيه من الهمس والنور المتسرب للحنايا ما يجعله أثريا صافيا عاقلا ومجنونا معا، وأنت فيه سيدة ليس كمثلها في السيدات، آنسة الروح والفكر والخاطر، تعيشين في كل التفاصيل، سيدتي وجميلتي وحببتي صباحك شعر وقصيدة ضوء وقافية عطر تعطر أجواءنا المكفهرة.

لماذا قلت أجواءنا المكفهرة؟ لست أدري ولكن لن يصنع الفرح الشهي غير أهله العالمين فيه، ها هو آذار شهر الحب وشهر الجنون المتصل بطقوسنا الوردية الناعمة ما زال مشتتلا بوروده في لقاءتنا وهمس حنيننا الواله المتعطش للمزيد.

لست أدري لماذا المكفهرة، ولكنها بالتأكيد أجواء سياسية غير عادية وشاذة ومقرفة، لا يحو قطران سيئها غير الحب وجمال الحب وصوت فيروز الصادح:

ممن حي لحي	عم توعى البشاير
وببلاد الففي	فيها الفرح داير
خليك خطي	ضوي على الداير
يا شمس السمي	حلفتك لا تغيبي

سيدتي وسيدة الجمال المهيب صباحك أحلى ويومك حافل بالهناء والسعادة، أما أنتم أيها الأصدقاء فأقول لكم: أنا وأنتم مدينون لسيدة الروح بهذا الصباح، فقد جعلتني أسمعكم فيروز الحب والجمال والإنسانية.

الأربعاء: 2014/7/9

أكتبُ إليك الآن شيئا آخر، عن روايتي التي سأشرح فيها كل شيء عني وعنك وعن تلك التفاصيل التي تنكرت لها، ولم يعد للقلب الواهم منها أي نصيب، فقد قطعت ما كان يجب أن يوصل، وقتلت ما كان يجب أن يحيا، وأحييت الفساد العقلي والروحي لمهزوم خاسر لأبسط ما كان يجب عليه أن يربحه.

أكتبُ عن تلك النصوص المؤجلة التي شربت من مائك ذات يوم، واغتسلت بالوقت مني في دماء اللحظة المنتشية، وانتبهت لأشياءنا العطشى فتحركت فيها الحياة لبعض بارقة، فوضعت التراب في فمي وفمك حتى لا تزهو النبتة على أطراف أصابعنا، وقد وجدت منبتها التي طلبته منذ سنين.

أكتبُ إليك عن افتعال الغضب دون وجه، وعن احتقارك للدلال العاطفي المسمي في روايتنا الطويلة "وهم حب"، وعن تلك الفصول المؤلفة في هجائي وغبائي وابتدائي وانتهائي، عن كل شيء سوف أكتب.

فانتظري الرسائل القادمة فإنها باذخة المجون وحرارة للعصب ومميتة لكل وهم، ومشعلة بوارق الخوف من كل حرف لا يتقي ولا ينتقي ولا يموت به الغضب، انتظري الرسائل الناقمة الحمقاء، فإن زمانها قد حلّ، فإن وجدت الخير فلا تفرحي، وإن وجدت الشر سيد سيدي لا تزيدي في اللهب تلك هي الرسائل المؤجلة القاتلة ولفحها لا ينتهي فلا تتسلمي البريد وقاطعيها، وعودي حيث كنت في الجفاء الأبدي، ولا تقرئيني.

الاثنين: 2014/9/8

كم كان رائعا لو وضعت اليوم رأسي على صدرك الحاني، أتنفسك وجدا وتتنفسني عبقا أرجوانيا، فأنسائي بينك، لأجد نفسي وقد تشكلت نقطة حب بين نقطتين هناك تشكلان نهرا من أناي وأناك المتوحدتين على صدر شهي.

كم كان جميلا لو بقيت الفرصة مهيأة لزول غيث سحابنا بين كثران رملك الناعم وصخوري التي أتعبها نصب الوقت وشرك المواعيد الفارة من بين أصابعنا، لتتقد ونتوقد ونضيء كأننا شمعة في دهليز الحياة المتعبة الغشوم.

كم كانت اللحظة الآن منتشية بنا ونحن نبدأ الوقت بالعناق والقبلة الطويلة واشتباك الأيدي التي أثقلتها الحرارة المختزنة من جسد يفور بنا لنطفئ شوقا تلبدت سحائبه كثيرا، وتكاثفت، وما إن وصلت لهذيان هيمنانها حتى أقلعت وخلفتنا مجانيين نعاني الأمرين من كل فرصة لقاء مهدرة.

كم يشعر القلب بنزف يؤلم دون رحمة، وقد حضر الوقت ولم نحضر، وحضرت للهفة ولم نحضر، وحضرت في قلوبنا الآه الطويلة زافرة آلام انكسار توقعاتنا.

كم تهيأت اليوم لأكون بينك في خلاياك النادية، ولتكون بي في خلاياي المستطيلة المنادية، كم كنت جائعةً وعطشى ومنتعبة، لألقاك فنشبع ونروى ونرتاح معا ونحن نعب من ذات الكأس في ذات اللحظة.

ماذا فعلت بنا الأوقات ففتت أرواحنا وشرذمت خلايانا، فرجعنا دوننا، رجعنا نضرب موعدا آخر، واستعدادا آخر لوقت جديد ومكان جديد وظرف قد يؤاتينا، فنأكله ولا يأكلنا.

ها هو الوقت يقترب، وأنظر إليه زاحفا، يفيض أسي وحسرة كلما زادت الدقائق اكتمالا للموعد المضروب... كيف تبخرت أيتها الأمنيات وضعنا في التصورات التي لم تتكون، تسريت من بيننا وانسلت؟

لم نعد نرتب شيئا ولا نحلم بأكثر من قناعتنا أننا ربما التقينا، فلنترك أقدارنا تجري في أعنتها، فإننا لن نسلم من الانخفاضات الجوية المباغثة التي تدمر كل موعد في آخر محطة من كل ميعاد ولقيا.

فيا لله كم سنتحمل من اهتزازات وارتجافات وحرارة شوق! فيا ليت أننا الآن معا يا أمان حبي المطلق يا ليتنا معاً.

ش. ح

الثلاثاء: 2015/1/24

كم تؤلمني لحظة الكتابة، أشعر أن مبضعا يجوس القلب والعقل والنفس يفتش عن تفاصيل الفكرة الضائعة أو المتبقية هناك، توجعني الفكرة يا عزيزتي، وتوجعني كتابتها، ولكنها تخلف في النفس نوعاً من الراحة لأجل ربما لن يطول طويلاً، حتى تعاود الفكرة كزتها من جديد، لتعيد غرس أنيابها في مرة أخرى، فكل نص أكتبه هو لك بشكل مباشر، ليس لخيال الكاتب أي علاقة فيه.

أعرف أن الكتابة تؤلمك، فكم أبكيك وأنا لا أريد لك البكاء، ولكنها طريقي في استحضارك وجعا أبدأ "كالذي مضى"، وكيف يمضي وهو ما زال حياً يعناش على أشلاء روجي، ربما تصالحت روحك مع فكرة التعايش بصيغة رضا وهمي، أما أنا فلا أستطيع تخيل العالم دون أن تكوني سره، وبوح أقلامه وخياله جموحاً لشاعر أسميته ذات مرة بالمجنون.

تؤلمني الكتابة ويؤلمني الصمت، وتؤلمني كل الحالات الممكنة وغير الممكنة، حالة لا تستطيع الكتابة تخيلها أو استنطاقها، ربما لأن شيئاً في داخلي منكسر، أو ضائع، أو ربما أنه جبان مقيد لا يحسن صنع ما يتوجب صنعه، عاجز حد فقر الدم، حالة تجعلني أسير "الألواح الإلكترونية" وألبوم صورك المتكاثرة، وذكرياتك المتلاحقة، وأطيافك الزائرة، والنصوص المستكينة أو النافرة، كلها كانت وما زالت أنت، فلا تتبرئي مني ومنها ومن ذلك الماضي، إن ذلك "الماضي الجميل" هو أنا أنت، وأنا الآن صناعة خاصة برسم قلبك الذي احتوى وجعي وأنا بصيرة الرؤى التائهة، فلا تبرئي من دمائي ولا تتبرئي مني، ولا تكوني ذلك الغول الفكرة الذي يفتال ما تبقى من رجل لا يكون رجلاً إلا بك وحدك، فلنصارع الغول معاً، لعلنا نظفر بالسلامة.

أحببتك أنت

سلمتك روجي قبل قلبي لأنك حركت في مشاعر اعتقدت أنني قد قتلتها، أحببتك لأني جزء من روحك، أحببتك لأنك ملكتي... أسرتني... احتويتني... فجرت أنوثتي وكنت رجلي وسندي وأماني.

لست مثلك ملكة اللغة أسخرها كأداة تعكس الحب والعشق، لكن أملك بث ما بداخلي بصوتي وبنظرتي من دون كلام. تفوقت علي مرة أخرى باستشعارك ما تحتويه روجي وقلبي لك.

كن لي أنا أكون لك أنت.

ش. ح

بدأ الصباح بتحضير اللقاء، لكن جرت الرياح بما لم تشته السفن، وأخذنا بتهدئة أشواقنا لعل وعسى يعود أمل اليوم للشروق. حبيبي وقلبه الحاني امتص قهري، لكنه سحب أنفاسي وسارع نبضي، فاجأني بغابته تتوسط جسمه الدافئ الحار، وأطلت من وسط غابته ألفي الغارسة، لم تكن كما عهدتها، ما ظهر اليوم هو وحش متحفز متأهب للهجوم والافتحام ومنعطش لبلوغ أعلى قمم المتعة.

سأستلم له وسأروضه، فأنا أنثاه وأنا من تعرف كيف تظهر وحشيتها التي عشقتها وكيف أظهر رفته التي تغمرني.

لن أقف في طريقك، بل بالعكس، سأفتحها لك لكن بقليل من المقاومة كي يشند جنونك وأستسلم أكثر وأكثر.

ش.ح

رسالة من أميرة الوجد¹:

أردنا الوصال، نهض من غابته الكثيفة الرائعة بكل قوة، اعتلى خوذته وتملكه العشق والشوق والشبق، يتنفس ويخرج زفيره قليلا مبتلا، هذه بداية السيل. يتحرك ويستعد للهجوم ولدك الحصن، حصنه القطني المشتاق، يشتاك لغمده وللاستقرار في أعماق أعماقه.

يحمل معه وردتين متكورتين، يضعهما في الأسفل تتحركان بتحركه، تمسكانه وتحدان من قوته ومن اقتحاماته، ما أجملهما!

بدأ الوصال بحجمه الكبير ويكبر ويكبر يريد غمده ليغلق منافذه يركض نحوه مندفاعا بخوذته، يرتفع الصراخ وتعلو التأوهات يستمر في محاولة الاستقرار، يخرج ليتنفس ويعاود الكرة، يهتز ويهز الجسد، استقراره لا يكون سوى بتدفق الدفء وسيلانه...

ينتفض ويتدفق ويفيض وتهداً أرض المعركة وتستكين ولا يبقى سوى التأوهات والرعشات الجميلة.

قراءتي الخاصة للرسالة:

الأدنى أجمل مخلوق خلقه الله تعالى من كل شيء، فما بالك بالمرأة، أنثى الرجل التي تفيض حنانا وحباً واشتياقا وألقاً...

نعم، إنها المرأة أنثاوي المبتهجة بأنوثتها السعيدة بما أوتيت من قوة وصال وشبق، تستشعر أهمية جسمها وأعضائها عضوا عضوا، وتتأمل دون خوف تلك الأعضاء الأنثوية، ما شكلها؟ ما غايتها؟

¹ تجربة خاصة بيننا؛ اتفقنا فيها على أن تكتب (ش.ح) نصاً في الوصف، على أن أقوم بشرح ما كتبه.

مع من تريد أن تكون؟ ما الذي يكملها؟ وما هو ممكن السر كله في جسد الأنثى الناضج الضاحّ بالحيوية الصارخة والصاخبة بلا عنف.

عندما استشعرت أنثائي حاجتها وتفهمت جسدها ووظيفة أعضائها لا يمكن أن ترى في تلك الأعضاء مجرد قطع تؤدي وظائف ميكانيكية فسيولوجية بحتة، إن لها وظائف روحية أيضا، هكذا ترى حاجة جسمها وأعضائها لأعضاء رجلها الذي آمنت به ووثقت فيه، فأعطته مفتاح أنوثتها، وأخذت منه ومعها ولها وله في صناعة الجمال الأنثوي بالاشتراك المفضي للمتعة الكاملة الحسية، لنكونَ معا قد حققنا وصالا روحيا ونفسيا ليس جسديا فقط.

عندما تفتح المرأة جعبتها، وتفتش داخلها، وترى أنها محتاجة لعضو رجلها ليكمل عضوها الذي ينتظر وظيفته الأسمى في الوصال المشترك، عندها تكون قد وصلت إلى مرحلة من التوحد في ذات حبيبها التي ارتضت أن يشبعها ويروي تأوهاتنا ويطلق صرخات شبقتها الليلي والصباحي، عندها فقط يكون قد تم الاتحاد والحلول ولا رجعة عن الانفصام والابتعاد وإن عكر الصفو بعض خصام آني لا يدوم.

هي الآن أنثائي، تصف ما تراه من عضوي الذي سمحت له بحبها وحنانها أن يكون لها بين فخذها راويها وساقها وغارس ألفه فيها، تصفه وصفا يروق لها أن تراه فيه، فهي كما كتبت تحبه بكبة الشعر كأنها الغابة حوله، فهل رأته أسدا؟ ربما يعيد ذلك إلى الذهن أول مرة رأته فيه ذلك العضو، فقد كانت خائفة، لم تستطع إليه النظر بحدية، كانت تسترق إليه النظرات، حتى إذا روضته أصبح أليفها وألفها في آن.

تلتفت لكل جزء فيه، فتبدأ بوصف الرأس فشبهته بخوذة المحارب، يا له من وصف بارع، فلطلما كان الاشتباك بين العضوين معركة لذيدة الطابع.

تصف تدريجيا كيف يبدأ بمراحل وصاله، ينتفخ تدريجيا رويدا رويدا، فيسيل ماؤه قليلا قليلا، إنها لا تستعجل ذلك الاشتباك الحتمي، فتأخذ بالتأمل، فكيف يسيل ذلك الماء اللذيذ؟ ما طعمه؟ تتذوقه على مهل، وتزداد رغبة بعد رغبة.

تلتفت للوردتين المتدليتين في أسفل العضو، يحدان من تدفقه داخلا، جملة ترغب بالشرح دون الشرح، إنها الرغبة غير المنتهية في الاستزادة من كل خلية من ذلك العضو، لا تريد منه شيئا خارج وردتها، تريد أن يكون كله مع وردته داخلا فيها إلى أعماق أعماقها، إنها تقول أعماق أعماقها، لقد وصلت إلى ذروة النشوة واللذة والشبق الذي لا تريد له الانقطاع.

تتقدم خطوة أخرى فتصف الإيلاج وكيف تشعر فيه داخلها، وقد انتفخ العضو وامتد ليسد منافذ الوردة القطنية، يكبرُ ويكبرُ، يحشر نفسه فيها ليعطيها إحساسا بالامتلاء والانتفاض والهزة الكاوية. لتصل إلى اكتمال العملية، فذلك السيل القليل الذي سال أولا على خوذة المحارب، يتحول إلى

دفق يفيض في وردتها فيسقيها من جديد، فتعبر عن تلك اللحظة بانفعال الرعشات والتأوهات التي لا تستطيع إلا أن تطلقها احتفالاً بذلك الاتصال المشترك بين ألفها الغارسة ووردتها القطنية الناعمة.

أنثاي وحببتي هذه التي كتبت ما كتبت تعي وتدرك أهمية أن تكون أنثى لرجل هو لن يكون لغيرها، لذلك كتبت لي، ولولا أنها تدرك أنني أهل لذلك الوصال الحنون لم تكن لتفتح مخابئها الثمينة.

فهنيئاً ذلك الوصال لنا ولكل من هو مثلنا من أهل الحبّ.

الجمعة: 2016/2/12

حببتي التي لا أملّ منها ومن مناجاتها، أسعدت أوقاتاً، أيتها الطاهرة كتسبيحة قديس في ليل عميق التأمل، أما بعد:

لم أفكر بشيء وأنا في غمرة الصلاة هذا اليوم إلا بهذا: "ألا تجعلني يا ربّ سببا في إزعاج أي إنسان، وامنحي القوة لأكون إنسانا جيدا، يدخل السرور على قلب كل من له علاقة معي". وكررت ذلك مرارا بسري، وأحيانا أسمعت نفسي، وأوشكت أن أتضرع وأرفع يدي، وخشيت أن يستمع من كانوا بجانبني لما أحببت أن يظلّ سرا بيني وبين الله.

تذكرت أياما سابقة، كيف كنت فيها فظّا غليظ القلب، مهووسا، أستجمع كل قدرة لشرطاني ليتغلب على ما تبقى في داخلي من نور. أحسست أن ذلك الشيء ضعيف جدا، وبدا لي متلاشيا وبسرعة، حاولت تدارك ما بقي منه مشتتلا لجعل الحياة أكثر احتمالا، ولعل ذلك الخافت من نور يستطيع تبديد سحب الظلام الكثيف في داخلي.

أنظر الآن إلى مساربي الداخلية، العتمة كثيفة، ذات نتوءات مزعجة، مصممة لا يفلح أي معنى باختراق جدرانها المتصلبة. أحاول استجلاء روجي لعلها تنظف مما علق بها من أدران أرضيتي المتسخة بكل أنواع الهلام الحقيقير. أشعر أن إنسانيتي مفقودة بشكل كلي.

أستحضر صورتك البهية، وأناجي الله سبحانه، فيا ليتني أستطيع إنقاذ ما تبقى من ظلالتي المشتتة بين أوهامي وتخيلاتي وواقعي الجاثم كالوحش يغرس في أنيابه دون رحمة.

تنتابني رغبة شديدة بالبكاء والحاجة للصرخ والتفريغ والثرثرة ولكن مع من؟ ومن يستطيع غيرك أن يسمعني وهذا الخواء يملأ كل كياني المتهدم؟ أرجوك لا تجعلني تسولاتي تذهب سدئ فكلي يحتاجك لأشعر بالأمان!

الثلاثاء: 2021/4/27

صباحك سكر، يا أجمل النساء، وأشهى النساء، وأعلى النساء، وأكثر...!

لا أدري لماذا صارت تطاردني رسائلك في ضيق الوقت. ها أنا متهيئ للذهاب إلى العمل، والرغبة شديدة لمخاطبتك. أندرين أيتها البعيدة مثل نجم كم يخسر العشاق في مثل هذا الوضع الذي

نحن فيه. إن كانوا شعراء سيخسر الشعر مئات قصائد الغزل الجميلة الناعمة، وستخسر اللغة آلاف الكلمات والتعابير الجديدة، وسيفرد اليأس جناحيه ظلاماً في كل وقت. إنهم سيخسرون تلك الحرارة التي تدفعهم ليواصلوا أعمالهم بحب وانشرح، سيجدون الحياة سوداء قاتمة، والدروب مقفلة، والشمس غائمة، والبدر باك حزين.

أتعتقدين أن هذه الخسارة هي خسارة شاعر فقط؟ أم أنها خسارة شاعرية التركيب؟ أعتقد أن الخسارة أكبر من اللغة ومن النص. خسارة العاشقين في مثل هذه الحالة هي خسارة لمبرر الحياة في الزهرة وفي الثمرة وفي كل شيء. أقلها ألماً ألا تردّ الحبيبة تحية الصباح، أو أن تردّ على الرسائل ببلادة، تشعر الحبيب بأنه غبي أو مجرد كائن لا أثر له.

هل تهاجمك الذكريات كما تهاجمني؟ إنها ما زالت تحتلني، تسكن في صلب روحي، وتلغني في كل ثانية، أستعيد المشاهد كلها فأبتأس وأجنّ، أسترجع ضحكك، أسترجع حديثك، أسترجع تأوهاتك، أسترجع نظرة المدى في عينيك، أسترجع طعم قبلتك، واللذعة في ماء شهوتك، أسترجع مناماتنا وسهرنا ومرحك في الغرفة عارية. أسترجع مشاويرنا من مدينة لمدينة؛ بحثاً عن مكان نصنع فيه اللحظة التي لا تموت. أنسيت كل ذلك الجنون الذي كان يحيي نفوسنا يوماً كاملاً. يا ليتك لم تضيعي في الزحام وتتركي عارياً تتخطفني الريح، وينهشي البرد، ويأكل لحمي الحنين.

اقتربت الساعة، عليّ أن أتوقف عن الكتابة. هل يا ترى سنعود كما كنا، نشرب شاينا في هدأة المساء في غرفة فندق ما؟ هل يا ترى سأعود أقطف القبلة على عجل ونحن في الطريق إلى شهوتنا؟ هل سأنام على ذراعك الأبيض البض الحريري وأغفو وحلمة ثديك في فمي؟ يا ليتك تعرفين كم تستعبدني تلك اللحظات التي كنت أقضيها متأملاً صدرك وبطنك وسرتك وفركك وفخذيك وساقيك وصولاً لمداعبة أصابع قدميك، ورائحة الشهوة في عناقك، خسرت كل شيء، ولم يعد لي غير هذه الصورة التي تجرح الروح.

ليتك تعودين ليعود الشعر أخضر زاهاياً، والورد أحمر قانياً، والوقت أقصر نلجمه ونمدد ساعاته ليكون أطول. ليتك الآن هنا، ليتك الآن تقرئين شفتي بقبلتك، وجسمي بحركة راحتك، وليتني أكتب كل ما أريده على قمتك الباهرة.

أيتها الحبيبة القاسية، أحبك حتى آخر ما يوجد به القدر من عمر!

المشتاق لكلّ خلية في جسدك كنت قد تحسستها فأسعدتني شهيتك فيها.

رسائل (2016 و2018)

لَمَّا بَدَا لِي أَنَّ قَلْبَكَ مَلَّنِي
وَعَلِمْتُ أَنَّ هُنَاكَ مَا لَا أَعْلَمُ
أَقْسَمْتُ أَنْ لَا أُورِدُ اسْمَكَ فِي فَمِي
لَكِنِّي قَدْ كُنْتُ بِاسْمِكَ أَقْسِمُ
الشاعر جميل صدقي الزهاوي

الاثنين: 2016-12-12

لا أدري أي وصف سيكون مناسباً بعد النداء باسمك (العزيزة، الصديقة، الحبيبة، الغالية، الرفيقة، القريبة، البعيدة) ربما كنتِ كل هذه الأوصاف دفعة واحدة، بل إنك كلها وأكثر من ذلك. لم أنم طوال الليلة الفائتة، وأنا أفكر كيف سأحسم أمر هذا الجنون الذي لا بد له من أن ينتهي.

لا شيء سيتغير، لا أنت ستتغيرين ولا أنا سأتغير، سأظل تأكلني الغيرة كلما رأيتك وأحدا ما، وهنا لا أقول كلاماً لا يليق بنا نحن الاثنين، ولكنك امرأة، كما أرى، تحب أن تكون لها علاقات صداقة مع الكتاب في كل مكان، من هنا حتى أقاصي البلاد البعيدة، عرباً وأجانب، حتى وصفتك ببني وبين ذاتي أنك امرأة مصابة بحب الكتاب، ليس ذلك الحب العاطفي المقيت البائس بكل تأكيد، وإنما حب معرفتهم والتقرب إليهم، وصداقتهم والتصوير معهم، والسعي للقائهم. هل تصدقين أنك لم تقولي لي ولا مرة واحدة أنك التقيت بالكاتبة الفلانية، أو رأيت فلانة في معرض الكتاب أو صادفت كاتبة ما في إحدى حفلات التوقيع التي تحرصين على حضور ما كان للكتاب تحديداً دون الكاتبات، يا سبحان الله كل من يصدفونك يكونون كتّاباً، وكأنهم قدرك المحتوم أو أنك قدرهم المقدر، حتى في تلك الفنادق التي تضطرك إلى المبيت فيها، ستكون الصدفة أن الكتاب هناك موجودون، وبالصدفة المحضة، حتى وأنت تجدين نفسك معهم على مائدة العشاء في مساء يوم الصدفة، كان ذلك مجرد صدفة، بالتأكيد إنها صدفة بائسة، لا تصلح لسياق روائي جيد. وليس بإمكانني تصديقها حتى وأنا أغبي مخلوق عرفته الآلة الكاتبة.

هذا أمر لا أستطيع احتمالته، ولست على قناعة بتغييره، ولست على استعداد للتدجين، وقبول هذه الفكرة الخائبة جداً، لذلك لن يغير أي لقاء من لقاءاتنا المحتملة من الأمر شيئاً سوى المزيد من النشوة الكاذبة، التي ستزول بمجرد أن نفترق، لأنك تكونين قد أدّيت واجب التعاطف الوجداني البريء مع هذا الغبي، وهدأت قليلاً على ما تظنين أن هناك عذاباً ضمير تجاه ما تعتقدين أنك سبب جارح فيما أعاني منه من أرق السهر والنحول والتشتت.

أحب أن أقول لك: إنني لست عاتبا ولا ساخطا، أخذت منك حظاً ربما كان وافراً من حبّ ولقاء وشهوة ذكرى ولهفة قصيدة ماجنة، ولست نادماً، فلتبق فقط ذكرى جميلة في أذهاننا عنا، أنت صاحبة هذه الفكرة المتمناة منذ زمن، وها أنا أحققها لك دون خسائر أو ألم.

عليك أن تعلمي حقيقتين إحداهما أكثر احتمالاً من الأخرى؛ الأولى أنك امرأة لن تنسى، وتمكّنت في القلب لا يزول، وأما الثانية لا أحد يريد لك الخير من هؤلاء الرجال الذين يسعون إليك أو تحرصين على صداقتهم، سوى اثنين أنا وهو فقط. (هنا أنت بالتأكيد تعرفين من أقصد بالغايب الكائن بيننا). لن أنصحك، لأنك لا تحبين النصائح، ولن أوصيك، فأنت تكرهين الوصايا فقط أقول: "أحبك أبداً"

لا تحاولي الرد على هذه الرسالة، لأنه لا من سبيل يمكن أن توصلك إلي أو توصلني إليك. ولن آتي لأي لقاء، فلن يمنحني اللقاء أي شيء سوى المزيد من القهر. وإن التقينا ذات يوم لا تفاجئيني بالحديث، لأنني سأكون فظًا، ولستُ غليظ القلب فقط، سأكون عديم الذوق والإحساس، ولا أعرف أي حماقة ستُخلق ساعتئذٍ. أرجوك لا تشعرني بالألم، لأنك حرّة، وأنا الآن أكثر قدرة على الاحتمال.

الجمعة: 2018/2/16

أتذكّر كأنه الآن، بل إنه الآن، لم يبرح نشوته الأولى في ليلة تعارفنا الأولى، كيف كنت تزجّين في دمي جسمك البضّ الناضج قطعةً قطعةً بصورك المشتهية، كنتُ في تلك الليلة أنزف ماء مقدّسا مع كلّ صورة، وتعيدين تشكيل روحي على هيئة مخصوصة، كنتُ أراك شهوة افتراضية عابرة متاحة لليلتين أو ربّما هي ليلة واحدة، وإذا بك تحتلين كلّ مساحة من كياني بعد أن عجنت تلك الخلايا الناعمة بجسدي المتيبّس، فانبثقت أولى القصائد تصف ذلك المعروف لديّ المُعرّف بقطعة سُكر وكأس سُكر، وصفتك من علو نهديك المنتشيين المنتصبين حتّى أسفل أعضائك المبتلة بعبط أنوثتك¹، كنت حوريةً كاملة، وكنت مهيتًا بالقدر؛ لأحمل كلّ تلك الشّهوة كصخرة أدفعها، وتدفعني، فتقوى عليّ، لتتركي حُطاما تحتها.

ثم بعد ذلك، في تلك المجموعة القصيرة، الخاصّة جدّا التي أطلقت عليها "أغنيات لسُمّو نهدك" أتلوّ على جسديك كثعبان، وأستلقي على فراشك كعاشق مفتّت لا يراك إلّا أحلاما شهية تتابع كلّ ليلة، لا يهدأ عصفها، ولا يرتاح جنونها، أهديت هذه القصائد لذلك الجزء المتاح من جسمك في كلّ مرة كنّا نلتقي فيها، ليكون تحت ناظريّ، كنت ألتهب وأشقى، وكنت تحرقين كلّ خليةٍ فيّ. كنت قاسية كالماس، لذيدة كشهوة أبدية.

في كلّ تلك السنوات، حيث كنت بعيدة هناك في غربة مجنونة، أو حيث كنت هنا كأقرب امرأة بعيدة، تنام على ساعديّ في الحلم، لم أظفر منك بقبلة أو غمرة أو لمسة عدا لمس يديك التحيلتين، لم أجرؤ على أن تمتدّ يدي الوحيدة لأتحسّس صدرك، أو وجهك، أو فخذيّك، أو عضوك المشبوب بنار شهوة جارفة، كنت قانعا بقربك أشتّم رائحة الأنوثة الطّازجة. كنت أعلم أنّي أدخل مغامرة ليس لها نهاية إلّا بالموت، كنت أعرف أنّ صبابتي وهمّ وجنون، كنت على يقين أنّك حين تتمدّدين في الفراش لينعم رجلك بك، أنّك لست لي، حتّى في أحلامي المحرّمة. كنت أخون المنطق بقوة، لكنّني كنت سادرا في الغيّ، وما زلتُ.

في كلّ مرة أحاول فيها أن أبتعد، وأتخلّص من أوهامي يعاودني الشّبك والحنين وتهجمين عليّ، أستسلم غصبا عن كلّ تلك الأيمان التي أقسمتها، تُرجعينني إلى حافة دائرتك الموجهة، فلا أستطيع الخلاص، ولا أقدر على الدّخول إليها كما ينبغي لعاشق مجنون أن يكون مع حبيبته التي

¹ قصيدة "دمت الغدير"، ديوان "وأنت وحدك أغنية"، القدس، 2015، ص 329.

حرقته، وحوّلته إلى هواء وهراء ووهم. كأنّه قدر أن أظلل هكذا؛ أعبّ من كؤوس الانتظار حتّى دون أن أمّيّ النَّفس ولو للحظة أن تشفي الغليل بقبلة هادئة.

لقد أوجعتني هذه القصائد، إذ خرجت معجونة بلعاب آلهة الحبّ والجمال، من أيروس إلى أفردويت، مروراً بعشتار، وانتهاءً بألم النَّفس الأتّارة بالحبّ والسّوء معاً، قصائد مفخّخة بألغام الشّهوة الجامحة، أحاول أن أجمها فتستشيط جنونا، وتتفلّت الكلمات والصّور والمشاهد، وتتنازل عن استعاراتها الخجولة، كانت تريد أن تسمّي الأشياء بأسمائها كما هي (الفرج والبظر، والتهد، وفخذاك، وأليتك، والرّعشة الكبرى)، كانت الحروف مسامير تدقّ لحمي فأنزف من كلّ جانب.

جميلتي ووحيدتي وأميرتي وشهوتي وشهيتي وقتيلتي، وقبل كلّ ذلك وبعده، مجنونتي وحبّيبتي:

إن قرأت هذه القصائد، لا تحقدي عليّ، ولا تلعنين جنوني، ولا تسخري منّي، واغفري تولّهي وجموح الصّهوة والصّهيل في دماي، اقرئي، وتذكري أنّي لم أكن سوى شهية خارجة عن نطاق المنطق الحزين الذي ابتلاني بهذا العشق الذي لا يكفّ ولا يخفّ، ولا يرحم، ولا يتوقّف، وأعلم أنّ ما بين الوعد والموعود وقت يموت، ولكن ثمّة ذكرى تفتّح كلّ يوم أملاً لن يموت، وأعلم أنّ ما بين الجنون والعشق شعرة، لا يحافظ عليها إلاّ المحبّون، فلا طعم للحبّ إن خلا من روعة الجنون، وإن كان يقود المرء إلى الهاوية، فيا حلوها من هاوية، ويا حلوه من حبّ.

كلّ عام وأنت بخير، كلّ عام وأنت القصيدة، كلّ عام وأنت الوردية، كلّ عام وأنت الشّهوة المتجدّدة، كلّ عام وأنت الحبيبة التي أشتاقها بلهفة، لعلّها تظال يوماً ما ليصبح كلّ هذا الوله واقعا مجنوناً.

أحبك....

الاثنين: 2018/3/26

لعلّه أمر يدعو للشّهوة اللذيذة، وأنت تعيشين في ذاكرتي، وما زالت سروتك تكبر كلّ هذا الوقت. أعرف أنّه لأمر مخجل ألاّ نتحدّث معاً على امتداد هذا البعد الاختياريّ القاسي، لكنّ ثمّة أمراً آخر جديراً بالملاحظة الإنسانيّة الخالية من العاطفة المشبوبة التي لم تهدأ مطلقاً منذ أن تسرّيت إلى مخيلتي. هل تصدّقين أنّي ما زلت، كما أنا، هاربا منك ومنّي ومن اجتماعنا سوية؟ أتذكرين آخر لقاء جمعنا، كم كان بائساً، كنت أقرب ما يكون وأبعد ما يمكن في الوقت ذاته. ربّما أعرف، كما تعرفين، أنّ حوض التّجربة على هذا النّحو الذي جرّبناه لم يكن سوى شجرة ورد استطالت أكثر مما تستطيل شجيرات الورد في العادة، كيف كانت تكبر هكذا؟ إنّها تقف الآن شاهدة حزينة تحاول أن تظللّ صامدة. أشكّ في قدرتها على المقاومة، إنّها تعاني من العطش والجوع والفقر مثلي تماماً.

هنا في هذه العزلة الاختيارية عن العالم، وتحوّلي إلى شخص غريب جدًا أكثر من ذي قبل؛ أصبحت أكثر واقعية مع هذه الافتراضية المؤلمة، جهاز هاتفي يحنّ لصوتك جدًّا، مع أنّ أصابع يدي عاجزة عن الضّغط على الأرقام لأسمعك، فقط هو الحنين الخارق الذي يبقى كأَيّ أثر كنعانيّ قديم يأتي أن يزول.

كلّ شيء على حاله لم يتغيّر منذ عام سوى أنّك أصبحت أكثر إشراقا وزاد عمري وعمرك سنة إضافية، اكتملتِ وحدك، ونقصتُ وحدتي، وتساقط المزيد من شعر رأسي، وما تبقى منه استعمر الشّيب أكثره. وزاد نحولي وشعرت أنّ قامتي أقصر بخمس سنتيمترات أخرى غير تلك التي لفتّ انتباهي إليها، وكلّي آخذ بالتّلاشي، وأعاني من ألم في الأسنان، وتخلّص تجويفي الفمويّ من الكثير منها. والظّعام الذي أتناوله أيضا أصبح محدودا جدًّا، أشارك مع الأطفال فيه، مقتصرًا على الأطعمة الطّرية، إنّه البذخ يا عزيزتي. إنه بذخ الشّيخوخة المبكّرة!

لا أدري كيف يغدو شخصٌ تخطّى الأربعين بخمس سنوات عجاف، طفلا نزقا سطحيّ التّفكير، تغيّرت فيّ عادات كثيرة، لم أعد أغتسل كثيرا، كما كنت أفعل، ولم أعد بحاجة إلى أن أرجل شعر رأسي، ولا أن أتطبّب منذ فرغت زجاجة العطر الذي أهديتني إيّاها ذات مرّة، كلّ ما في الأمر الآن هو هذه الكتابة التي تشعر بالحكمة، هل تصدّقين أنّ اللّغة حكيمة أكثر من صاحبها؟ أمر غريب يدعو للقلق فعلا.

تقودني خيالاتي إلى الرّوايات، في واقع الحال قرأت كثيرا من الرّوايات هذا العام، وتفقهر الشّعور، وتعرّضت لكثير من التّقذ المغرض لبعض المقاطع الغامضة المنشورة هناك في تويتر، اقتنيت الكثير من الرّوايات بديلا عن الشّعور، أنقل لك مقطعا من آخر رواية قرأتها، لتلاظي مقدار البؤس الذي يستوطنني، "في الحبّ البائس، نخترع شخصيات لشركائنا في الحياة ثم نطلب أن يكونوا كما نريدهم أن يكونوا، ثم نهار حين يرفضون لعب الدّور الذي اخترعناه في الأساس". في الحقيقة كنت أكثر من ممّا قالت (إليزابيث جيلبيرت)، وأشدّ بؤسا ممّا جاء في فصول هذه الرّواية التي أشعرتني بالرّثاء والرّوعة أيضا، لكن لا بأس، ما دمّت قادرا على التّخيّل وإدخالك في سياق روائيّ، لأرى ما قد رأيت.

مكتبتي الخاصّة أيضا تضخّمت كثيرا، حتّى اضطررت إلى استدعاء نجّار؛ لإضافة المزيد من الرّفوف لعلّها تستوعب تلك الكتب الجديدة، شعرت بفرح ربّما كان طفوليا، وأنا أعيد ترتيب المكتبة، لكنّ الإضافات الجديدة خذلتني. إنّي بحاجة إلى المزيد منها، استدعيت النّجار مرّة أخرى محاولا استغلال ما تبقى من مساحات فارغة في ممّر المنزل. نجحت في إيجاد مساحة لرفوف جديدة. إنّها جيّدة وطويلة وذات خشب جيّد، فابتلعت الرّائد من الكتب، إنّها تعاني من التّخمة أيضا، فالهوس بالمزيد من الرّوايات كفيل بإشباع مئات الرّفوف الإضافية، إنّه لأمرٌ يثير شهية السّرد وإعادة ترتيبه ليناسبني قليلا، لعبة قد لا تستهوي كثيرا من القراء.

في هذا العام زرت الطبيب عدّة مرّات، وتدبّرت أدائي الوظيفي كثيرا، كأنّهُ ينحدر بسرعة نحو الهاوية، أترف أنّي أتحمّل جانبا من المسؤولية، ولكن ليس إلى هذه الدرجة المفزعة. انتابتي لحظات من التوجّس خوفا من الإحالة إلى التقاعد المبكر أو القسري على اختلاف في الوضع القانوني المحتمل، ثمّة أسباب وجيهة ومنطقية لدى صنّاع الكوارث البشرية في مثل هذه الإحالات المربكة المرتبكة، كنت مستعدّا نفسيا لذلك، حمدت الله كثيرا أنّه لم يكن، ولكنني شعرت بالخيبة، فلم تكن توجّساتي في موقعها، كنت أفكر بالهجرة والعمل خارج البلاد. هل هذا محزن أم أنّه مدعاة لبعض فرح؟ فما زال بإمكانني أن يكون راتي مؤهّلا لبعض المصاريف غير الضرورية كالتمتع بخدمتي الهاتف والإنترنت على سبيل المثال. وفي هذا العام أيضا لم أعرف على نساء أخريات، بل على العكس تماما تجاوزت عن كثيرات ونظّفت ذاكرتي منهنّ، لعلّ ذلك سيسعدك قليلا، هل تصدّقين أنّي فعلت ذلك؟ لقد فعلتها عن طيب نفس منّي، إلى الحدّ الذي لم أعد أذكر أسماءهن وأخذت صورهنّ ورائحتهن تتعد وتضاءل. الآن أسأل نفسي كيف كان بمقدوري فعل ذلك. أشعر بلذة التّفوّق على نفسي هنا. إنّني محظوظ.

أصارك بسرّ قد لا يكون مثيرا للفضول؛ لقد تضخّم قلبي من الحزن، وفي تشوّهت شفّته، وطالت لحيتي أكثر، كلّ شيء تضخّم دفعة واحدة حتّى الديون والمسؤوليات، كأنّني شخص متضخّم، كيف يكون الشخص متضخما وهو ليس ضخما؟ سؤال تتحمّل إجابته اللّغة الحكيمة. على كلّ حال هذه هي حالي. فكيف لي أن أسأل عن أحوالك؟ ربّما هي كما أظنّها، لا تعاني من أيّ قلق وجوديّ، كما أعاني أنا. أتمنّى ألا أكون مخطئا.

مع كلّ ذلك، ثمّة أمر يدعو للفرح ويدعو للكتابة كذلك، فما زال بمقدوري أن أشتري علبة سجائر، وأذهب إلى العمل كلّ صباح، وأنشر نصّا قصيرا على حسابي في تويتر، بعد أن تأقلمت أكثر مع ذاكرتي في استدعائك كلّما صار البؤس أشرس، أهدئ من روعه لعلّني أهدأ، وإلا فإنّ مزيدا من الهواجس ستكون كفيلة بإغراقني في متاهات لا نهائية.

الاثنين: 2018-4-28

صباحك أظنه "جميل".

كيف لقلب أن يحتمل هذا؟ كلمة واحدة هي كل ردك على رسالة أمس! أيعقل أن تكوني بكل هذا البرود وهذا الحجود وهذه القسوة؟ كأنك ضقت ذرعا برسالة أمس، أعدت قراءتها بعد رسالتك الكلمة، لا أظن أنّ فيها ما يزعجك. إلا إذا كنت لا ترغبين بسماع ثرثراتي التي بدت أنها غير جميلة وغير محببة.

عندما قررت اتخاذ هذه الرسائل وسيلة لمناجاتك، لم أكن أتوقع أن تردني عليها، وهذا ما أعرفه فيك، ولن أتخذها معبرا للعتاب من أي نوع، ولكن ما حيلة القلب الذي يأتيك حاملا وجعه متحاشيا أن تسمعي أنّه ومعه باقات من الورد، وإذا بالورد ملطوم به وجهه، تخيلي هذا المشهد:

شخص مسرور جدا يكاد يطير من الفرح، طفل يرقص، يركض نحو الجنة بفرح، ينزلق فتتكسر أضلاعه. هذا ما فعلته كلمتك في أمس. إنها ليست جميلة بالمطلق، حتى وإن كانت كلمة "جميل".

ماذا عليك لو ضحكت في وجهي ولو كذبا؟ ماذا عليك لو أخذت تلك الباقة من الورد، ورميتها في سلة المهملات بعد أن أغادر؟ لكن لا بأس، فمهما حدث ويحدث، لن أغضب أكثر مما غضبت في سنواتي السابقة، فقد تكسرت النصال على النصال، فالشكر كل الشكر لك؛ إذ حصنتني من الوقوع في يأس جديد، فأنا يائس أصلا. هل يموت الإنسان مرتين؟ هل يبأس مرتين؟ هل يخيب أمله من شخص واحد مرتين؟ هل تكسر روحه مرتين؟ وهل يتحطم مرتين؟ هي مرة واحدة لا غير، وقد حدثت قبل ذلك، فلا عليك، ولتكوني كما أنت، إياك أن تتغيري، عيبٌ والله أن تتغير بعد هذا العمر.

أشعر أنك الآن، تعودين لذلك الكلام الذي مللت سماعه وقراءته، لا أريد أن أسمعته ولا أن أقرأه، وهنا أكرر ما سبق وقلته: لا أستعطف أحدا، كما أنني أيضا لا أهجو أحدا، ولا أعاتب أحدا، هو مجرد كلام نعقت به على نفسي القذرة أمس، ليس أكثر، ليس لك فيه ناقة ولا بعير. فقط هو هلوسة ليس لها معنى ألبتة، فلا تلتفتي إليها إطلاقا، إن شئت احذفيها، وإن شئت مزقي كلماتها في وجهي، واشتمي ذلك اليوم الذي عرفتني فيه. أعرف أنه سبق لك وسمعت هذا الكلام، كما سبق لي وعشت هذا الموقف بالذات مرات عديدة، أتعرفين لو صمت لكان أفضل؟ ساعتئذ أحمّن أنه لا وقت لديك للقراءة، وعذرت تزاحم الفروض على بوابة يومك الرائع دون ثراثي التي تجلب لك الوجد وتسد النفس. ستقولين ذلك أعرف جيدا هذا.

"جميل"، كم هو جميل حقا أن نختصر رسالة بذلك الطول بكلمة واحدة، لا بأس، فلتختصري الأمر تماما واكتفي بالقراءة، ولكن لا تكوني يوما نورا ويوما نارا، اثبتني أرجوك على حالة واحدة، فأنا راض بنارك مهما كانت مليئة باللهب وكثيفة في الوجد. ولكن لا تبدي كل آونة إهابا.

لا أتمنى شيئا معك، لقد ماتت الأمانى تماما، وأصبحت الأمنية الوحيدة أن أظل محتملا هذا الألم. صدقيني أكتب وأنا هادئ تماما، لأنه لا شيء أهدأ من اليأس، لا شيء أصفى من السكون، لا شيء أبرد من هذا البرود، لا شيء أنقى من هذا الحزن، يكفي أنه لا يخدع صاحبه، ليس كالفرح الخؤون، ذي الإقامة القصيرة، وعلي أن أومن بما قاله درويش يوما:

نالك حب فقير، ومن طرف واحد هادئ هادئ لا يكسر

بلور أيامك المنتقا

ولا يوقد النار في قمر بارد

في سريرك

وأى برود تحمله كلمتك الوحيدة في رسالة منتظرة على جمر الانتظار، وإذا بها كحجر مدبب شج رأسي وثقب ما تبقى من رماد القلب.

تعبت كثيرا في هذه الرسالة، لكن تأكدي أنني والله لست محبضا أكثر مما أنا فيه أصلا، ولست سلبيا، كما ستقولين، بل إنني إيجابي جدا، فأني إيجابية أعظم من أن الإنسان لا يخدع نفسه، ويتلقى بكل شجاعة طعنة مدسوسة عمدا في صلب الروح، يتلقاها وهو مسرور لأنها من حبيب لا يستطيع أن يكرهه أو يتجنبه أو يستغني عنه، حتى وهو يموت على يديه بين يديه.

من المؤكد سأكتب لك ولن أتوقف، إلا إذا نفذت الأفكار واضمحلت، وما دامت عواصف الخريف تهب من تلقائك كما تهب أحيانا نسائم الربيع والصيف، سأكون في كل الحالات هادئا تماما وأمارس شهوة الكتابة.

هل أزعجتك؟ تحملي قلبي المفخخ بالرسائل الميتة، والسلام الجميل، كرسالتك الجميلة تلك، فكم كانت جميلة وهي تفلطح نفسها في السطر الوحيد،،، "جميل"، "جميل"، "جميل".

الخميس: 2018/05/10

مرحبا فراس

لا أعرف ماذا أقول لك، لكن صدقني والله العظيم أني لست بخير. أنا مريضه لن تتخيل طبيعة مرضي، خاصة لما يقترب موعد الدورة الشهرية. أعاني من ثقل في الساقين أحركهما بثقل شديد. هذا أقل عرض يمكنني أن أشرحه لك، لكني مزاجية.... أكره حالتي..... لا تهتم.

والله والله والله أنا لست بخير لا تعتبره عذرا.

أكلمك في يوم آخر.

دمت بخير...

ل. م

الاثنين: 2018/5/12

صباح الخير

ها أنذا فتحت عيني على انهمار المطر، نص تستعذبه روحك ليخرج ميللا بكل هذا الدفق. جميلة هي الرسائل العاطفية عندما توثق وتترك بصماتها في تاريخك الأدبي. أعرف كم هذا يعني لك لتتخلد كجبران وغسان كنفاني وغيرهم ممن تم توثيق مراسلاتهم، لكنني لست مي زيادة ولا غادة السمان. أنا إنسانة بسيطة معذبة بكل هذا الحب وأحمل وزره ما حييت.

ف. ع

السبت: 2018/5/19

عندما أرجعت صفحة الفيس بوك جزئيا (صفحة الكاتب) كنت على استعداد أن أتصالح مع هزيمة نفسي بك، ولكنني على ما يبدو لم أستطع فعل ذلك، أخاف جدا من حضورك في حواشيها لدرجة الرعب والفرع، وكنت أتمنى ألا تعرفي بها، لكن كنت على يقين أنك ستعرفين بها عاجلا أم آجلا، ولا شك في أنك عرفت بها من أحد الأصدقاء.

مكثت أسبوعا بل أكثر وأنا متوجس من حضورك حتى إذا حضرت حاولت أن أمنعك من الدّخول إليها، لا أدري لماذا أكره الفيسبوك وأنت فيه، ربما لأنه يثير فيّ ذكريات مؤلمة جدا، وحقيقية، أعرف أنك كما هو استعبدتmani فترة طويلة، وعندما حاولت التحرر منك بالابتعاد عن الفيس بوك لم أفلح، شيء يشبه الصدفة ربما، أتمنى أن أصبح بلا ذاكرة فعلا، لا أريد أن أرى شيئا يذكرني بأي شيء من ماض لم يكن إلا قاسيا بكل ما فيه من تشابكات وعلاقات ومراوغات، ربما ستقولين عني إنني تافه أو غبي أو مجنون لكن لا يهمّ، فأنا فعلا كل هؤلاء. أصدقك القول إنني تعبت جدا من لحظة أن هلّ اسمك في صفحة الفيس بوك ليس لأنني كما قد تتوقعين جنونا أنني ربما كرهتك بالعكس تماما لا أستطيع أن أكون هكذا تتذكريني كلما صارت قائمة مواعيدك فارغة، لذلك سأحذف من جديد الصفحة وأرتاح.

طلب أخير إن لم تلبيه لي فأنت حرة، أريد معلومات مفصلة عن مسابقة إيطاليا لأنني سأعدل المقال قبل أن يصدر في كتابي الجديد.

أرجوك سامحيني فأنا في وضع ربما لا أحسن شرحه وأنت لا تحسنين تفهمه، ومصرة على أن تجعليني هامشاً.

الله يسامحك على كل حال، أتمنى أن يأتي يوم وأشفى من هذا الداء المسمى "حبك". تكفيني هذه النافذة لتطلبين عليّ منها إن رغبت في ذلك فهي أرحم ما يكون على ما فيها من قسوة لكنها أخف وطأة، ربما ستكتشفين لاحقا أنني مريض مرضا نفسيا معضلا، أنا متيقن من ذلك.

لا تنسي طلبي أرجوك!

الاثنين: 2018/5/21

أسعدت أوقاتا، ها هي الساعة قد تجاوزت الخامسة صباحا، لن أقول إنني لم أكن أفكر بك، بل لم أكن مشغولا إلا بك، هاجس ألح علي أن أكتب رسالة بعد هذه الجفوة التي لم أستطع لها تفسيراً، تجاهلت نداءك من داخلي مرات كثيرة، أخذت الجمل تتقاذف في ذاكرتي وتدعوني لأكتبها، إنه هاجس الانغماس والاشتعال وعدم القدرة على المقاومة والاستسلام التام. هل تعلمين أنني مررت بحالة سيئة في الفترة السابقة؟ شيء من الانعدام والتلاشي، شعرت بالفراغ على كثرة من يحومون

حولي، هنا وهناك، أستطيع أن أهرب من الكل إلا منك، ها أنا أعود مرة أخرى إليك ضعيفا عاشقا راجيا.

أعلم أنك لن تمرري على هذه الرسالة إلا بعد أربع وعشرين ساعة من كتابتها، هذا إن حالفتي الحظ كثيرا، لا بأس ستكون معانيها قد نضجت في ألفاظها في مرجل انتظاري. أما إن قرأتها اليوم صباحا فإن هذا ما يشبه المعجزة فعلا.

لعلك تعلمين أن ما أصاب به أو ما أنا مصاب به من لؤثة الجنون بك حقيقي ومؤلم، فالشوق المجنون ديكتاتور شرس يمنعني من النوم أياما طويلة، هذا الشوق الذي يستعمرني ويستعبدني ولن يتركني حتى يقضي عليّ، هذا الشوق الذي يتجلى في أحلام المنام وفي أنفاس اليقظة لا يستكين ولا يهدأ، يترك طعمك في ذاكرتي وعلى لساني وأعضائي ورائحتك على جسدي تعبق في كياني كله. هذا الشوق الذي يستوطن الروح ويتخذ من القصائد مخادع ومن النصوص وسائل وبرية حيناً وحيناً حريرية.

هل تلوميني على هذا الذي أنا فيه، وأنا تجتاحني عواصف الحنين كل ثانية وتجعلني مترحاً قلماً مشتتاً سارح الذهن مجنوناً وجباناً، هل تعتقدين أنني أستطيع الخروج من حالة الهذيان هذه والتخلص من هذا الاحتضار الذي يميّتي على نار هادئة. إن كل يوم يمضي يجعل النار أشد لتلسعي في دمي الذي يشتاق أن يغتسل بدمائك ويستوطن كل خلية من خلاياك!

لعل، بل إنك سمعت وقرأت عن الاستعباد والاستيطان والاستعمار والسيطرة، سيطرة القوي على الضعيف، إنه استعباد دولتك القاهرة لأرضي المستباحة حتى لكأنك تحرّين تربة روجي بكل محاربت الفلاحين الحادة المسنونة.

لا شيء يشبهني وأنا أتعري بين يديك على هذا النحو من الرجاء إلا كطفل جائع للحنان، عطش لدفقة من ثدي، وِلَهٌ للبد التي كانت تمسده بحنو لطيف، لم جعلت هذا الطفل يتيماً على قارعة القمر، تركله الكلاب النابحة في ليل طويل وتعصره الرياح الهائجة في غيومها البلهاء؟

أيتها الدولة التي أحب استعمارها لمدني افتحي لي ولو باباً صغيراً بحجم كوة في زنازة الأسرى الانفراديين؛ لأنفرد بين يديك، على سرير عرشك البهي، ساجدا راکعاً، وأنا أمجد هذا الكائن المجنون فيك الذي لم يرحمني مذ سلمته كل المفاتيح وجعلته حارساً للصباح!

أتمنى ألا يحترق الكلام على لهيب الانتظار القاسي أكثر من أربع وعشرين ساعة مراوغة.

أحبك حتى التعب

حتى الوجع

حتى اكتمال النار في أغنية الليل

وحتى أن تنطفئ الشعلة في مرايا الملائكة!

أرجو ألا تعتبري هذا الذي مر بين يديك نصّاً وكفى، دون أن تري أنني أتقلب في الجنون في محامص غيبتك!

الثلاثاء: 2018/5/22

لم أكن أتوقع أن يأتي ردك سريعاً شفافاً على رسالتي السابقة، لقد كانت معجزة بالفعل، كما قلت، فما أسعدني وأنا أقرأ رسالتك على الرغم من قصرها إلا أنها تغني عن كل ما كتبتة في ال (400) كلمة في رسالتي تلك، أتذكر ما كتبه فرانز كافكا ذلك النحيل الذي يشبهني إلى حبيته ومترجمة كتبه ميلينا: "أرجوك ميلينا لا تستمعي لنصيحتي وراسيليني كل يوم، يمكنك أن تكتبي رسالة مختصرة، وحتى لو سطرين أو سطراً واحداً، فلو مضى يوم من غير رسالة منك سأعاني بشدة"، نعم لقد كنت سأعاني بشدة مفرعة لو تأخر الرد إلى أربع وعشرين ساعة لتبدو وكأنها أربع وعشرون سنة عجفاء قاحلة.

كنت أقرأ رسالتك صباحاً، وأعيدها كل ساعة مستلذاً بها، حتى خشيت أن تتحول كل كلمة من كلماتها إلى قطعة من الحلوى فتفسد علي صيامي، إنها بالفعل قطع من الحلوى الروحية الشهية التي تذهب مباشرة نحو دمي، فتشعرنني بالدفء والطاقة والحيوية، فما أحلاها وأهداها وأنقاها من رسالة، وأنا أقرأ: "ها أنذا فتحت عيني على انهمار المطر، نص تستعذبه روحك ليخرج مبللاً بكل هذا الدفق، جميلة هي الرسائل العاطفية عندما توثق وتترك بصماتها في تاريخك الأدبي. أعرف كم هذا يعني لك لتتخلد كجبران وغسان كنفاني وغيرهم ممن تم توثيق مراسلاتهم، لكنني لست مي زيادة ولا غادة السمان، أنا إنسانة بسيطة معذبة بكل هذا الحب وأحمل وزره ما حبيت".

لماذا يا حبيبة القلب هذا التواضع؟ وأنت الكاتبة التي تورق الكلمات بين أناملها زهوراً تفوح بالعطر، وتسكر الدماء، فتنتشي الروح ويخطر الكون بالنشيد العذب. إن فيك ما يفوق مي زيادة، ويتجاوز غادة السمان، فيك ما هو أعذب، ما هو أرق، وما هو أنبل. وحدك تعلمين أنني لا أجمال في شيء من هذا، ولا مجاملة عندي في مثل هذا لأية كاتبة، أو كاتب، شاعرة أو شاعر.

أرجوك بكل ما يحمل القلب من عناء الشوق والاشتياق، أن تكتبي لي، حتى لو سطراً واحداً أو سطرين، فهما كافيان لأشعر بلذة اللغة، وبنشوة الفرح الصباحي.

أخبرك أنني قد نشرت الرسالة السابقة، وقد أعجب بها القراء كثيراً، ونشرتها كثير من المواقع الأدبية الوازنة، أعجبنى جداً قول صديقة تمر بما نمر به من وضع معقد وحب مستحيل، شاعرها يشبهني، وهي تشبهك في الكثير مما تحمله من الحب لشاعرها المجنون فيها، كتبت تقول: "لقد قرأت ما هو منشور لحد الآن ثلاث مرات، وهو في قمة الإحساس. ليس برائع بل أكثر من ذلك

فعلا، ولمست فيه إذلال الحب في قوة العشق. وتفاعلت معه لدرجة البكاء والحزن ربما لأنه أيضا يعبر عن حالتنا أنا وهو... أشكرك جداً على كتاباتك".

أتذكر يا رفيقة درب القلم ما كنت أكتبه سابقا من نصوص الحب، وكيف أن قراء كثيرين كانوا يتابعون بوله تلك الدفقات المجنونة، وكانوا يصرون علي ألا أتوقف عن كتابتها، لأنها تقول ما يعجزون عن قوله. تخيلي كم تسعدين عشاقا وعاشقات يعجزون عن الكتابة، ليس خوفا أو خجلا بل لأن كلماتهم لا تستطيع أن تكون طيوراً مغردة في فضاء الله، تناجي وتنادي وتصدق بما في قلوبهم.

إنني أرى فيك عظمة السعادة التي تفيض في قلوب الناس، كأنك المسيح الذي يسمح آلام المحزونين، ويشفي جراحهم، وهنا تتفوقين على مي زيادة وعلى غادة السمان، لأنك روح هذه الرسائل، ولا يعينها الظهور والمباهاة في هذا الحب، فقط تريد أن تسعد بالحب ويسعد الحب والشعر بها.

علي أن أنام قليلا، فقد هلت تبشير الصباح، وها هي أنغام العصافير تحييك، تطل علي من نافذة بيتي وترفرف بجناحها مسلمة عليك، تقبلك عني، وتتمنى لك حبا سعيدا ويوما مزهرا بالأمل، وحياة ملؤها الأغاني.

أنتبه أنني قد تجاوزت ال (500) كلمة، وأنا أكتب دون توقف، يا لله ما أصدق كافكا عندما قال: "يستطيع المرء أن يثرثر ما دام أنه يشعر بالسعادة"، ها هي روحك تملي علي وما زال في جعبتها المزيد من الطيور السارحة إليك حاملة أشواق.

دمت بخير

المحب لك دائما

الأربعاء: 2018/5/23

أسعدت أوقاتا وحبا:

لقد استعجلت لقائي بك هذا اليوم، أكتب لك قبل الموعد الذي قررته بساعة واحدة إنها تقترب من الرابعة صباحا، واستعجلت تناول سحوري في الغرفة، ثمّة أفكار تلح علي، أردت أن أكتبها لك وقد تهيأت لذلك، فقد اغتسلت استعدادا لهذا اللقاء، نسيت أن أذكر لك في الرسالتين السابقتين أنني قررت أن أكتب إليك بعد أن أغتسل، ثمّة طقس احتفالي أحب الدخول إليه وأنا أخط لك رسائلي.

ثمّة مصباح يطل من نافذة الغرفة، يذكرني بوجهك البهي، وثمّة سكون يخيم على الكون ما خلا صوت القرآن الذي يملأ اللحظة رهبة وجمالا، ويغمر النفس قداسة وحبا وطهارة.

عليّ أن أخبرك أمورا مهمة، أولها فيما يتعلق برسالة السبت الماضي حول ما عزمت عليه من إغلاق صفحة الفيسبوك، أعترف أنني كنت قاسيا، وأعاتب بطريقة فضة، ولا يحسن بي أن أقول لك ما قلت، ولكنني لست كما قلت إنها مشكلتي، وإنني لا أفوت فرصة لرشق الاتهامات والعتاب المر، صحيح أنك لست مضطرة لتبرير أي موقف ما دمت لا أتفهم نمط حياتك، ولكنني لا أريد أن أثبت لنفسي أنك لا تهتمين، بقدر ما أريد أن تكوني معي بكل لحظة متاحة. فلنتجاوز ذلك إلى ما هو أهم. أعترف أيضا أنني أفهمك وأتفهم ظروفك لكنني ربما أعاند أو أشاكس، هذه هي حالتي منذ عرفتني، أليس كذلك؟

وعليّ أن أخبرك أيضا أنني عندما قررت بيني وبين نفسي أن أكتب لك هذه الرسائل لم يكن ذلك من أجل أن أكون مثل غيري من الكتاب، وليس لتكوني مثل غيرك من الكاتبات، وإنما لأنني أصبحت بحاجة لأتحدث معك، كأنك معي هنا في معتزلي الاختياري، أود أن تكوني على مقربة مني، أستحضرك في لحظات، أراك فيها مهمة وتستمعين إليّ وتناقشين معي أحوال الناس والأدب والشعر، وتتحدثين عما يشغل أفكارك في مشروعك السردى القادم، هل ما زلت عازمة على إنجازه؟

فيما مضى من أيام منذ السبت الماضي وحتى اليوم، أفكار كثيرة تجمعت لديّ، زارني في مكتبي الصديق رائد الحواري ثمة مشكلة وقع فيها صاحبنا عندما كتب عن كاتبة ما، استعريفها دون أن أذكر اسمها. لقد جمع الكاتب، خطأ، بين الساردة والكاتبة في شخصية واحدة، مع أن ذلك ليس صحيحا من ناحية نقدية، فثمة فرق بين سارد الأحداث في الرواية، وبين الكاتب، ما دام أنه يكتب رواية وليس سيرة ذاتية، على الرغم من أن من يعرف بعض جوانب من حياة الكاتبة يستطيع أن يقول إنها أدخلت شيئا من حياتها الذاتية في روايتها، من مثل علاقتها بأبيها القاسي، وأنها تعيش مع أمها المطلقة، وأنه قد فُرض عليها الحجاب فرضا، وهي لا تريده، ولم تستطع التخلص من هذا الفرض بعد ذلك، لقد أخبرتني هي بذلك في لقائي الوحيد بها. ثمة وصف ذكرته الكاتبة ويتعلق ببعض ملامح الشخصية الخارجية، وهو اتساع منطقة الحوض عندها، وهذا صحيح، وهو أمر يشوه ملامح جسمها المتكوم كتلة من لحم، بدت وكأنها تضيق ذرعا بجسمها الفظ أيضا، كأنها شعرت كما قلت لرائد أنها لا تريد أن يعرف القراء حياتها ومعاناتها أو أن يلتفتوا إلى جسمها بهذا الشكل الذي بدت غير راضية عنه، ثمة فرق الآن وأنا أرى تناسق جسمك الذي خلق بجمال وحب أيضا، أستحضر صورة ولادة في شعر ابن زيدون العاشق فقد وصفها بقوله: "كأن الله أنشأه مسكا، وقدر إنشاء الورى طينا"، إنك المسك والجمال كلاهما. هل ما زلت تتذكرين كم تشبهين نجاة الصغيرة مع أنك تميلين إلى أن تشبهي نفسك بماجدة الرومي؟ إنك في نهاية المطاف خلقة وحدك، وسمتك وحدك، والتشبيه في الحاليتين لا يشبع ولا يقنع.

لقد أساءت هذه الكاتبة بشكل سيئ جدا لصديقنا رائد إلى درجة وصفه بالحمار وأنه لا يحسن الكتابة، فيقوم كما أخبرني بحذف مقاله عن كل صفحات الفيسبوك التي نشر فيها مقاله، ثم عدل المقال وفرق بين الساردة والكاتبة، معترفا بخطئه في الربط بينهما، صديق آخر يتوسط بينهما،

ويؤنب تلك الكاتبة على سوء أخلاقها، يقبل الصديق رائد عذرها ويسامحها، فهو طيب القلب وخجول، ويكتب مقالا بعنوان "الكاتب والنظام"، يبين فيه عدم تقبل الكاتب للنقد، ويقول في مفتح مقاله: "للمرة الثانية يتم التعامل مع مناقشة عمل أدبي وكأنها مساس بالرب/ بالإله، وكأن الكاتب إله، والنص كتاب سماوي، لا يجوز لنا أن نتناول ما لا يعتقده الكاتب/ الإله، ويجب علينا نحن القراء أن نقف خاضعين مؤمنين بما جاء فيه، هذه إحدى مشاكل الكتاب الذين لا يريدون أن يجدوا فيما يُكتب عنهم إلا ما هو مديح وتعظيم، كما هو حال النظام الرسمي العربي، فأى خروج عن النص يعتبر كفرا وخيانة، توجب الاعتذار أو النفي أو السجن، ولا مجال أو مكان لمناقشة ما جاء في هذا الرأي المخالف للتقاليد العريقة للأمة العظيمة، ومساس بالمقدسات والمحرمات". ولعلك اطلعت على مقاله تلك. أخبريني عن وجهة نظرك في هذا كله إن تمكنت من ذلك.

تبدو على لغة المقال الانفعالية، مع أن وجهة نظره صحيحة، فالكتاب مجملا لا يحبون الانتقاد، ولا يحبون إلا التعظيم والتمجيد، وقد وقعت في ذلك مرات عديدة مع كتاب شباب، ما زالوا يتدربون على الكتابة، ولعلك تذكرين قصتي مع صاحب رواية "المهزلة: وجوه رام الله الغريبة"، وما حدث معي كذلك عندما كتبت عن "الشهقة الأولى" لكاتبة مبتدئة، ما زلت أذكر ذلك على ذلك المقال "يا حرامك دمرتها للمخلوقة، ستكون هذه شهقتها الأخيرة"، لقد قاطعتني وقاطعتني الناشر كذلك، وكذلك فعلت أيضا الكاتبة منال دراغمة التي كانت صديقة وكثيرا ما نتحدث، وبيننا موعد للقاء ما، وإذا بها لا تعرفني ولا أعرفها، بعد أن اعترضت على ما كتبت في كتابها المشترك مع الكاتب سامر المعاني. إنه كتاب تافه في الحقيقة، وليس فقط الكتاب الشباب بل إن الصديق جميل السلحوت على ما يبدو قد اتخذ مني الموقف ذاته، بعد أن قدمت كتابه "ثقافة الهبل وتقديس الجهل"، وقلت في كتابه ما قلت. هذه هي بعض أمراض مجتمعتنا الثقافي للأسف.

لقد كانت جلستنا طويلة وتحدثنا عن كاتبة رواية "توليب"، وكيف أن فيها أيضا من شخصيتها وحياتها الخاصة، وقد تفاجأت أنها تشبه شخصية "ندى عبد الله"، فهي امرأة مطلقة كذلك، ثم حديث متشعب أيضا حول الدين والسياسة والأفكار الكبرى والأحزاب الدينية واليسارية. بالمجمل كانت الجلسة ممتعة وفيها ما يدعو المرء ليكتب أكثر وأكثر.

أثقلت عليك اليوم بحديث نقدي، ربما ليس له داع، وها أنا أنفقت الرسالة في استعراض ثقافي يجلب الوجد، ولم أتحدث عن أحوالي. أعترف أنني أحسن حالا في هذه الأيام، بعد أن وجدت الدواء لبعديك المادي المحسوس عني، بالكتابة إليك، إنها طريقة رائعة لقهر النفس وترويضها واستشفائها مما تعاني.

اكتبي لي إن استطعت، ووجدت وقتا سانحا لذلك، فأنا أحب أن أقرأ كلماتك، مهما كانت قصيرة، وضبابية غير صريحة، فلا تبخلي علي بدواء الشعر، فلا يشفي الروح المعذبة إلا الألحان الشفيفة الهادئة التي تحسنين صياغتها.

علي أن أتوقف عن الثثرة الآن، لعلي أكمل بعض حديث في المرة القادمة، حول أشياء أخرى مهمة.

دمت جمالا للصباح، ولحنا لقصيدة لا تكف عن أن تناجي روحك العظمية، سأحدثك عن بعض أحلامي في مرات قادمة.

المخلص لك أبدا...

الأربعاء: 2018/5/23

طاب مساؤك

أولا سعيدة بهذا التحول في النظرة للأمور وأكثر سعادة وأنت تثرثر بكل ما لا يخصني، تلك الثثرة التي تجعلني أقرب، أستمع إليك وأبتسم.

هامش صغير* ثثرة محببة

أعود لموضوع الحوار واستياء الكاتبة التي أخمن أنها صاحبة رواية (...)، لم أقرأ الرواية لكنني على ما أذكر مررت بقراءة الحوار، والتي رأيت فعلا أنه لا يفصل بين الساردة وشخصها، وهذا إسقاط لا يجوز، وإن كنا نعرف الكاتب وشخصه وحياته.

أعود إليك:

أراك تتخذ منهجا أدبيا مدروسا الآن، وليست محض رسائل تفرغ فيها جعبة روحك المثقلة بالوجع. هذا جيد وله جانبان مهمان على الصعيد الشخصي والنفسي، وعلى صعيد مشروعك الأدبي.

أنت بخير ما دام حرفك بخير لا تعكس اعتلال الروح عليه ودعه يقاوم ويتذوق شعور العافية، ليعكس ذلك على روحك التي أرى أنها تتماثل وتتجاوب بشكل مذهل.

ع. ف.

الخميس: 2018/5/24

أسعدت أوقاتا وحباً طاهراً علوياً

سأعود إلى رسالتك الطويلة الفارحة في رسالة مستقلة لأناقش بعض ما جاء فيها، ولكنني اليوم أقص عليك بعضاً من أطراف المعاناة في أكثر من جانب. أبدأه في عرض معاناتي مع قصيدتيين أزهقت في البحث عنهما لإتمام فكرة كتابي الجديد الذي أسميته "في حضرة الشعراء"، هذا الكتاب

الذي جمعت فيه تسعا وعشرين مقالة¹ حول نخبة من شعراء فلسطينيين وعرب، وخصصت القسم الثاني منه لإعادة نشر مجموعة من قصائد الشعراء الكبار الذين رحلوا وخلفوا وراءهم قصائد لم تنشر في أي ديوان من دواوينهم، مع أن تلك القصائد منشورة في مجلات وصحف، ما خلا قصيدة لعبد اللطيف عقل بخط يده تعود إلى عام 1993، ولم تنشر، يسجل فيها الشاعر موقفه من عملية السلام وقد أطلق عليها "أغاني الضفادع".

معاناة البحث كانت مع قصيدتين للدكتور وليد سيف صاحب التغرية الفلسطينية، شاعر توقف عن قول الشعر وعاد إليه بعد مدة طويلة ليكتب قصيدتين وهما "البحث عن عبد الله البري" و"الحبّ ثانية"، أرهقني البحث كثيرا، والطريف أن كل تلك المعاناة ما كان لها أن تحدث لو أنني قمت باتصال قصير مع أحد أساتذة الجامعة.

بالأمس اتصلت باثنين منهما عملا على أشعار الشاعر دراسات نقدية، وإذا بالقصيدة في متناول يدي، ولكنه القدر الذي فرض علي هذه المعاناة كما فرض علي معاناة في جوانب كثيرة. انتهت رحلة البحث وتم الأمر واكتمل الكتاب. يلزمه بعض العمل ليستقر على صيغته النهائية قبل الزج به إلى ألسنة المطبعة.

هذه المعاناة ليست الوحيدة المضمنة، كتابي الذي أفاخر به "بلاغة الصنعة الشعرية" وهو كتاب ضخم أرهقني هو الآخر، والمعاناة فيه معاناة فريدة وخاصة عندما عرضته على الناشرين، لم يوافق أحد على نشره واعتذروا إلا دار نشر واحدة في بيروت ولكنهم يريدون أن أتكفل بتكاليف الطباعة، ناشر آخر في مصر وهو ناشر كتيبي الأولى "حسن غراب" ما زال يماطل في الشروع بنشر الكتاب، في المرة الأولى قال لي: إنه سيطلع الكتاب بعد الانتهاء من معرض القاهرة الدولي الأخير لهذا العام، وفي المرة الثانية يخبرني أنه سيطلعه في شهر أيار من هذا العام بعد انتهاء معارض الكتاب المحلية في المحافظات المصرية، وأما الثالثة فكانت عندما طلب مني مزيدا من الصبر نتيجة تعويم الجنيه المصري، ما يعني بالنسبة لي أنه تملص من الوعد نهائيا ولكن بطريقة أدبية؛ إذ إن هذه المشكلة ليست قصيرة الأمد، ولن يعرف أحد متى ستنتهي.

يذكرني ذلك بما مر به أنور المعداوي الناقد المصري الذي كان على علاقة بالشاعرة فدوى طوقان، كان يعتز بكتاب نقدي له، وكان دائما يذكره في مراسلاته مع فدوى، لكنه توفي ولم ينشر إلا بعد وفاته بأعوام. إنه فال سيئ على كل حال. ومن الذين تملصوا من نشر الكتاب أيضا صالح عباسي، فبعد أن استعد لنشره بعد ملاحظة طويلة، لم يعد يرد على الرسائل الإلكترونية ولا على الاتصالات فنسي الأمر، وقررت أن أطبع الكتاب في دار نشر فلسطينية لعله يتوفر لدي مبلغ من المال لإنجاز هذا الحلم. إنه كتاب يساوي عندي كل ما كتبت، وربما ما سأكتبه من دراسات نقدية وفكرية، إذ وضعت فيه كل خبرتي النقدية والشعرية.

¹ توسّع الكتاب وضم مقالات أكثر من هذا العدد حول الشعراء.

ربما ستقولين لي: اعرض الكتاب على وزارة الثقافة أو اتحاد الكتاب. لا أظنّ أن ذلك ممكن، ليس لأنهم شلليون وتافهون فقط، بل أيضا، لأن الكتاب نقدي فيه كثير من الملحوظات السلبية على شعراء كبار ما زالوا على قيد الحياة، فلن توافق الوزارة أو الاتحاد على نشره، فهما معنيان بالدرجة الأولى بإقامة علاقات دافئة وطيبة مع الجميع، وليذهب النقد والأدب والثقافة إلى الجحيم؛ لذلك لن أكلف أحدا مهمة أن يكون محررا من أجلي وسأوفر ماء وجوههم، وماء وجهي وأنا أطلب ذلك وأنتظر، لأنه ولانعدام المؤسساتية ستصبح كأنك تطلب شيئا خاصا يتكرم به عليك أحدهم من جيبة الخاص، وسيحملك جميلا أنت في غنى عن حمله.

هذه فضفضة مرهقة أعلم ذلك ولكنها تريحي وأنا أسرد عليك مجمل ما مررت به في الفترة السابقة، فأنا أحتاج لمن يسمع تلك الهديانات التي تثقل القلب بهومها. هل هي هموم بالمعنى الوجداني؟ لا أظنّ. ولكنها على كل حال مزعجة نوعا ما. أضعها بيننا لعلنا نخفف ألمها وهي محل الحديث عنها.

ما زال في القلب متسع من الثرات الثقافية سأزعجك بالمزيد منها في المستقبل، ولكنني سأكون بخير ما دمت أكتب لك، وكما قال جبران لمي: اسمعيني وأجرك على الله.

اكتبي لي حول أي شيء تريد، حتى لو جملة واحدة بكلمتين خارجتين عن أي سياق.

المشتاق لك دوما...

الجمعة: 2018-5-25

دامت روحك نقية جميلة، وحده الحب ما يجعلنا نهزم الألم بابتساماتنا نرخي ستائر القلب على الآتي من الاحتمالات، وندوزن الحياة كما نشتهي- ولو مجازا- نحتال على ما استحکم من قيد بثقب في الجدار بوردة طاوالت السياج، وبقبله نظيرها حماما فوق البياب.

ف. ع

2018/5/25

صباحك سعيد ومساؤك أسعد:

لا أدري شعرت أنك ربما ضمقت ذرعا بهذه الرسائل، على الرغم من قولك "اكتب إذا كان ذلك يريحك فأنا سعيدة". فقولك "إذا كان ذلك يريحك" عبارة قلقية، لم أشعر معها بالسعادة، لا عليك. ليس مهما كثيرا ما أشعر به. المهم أنك قد أعرتني سمعك دون قلبك لقراءة هديان الرسالة السابقة.

أشكر لك اهتمامك بموضوع النشر، تحدثت ذات مرة مع أحد القائمين على دار طباق، ليس من ذكرت في رسالتك "ربا المسروحي" ولا "طارق عسراوي". عسراوي أعرفه جيدا والتقيت به مرة أو

مرتين. من تحدثت معه قال: "أنا مسؤول الدار"، وعرفني على اسمه، نسيته الآن، وتحدثنا قليلا حول النشر وإمكانيته، ودعاني لزيارتهم، وأعطاني العنوان، لست أذكره بالضبط، إلا إنه قال: مقابل وزارة الثقافة.

أما بخصوص اقتراحك للتواصل معهم، لا أدري، لست متيقنا من جدوى ذلك، بعض الأفكار السلبية أحيانا تسيطر عليّ، أشك أن هناك أحدا نظيفا في هذا البلد، ولا أبرئ نفسي، بل ربما أنا الوحيد غير التقي أو النقي ليس في هذا البلد السيئ وضعه، بل في العالم أجمع.

أرى انقباض ملامح وجهك وأنت تقرئين ذلك، أرجوك ألا تبتئسي، فقليل من السواد أحكه بأحجار اللغة، لعل فكرة إيجابية ينقذ زنادها من بين ذلك الضباب، فأنا أو من بأمرين على الأقل بجدوى الكتابة بعامة، والكتابة إليك خاصة: أنني أريد أن أفرغ انفعالاتي وما يضغط على أعصابي، أشعر بقلق شديد هذه اللحظة وأنا أكتب، وكلما كتبت جملة أو كلمة وكأني أحت صدا يعبئ روحي، صحيح أنني أتألم، ولكن، أليس في ممارسة العلاج بعض ألم؟ ولذلك كما قلت لك سابقا فأنا أمارس الاستشفاء بالكتابة، كما أمارس القراءة للغرض نفسه.

لم أنس رسالتك الطويلة، تلك التي أسعدتني، وسأعود إليها مرة أخرى عندما أكون أحسن حالا، أما اليوم فإنني ضجر جدا، ومبتئس، لا أستطيع الكتابة عن شيء أحبه بحب وأنا في هذه الحالة، أرجو أن أتجاوز ذلك سريعا.

لقد استعجلت الكتابة هذه المرة. لمجرد قراءة رسالتك، صحت وفتشت الرسائل، فإذا رسالتك حاضرة مشعة، قرأتها، وأخذت أكتب. قمت مرتين وأنا أكتب، أشعر بالعطش، شريت، ولم أرتو، ماذا يعني ذلك؟ ربما لأنني بحاجة لمزيد من الماء، أو ربما هو الوجد الداخلي الذي يحرق أعصابي يطلب الماء ليزيد الاشتعال أو ربما لينطفئ. ولكن ما الذي يطفئ عطش الروح؟ الماء وحده لا يكفي.

لا أريد أن أنهي الرسالة وأنا لم أشعر ببعض التحسن، ولا أريد كتابة المزيد، مع أن الرأس مليئة بالأفكار الفوضوية، بعضها فوق بعض، أولها يصارع آخرها، وأوسطها يلطم أسفلها، وأعلاها يحارب طواحين الهواء. ها أنذا أخذت أثرثر. أشعر أنني فوضوي، فهلا أتيت لترتب هذه الفوضى معا؟ يا لغباي! كيف ستأتين؟ ألم تلاحظي هذا الهديان المزعج؟

أرجوك إن كتبت لي في رسالة قادمة ألا تمارسي علي نصائح تخص التفاؤل واستحضار الطاقة الإيجابية، والثقة بالناس وبالنفس. كل ذلك يزيد الوجد اشتعالا، ولكن اتركي لي وحدي وجعي حتى يحترق عن آخره، وساعتئذ أشفى من تلقاء روحي مباشرة. مرري بحنان روحك على قلبي سأشعر ببعض التحسن.

دمت شفاء لروحي المعذبة.

السبت: 2018/05/26

مساك رضا

سعدت بما ثررت به وأضحكني، أحب فيك هذا، لم أطنش موضوع إيطاليا، ولكي نسيت صدقا، وحتى نسيت لماذا تسأل عنه، أنا كثيرة النسيان، ذاكرتي مثقوبة، عندي نقص حاد بفيتامين د و ب .12

أشكرك على اهتمامك بما أنساه، أنت ذاكرتي، واغفر لي هذا.

كن بخير وأخبرني بكل ما تود أن أسمعه.

ف. ع

هل جربت البكاء لذة؟

من فرطها أبكي

أفيض استباقا للسيل

ونكاية بالعمر

أصير إلهة الجمال الخالدة

ف. ع

جربت وعشت وانحرفت كل أعصابي. أتذكرين هذه القصيدة التي كانت بعد لقائنا المجنون في نابلس، كم كنت شهية تفورين شهوة، كنت أرغب فيك رغبة مجنونة، كنت أريدك، وأشتهيك كما لم يشتهه رجل امرأة قط:

تماديت كثيرا هذا اليوم

على مهل تتأملني

تجوسني "من رأسي حتى قدمي"

تحصي الزغب الأبيض في جسمي

وتفور يداك على نهدي

تأكل حبات القمح على كتفي

تسكب شهذا حلوا حي

تشرب ضوءا من عيني

تتوضأ من عرقي العطرِيّ
تصلي فيّ
تعلو في عليائي كَلِيّ
تشرح لي كيف زرعت اللّيلة
وردا شفتيّ
تماديت كثيرا هذا اليوم
شيء فيك شهيا كان
وسماء الله لنا كانت
تظلل في الأنحاء الحيّ
تضحك مثلي أضحك مثلك
وتزقزق فينا الشّهوة نشوى
والوصل تداني حدّ الرّيّ
لا شيء اليوم شهّي غيرك
نهرًا يغسلني مّيّ
طهر العالم بين يديّ
يظهر أنّ اللفظة حسية
والمعنى الأعمق صوفيّ

ف. ح

السبت: 2018/5/26

صباحك ومساؤك الطيب:

أبدأ هكذا دون مقدمات، وبإي رغبة أن أثير ثمرات "محببة" طوال الوقت، كم أسعدني وأنت تصفين تلك الثمرة بأنها "ثمرّة محببة"، وتجعلينها في سطر خاص، كأنك تمنحينها كيانا لغويا لتتمتع بمساحتها دون أي شريك.

هل يحدث أن يكون لبعض الرسائل مفعول السحر على المرسل إليه؟ نعم إنها كذلك. رسالتك أمس كانت تفيض رقة ونشوة وصفاء، وأنت تفتتحين الخطاب بقولك: "دامت روحك نقية جميلة"، إنها ستظل جميلة ما دمت تكتبين مثل هذا الجمال الذي ينقل النفس من حال إلى حال.

وهل يحدث أيضا أن يتشابه العشاق والشعراء؟ أعتقد ذلك جازما، كيف لا وما قاله فرانز كافكا لميلينا أشعر به شعورا عميقا من أول رسالة بدأتها إلى أن يشاء الله، قال يصف شعوره وهو يكتب لها رسائله: "مجرد أن أكتب لك يهدأ عقلي"، نعم إن عقلي يهدأ بالمطلق وأنا أكتب، هذا الإحساس كم هو عميق ويفيض بالنفس روعة لا متناهية.

كم كان النص ناعما سلسا وأنت تقررين أثر الحب في الحياة والنفس، لدرجة أننا ننسى الآلام ونواجه هذه الحياة بابتسامة، لـ "نحتال على ما استحكم من قيد بثقب في الجدار/ أو/ بوردة طاولت السياج"، إن تلك القبلة التي أنهيت بها الرسالة ستطير حماما تجعل اليباب ربيعا أخضر. هذا شعور من النشوة لم أعشه منذ فترة منذ صمت القلب واللسان عن أن يرسم الحب شفافا، كلوحة، تشمل الروح بسكرة الحب الذي غاب وتذثر بحجب من الضباب الكثيف.

كيف تثير قصيدة شاعرا عاشقا لدرجة أن يحملها وصاحبته إلى مخدعه، فيحس دغدغتها وحرارة أنفاسها، ليصبح وهو ضاحك بعلو صوته، والنشوة تغمر كيانه كله، منذ مدة لم تزوريني في أحلامي ها أنت الآن كنت معي، أتصدقين الحلم؟ كما أنا أو من به...!

والآن، لاحظي كم أنا محظوظ، وواضح تماما، لا فكرة لدي سوى هذه الفكرة "ماذا سيخسر العالم لو كنت في حضنك الآن، ونتحدث". ولكن ربما لا أستطيع الحديث كما أتحدث وأنا بعيد عنك هنا في هذا المنفى القاسي. ستكون كل الأبجديات عاجزة في ظل وجودك، فأني هدية تبلجت بها السَّماء عليّ، لأحوز منك هذه الأمنية. يا إلهي كم هو رائع لو يحدث هذا، لأرتوي من النظر في عينيك الناعستين الضاحكتين، وتمنحي حرارة جسمك نشوة تخفف من حرارة هذا الجو. تألمي هذه الجملة الأخيرة، كيف تطفأ النار بالنار؟ لا يقبل المفاهيم والمنطق إلا منطق الحب وحده؟ هذه الأمنية قاسية ولثيمة، وتثير في النفس القلق، إنها عذاب والله، لأنه لا أمل في ذلك. "أردت فقط أن تعرفي أنك تنقصيني".

حبيبة الشاعر الآخر التي حدثتك عنها في رسالة سابقة، حاولت التعرف إليك، ولكن لا سبيل لذلك، على الرغم من أن قصتها أصبحت معروفة لديّ فقد أخبرني صديقي الشاعر عنها، ويبدو أنه أخبرها بأنني أعرف قصتها فقد أخبرني عنها بحديث هاتفي مطول، فلذلك عندما نتحدث معي تصرح باسمه، وأنها مصابة به على نحو جنوني، على الرغم من زواجها، ومكوئها في الغربة أكثر من ثلاثين عاما. هي هناك في بلاد الغرب وهو متقلب بنار عشقه الذي لا ينتهي على الضفة الشرقية لنهر الأردن. لعلك لاحظت الشبه بيننا نحن الأربعة.

أصارعها بأمر، وأريد أن أخبرك به، هي تقرأ ما أكتبه من شعر أيروسي، معبرا عن رغبتى الجامحة كما أخبرتك في تلك الرسالة العفوية في مقدمة قصائد "أغنيات لسمو نهدك". أخبرها أننا نشتهي محبوباتنا، ومن يقل غير ذلك ليس عاشقا حقيقيا، ولكن ثمة موانع تحول بين ذلك، فالواقع يحتم ألا أقترب منها اقترابا يحرقني بنار الشهوة المجنونة، لذلك اخترت في هذه الفترة ألا أراها، أخاف من سيطرتها علي لدرجة التهور. وأخبرتها أيضا "أنني أرغب في الالتحام بها لأبعد حد، لدرجة البكاء أحيانا من شدة هذه الرغبة، ولكن لن أفعل ذلك فهي ليست لي على الإطلاق"، تصمت قليلا لترد ردا مختصرا: "الحال من بعضه"، لم تزد على ذلك وأنا فهمت الرسالة.

لذلك كنت أقرأ رسالتك وأنا سعيد بياس كبير، متحاشيا التفكير بما أفكر فيه في أحلامي تلك التي أصبحت فيها ماجنا بشكل مرعب ومخيف، لذا من الأفضل أن أظل بعيدا وأكتب لك ليظل عقلي هادئا.

هل كانت هذه الثثرة محببة؟ أعتقد أن فيها ما يخدش جلدة الجمال الخارجية ليتوهج جوهرك في صباح الرغبة المجنونة، ولكن عذرنا أننا لن نلتقي قريبا. سأحدثك في رسائل قادمة باستفاضة حول موضوع الرغبة والجسد والروح وكيف أن الجسد معبر حقيقي مادي للروح.

وقبل أن أنهي هذا الحديث الذي حاولت أن يكون طويلا نوعا ما، تحقيقا لتلك "الثثرة المحببة". أخبرك أن ما طلبته منك في رسالة سابقة حول القصيدة المترجمة ومسابقة إيطاليا، وآلامي أنك تجاهلت ذلك، ولكنني وكما تعلمين، غضبي ذلك لا يؤثر في موضوعية العمل، فاتصلت بالترجمة الأستاذة (.....) وزودتني بالمعلومات كافة، وأضافت عليها قصيدة أخرى كانت ترجمتها غير قصيدة المسابقة. لقد كفتني مذلة سؤالك مرة أخرى، لو نظرت إلي الآن وأنا أكتب هذه الجملة الأخيرة لرأيتني باسمًا.

دمت جنة في أرض أشواقي، باسمة كنجمة، باسقة كنخلة، مثمرة كشجرة دائمة الخضرة.

مع أمنياتي وقبلاتي الحارة.

الأحد: 2018/5/27

مساؤك وصباحك الرضا والرضوان، (ها أنا أقتبس تحيتك الدافئة في رسالتك الأخيرة، لأحبيك بها وأزيد).

أما بعد أيتها الحبيبة:

فكم سعدت بذلك المقطع القصيرة عن بكاء اللذة. وكم سعدت أن ثرثراتي أسعدتك، وأضحكتك، أما ما لم يسعدني وأقلقني هو كثرة النسيان، وآلمي قولك إن ذاكرتك مثقوبة، وأن عندك نقصا حاداً بفيتامين د وب12. عليك أن تهتمي بنفسك جيدا، ومراجعة الطبيب، ما زلت أذكر عندما

أضعت نظارتك، وكم استغرق منك التفكير وعصر الدماغ لتذكري أين نسيتها، ولكن بعدها لم تعودى للموضوع ذاته، وظننت أنك قد تجاوزه، أسأل الله لك السلامة والشفاء وحضور الذاكرة. عليك أن تحافظي على الذاكرة جيدا، فأنا أسكن في جزء منها، وإن كان ضئيلا، فهذا يكفيني ويغنيني.

أما بالنسبة لقصة الشاعر وعشقه المجنون سأخبرك القصة كاملة كما رواها لي، ولكن قبل ذلك لعلك لم تركزي فيما قلته؛ هي سألتني عنك من تكونين. فلم أحبها بطبيعة الحال، وقلت لها عنك "إنها ليست من أهل تويتر"، ولم أقل لك إنها تريد التواصل معك، هي بين الفينة والفينة تتحدث معي برسائل مقتضبة على تويتر بخصوص بعض المنشورات، وعندما حدثتني بأمر الرسالة الأولى أخبرتها أنني كتبت كتابا لتلك المرأة، كله رسائل، وأسميته "رسائل إلى شهرزاد"، تحمست للفكرة، فطلبت الكتاب بصيغة إلكترونية، فبعثته لها على أمل أن تعطيني رأيها فيه، وفي حال كتبت إلي رأيها سأخبرك بكل تأكيد.

أما قصتهما (قصة الشاعر والصبية) كما قلت، مع أنها ليست صبية الآن، فهي قصة عجيبة، كانا طالبين في الجامعة، وأحبا بعضهما، حدثت ظروف لم يقلها لي حبيبها الشاعر، بعد ذلك تزوجت وهاجرت مع زوجها حيث هي الآن. لا أدري بالضبط أين تعيش، ربما في أمريكا أو في أحد الدول الأوروبية. وعندها بنات وأولاد، وكذلك صديقها الشاعر فقد تزوج وله أبناء، وزوجته كاتبة، فازت السنة الماضية بجائزة، وهو شاعر له خمسة دواوين شعرية، أصيب هذا الشاعر بالعمى، وهو الآن كفيف وموظف حكومي، فاز بعدة جوائز أدبية أيضا، ويستخدم برامج كمبيوتر خاصة بذوي الإعاقة البصرية للتعامل مع الأجهزة والتطبيقات الإلكترونية. وبالمناسبة هو يمتلك جهاز (آيفون)، وكان يتحدث معي باستخدام (FaceTime)، وهي تقنية كما تعلمين خاصة بالآيفون، لم أكن قد جربتها قبل ذلك، على الرغم من أننا نحن الاثنين، أنا وأنت أقصد، نمتلك جهاز (آيفون)، أتذكر امرأة من أيام الفيسبوك عندما أخبرتها أن معي جهاز (آيفون)، قالت من يمتلك (آيفون) يجب أن يسجل ذلك في سيرته الذاتية! هل سجلت ذلك؟ أنا لم أسجله، اكتفيت برسم ضحكة عابرة فقط.

غابت حبيبته عنه ثلاثين عاما، ولكنها كما قال لم تنسه، وفتشت عنه حتى وجدته، وعادت تواصلت معه، وأوصلت ما انقطع من حبل الحب وجنونه، عندما كنت أنشر بعض المقاطع الجريئة من مجموعة "أغنيات لسمو نهدك" في تويتر كانا يتناقشان، ثم يناقشني هو، ويقول لي إن (فلانة) أعجبتها، ويقول لي رأيها، أما أغرب رسالة وصلتني عن أحد تلك المقاطع؛ امرأة تبعث لي رسالة تقول فيها: كأنني أتحدث عنها وهي المقصودة! لم أحفل بما قالت، واكتفيت برد عام حول الشعر والتجربة الخاصة وتشابهها بين الناس.

ومن طريف ما حدثني صديقي الشاعر عنهما أن أول مجموعة شعرية كتبها وهو في الجامعة، كانت لها، مكتوبة بخط اليد في دفتر أو كشكول ما زال بحوزتها منذ ثلاثين عاما، وعلى الرغم من أنه نشر

دواوين متعددة بعد ذلك إلا أن هذا الديوان بشكل خاص لم ينشره، وليس عنده نسخة منه، وصارت حبيبته تنشر من قصائده مقاطع يوميا على تويتر. هذا عينه ما حدث مع الشاعر مجد حلمي الريشة عندما كان طالبا جامعيا هو وزوجته فيما بعد، كتب لها ديوانا كاملا، باكورة شعره، وظلت تحتفظ به، حتى نشره ملحقا بكتابه "قلب العقرب".

خلال أحد الأحاديث الهاتفية بيني وبين صديقي الشاعر العاشق، ولعله غضب مني، فلم يعد بعد ذلك يتحدث معي، حدثته بشكل عام عما يجمعنا نحن الأربعة، فأنا وهو، كل منا يحب امرأة متزوجة، أي عذاب هذا يا صديقي، وأي صخرة نحمل على أكتافنا، في تلك الفترة أنا قررت الابتعاد فعلا، وإنهاء وهم علاقة أتعبتني حتى المرض والأرق، أخبرته أنني قررت الابتعاد، وشرحت له أسبابي، وبأن ارتباكك على الهاتف، لم يعد يتحدث معي بعدها، لكنهما ما زالا يتغازلان علنا على تويتر، ضارين بعرض الحائط كل شيء. إلى هنا انتهت قصتهما المجنونة!

ربما قلت قولاً غير هذا عن السمو وحب الروح، وهذا محض وهم، لأن الحب، كحب؛ روحه حسية، وجسده روح، فلا فاصل بينهما، ولا يجوز أن يكون هناك فاصل بينهما، فالله خلق هذا الكائن البشري ليكون هكذا. ومن قال إن الحب مقسوم إلى مدنس ومقدس، فإما أن يكون كله مقدسا أو كله مدنسا، فالروح ليست ضد الجسد، فليست الأولى مقدسة وحبها مقدس، والثاني مدنس وحبه يرعاه الشيطان، الحب إن جاء في زمانه فهو مقدس مقدس، حتى وهو غارق في متعة الجسد، إنها متعة توثق الصلة، وبها تتوهج الروح، وتجعل العلاقة الحميمة ذات أبعاد روحية، فعندما يلج الحبيب إلى حبيبته عبر الرحم، في ممارسة الجنس، إنما هو يريد أن يلتحم بها روحيا وجسديا، وكأنهما يريدان أن يعودا إلى ما كانا عليه قبل أن ينفصلا، كما تقول الأسطورة أو المأثورات الدينية، فقد كانا مخلوقا واحدا، والعلاقة الجنسية تعيدهما إلى تلك الصورة الأولى، لذلك إذا لم تتجاوب الروح مع الجسد ستكون العلاقة علاقة حيوانية مقرفة، وليس لها طعم، ولا تحدث مودة أو رحمة. رأيت مثلا لماذا الاغتصاب جريمة إنسانية أولا قبل أي شيء؟ لأنها تدمر الذات، وفيها فعل إكراه وإجبار على إدخال ما هو غريب عن الروح إلى جسد يابأه هذا الجسد، لأن الروح تأنفه ولا تحبه، هنا يصبح الأثر مضاعفا جدا، إنه هدم للكينونة، على العكس تماما لو تمت ممارسة الجنس بحب، حتى خارج العلاقة الشرعية، سيكون لها لذة النشوة غير المتناهية ما دامت الروح هي التي تطلبه، ليس كفعل انتقام، بل بوصفه فعل بناء والتحام. لاحظي مثلا اهتمام الكتب المقدسة بهذه العلاقة، ففي القرآن الكريم "هن لباس لكم وأنتم لباس لهن"، وفي المسيحية هناك نشيد الإنشاد، لو اطلعت عليه لرأيت له للوهلة الأولى نصا أيروسيا، ولكنه في الحقيقة يعبر عن اندماج بين الحبيين، وقد عقدت فصلا كاملا في كتابي "بلاغة الصنعة الشعرية" لمناقشة الأيروسية وتمدها في الشعر والأدب الصوفي وأعمال السرياليين التشكيلية.

هكذا هي طبيعة الأشياء، فكل الكون كما يقول السرياليون يقوم على الجنس، إلا الله وحده، فهو الإله الذي لا يحتاج إليه ألبتة، ولا ينكر ذلك أي دين من الأديان، وتأملي ذلك وسترين، وهناك مقطع في "أغنيات لسمو نهدك" أشرت إلى أن الأشياء تمارس شبقها كما هو مقدر لها من قابس

الكهرباء لشاحن الهاتف النقال، إلى الأشجار والغيوم، ولاحظي حولك فإن كل شيء ذكر وأنثى، ألم يقل القرآن الكريم "وجعلنا من كل زوجين اثنين"، ولاحظي التأكيد في العدد "اثنين"، إذن هما ليسا ضدّين، فهل الواحد ضده الرقم اثنان مثلا؟ وإنما هما جزءان ليس لهما معنى في انفصالهما، وإنما كل المعنى في اتحادهما، هكذا تقول الصوفية، وتقول نظريات علم النفس، وكذلك المأثورات الدينية والأساطير، كلها تشير إلى هذه الوحدة الروحية والجسدية لهذا الكائن العجيب المسمى "إنسانا"، ولا معنى له إن ظل وحيدا منفردا سيظل ناقصا بالتأكيد.

ما زلت أذكر إعجابك برومانسية زوجي الحمام اللذين يقبل أحدهما الآخر، ولا أحد يستغرب ذلك، وكنت تقولين لي لماذا إذن يستغرب هذا من الإنسان؟ كنت أصمت، ولا أدري ما الجواب.

تعرفت أخيرا على نبتة في فلسطين تسمى "الأيروس النصراوي"؛ نسبة لمدينة الناصرة الفلسطينية، ما أثارني فيها أنها تحمل معنى جديدا للأيروس، فلم يعد محصورا بالإنسان، بل إنه في النبات أيضا، إنها تختال مزهوة مكشوفة في أرض الله، فشكلها الخارجي يشبه تماما فرج المرأة وهو في أقصى شهوته، متهيئا للعملية الجنسية.

يا إلهي كم ثرثرت هذا اليوم، لا شك في أنني سعيد للغاية بحضورك الشفاف الندي، دمت حبرا لدواتي، ووحيا لأفكاري، ووردتك عازفة أنغامها على ناي تصبب شهوة وشجنا. بانتظار أن تهمني عليّ سحابة أفكارك في رسالة قادمة، لعلني أكتب لك أكثر مما كتبت اليوم.

أحبك حتى ينتهي الكون من محنته الوجودية.

المشتاق لك دوما.

الجمعة: 2018/6/1

تحية حيادية ضرورية

لا بد لي من أكتب متأنقا في اختيار الكلمات، وإن كان الأسلوب كما هو في العادة متواضعا، أرجو أن يكون لطيفا كحال أسلوب كتّاب الرسائل عادة الذين يكتبون هكذا دون التفات حتى لأخطائهم النحوية والإملائية والتركيبية، أحمد الله أنني أتقن نوعا ما الكتابة في مرات كثيرة، لتكون أخطائي أقل من غيري.

يتبادر إلى ذهني كثير من الأفكار، أفكار ليست مزعجة هذه المرة، متجاوزا عن قصد الوقوع في الشرك العاطفي الذي وقعت فيه مرات كثيرة، ومنها في الرسالة السابقة، سأحاول أن أنسى ما صنعت بي كلمة "جميل"، وردك على الرسالة بعد أكثر من ثمان وأربعين ساعة طويلة، وأقفز عن ذلك إلى ما هو أرحب من ردك الاستعاري الذي لم أفهمه: "إنك لن تستطيع معي صبرا"، كم كانت جملة مستفزة، لكنني استوعبتها وخبأتها في ذاكرتي أياما حتى تنضج فتتساقط كلماتها حرفا حرفا،

ويتلشى مفعولها. أندرين لماذا هي جملة استعارية بأئسة جدا؟ ليس لأنك نقلتها من المطلق الديني إلى حزن العاطفة الميت فقط، بل لأنك لست الخضر ذلك العبد الصالح الملمهم، ولست أنا بالتأكيد النبي موسى عليه السلام، ولأنه أيضا ليس بيننا اتفاق معلن أو مخفي برعاية الله، ليختبر أحدنا صاحبه. لكل ذلك تبدو الاستعارة بأئسة كأقصى ما يكون البؤس. هل أنا أهجو أسلوبك الفظ؟ أبدا، ولكنني أوضح فقط عدم قدرة الشاهد اختصار الحالة التي كتبت عليها الرسالة السابقة.

إن نفي التشابه بيننا نحن الأربعة، لاحظي أيضا هناك أربعة، لماذا نحن محكومون دائما بفكرة الكائنات البشرية الأربعة، لا أدري. المهم. إن نفي التشابه أعلاه عني وعنك، لا يعني أننا لسنا صالحين. بالطبع إن فينا خيرا كثيرا، وهذا ليس من المدح الذاتي الزائف، وليس تراجعاً عما تعتقد أنه هجاء، بل إنه الحقيقة؛ فكل نفس بشرية فيها من الخير الكثير لو أرادت أن ترى ذلك الخير، وفيها من الشر أكثر كذلك لو أطلقت له العنان، سيكون بركانا أو عاصفة أو إعصارا مدمرا، إن لم يدمر ما حوله فإنه بالتأكيد سيدمر نقطة انطلاقه، الذات التي انبثق منها، أخذنا بنظرية "الشر العاجز" الذي يأكل بعضه؛ لأنه لا سبيل إلى تجاوز ذاته إلا بإفناء ذاته.

لا عليك، ربما لم تدري ماذا أردت من ذلك، وربما أنا أيضا لم أدرك ماذا أريد أن أقول. هي تدفقات من اللاوعي، شعورا بحاجتي الماسة لصنع الهديان بطريقة غامضة.

هل أكتب لك عن الشر الذي في؟ أم عن الشر الذي في هذا العالم؟ أم أكتب عن الشر الخارجي المتربص بنا جميعا؟ أراه واقفا هنا أو مقعيا على ذيله مثل كلب. يا إلهي كم مرة وظفت استعارة الكلب فيما أكتبه. فهل الشر كلب؟ هل أنا كلب؟ هل هذا العالم المموج كلب؟ هل هذا القلب الذي أحمله بين ضلوعي كلب؟ لاحظي لا فرق بين الكلب والقلب إلا قليلا، يا لمحاسن الصدق، إنها استعارة موفقة على ما يبدو. لا بأس، ربما لن ترقى إلى أسلوب صديقك الكاتب الذي صفعني به ذات مرة بأنه "وحش سرد". يكفي أن أكون كلب سرد، إنه أنفع لي، "فعلى قد أفاظك امدد سردك". على كل حال، إنه وحده هو الكلب، قلبي، وليس صديقك طبعاً، يعوي دائما في أحشائي، ينبه كل الكلمات الساكنة كشيطان أبكم أعمى، لتهرب مني إليّ، وتتوصل على رأس القلم. هل تصدقين أنني كتبت هذه الرسالة أولاً بخط اليد. أريد أن أكون سريعا مواكباً سرعة نباحها الصباحي عليّ، هذه الكلبة بنت قلبي الكلب!

لا عليك مرة ثانية، ستقرئين صورة لنباح الكلب القلب هنا، وربما ستشعرين بإيقاع الجمل الراكض على السطور يسابق حركة يدي المرتعشة. لا أدري إلى الآن لماذا ترتعش أيدي الكتاب وهم يكتبون رسائلهم العاطفية بانفعال ظاهر. هل لديك تفسير يشبه تفسيراً صالحاً للاستشهاد بهذه الحالة، بعيداً عن رحلة البحر التي صحبتك على متن حكاية موسى والخضر، وأقحمتني فيها بغير أدنى مبرر؟

أحاول أن أضغط على أصابع يدي لعلها تهدأ قليلا، كيف لي أن أضغط على أصابعي؟ وبأي وسيلة أضغط عليها؟ ليس لي يد أخرى لتضغط أخت على أخت، أو لتحنو شقيقة على شقيقتها، فإحدى الأختين ميتة كما تعلمين. يا لتعاسة هذه التشبيهات هنا. إنها تثير الاشمئزاز حقا. أحتاج إلى كلاب إضافية لتنبحني وتنبهني وتزيد من سرعة جريان الكلمات. أشعر أنها تلتهم السطور واحدا تلو الآخر، ودون توقف، حال الخائف الذي بلغ قلبه/ كلبه الحنجرة وهو يلهث يسابق الريح، ويكاد يسبق نفسه، متجاوزا قطارا حديثا مهرولا نحو الهاوية وبسرعة جنونية.

لا عليك مرة ثالثة، لا تصدقيني كثيرا أو قليلا، فثلاثة لا يحسن بالمرء أن يصدقهم: المجنون والشاعر والعاشق، فأنا أكذب أكثر عندما أكتب، وأكذب أكثر وأنا أتطلع من شبك نافذتي وأرى صورتك على الشباك، وأتمادى في الكذب وأنا أستمع لهذيان قلبي الكلب، وأبلغ شأوي في الكذب عندما أعلن أن عليّ أن أصمت وأتلاشى وأذوب في هذا العالم المتعجرف.

ليس عليك إخباري بما هو كائن حيال هذا الرقص الصباحي المجنون نحو هذه الكلمات المفخخة بالغموض ونباح الكلاب، متجاوزا زقزقة العصافير، لا أكاد أسمعها، شيء يمنع دخولها إلى مسمعي، ليست العتمة التي أخذت بالتفتق والوضوح إلى حد فضيحة النهار العارية، بل بسبب شيء أعظم من ذلك، إنه التباس العوالم وضجيجها وضجرها واستسلامها للسام.

ليس عليك حرج بالتأكيد، إن قرأت هذه الرسالة ولم تدريكي ماذا أردت أن أقول، فهي غامضة محجبة بأغلفة الدخان الكثيف، ضباب الضجيج الذي يعبئ رأسي، ويمنعني من اختيار المجاز المناسب والاستعارة المثلى.

لا عليك مرة أخيرة، إن عرفت أن الكلمات خادعة، خائنة، وربما خانعة، خاسرة، خائبة، وبغض النظر عن خاءاتي المتكاثرة ربما سيكون لها بعض نفع، فرب نافعة ضارة.

مضطر هنا لأقفل السطر وقد طبعت الرسالة، وغلبتني الشمس واستعجلت الخروج قبل إتمام المهمة، وانقطع تماما صوت العصافير، لعلها غادرت أعشاشها بحثا عن رزقها وما قدر لها، غير حاملة وزر رسائلي ولا حملها، فهي لم تسمعني كما سمعتني في مرة سابقة، رمت قاذوراتها على رأسي وذهبت تبحث عما يفيدها. فهل سيأتي يوم وأكون عصفورا مثلها؟ لست أدري، لعل جوابا سيكون لديك.

دمت ودامت الاستعارات غير الموفقة المحفزة على الكتابة. يومك كما تتمنين أن يكون. سلام

الواقع في أسر لغتك

سلام من القلب

لا شيء يخيفني مثل صمتك هذا، أعترف أنني أخاف في الحاليتين، إن أبرقت لي بكلمة أو جملة أخاف، ويخيفني أكثر صمتك، أظل منتظرا أن تكتبي لي مراوغة حتى ولو كلمة، أو تفضلت عليّ ولو رسالة فارغة، لكن لا يهم ذلك كثيرا، ما دام أن صمتك ككلامك دافع حقيقي للكتابة، وبهوس شديد، كأنه الجنون الحقيقي.

لقد اكتشفت سببا آخر يحفزني للكتابة إليك غير ما سبق وادعيتته في رسائل سابقة، وهو أن أكون قادرا على أن أستجمع كل قواي العقلية واللغوية والثقافية لتكون بين يديك، وأطوع اللغة والسرد ليكون عبدا مطيعا في حضرة نشوتك وأنت تقرئين.

أخبرك عبر هذه الثثرة التي يقطع هدوءها الليلي نباح الكلاب في فضاء الريف الساكن دون حراك، أصداء الرسالة السابقة، تخبرني إحداهن وهي محررة ثقافية في إحدى المجلات المحلية في رسالة عبر البريد الإلكتروني: "قرأت نصك الجميل وأرى أنه يصلح ليكون مقدمة رواية. أرجو أن تاخذ موضوع الرواية جديا"، فأجبتها بما تعلمينه من رأيي في كتابة الرواية، وقد أودعته كتابي "ملاح من السرد المعاصر- قراءات في الرواية": "موضوع الرواية حسمته منذ زمن بعيد، فأنا لن أكتب الرواية هذه "الفاتنة للعب" مع تقديري لثقتك الغالبة، من يقرأ بديع الكلاسيكيات القديمة من مويديك وجيمس جويس وبلزك وعظماء الأدب الروسي وكلاسيكيات الرواية العربية، وخاصة نجيب محفوظ والطيب صالح وحننا مينا وجبرا وإميل حبيبي فإنه يتصاغر ويتضاءل أمام هؤلاء القامات الشامخة روائيا، فكيف لي أن أتجاوز هؤلاء؟ الرواية ليست عملا سهلا إنها أشبه بالخلق، بل إنها خلق حقيقي لعوالم منظمة غاية في الدقة، ولا تناسبني هذه العوالم فأنا شخص فوضوي حتى النخاع." وتبادرتني بهذه الإجابة على الفور وكأنها كانت تنتظر ردا سريعا مني: "أعتقد أن أعدارك ليست في محلها، ولو كان الأمر كذلك، ما كان لإبراهيم نصر الله وواسيني الأعرج وغيرهم من كتاب الرواية الحاليين أن يبدعوا ما أبدعوا. وكلمة أخيرة، أنني لم أر فيما قرأت لك ما هو فوضوي. ربما أنت فوضوي في سلوكك اليومي، لكن ليس بالضرورة أن ينعكس ذلك على نصك الإبداعي. ولا أجد فوضويا أكثر من حسين البرغوثي لكن نصه على عكس ذلك." لاحظي كيف تريد أن تنهي الحوار، عندما قالت "كلمة أخيرة"، وكأنها تريد أن تقول: "يكفيك هذيانا، وكف عن مناقشتي"، لكنني لم أفهم هذا الإسكات اللبق إلا بعد أن أرسلت لها ردي مطولا: "ما تفضلت به صحيح أعرف ذلك، هم تجرأوا ونجحوا، ولكن لي مشروعني الخاص، وهو ليس سرديا على كل حال، وليس شعريا أيضا، إن ما أركز عليه في قادم ما تبقى من سنوات ولعلها طويلة ستكون، تقديم شيء ولو يسيرا في النقد الأدبي."، لم تزد بعدها أن قالت في رسالة حادة وقاطعة: "كل الاحترام لخيارك".

لقد تأكد لي أكثر وأكثر أن الرواية عمل ليس سهلا، وخاصة بعد أن قرأت اثنتي عشرة رسالة للروائي البيروفي "ماريو فارغاس يوسا" يبين فيها التقنيات المعقدة لكتابة الرواية، على الرغم من أنه ليس ناقدا، ولكنه كان يقدم شهادته الإبداعية حول فن الرواية بوصفه روائيا وقارئ روايات، وكأنه يريد أن يقول: الرواية ليست عملا سهلا، وتحتاج إلى خبرة وعلم ودربة وموهبة، مع أنه يضع الموهبة في أدنى السلم لما يحتاجه الروائي، وقد حلل من وجهة نظر إبداعية كثيرا من الروايات في رسائله المطولة تلك.

أزجي لك هذه المحاور لعلني أقرأ لك ردا على هذه الرسالة أو تلك الرسالة التي قرمت فيها ذاتي لأكون "كلبا" و"كلب سرد"، وليس "وحشا"، أعلم أن في الأمر ما لا يروقك في هذه المعمعة كلها، لست أدري ما هو بالضبط، لاحظني هنا أنني أدخل الآخرين بيننا لأستطيع أن أكتب لك، وكأن ذلك عذر مباح، مع أنه ربما بدا لك عذرا أقبح من ذنب لكن لا يهم.

وما دمت أحدثك عن عالم الكتابة والكتاب، أخبرك أن نصك الأخير الذي وقع فيه أخطاء تحريرية كثيرة كنتُ وحدي مسؤولا عنها بالكامل، قد نشر أيضا، في غير تلك المجلة التي أرسلتها سابقا، في مجلتين أخريين، واحدة محلية، والأخرى في لندن، وقد كتب محرر المجلة اللندنية مقدمة للنص، بدت لي جميلة تناسب النص ويستحقها عن جدارة.

يحتفي المحرر بهذا النص الذي كان صادقا، ومصوغا بحرفية عالية، فيخيب مرة أخرى ظن كل أولئك الذين يحاولون النيل من شاعريتك الراسخة، ويترصدون بك عبر نيماتهم الثقافية المزعجة التي لم تكن سوى طنين أجنحة الذباب؛ أضيرك هذا الطنين أيتها الجميلة المحلقة كشعاع نور؟

ربما ستكتبين لي كي تتعرفي تينك المجلتين، مع أنني أعلم أنك لا تهتمين كثيرا بمتابعة منشوراتك، فلست مهووسة مثلي بتتبع النصوص ومستقرات نشرها ومآلاتها، ربما لأنك أكثر ثقة مني بذاتك، ولأنك كما يقال: "تقولين كلمتك وتمضين"، ربما هذه المرة ستكونين مهتمة، ولعلك تبحثين وحدك، وستجدين تينك المجلتين.

أؤكد لنفسني قبل أن أؤكد لك أنك تستحقين ما أنت فيه من مجد أدبي آخذ في الانتشار بسرعة الضوء.

رجاء، اكتبني لي أي كلام، فقد اشتقت أن أرى حروف اسمك مضيئة في قائمة رسائل بريدي الإلكتروني، ها قد مضى ثلاثة أيام على هذا الصمت المريب المخيف، ألا يكفي ذلك؟ فكفارة المذنبين لا تتجاوز ثلاثة أيام صوما عن الكلام، وهي الحد المسموح به للقطيعة، ولا شك أنك تعلمين ذلك. أم أنك في سفر أو على سفر؟ ألا يحق لي أن أعرف إن كنت فعلا قد سافرت؟ حتى ولو، امنحيني دقيقتين، واحدة للقراءة العجلى والأخرى للرد، وإن كان من وراء القلب. دمت بكامل المجد، وحظا موفقا، وإلى الأمام دوما.

المشتاق لرائحة الجنون في كلماتك.

الأحد: 2018/6/3

طاب المساء

سعيدة بكونك تكتب وبغض النظر عما تحمله كتاباتك من اتهامات أحيانا وتجن أحيين أخرى إلا أنني أفرح بهذا الفيض الذي يتدفق، فما يهم هو القدرة على زم ما فاض وحفظه والتعامل معه على أنه كنز أدبي لا يمكن إلا التوقف عنده.

كتابتك للرواية ستحدث ولا أظنك إلا مؤجلها ليس أكثر، لديك من القدرة ما يؤهلك لكتابتها وإن بأسلوب حدائي خارج القوالب المعرفة للرواية، يمكنك ابتداء ما يخصك. أثق تماما بما تجود به قريحتك المجنونة.

لم أسافر بعد ما زلت أنتظر (الفيزا) ويبدو أنها لن تأتي فقد قدمتها بالوقت الضائع، لكنني منشغلة بالعمل، فبعد نصف رمضان بدأ الشغل بالحركة وهذا وحده يجعلني مرهقة وما بين العمل والتحضير للسفر ورمضان والتزاماته العائلية أعيش في دوامة كنت في بلدتنا وعدت بالأمس ومعني ضيوف في البيت.

ممتنة لاهتمامك بما نشرته ومتابعته وسعيدة أيضا بتداعياته التي ذكرت وإن لم أبحث عنها يكفي أنك فعلت. لن أعود للعتاب وأسلوبك المستفز في جعلي أحيانا أفقد رصانتي وأكتفي بعدم الرد تجنباً لإثارتك وإن كان ذلك حافزاً لك لتكتب.

كن بخير أبدا

ف. ع

الأحد: 2018-6-10

طابت رحلتك وطابت أوقاتك كلها، أيتها العزيزة.

أعرف أنك وأنت في السفر ربما لن يتاح لك قراءة الرسالة أو أن تردي عليها، كما أنك في غمرة استعدادك للسفر لم تردي على رسالتي السابقة، هل تذكرين في كل مرة تسافرين فيها وأنا قابع في سريري منتظرا إشارة منك، تخييين ظني؛ تشغلين عني، ولا تحبين أن تتواصلي معي، لا أدري السر في ذلك، ربما هي فرصة لترتاحي من سماجة خلقي وكثافة دمي غير المبررة.

لكن لا بأس، سأنسى هذا الشعور المؤلم، وأفترض وجودك. أليس كل علاقتي معك هي افتراضية محضة؟ اسمحي لي أن أثرثر قليلا. أشعر بالازعاج والفراغ والوحدة القاسية، أحس بأن الوقت نحاسي وأن المكان رصاصي، وكل شيء ثقيل، لا يكاد يتزحج، لا هواء حولي على الرغم من أن كل النوافذ مفتوحة، أليس الجو عندك لطيفا، ويميل إلى البرودة أو الاعتدال، أغبطك على هذا الحظ

الجميل، وكم تمنيت في كل مرة تسافرين فيها أن أكون بصحبتك، أمنية ربما لن تصح ولن تكون، ولكن عليّ أن أحلم قليلا.

أفكار كثيرة في رأسي يجمعها أمران: العبث والفوضى، هذان معنيان مختلفان، ليسا مترادفين، فليس كل ما هو فوضوي عبثي بالضرورة، وليس كل ما هو عبثي فوضوي، ربما يكون العبث نظاما غاية في الدقة والإتقان.

اليوم، تحاورني كاتبة، وكان الحديث متشعبا، حول الكتب، والروايات، حول كتاب إليف شفاق حليب أسود، وحول كتاب فرجينيا وولف غرفة تخص المرء وحده، وحول فن الرواية، والتهافت في كتابتها، لا أدري لماذا هي طاغية إلى هذا الحد على فكر الكتاب، الكل يكتب عن الرواية، حتى أنا، والكل يريد أن يكون روائيا إلا أنا.

نسهب في الحديث، ونتطرق إلى الإعاقة، ثمة جملة لا تعجبني في هذا السياق، "كل ذي عاهة جبار"، أرى أنها غير إنسانية بالمطلق، ماذا قدم المعاقون للبشرية، ليس بوصفهم بشرا، ولكن بوصفهم معاقين، فالحضارات كلها بنيت على أكتاف الأصحاء وجهودهم، والحالات الفردية في الإنجاز لا يقاس عليها، لأن الحضارة لم تعترف بغير الأصحاء. هذه الجملة قاسية جدا، فإذا كان المعاقون جبارين، فهل الأصحاء أنصاف آلهة؟ هنا تتدخل محاورتي لترى ذاتي متشظية إلى ستة كائنات قزمية على نحو ما هو موجود لدى إليف شفاق، ولكنني أكدت لها أنني لست قلقا ليكون لي هذا الكم من الكائنات التي تعيش داخلي.

أتعلمين كم هو مرضي أن يتحدث المعاق عن إعاقته؟ مع أنني تجاوزتها منذ كنت طفلا، لم تؤرقني قليلا أو كثيرا. لكن هذه الكاتبة تستغلي لتكتب نصا من وحي هذه الإعاقة، يا للروعة، صرت محلا للكاتب، أي جنون وأي استغلال هذا؟

لا تبتئسي، لا شيء جديد، ها هم الكتاب دوما، "سارقو نار" كما يقول آرثر رامبو، ويصنعون من الحبة كبة، ولا يهمهم مشاعر الآخرين، كاللصوص تماما، هل فكر لص يوما بمعاناة المجني عليهم؟ لو فكروا يوما لأقلعوا عن هذه اللعبة اللا إنسانية، أو كما كتبت لي يوما الكاتبة السورية رجاء شعبان "هكذا هم الشعراء.. لا أمان لهم كالعصافير.. يهربون إلى أشجار وارفة". إنها أنانية، تشبه أنانية الصياد الذي يكون حريصا على الهدوء من أجل اقتناص فرائسه.

هل أزعجتك ثررتي هذا اليوم؟ ما زلت أشعر بالضيق، لم تنجح هذه الرسالة بتبديد الوجد، أحس بثقل ما جاثم على صدري، وأنفاسي غير منتظمة، وأحس بحرارة في جسدي كله، لا نسائم في الجو، ولا لطف في الناس، ولا رقة في اللغة، أي لحظة هذه؟ كأنها اللحظة التي تسبق الانفجار أو الوقوع في الجحيم.

كنت أنوي أن أحدثك عن أمور غير هذه ولكن لم تسعفني الحالة ولا اللغة. كنت في أول الليل أشعر بطاقة إيجابية قوية، تبدل الحالة بجملة، وصار الكون أضيّق من "سم الخياط"، فهلا جعلتني أرى الدنيا أوسع مما هي عليها الآن؟

أرجوك إن أسعفك الوقت، وقرأت الرسالة أن تكتبي لي، لعلني أرتاح ولو قليلا، ولا تهملني الرد، فأنا أحتاج أن أشعر بقربك، وإن كان عن طريق اللغة.

أنتظر بك بشوق كما أنتظر رسالتك بلهفة، دمت بخير وسلام وشعر.

المحتاج للمسة من يدك.

2018-6-10

أنا بخير، كان الأمس جميلا تم تكريمي تلعثمت قليلا لأنني قرأت التوطئة بالإنجليزية بعض الكلمات كان لفظها صعبا لكن لا بأس هم أيضا لا يتكلمون الإنجليزية إلا قليلا، مستمتعة بهذه التجربة أتاحت لي التعرف على عالم مختلف وثقافة مختلفة. أناس طيبون؛ تحيطني صديقتي وعائلتها بالرعاية الكاملة كفرد من أسرته وخاصة حماتها، استوصت بي كثيرا بالأكل تماما كجداتنا لم تترك شيئا في جعبتها ومن كنوز الجدات إلا أخرجته لأندوقه خاصة أن كنتها وابنها لا يقيمان عندها، إنما قدموا مثلي من الشمال الإيطالي، وبالتالي هي سعيدة بهم وبضيوفهم.

غدا مساء سأغادر إلى روما لأتعرّف على معالمها وساغادرها الخميس. أعلم أن أخباري ستسرك ولذلك أسهبت فيها. نقضي النهار اليوم في التسكع في حارات ليتشي القديمة، هي بلد قديم عريق لدي صديقات الآن من ليتشي وصقلية وأماكن أخرى في الجنوب لدي صديقة أخبرتني أن القصصيتين قد أوحتا لها بثلاث لوحات رسمتها تأثرا. القصصيتان تم التفاعل معهما بشكل مؤثر في الاحتفال.

لا يتكلمون الإنجليزية لكن نتواصل بالمترجم الفوري على الآيفون. حسنا هذا كل شيء بالنسبة لي. لن أتطرق لما أوردته من حديثك مع الكاتبة ومآربها، أنت وحدك من يستطيع أن يتعامل مع هكذا حوارات. لقد تجاوزت إعاقتك. أفترض ذلك، ولا يحسن بك الحديث عنها مع أحد هذا شيء يخصك. وابتسم. الحياة فهي ما زالت جميلة بوجودي الافتراضي على الأقل.

شي فيديامو دويو.

ف. ع

الأربعاء: 2018-6-13

طابت أوقاتك وأماكنك.

لا أدري بداية أي سر تمتلك تلك الأمكنة التي تكونين فيها، لأحبها على نحو عميق وحقيقي وأشعر بعاطفة خاصة تجاهها، وكم أشعر بقربك وأنت فيها بعيدة عن هذه المدينة التي تزعجني، ويثير في

حساسية تقربني من الجنون، لذلك لعلك تشعرين أنني أكون أهدأ نفساً وأنت في سفر. شعور غريب لا أجد له تفسيراً.

أشعر بقربك، ويسعدني سماع صوتك الشهي على نحو استثنائي، وأنسى كل ملامح جنوني وتتحول لغتي لتصبح صافية رقيقة، تحاكي نغمة صوتك الملائكي المحمل بالشجن والحب والحنان، لا سيما وأنت تهتمين بي والاطمئنان علي، وتقولين لي: "انتبه لنفسك جيداً". والآن فلأحدثك عما فعلته بي صورتاك الشهيبتان اللتان كانتا غيمتين شفيفتين تظللان روحي وتحرسانني من الانزلاق في وهدة البعد عنك.

أتصدقين أن تلك الصورة لم تكن مجرد حجب ظل، ولم تكن فقط منظراً طبيعياً يحتضن امرأة جميلة بلونها الأبيض ووثابها الوردية، إنها أبعد من كونها صورة مرسلة عبر البريد. إنها أنت بكل تلك الأنوثة الطاغية، تلك المرأة التي فتنتني قبل أعوام، وما زال سحرها الغيبي يأكلني يومياً ويقنات على روحي.

يعود مع صورتك ذلك الإحساس القديم المتجدد: كيف كانت ذاتي تنسلخ من ذاتي ذاتاً أخرى، بل ذوات تتقنت كائنات نشوى راقصة فرحا بذلك الجمال، وتتحول إلى كائنات عابدة مجنونة لا يناسبها إلا وصفك لي بالمجنون وأنت ترينني مجنوناً بحق، فيعم كوني رعداً وبرق وضوء شاسع المد ليهطل المطر عاصفاً، يريد أن يغسل تلك الذات المنتشية لتحيا من جديد على أطراف تلك الصور.

هل أخبرك أن صورتك تلك قد غسلتني بمائها الضوئي العطري؟ وكلما شعرت بنقصي اكتملت بالنظر إلى تلك الصور، وانغرست بملامحك التي لا تنفك تفعل بي فعلها وتنفت في عقد سحرها اللانهائي، لتصبح معضلة، لا حل لها سوى أن تكوني معي في أحلامي كل ليلة امرأة باذخة تحضن روحي وتمنعي من الجنون، لتكون شفاء لهذا الشقاء الذي أنا فيه. يقولون: إن هناك علاجاً بالكتب وعلاجاً بالعقاقير وعلاجاً بالإبر الصينية وعلاجاً بالسحر وعلاجاً بالرقية، ونسوا أن يتحدثوا عن العلاج بالحب وعن العلاج بالصور.

أتردين أيتها الحبيبة ماذا تعني صورتك بالنسبة لي؟

لا أريد أن أكسر نشوتي بالحديث عن الفن التشكيلي والتصوير واللوحات العالمية المشهورة، وتاريخ الفن المعاصر ومدارسه المختلفة من واقعية وتكعيبية وسريالية، وطبيعية أو أيروسية، فقط أريدك أن تعلمي أن صورتك هاتين اجتمعت فيهما كل مذاهب الفن القديم والمعاصر.

عندما أخذت صورتك تتبلج أمامي شيئاً فشيئاً في رسالتك الأخيرة بتلك الهيئة من الجمال؛ مستلقية بكامل جسمك البض، بنصف ابتسامة ناعمة غامضة، مشرقة الوجه، بنظارتك الشفافة، رافعة ذراعك اليسرى، لتتحدث عن ملمس أنعم من الحرير وألين من القطن، وأشد صفاء من الثلج. بشعرك الكستنائي المنساب كححن هادئ ليلامس صدرك الأبيض، كأنك استكملت المشهد

الساحر بتلك الخلفية للشجرة الخضراء التي تغطي خلفية الصورة، عند ذلك بدأت برحلة الخيال المحموم لأستكمل ما خفي في الصورة من جسمك الحريري الدافئ التي تسكنه النشوة بقوة روح وعذوبة موسيقى تنداح في الطبيعة الفاتنة التي تحيط بك، فتتجلين في بؤرة الصورة ملاكا فاتنا يشغل الكائنات لتحقق بك، وتجعلني في غيرة ونشوة وشهوة معا.

أخذت هذه الصورة باسترجاع ذلك الحنين الراسخ في النفس، وقد استعبدني كل هاتيك السنين، كنت قاسية جدا، أيتها الحبيبة، وأنت تقدمين لي الكأس وصورته دون أن يتاح لي أن أشرب منه ولو رشفة واحدة، أوصلتني البحر في كل مرة، وأعود عطشا، لأبقى عطشا منذ عرفتك وحتى هذه اللحظة. أي إنسان عاشق بمقدوره أن يحتمل العطش سنوات طويلة؟ إنه عذاب مرير وطويل وأبدي كأنني أحمل قدرا لا فكاك منه.

أتصدقين أيتها الفاتنة؟ أن هذه المعاناة التي وصلت إليها، وزادت واستطالت، هي التي تغريني بالبعد أكثر، وتدفعني لئلا أتأمل صورك، على الرغم من أنني أعاند عقلي، وتتمرد روحي عليّ، وتغلبني شهوتي المجنونة، فأتأملك في اليوم عشرات المرات فلم يمض يوم دون أن أستلمه جمالك قوة روحية لبقية يومي، وزادا لإلهام الشعر والتجدد والنشاط.

أتأمل صورتك الأخيرتين، أقف عندهما خاشعا، ليس كعاشق مهووس يشتهي جسد حبيبته فقط، بل كصوفي متبتل يريد أن يلتحم بمحبوبته فيصبحا كيانا واحدا، أقف أمام صورتك أتأملهما كأنني أقرأ لوحتين لأعظم الفنانين؛ دقة، وجمالا، وتناسقا في العناصر كافة، أسأل نفسي والبسمة الحيرى تغمر شفتي، والذهول يملأ عقلي: كيف اتخذت الشجرة عشا لكيانك، أو سريرا يحتضن قامتك، بدوت كأنك طفل في رحم أمّ، وقفت طويلا عند ذلك المعنى لجلال الشجرة وتجاويفها وامتداد علوها وشموخها، وشخصك داخلها، فأني شموخين اتحدا في لحظة من عميق الصور؟! كم بدوت بنتا لأمّ حكيمة، وهل هناك ما هو أكبر وأعمق حكمة من شجرة مديدة العمر تختزن تاريخا طويلا من الطبيعة والبشر الذين مروا خلالها وبها؟

أيتها الباذخة جمالا كالحب، لم تكن الصورة مجرد صورة، بل كانت دافعا للغة أن تأخذ زينتها عند كل جملة تُكتب، وعند كل بيت شعر يتخلّق، وعند كل سرد من حكاية تروى في الأساطير والكتب الخالدة. وهل تنتهي حكايات الجمال أو قصائد الحب، فلن ينفد الكلام ما دام هذا الجمال أبديا، وما دمت أنت الحبيبة التي أشتاق رشفة من كأس خمرتها، لعلي أهدئ ولو قليلا من سهيل الجنون في دمائي المتصببة عشقا وشوقا وأرقا!

أنظرك بشوق، مع تمنياتي لك بعودة ميمونة، راجيا أن ترسلي لي صورا عن اللوحات المستوحاة من قصائدك التي أبلغتني عنهما في رسالة سابقة، وإن أمكن أن ترسلي مزيدا من الصور، إن تكرمت على هذا العاشق البائس المسكين الذي لا ينتشله من غرق الحب إلا مزيدا من نشوة الغرق في الجمال، لعل الروح تأتلق وهي هائمة في مسارج هذه الفتنة التي لا أريد لها أن تنتهي.

أنتظرك، لعل رشفة من شفتيك تعيد لي اتزاني في مقصلة الانتظار والعطش الطويل.

الأربعاء: 2018-6-20

طابت أوقاتك يا عزيزتي.

أرجو أن تكوني بخير، لا تقلقي بشأن كثرة الأعمال وازدحامها خصوصا في شهر رمضان وما بعده من (عجقة) العيد السعيد، فكل عام وأنت تتمتعين بالجمال والأناقة والحب، فهي أوقات تتزاحم فيها الفروض الاجتماعية، ولا أحد يستطيع الفكك من عاداتها إلا من لم يحفل بها مثلي، لقد عودت الآخرين على أن أظل وحيدا، ولا أدخل في هذه الأجواء. لقد سرتني أيضا تحسن أمور العمل، فمشروعك منذ رأيته آخر مرة في تقدم، يسعدني أنك تمنحيني جل الوقت لإنجاز أعمال ذات قيمة جمالية بعيدا عن الهوس القديم، بما ليس منه فائدة حقيقية.

وأما ما جاء في رسالتك الأخيرة بخصوص الرواية، ها أنت تدفعيني لأعاود الحديث عنها، لاسيما أنك ما زلت تظنين أنني قادر على كتابة رواية، وما هي إلا مسألة وقت كما قلت: "كتابتك للرواية ستحدث ولا أظنك إلا مؤجلها ليس أكثر، لديك من القدرة ما يؤهلك لكتابتها وإن بأسلوب حدائي خارج القوالب المعروفة للرواية، يمكنك ابتداء ما يخصك، أثق تماما بما تجود به قريحتك المجنونة". لقد أعجبتني وصفك لقريحتي أنها "مجنونة"، أشتاق لذلك الوقت الذي كنت تمتدحين النصوص بقولك: "مجنون"، ها هي تعود وإن بصورة أكثر هدوءا. كم أحب ذلك منك أيتها المجنونة مثلي تماما.

والآن فلتتفضليني عليّ، وتصغي إلي ما سأقوله حول الرواية.

صحيح أن الأعمال الأدبية ليست إعجازا، وأنه لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، حتى أعظم الأعمال عبقرية وبلاغة، ولكن مع ذلك يجب ألا تقع في محظورات الخطأ الذي سيكون بإمكان القارئ العادي أن يلاحظه فضلا عن الناقد المتوسط والمثقف ذي الدربة في قراءة الأعمال الأدبية.

في هذه الرسالة أحب أن أطلعك على بعض ما قيل في رواية "حرب الكلب الثانية" التي فازت بجائزة البوكر هذا العام. مقال في صحيفة خليجية يبرز فيه كاتبه أخطاء ظاهرة في الرواية، ويصف الرواية بأنها "أسوأ رواية قرأها لكتابنا الكبار". ويقارن تلك الإخلالات بروايات أخرى تدور في فلك الفنتازيا، تعد علامات بارزة في هذا الصنف من الروايات، تلك التي تحدث في عوالم خيالية وتسبق الزمن واللحظة الزاهنة كحال رواية "حرب الكلب الثانية"، غير ناسي بطبيعة الحال تلك الموجة من الكتابات المادحة للرواية وتمجيدها، محتفلة بالرواية والروائي ومشروعه الكبير، وأنها إضافة مميزة كونها خرجت عن إيقاع مشروعيه الروائيين: "الشرفات"، و"الملهة الفلسطينية".

لم ينتبه الكتاب الخليجيون ولا الدولة المانحة للجائزة أن في الزاوية قدرا من ذم التطور القشري لدول الخليج القائم على التطور المادي الذي لم يواكبه تطور في المعيشة والتصرف، يظهر في آخر الرواية كثير من عناصر الحياة الخليجية، الناقه وبيوت الشعر واللغة التراثية، كأنهم ما زالوا يعيشون في القرن السادس أو السابع الميلادي!! هل لو كان هناك ناقد خليجي وانتبه لهذا اللمز هل كان نصر الله سيفوز بالجائزة؟

ناقد وأكاديمي فلسطيني يصف روايات نصر الله بأنها مملّة، ويذكر من ذلك على سبيل المثال رواية "أرواح كليمنجارو" وغيرها، وأنه لم يكذب يبدأ الرواية حتى يدفعها جانبا ولا يكملها، ويعيد ذلك إلى ذائقته، بالطبع هو يسخر في "خربشات" من أن تكون ذائقته هي المسؤولة عن هذا الملل. هنا مشكلة الروايات الحديثة القائمة على التجريب، كالشعر تماما، تحتاج إلى ذائقة بمواصفات معينة بالتأكيد، وليس نصر الله وحده في هذا، وإنما كتاب روايات آخرون يشاركونه هذا الملل، ويشارك الناقد غيره في هذا الرأي بالتأكيد، وقد قرأت شيئا من هذا مؤخرا.

ما مناسبة هذا الحديث؟ لعلك ستسألين نفسك هذا السؤال، وأكاد أسمع يرقص مع ضحكة مكرة على شفتيك، لتظني بي الظنون؛ معتقدة أنني ذو نظرة سوداوية تجاه "الكتاب الكبار"، لا شيء من ذلك هنا، وإن كان في النفس شيء تجاههم، ولكن ليس هذا محله الآن، وأنا أكتب لك بموضوعية وشيء من الحيادية. سأحاول الإجابة على سؤالك مطولا إن استطعت، وأمدتني روحك بالإلهام اللازم والقدرة الكافية لشرح المسألة شرحا وافيا.

تؤكد لك المسألة النقدية حول الروايات الفائزة، يا عزيزتي، أن الأعمال الأدبية الفائزة في المسابقات الأدبية (شعرية، قصصية، روائية، نقدية...) عدم إجماع الوسط الثقافي على تلك النتائج التي خرجت بها لجان التحكيم، وهذا ابتداء صحي وطبيعي، والمسألة ليست عربية فقط، حتى لا نظل نتهم أنفسنا بالتحيز والمحسوبيات والفساد، كما قال أمجد ناصر عندما خرج من القائمة القصيرة هذا العام في مقال يشنع فيه على الجائزة ولجنة التحكيم وزملائه الأبداء المتأهلين، ويكيل لهم الاتهامات غير المبررة، ونسي أنه كان يوما عضو لجنة تحكيم هذه الجائزة في عام 2010.

لقد حدث ذلك أيضا في الغرب، قبلتنا دائما في الحكم على الأشياء، فها هي (جينفر إيغان)، الروائية الأمريكية تقول: "لقد حكمت جوائز كبرى وأعرف كيف يتم هذا. فالأمر يعود إلى الذوق، ومن ثم الحظ، إذا حدث ووصلت إلى القائمة النهائية فهذا أنك محظوظ بما يكفي لتكتب شيئا يروق لحكام معينين". وبالطبع ليس (إيغان) وحدها، بل للشاعر المكسيكي (أكتافيو باث) رأي مشابه، وهم يعذرون لجان التحكيم، ويقبلون بكل روح رياضية نتائج المسابقات التي رُشحوها لها، ولا يقولون عن كتبهم أنها وحدها المقدسة، تعلق ولا يعلى عليها.

لعلنا جميعنا لم ننس تلك الهجمة الغبية على رواية "كونشيرتو الهولوكست" التي فازت بالجائزة نفسها قبل عامين، واتهام كاتبها بالتطبيع، وذلك الهراء النقدي لنويقد مصري يتدرب على الكتابة،

وهذا ياناته المقيمة في حقها، وقد كرهته على نحو شخصي لقله أدبه وذوقه المحدود والمنحط وسطحيته في الكتابة المليئة بكل شيء إلا النقد، فإنه لا شك مفارقة إلى الأبد، ولن تبشر كتاباته بأي مستوى نقدي محترم على الإطلاق إن بقي سابحا في جهالاته المفعمة بالزهو الكاذب، والغارقة في الجهالات كثيفة الظلام.

المسألة الثانية وهي مسألة إبداعية محضة، هنا أتذكر ما كتبتُه حول رواية "مملكة الفراشة" في كتابي "ملاحم من السرد المعاصر- قراءات في الرواية" وأخطاء الكاتب فيما كتبه في الرواية حول موقع "الفيس بوك". ما حدا بالكاتب أن يبعث إليّ برسالة يؤكد فيها صوابه وخطأ وجهة نظري وتحليلي. تمر الأيام وتفوز هذه الرواية بجائزة عربية، فيثور حولها اللغط، ويكتب كاتب آخر مقالاً يبين ما في الرواية من أخطاء، تلك الأخطاء التي أشرت إليها قبله، ويتهم لجنة التحكيم أنها منحت الرواية الجائزة لشهرة الكاتب دون أن يقرؤوا الرواية، إذ لو قرأوا الرواية، كما قال، لما استحقت هذا الفوز.

ماذا أريد أن أقول؟

أردت أن أقول إن هناك استعجالا في كتابة الرواية والتهافت عليها والتلبس بصفتها، وكأن صفة "الروائي" أمانة إبداع وعلامة تميز، وهي "فيزا" الدخول إلى عالم الشهرة والإبداع والجدارة الأدبية، وكأننا بذلك جميعنا نقضي، ونحن لا ندرى، على فنون كتابية أخرى، جديرة بالحياة والاحتراف كالشعر والمسرح والقصة القصيرة والموسيقى مثلا.

هل تلاحظين مثلما ألاحظ أن الحياة الإبداعية العربية والمحلية تفتقر إلى فن المسرح، ونقاد المسرح، وإنتاج المسرحيات، لقد مات هذا الفن الذي هو أبو الفنون جميعها، خلف وراءه خلفه أضعافه وأماتوه! ولم يعد أحد يحفل به، وأنا واحد من الكتاب الجدد الذين لا يهتمون بالمسرح قراءة واقتناء ومشاهدة ونقداً، بل إنني أؤكد جهلي المطلق بهذا الفن.

تعالى نستذكر معا بعض كتاب المسرح، ولو سألتني عن بعضهم لن أستطيع إلا أن أقول اسمين أو ثلاثة كأقصى حد، وليس من هذه الأسماء أي اسم حديث، وقد أثرت هذا السؤال مرة مع صديق لي، وناقشت معه لماذا نحن، أنا وهو، لا نقرأ مسرحيات ولا نكتب في المسرحيات. ما حدا به أن أحضر لي في اليوم التالي مسرحيتين لكاتب عربي، تجاوز عمر نشرهما أكثر من (47) عاما. إنه خلل فاضح في الحياة الثقافية العربية، ونقص معيب في أبجدياتها الإبداعية بكل تأكيد. ولكن ربما هناك أسباب موضوعية لخفوت هذا الفن وتراجعها.

هل للرواية هذه القدرة من الهيمنة على الصنعة الكتابية، وتوجيه الأقلام نحوها أم أن بريق الجوائز أفسد الخريطة الإبداعية؟ أفكر أحيانا بما سيحصل بفن الرواية لو توقفت كل الجوائز التي تخصصها؟ هل سيعود الكتاب إلى المسرح أم سيعودون للشعر أم أنهم سيصمتون؟ هل سنكتشف حقيقة مواهب أولئك الكتاب؟ أكاد أجزم أحيانا أن ثمة ديكتاتورية غير معلنة مسيطرة على عقول

الكتاب ليكتبوا رواية، ديكتاتورية الشهرة والمال، وأصبحت الدوافع غير بريئة، يشوبها التفكير بالدولار، قبل الرواية ذاتها، ما جلب أثارا سلبية جدا على الرواية، وضاعت روايات عظيمة بين هذا الركام الغث، ربما سيكون حكما قاسيا قول أحد أصدقائي: "إذا تحدثنا عن الكم لن يموت أي نوع أدبي. وإذا تحدثنا عن النوع فنحن لا نملك لا رواية ولا قصة ولا مسرح ولا شعر إلا ما ندر. المشكلة أن الكل واثق من أنه فوق الجميع، وأقسم أن 99% مصيره المزبلة".

ابتعدت كثيرا عن محور الحديث، أعود فأقول يجب عدم الاستعجال في كتابة الرواية، بل يجب على كاتبها أن يراجعها، ويتتبع كل عنصر من عناصرها، ليرى منطقيته وترابطه مع غيره وواقعيته وجماليته منفردا وبالتضام مع غيره، عليه أن يفعل كل ذلك وأكثر قبل أن يزوج بمجموع أوراقه إلى المطبعة، ويشارك فيها في المسابقات فتتعاورها أيدي النقاد ولجان التحكيم. وربما سبب بعضها اكتئابا ثقافيا للجان التحكيم.

في مقابلة مع أحد الروائيين يقول إنه يضع إشارات يتتبع من خلالها عمله الروائي بحيث لا ترتكب شخصياته حماقات سردية، فيحدث خلل أو تناقض أو تعارض بين أول الرواية وآخرها. بلا شك في أنه عمل مرهق وصعب، ولكنه ضروري وواجب لمن أراد أن يكون كاتباً روائياً ناجحاً. عليه أن يتخلص من السيطرة العاطفية لبعض شخصياته عليه، ويكون موضوعيا بدرجة فنية عالية. يُنقل عن (ماركيز) أنه خرج من غرفته وهو يبكي عندما اضطر فنيا لقتل شخصية "الجنرال" في إحدى روايته، ولكنه لا بد من أن يفعل ذلك، فلم يجعل الشخصية تقوده لكي تدمر عمله الروائي، كم كان شجاعا وناجحا وعبقريا.

بعد كل هذا الاستطراد أعود إلى ما بدأت به هذا الحديث؛ لا رواية دون ملحوظات نقدية بكل تأكيد، ولكن على الكاتب أن يتجاوز عقليات النقد المتوسطة والعالية ويتماس مع عقليات النقد الكبرى؛ لتظل الرواية عبقرية في عقول جماهير القراء الواسعة، من قراء مدرسين ذوي ذائقة فنية عالية وحساسة ونقاد صحف، وهنا تحوز هذه الرواية صفة الإبداع حتما، من المثقفين والنقاد والقراء على حد سواء، ولا يستطيع أحد أن يلاحظ أخطاءها وعوارها، إن وجدت، إلا كبار النقاد، وهنا تصبح مسألة الجوائز سهلة، وستخف موجات الانتقاد الحادة لكل عمل روائي يفوز.

هل سأستطيع، كما قلت وتنبأت، أن أكتب تلك الرواية التي في ذهني؟ لا أدري إلى الآن هل باستطاعة قدراتي الذاتية تفتيق الخيال على تقنيات خارجة من "قريحتي المجنونة" لصنع رواية مذهلة تتجاوز عقليات النقد الصحفي لتتماس مع عقول النقد الكبرى، فما زلت مؤمنا أن للروايات عوالم سحرية، وأنها خلق من بعد خلق في ظلمات ثلاث (الشكل، والتقنيات السردية، والفكرة المدهشة)، وقليل جدا من الروائيين من نجح في أن يكون عظيما، كالشعراء تماما، فالشعراء العظام نادرون؛ ربما على طول تاريخ البشرية لن تجدي عشرة شعراء حقيقيين، وليس كتبة شعر، وكذلك هم الروائيون، فالروائيون العظام نادرون أيضا، ولست أعني كتاب الخرافات والحكايات وأصحاب السقطات السردية. ف "الرواية ليست لعبة شكلية أو حكاية تروى بنسق

حكائي فحسب، بل هي انغماس في صيرورة الحياة وبحث في التجديد وحس جمالي في استخدام اللغة والقدرة على معاينة المعضلات المعاصرة والتوفر على معارف عدة من العلوم الحديثة والفلسفة والفكر والتاريخ والفنون والاقتصاد وعلم النفس والاجتماع"، كما تقول الكاتبة العراقية لطفية الدليمي. فإذا لم يقرأ الكاتب فلسفة وفكراً ونقداً وأساطير ولغة وعلم نفس، سيكون حكاياً يتقن الثرثرة، ولن يصبح كاتباً كبيراً يوماً ما، ثمة ضحالة ثقافية وفكرية، يا عزيزتي، في الروايات المنشورة مؤخراً، وسبق أن ناقشنا ذلك في بعض لقاءاتنا على قلمنا.

ملاحظة أخرى: كثيرة هي الروايات العربية التي اعتمدت على تقنية واحدة ومكررة، حتى غدت كلاسيكية بسبب كثرة الروائيين الذين اعتمدها. فأين التجديد في الشكل؟ وأين الرواية العربية التي ابتكرت شكلها الخاص؟ بل كيف يفكر الروائيون في الروايات التي يكتبونها؟ الرواية المكتوبة هي الصيغة الأخيرة لعملية التفكير بالرواية، لكن كيف توصل إلى ذلك وهو اجسه الإبداعية فالرواية المنشورة منجز مكتوب ونهائي بعد هذه العملية. هناك تقنيات سردية صعبة ومعقدة تحدث عنها روائيون كبار، غربيون بالطبع، ولم يستطع أي روائي عربي الاقتراب منها. ثمة استسهال في بناء الرواية. والروائيون ليسوا معنيين بالإبداع، معنيون بالنشر والترشح للجوائز. كم روائياً الآن يكتب من أجل الإبداع؟ أسئلة ستجدين إجاباتها صادمة ومحزنة إلى حد المصير الأسود للرواية المعاصرة، عربياً على الأقل.

وعلى الرغم من كل ما يقال حول الرواية ما زال هناك سؤال يدور في رأسي: هل يمكن أن يأتي يوم وتموت فيه الرواية كما ماتت المقامات والملاحم مثلاً؟ فالقصة القصيرة تحتضر وكذلك المسرحية، صحيح أيضاً أن "كل فن أدبي فيه إبداع ويستطيع أن يحدث في المتلقي الدهشه، ويجعله يخلق بالفكر والخيال، فهو لا يموت مهما ضعفت أنفاسه"، وهنا أتذكر كاتبة فلسطينيا أصدرت كتابين في المقامات، ولكنني لم أستطع قراءتهما، ويجب علينا الاعتراف أن حضور القصة القصيرة في المشهد الثقافي ضعيف جداً، وكذلك المسرحية خصوصاً أنه لم يعد أحد يكتبها إلا نادراً جداً، وصحيح أن هناك فوراناً في الرواية، لكنها حتماً ستموت يوماً لصالح فنون أخرى كما ماتت الملاحم والمقامات والسير الشعبية.

على كل حال، أشكر لك فضلك في الإسهاب في الرد على الرسالة السابقة، وأتمنى أن نلتقي قريباً، فقد حان الوقت الذي تصافح فيه عيناى جمالك البهى الذى اشتقت إليه بكل ما فى من قوة روحية وعقلية.

دمت بخير ومجد وألق، أرجو أن تتذكرينى وأنت فى معمعة العمل، وحاولى أن تكتبى لى عن أى شىء أردت، فالروح تسعد كلما نهلت من خمرة حرفك. أحبك

المشتاق إليك دوما

الجمعة: 2018/6/22

سيدتي العزيزة، شاعرة الجمال الإلهي، طبت شوقا وجمالا وحباً، أما بعد:

اسمحي لي بداية أن أستفسر عن أمورك وأحوالك، راجيا أن تكوني بخير، واسمحي لي مرة أخرى أن أثير ثرثرة محببة لي حول أصدقائي الجدد والقدامى، واليوم سأحدثك عن الصديق الجميل الكاتب الرائع رائد الحواري، لقد كتب عني وعن كتبي كثيرا، وأستعين به على النشر في صفحات الفيسبوك، وهو يسارع مشكورا لفعل هذا، على ما يكلفه ذلك من وقت، ويزيد إلى أعبائه عبئا إضافيا، فله مني كل الحب والمودة. إنه كاتب صديق رائع، لاحظني كم يتشابه الاسم والصفة رائد ورائع، إنها صدفة اللغة، هذه الصدفة المحببة للكاتب الذين يفرحون بها كلما صادفتهم فيما يكتبون.

صديقي رائد، يفاجئني هذا الصباح بمقالة أسعدتني، لعلك قرأتها على بعض الصفحات الفيسبوكية، كان يسترق أو (يسرق) ساعة أو ساعتين، فيأتي لزيارتي في مكتبي. دائما يحمل في حقيبته كتبا ليقرأ فيها، حتى وهو يسير على قدميه، أو في عمله مستغلا أوقات الفراغ والانتظار، أتذكر عندما أعطيت له نسخة مطبوعة من مجموعتي الشعرية "أغنيات لسمو نهدك" أخذ يقرأ فيها وهو يسير على قدميه ويضحك، حتى خشني أن يلاحظه أحد، ويصفه بالجنون! هل كانت تلك القصائد مضحكة؟ لا أظن. كانت صادمة، وحشية، تشتعل شهوة ونشوة.

هذا الصديق مثقف جدا، طليعي، ذو نزعة عقلانية، لا يحب التدخل بأحد، ولا يحب أن يتدخل فيه أحد، ذو نزعة اشتراكية، يساريا كان، ولكنه ليس ملحدا، وعلى رأي الشافعي مع بعض التحريف: "يحب الشيوعيين وليس منهم"، يحب أن يكون الدين عقلانيا، يكره كرها مضاعفا بعض "الشيوخ" الجاهلين في الدين. في واحدة من أمنياته المحقة يقول: "لو كان مسؤولا لن يعين من خطباء للمساجد إلا من كان أديبا فيلسوفا مفكرا وملما بالعلوم". إنه على حق تماما، وستعرفين في هذه الرسالة لماذا هو محق تماما.

في إحدى حواراتي مع زملاء العمل، قلت له لم يخرب الدين كما خربته طائفة من الشيوخ، فهم يستعبدون أفكارنا بأحاديث غير معقولة، إنهم يقدمون صورة ماجنة جنسية للدين. الكاتبة "سحر خليفة" تعيد على حسابها في الفيسبوك نشر فيديو لأحد هؤلاء "الدعاة" يظهر فيه وهو يقول إنه لا شغل يشغلنا في الجنة عن ممارسة الجنس مع الحوريات، وكأن الجنة في هذا التصور أضحت "بيت دعارة". مع تحفظي الشديد على هذا الوصف، إن هذا الفيديو وكثير مثله هو السبب ربما في تلك الموجة الصارخة من الإلحاد التي تجتاح "الفيسبوك" على نحو غير مسبوق، إنهم مسؤولون أولا عما يحدث، ولا أبرئ قطعا أولئك الجاهلين على الطرف الآخر الذين يدعون العلم والتفكير، بل إنني أراهم أحيانا أشد جهلا من المشايخ وأشنع طريقة في الرد، إنهم رداحون كذلك، وسطحيون وتافهون سواء بسواء كهؤلاء الدعاة.

هذه الحالة من العبثية في الدين والتفكير فيه وبه ومن خلاله لها مشابهة في "الفضائيات الدينية"، فقد كان أثرها أشد خطرا من فضائيات "العهر" و"الغناء" وحتى أفلام "البورنو". أتعرفين لماذا؟ لأن من يتابع تلك الفضائيات يتابعها وهو يعلم أنها ليست ديناً، وربما كانت "ضلالا" أو "لهوا

مباحا" أو "غير مباح"، ولذلك من كان "في قلبه مثقال ذرة من إيمان" لا يصدقها، ولا تبقى في ذهنه؛ مجرد متعة عابرة، ينسى أمرها. وينتهي مفعولها بمجرد انتقاله لغيرها أو بمجرد مغادرتها. أما من يستمع إلى الفضائيات الدينية فإنه يستمع إليها وفي ذهنه أنها دين، على الرغم مما فيها من سخافات وخرافات وسحر لا يقبله الدين نفسه، ويحاربه، ستسبب هذه الفضائيات في نفوس المشاهدين الإحباط، وبدلا من أن تعظم الله في النفوس تكون النتيجة عكسية، فالنتيجة التي ستوصل إليها المشاهد المسكين أن الله سفاح وقاتل و"سادي" لا يحب البشر، وكنت قرأت شيئا من ذلك في منشورات كثيرة. فما حاجة البشرية إذن لإله هو هكذا، ومن هنا يكون هؤلاء "الدعاة"، دعاة ضلال وتغيير، لا دعاة هداية وتبشير، لأنهم لا يعتمدون إلا على الخزعبلات والتخاريف والأوهام.

صديقي رائد وأنا ضقنا ذرعا بهذا الخطاب اللاعقلاني للدين، أتذكر عندما كنت مسؤولا في "حزب التحرير"، هذا الحزب المفترى عليه كثيرا، كنت تلقيت الإسلام تلقيا عقلانيا صرفا، ثم درسته في "حلقات الحزب" بطريقة عقلانية جدا لمدة تزيد عن عقد ونصف، كان الإخوانيون يتهموننا بأننا معتزلة العصر الحديث، كنا نرفض نزعة الخرافة واعتماد الفكر والعقيدة على الناحية العاطفية الوجدانية وحدها، وكانوا يتهموننا بأننا جفاة، لم نلمس "حلاوة الإيمان"، حتى في الشريعة نفسها كنا عقلانيين، ملتزمين بالناحية العقلية في التعامل مع النصوص، لم نكن نقدر المذاهب الفقهية السابقة، كنا نأخذ منها ونرد حسب ما يؤدي به اجتهادنا الشرعي العقلي الصحيح، وقد تعلمنا أن "كل الناس يؤخذ من كلامهم ويرد إلا صاحب هذا القبر"، الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. إنها في نظرنا لم تكن سوى أفهام بشرية غير مقدسة. ماتت تلك النزعة اليوم، يا عزيزتي، عند جمهور الناس، أصبحوا عاطفيين أكثر من اللازم، ومملين جدا أكثر مما ينبغي، وسطحيين إلى أبعد حدود السطحية، لا يفكرون، هؤلاء هم الكائنات الإلكترونية الشبكية التي يصدق عليها قول الروائي البيروفي يوسا: "إن الإنترنت ينمي المعرفة، لكنه يقلص التفكير". هذا حديث يوسا قبل ما يزيد عن خمسة وعشرين عاما، فما بلك اليوم، إن الإنترنت اليوم لا ينمي المعرفة ويقضي قضاء مبرما على التفكير.

كل هذه الآفاق كانت مدار نقاش مع الرائع رائد في جلساتنا اليومية، منذ رحل رمضان يا عزيزتي لم يزرني رائد في مكتبي، لا أدري ما الذي يشغله، لم أحدثه منذ مدة طويلة، ولكنه بالتأكيد مشغول، ويعاني من بعض الأرق بسبب انشغالات هذه الحياة التافهة.

إنني أحب هذا الرجل على نحو مختلف، أحبه لأنه مختلف، لا يمارس "الدعارة الثقافية" ولا "النميمة الأدبية"، إنه ليس أفكا ككثيرين من أصدقائك الكتاب، وليس نسوانيا مثلهم، وليس حاقدا كأغلبهم، وليس ذنبا بشريا كأسوأهم ذكرا، إنه إنسان يقدر العقل والعقلاء ويحترم الفكر والأدب، ولا ينظر في جنسية الكاتب أرجلا كان أم امرأة وهو يكتب عن نصوصهم إلا بقدر ما تدفعه النصوص لفعل ذلك.

لقد طالبت هذه الرسالة كثيراً، سأحدثك في مرة قادمة عن أصدقاء آخرين، لا أحب أن أثقل عليك في هذه الثثرة، فلعلك تقولين: وما لي أنا بأصدقائك؟ إن هجست روحك بذلك، فاعلمي أنك تقولين الحق والصواب، وإن رضيت مني هذه الثثرة فكرم وطيب أصل منك. أعرفت الآن لماذا وضعت السؤال عنواناً لهذه الرسالة؟ "من أين يأتيك الفرح؟"¹. أتمنى أن تكتبي لي بإسهاب إن استطعت، كرم إضافي منك لو حصل ذلك.

لن أحدثك عما جرى بيننا في الفترة السابقة، ولماذا لم أتواصل معك، لا أريد أن أعاتب، لأنني أعرف أنني مهزوم جداً في عتابك، أتمنى أن نلتقي قريباً جداً، لا أدري كيف سيكون حالنا، ومتى، ولكن ربما سنكون أفضل حالاً مما نحن عليه الآن. دمت بفرح وحب وخير.

الأحد: 2018-6-24

سلام عليك من الله محبة أو كارهة، مهتمة أو لا مبالية، أنانية مغرقة في أنانيتيها أو كريمة مغدقة. سلام عليك في كل الحالات والأوقات، أما بعد:

سأتابع في هذه الرسالة الحديث عن الصديق رائد الحواري، هذا الطليعي النادر حدوثه في دنيا الصداقة والثقافة والوفاء، كان رائد قد كتب إضاءة حول المجموعة الشعرية الخاصة جداً "أغنيات لسمو نهدك"، ونشرها في مجموعات الفيس بوك، إدارة إحدى المجموعات حذفت المقال، لدعوى أخلاقية! يعترض على ذلك ويرسل لهم الرسالة الآتية:

"ليس من الصواب أن نمارس دور الرقيب الرسمي العربي الذي أثقل كاهلنا باليمنوعات والمحرمات التي وضعها أماننا، أعرف أن القصائد تتجاوز المؤلف، لكنها تمثل الرد الحاسم على الواقع، لكي لا نصل إلى ما وصلنا إليه من خراب وقهر وتخلف، أقول من حق أي منا أن يكتب الأدب الذي يراه مناسباً، وعلينا احترام رأيه حتى لو وجدناه يخالف "العادات والتقاليد والعرف"، لأن دور الأديب دائماً يكمن في تجاوز السقف المسموح به. هناك ما يسمى الأيروس في الأدب، وهو الذي يتحدث بهذا الشكل، وفي المنطقة العربية لم يكتب فيه إلا القلة وفراس حج مجد منهم. لهذا أرى أن نكسر إحدى المحرمات التي وضعها النظام".

هذا الصديق مخلص لقضية واحدة فقط ألا وهي الثقافة، ولا شيء غير الثقافة. عندما نشر على صفحات الفيسبوك الرسالة التي "حول الرواية"، ومقاله القصير عني، أبلغني بالتعليقات، فأرسلها إلى بريدي الإلكتروني، وأحب أن أضع تلك التعليقات بين يديك. كنت أتمنى أن أجد لك تعليقا، ولكنك ربما استكثرت عليّ ذلك، أو لعلك لا ترينني جديراً بما قاله عني القراء، وربما لأنك كما قال عنك كثيرون "أنانية". أنا أعرف أنانيتك المفرطة بلا شك، جربتتها كثيراً، لكن لا بأس، لا أريد أن أذكر نفسي بها. فلنتجاوز عنها إلى ما هو نافع، مع أن هذا الإحساس مؤلم جداً.

¹ عندما كنت أبعث هذه الرسائل للنشر كنت أعنونها وأعطيتها أرقاماً متسلسلة كذلك.

ها هي التعليقات التي وصلتني حول الرسالة والمقال القصير، لعلك تجدني فيها ما يروق لك، ولعلها تثير فيك الاشمئزاز، لست أدري، لكنها على كل حال ها هي بين يديك، مجردة من الأسماء¹، وبغض النظر عما تقولينه فيها إلا أنها صورة من صور التفاعل الإيجابي مع ما يكتب الكاتب، وهنا أتذكر ما قاله فارغاس يوسا: "أن تكتب فهذا يعني أنك تذهب نحو الآخرين". وها هو رائد ذهب بي نحو الآخرين، وها أنا أذهب بي إليك. هات يدك النحيلة، لنذهب سوياً إليهم، فإلى هناك².

إلى هنا تنتهي التعليقات، امنحها جزءاً من الوقت لعلك ترينني بعين الرضا، هل عليّ دائماً أن أتوسل الآخرين لأكون جميلاً في عينيك. يبدو أن الأمر سيئ إن كان كذلك. كذبي الظن في أنايتك واكتبي لي، ولو سطرًا واحداً.

الاثنين: 2018-6-26

سلام من القلب أيتها الناعمة، الطيبة، النسمة الهادئة، أما بعد:

منذ هذه الرسالة لن أنتظر بريدي الإلكتروني ليحمل رسائلك إليّ، سأعفي نفسي من الانتظار، وأعفيك من "ثقل الرد"، ولكنني لن أنقطع عن كتابة الرسائل؛ أتوهم أنني أكتب إليك، أتوهم أنني أحدثك، لكنني لن أتوهم أنني أرسل إليك هذه الرسالة والرسائل القادمة، أو أتوهم أنني سأقرأ منك رداً على تلك الرسائل المتوهمة، وإن حدث لن يضيف جديداً ولن يكسر قاعدة.

اليوم قادتني الصدفة إلى قراءة رسائل قديمة، تعود إلى عام 2013، وأقارن بين تلك الحال وهذه الحال. فرق شاسع بين الحاليتين، وبون كبير بين الكائنتين؛ أنت في تلك السنة وأنت الآن. هل يحدث ويتغير الحال الآن كل هذا التغيير؟ لعلك ستقولين: "التغيير سنة الحياة". أتذكر ما قاله درويش: "أنت منذ الآن غيرك" و"أنت منذ الآن أنت!"

لم أشعر بالتعب وأنا أقرأ، ولذا قررت ألا أحذف تلك الرسائل، أستبقها كلما شعرت بالحنين لتلك المرأة التي كنتها يوماً. ولذا فقد قررت ألا تمتلئ لغتي بالحنين الساذج، وأن أتجاوز عن تلك المرحلة. سأخذ زيني عند كل رسالة أكتبها، سأغتسل، وألبس ملابسي الأنيقة، وأتطيب، وأسمع قدراً كافياً من الموسيقى، وأدخن، وأشرب فنجاناً من القهوة بلذة النشوة الأولى. وأجلس إلى مكتبي وحاسوبي الشخصي، وأبدأ بالهديان وثرثرة الكتابة كأنك هنا. منذ الآن، منذ هذه الرسالة لن أنتظر شيئاً. الانتظار يا عزيزتي قيد الزمن. يسلبني حريتي. أظل مرهوناً بالتوقع كل لحظة، أشعر أنني الآن حر.

¹ في الفصل الخاص بالتعليقات أعدت إثبات الأسماء.

² أفردت لهذه التعليقات وغيرها فصلاً خاصاً في نهاية الرسائل.

هل تعتقد أن الأمر سيزعجني؟ ولماذا سيزعجني؟ لا شيء سيحدث من ذلك. كل ما في الأمر أنه لا بد من أن نشعر بالحرية. إنها أجمل ما وهبه الله للإنسان، ليكون ذا كرامة، فلا كرامة دون حرية، ولا حرية دون كرامة، متلازمان، كتلازم الحب والوفاء، وتلازم الروح والجسد.

هل سبق وقرأت القرآن كاملاً؟ لا أعتقد ذلك، فأنت لست من أهله، ولا من خاصته. أنا كنت قبلك شغوفاً بالقرآن وبقراءته وتأمله. هذا أمر تم القضاء عليه قضاء مبرماً بسبب أنك سلبت مني حريتي. قد أكون مخطئاً في أنك لم تقرئي القرآن كاملاً. ولكن هذا توقعي، فكما قالوا البعرة تدل على البعير، ولا أثر يدل على أنك قرأت القرآن. هنا ضحكك ضحكة صفراوية، وربما أنت كذلك الآن. أتدرين لماذا؟ لأنني شعرت بالسذاجة من السؤال، ولكن لا يهم ما دمت أثرثر. وحتى لو أنك قرأت القرآن كاملاً وكل الكتب المقدسة، ماذا يعني؟ أظن الإجابة غير مشجعة على أن أقولها، لذلك سأحتفظ بها لنفسِي.

لعلك تقولين لماذا تحدثني عن القرآن؟ ولماذا تسأل عن القرآن؟ وأليس غريباً أن تسألني عن القرآن؟ نعم أسألك عن القرآن وقراءتك للقرآن، لأن الأغرب من السؤال هو عدم السؤال، ولأن القرآن أكد فعل الحرية للبشر، ومنح النفس أقصى مشتهاها، ولم يحل بينها وبين شهواتها، وممارسة أفعالها بحرية إلى درجة الاستعباد التام! ربما ستقولين يا لك من متفلسف ساذج! سأقبل منك هذا الوصف ما دمنا قد اتفقنا على أن نكون أحراراً، ونتحمل نتيجة أعمالنا التي استعبدتنا يوماً ما.

القرآن الكريم حرر العقول والنفوس والأرواح وربطها بالمطلق الكوني، هذا حكم ساذج جداً؛ لأنه بدهي ولا جديد فيه، والأشد سذاجة هو أن أرشدك إلى ما في القرآن من حكم أهم من كل مقتبسات "يوسا" و"سارتر" و"جبران" و"درويش"، وكل الفلاسفة والشعراء الذين أستشهد بأقوالهم. تذكرني مثلاً: "إنك ميت وإنهم ميتون"، ولاحظي المساواة بينهم، المساواة اللغوية، المساواة في الجمل، المساواة في التركيب، وفي عدد الكلمات، هذا التساوي اللغوي يقابله التساوي في واقع الموت الذي يجعل الإنسان حراً من كل قيد. كيف يكون الإنسان حراً بالموت؟ فلسفة زائدة عن الحد. أليس كذلك؟

اللغة في القرآن ذات هندسة عجيبة، وكما قال البلاغيون: الألفاظ على قدر المعاني. المساواة في الواقع تفرض المساواة في الخطاب، إنه وجه آخر من وجوه الحرية. هل أقول عليك بقراءة القرآن وتأمل محطات الحرية البشرية. حوار البشر للبشر، حوار الله للبشر، حوار الله للشيطان وللملائكة؟ الحوار أيضاً فعل حرية عميق الدلالة. هنا تجاوزت حدود السذاجة قليلاً، فالفكرة نوعاً ما طريفة.

أتظنين أنني ابتعدت عن الموضوع؟ لا أبداً، فأنا أولاً وأخيراً أثرثر، ولا أكتب بانتظام، أمارس حريتي في هذه الثثرة، لذلك سأكون حراً أكثر. أنا أكتب دون أن يستعبدني الظرف والحب والحاجة والانتظار واللغة والمنطق والهذيان.

هل حدث وفكرت يوما بالحرية على نحو أعمق من حرية شخصية وحرية دين ومعتقد وسلوك؟ هل فكرت بأبعد من حرية القشرة الخارجية إلى حرية أعمق "الحرية الداخلية". أن تشعر أنك وحدك وحدك، أن وحدك من يسيطر على نفسك. هل حدث وتخلصت من أن يستعبدك جمالك. أوقاتك. عملك. أصدقاؤك. كتبك الرابضة في عقلك وتنهش جزءا من حرية تفكيرك؟ تخلصي مني. منك. من أنانيتك المفرطة. من كل شيء لتشعري بالحرية، ولكي أشعر أنني حر أيضا، ولأجل هذه الحرية والتمتع بها، فأنا مجاز هذا اليوم!

المشتاق لحرية...

الأربعاء: 2018-6-27

الجميلة والعزيزة الغالية، مساؤك الشعر، وصباحك الأغاني، أما بعد:

ما زلت أذكر مقطعا شعريا لدرويش من قصيدة "يطير الحمام، يحط الحمام"، وأحب أن أرددته كلما تذكرتك:

"أعدّي لي الأرض كي أستريح
فإني أحبّك حتى التعب
صباحك فاكهة للأغاني
وهذا المساء ذهب"

قبل أن أحدثك عن الكتابة أود أن أحدثك عن القراءة قليلا. ففي هذه الأثناء منشغل كثيرا بقراءة الكتب المترجمة، أحب جدا أسلوب الكتاب الأجانب في الكتابة، على الرغم من أن الترجمة قد تذهب بعض المعنى وألق الأسلوب، ولكنني أختار كتباً لمترجمين مبدعين في الترجمة أولئك الذين يهمهم المحافظة على حرارة النص الأصلي. أقرأ حاليا كتاب الرسائل المتبادلة بين الفيلسوف الألماني مارتين هيدغر والفيلسوفة اليهودية حنة آرندت، قصة حب طريفة في غرابتها، إذ كيف يجمع الحب بين يهودية صهيونية (تخلت عن الصهيونية بعد ذلك)، وبين فيلسوف نازي هتلري التوجه والنزعة؟ وإن دافع عن نفسه في إحدى رسائله لحنة أنه ليس ضد اليهود، وأنه قدم مساعدات لطلاب يهود، سواء في مناقشة أطروحاتهم للدكتوراه أو توفير منح للدراسة.

والآن، أصغي إليّ قليلا، سأحدثك عن الكتابة.

لم أعد أكتب شعرا كما كنت أكتب في السابق، أشعر أنني في ضمور مستمر، لعلك أنت السبب. فكم أشتهي أن تشتعل قريحتي لأعاود كتابة الشعر، اليوم القصيدة لا تطاوعني ولا تزورني بتاتا، كأنها هجرتني هجرانا قاسيا، ليس فقط القصيدة، بل المقال والقصة أيضا يتراجعان. هذه الرسائل هي آخر إمكانياتي اللغوية. ما العمل؟ هل لديك حل لهذه المشكلة؟ هل ما زلت تعانين مثلي من صعوبة الكتابة؟ المشكلة في الكتابة أنها كائن حرون، أو أنها كحلم عزيز شهوي، لا تحضر بسهولة،

إنها مشكلة كبرى. حتى هذه الرسالة أكتبها وأنا أجز الكلمات جراً، وأكرر المعاني تكراراً ساذجاً، لا رغبة لديّ في الكتابة. أراها أمراً تافهاً أحياناً.

ما فائدة الكتابة؟ أظن أنه لا فائدة منها حالياً، وخاصة بيننا؛ فلا شيء مشترك يجمعنا لنعبر بها عن هذا المشترك الفكري أو العاطفي، ما بيننا حالة من الهدوء المشوب بالحدز، حالة تشبه اللاسلم واللاحرب، اللاصداقة واللاحب، حالة غريبة، تجعل الكتابة عبثاً مطلقاً. هذه الرسائل أراها بلا قيمة؛ ما جدوى أن تقرئني ميني رسالة كل أسبوع أو يومين أو ثلاثة أو شهر أو سنة؟ هل عندك حل لمشكلة الكتابة؟ كنت أظن سابقاً أن قبليتين خفيفتين منك تجعلان الوحي ملاكاً نشطاً. لم أحظ بهاتين القبليتين حتى الآن، ولكنني كتبت شعراً كثيراً ومقالات في السابق. كيف تقيمين ما كتبت؟ لعل أكثره بسيط عادي لا يثير الدهشة، ولو سألتك أن تتذكري شيئاً مما كتبت من شعر فإنك لن تتذكري أي جملة أو عبارة أو بيت. أتذكر ما قاله صديقك الروائي متوصلاً إلى قناعة أنني لست شاعراً جيداً، وقد وافقته يومئذ على ذلك. أليس كذلك؟ ولست سارداً جيداً أيضاً، وأخيراً لست كاتب مقالات جيداً بالتأكيد.

هل سبق وقلت لك إنني بعثت مقالات كثيرة لعدة صحف ومجلات، ولم ينشروا شيئاً منها، إنها تافهة ولا تصلح للنشر، هذا مؤكد أيضاً. صحيفة الرأي الأردنية لم تعد تهتم بما أرسله للمحرر الثقافي. كان ينشر لي أسبوعياً، ثم كل أسبوعين مرة، ثم كل شهر مرة، وتوقف أخيراً عن النشر. يبدو أنه قد مل أسلوبي السقيم في الكتابة. صحيفة القدس الفلسطينية لم تعد تنشر لي منذ ما يقارب العامين، لا مقالات ولا أخباراً ثقافية، لا أدري ماذا دهاني أو دهاهم، لا أفكر بمراجعتهم، فهم على مستوى عالٍ من الذوق، سيقولون لم يصلنا منك شيء يا أستاذ، كما فعل معي أحد محرري المواقع الإلكترونية، عندما راجعته، فقال لم يعد يصلنا منك شيء، وعندما سألته هل تغير البريد الإلكتروني قال لي هو هو لم يتغير، رجعت لقائمة الصحف في البريد الإلكتروني ها هو بريدهم، وأرسل لهم. في النهاية ليس لي عليهم ضريبة لازم. أحراراً كانوا عندما نشروا وأحراراً عندما امتنعوا وتمنعوا.

صحف أخرى هي أيضاً لم تعد تنشر لي، القدس العربي، والعرب اللندنية، والأيام الفلسطينية والحياة الجديدة، عدا أنهم نشروا رسالة "إنك تحرثين تربة روجي"¹ فقط ومنذ مدة طويلة لم ينشروا. صحيفة الوطن العمانية هي أيضاً لم تعد تنشر لي، خسرت الكثير من المنابر الصحفية، مجلة شؤون فلسطينية توقفت زاويتها الثقافية عن الصدور لصالح السياسية فخسرتها أيضاً. هناك مجلة عربية تصدر في منطقة الأهواز (المداد الثقافية) اتصل محررها بي، واتفقنا على أن يكون في كل عدد مادتان لي، مقال وناظرة، توقفت المجلة عن نشر الموضوعات التي أرسلها على الرغم من أنهم هم من اتصلوا بي، كما فعلت بي محررة موقع "الصدى نت"، لم تنشر لي وهي التي

¹ رسالة الاثنين: 2018/5/21.

اتصلت بي وكان يسرها أن أكون ضمن أسرة كتّاب "الصدى نت"، لقد خاب ظنها وخاب ظني بالتأكيد.

هذه أسباب تحبطني كثيرا، لا تخلق فيّ حافزا ضروريا للكتابة، لذلك أترجع عندما تأتيني فكرة مقال ما. أكتب المسودة أو بعض الأفكار على الأجددة، ثم أتكاسل كسلا شديدا. مات الكثير من المقالات، وقبر العديد من بنات الأفكار. فكرة أن تكتب لنفسك فكرة سقيمة جدا، لا بد من أن يكون هناك قراء، ومحفزات ودوافع (هناك فرق بين الدافع والحافز في علم النفس)، فما بالك إذا كل ذلك قد تبخر: القارئ والحافز والدافع، حتى أنت، وأشك أنك تقرئينني، فهل يمكن أن تضحي بفخامتك من أجل سطحيّتي؟ لذلك أتوقع أنك لم تعودى تقرئين لي. إذن لا قراء ولا دوافع أو حوافز، فلماذا يكتب الكاتب إذن؟

أيتها العزيزة، عندما يمر الكاتب بأزمة مثل هذه يلزمه الراحة والاستجمام، وأنا ليس عندي المال والوقت الكافيان لمثل هذا، النتيجة الطبيعية ما تشاهدينه من تعثر وتخثر في الكتابة. أدرين ما هي أكبر مشكلة قد يمر بها الكاتب؟ أن يتوهم أنه كاتب وهو لا يعني شيئا للآخرين؛ قراء وناشرين. ولا لأقرب الناس إليه، كحبيبته مثلا، أن تكتشف ذلك بعد ربع قرن من ممارسة الوهم، أتصور كم أهدرت من مال، ووقت، وحبر وورق وأعصاب وراحة بال. يا للخسارة العظمى! ما الفائدة؟ ما النتيجة؟ إنها صفر.

ما الذي يرجع لي حيويّتي في الكتابة حتى وإن كانت وهما كبيرا؟ هل باستطاعة قبلتين خفيفتين منك ستجعلانني قادرا على استعادة نفسي على الأقل أمام نفسي لتعود مقدرتي على الكتابة؟ إن استطعت أن تكتبي إليّ فاكتي، لعلي أتقوى على كلماتك ما دامت قبّلتك الخفيفتان أمينتين بعيدتين.

وأخيرا أعرج قليلا على رسائلك القصيرة الأخيرة، رسالتك الأولى: "مرحى لهذا التحرر اللامشروط، أغبطك صراحة"، لا أدري على ماذا تغبطينني لم تكوني واضحة، على الرغم من فهمي لعبارتك على هذا النحو: "ماذا ينقصك لتتحرري منك أولا حتى تستطعي رؤية من يحبك بعين الحرية. المشكلة أنك لست حرة ومشكلتي أيضا أنني أحاول أن أكون حراً".

أما مسألة الانتخابات وحضورك، فهي مراوغة؛ لأنك "عضو عامل" كامل الأهلية ليس في ممارسة حق الانتخاب فقط، بل في الترشح كذلك، وانسجاما مع ما أسلفت من سقم أسلوب في الكتابة، فمن الأفضل ألا تنتخبينني، بما أنني لا أصلح للكتابة أساسا، وأعفيك من واجب اختياري، بل لا يصح أن أجعلك تختارينني، فأنا بالتأكيد لست كفتا لهذه المهمة، هناك من هو أكفأ مني من وجهة نظرك، أعفيك من هذه المهمة، لكن لن أعفيك من أنعم برؤيتك بين جموع الكتّاب يوم الانتخابات.

أراك في الخامس من تموز، فهو شهر عيد ميلادي الذي تنسينه دائما.

الجمعة: 2018-6-29

مساؤك كما ينبغي أن يكون.

أشعر بالتعب، والضيق، لا أدري لماذا. ربما لأنني لم أسمع صوتك منذ مدة طويلة، إنك تنقصيني على نحو حقيقي. أكتب لك مباشرة على الحاسوب، لأنني أخشى أن أتكاسل في طباعة رسالة مخطوطة بخط يدي غير المقروء. أجد صعوبة بالغة في قراءة خطي بعد مرور وقت على الكتابة.

منذ الرسالة الأخيرة قبل يومين كتبت ثلاث مقطوعات شعرية، أحدثك عنها بما يتسع به الخاطر وتسمح به القدرة. المقطوعة الأولى كانت هكذا:

أحتاج لأكثرك

أحتاج دفاء يدك

أحتاج بحراً هائجاً كيما يغرغري الموجُ بعمق شهيتك

أحتاج ليلاً كاملاً كي تنبت الأشجارُ أوراقاً على ضفافِ رهافتك

أحتاجُ ضوءاً هارياً من زرقة الأفلاك

لأشاهد الأسماء تتلى في اكتمال محارتك

أحتاج سمرتك الشّهية في دمي

كأساً لذيداً في طقوس غوايتك

أحتاجني وتراً ونأي

أحتاج أكثر أكثرك!

أعود إلى المقطع أردت أن أغيّر فيه قليلاً، غيرت بطبيعة الحال، أحد القراء لم تعجبه كلمة "تغرغري"، لكنه لم يفهم عميقاً ما قصدته فيها، حتى اضطررت أن أشرح له شيئاً من مدلولها النفسي، فالكلمات ذات بعد نفسي عاطفي، وهي ذاكرة لهفة ووجع. قلت له: "اتركه (يغرغري) الموج، ألا تجد التكرار في المقطع والتكرارية الداخلية التي يمنحها حرفا الغين والراء التكرارية إنها تناسب المعنى جداً ولا لفظ يصلح دونها". ربما اقتنع بهذا التفسير، ولكنه على كل حال لم يناقشني. هذه المقطوعة مكتوبة يوم الأربعاء، يوم أرسلت لك الرسالة الأخيرة.

ثمة كلمة أخرى وقفت عندها مرات كثيرة، "سمرتك". لست سمراء لأكتب هذا التعبير. وودت لو كنت سمراء ربما. لم أفلح في تغييرها فأبقيت عليها. السطر "كأساً لذيداً في طقوس غوايتك"، هممت في تغييره على النحو الآتي: "كأساً لذيداً من نبيد غوايتك"، لم تعجبني كلمة (النبيد). خصوصاً أنني لم أشرب في حياتي أي مشروب كحولي. أحسست أنني سأوقع نفسي قبل القارئ في الوهم والتصور غير الحقيقي.

وقبل أن تقرئي المقطوعة الثانية شعرت أن هذا النص ذو شهوة روحية وليست جسدية، فيه رغبة مدفونة لشيء ما. أترك لك التوقع إن أردت الكتابة في ذلك فسيسعدني بكل تأكيد.

ما رأيك الآن في هذا المقطع:

بعدُ

لم تقرعِ الجرسَ امرأةُ الجرسِ

الصوتُ ما زال شهياً كامرأةٍ شربت من الحبِّ صوتاً وهمسُ

النوم شهياً هذا اليوم

كاد الصباح ينتصف

فاقرعي جسد الجرسِ

ولتقرئي صوتي المعلق ههنا ما بين جملة حبِّ ودفقة حدسُ

يا امرأةُ الجرسِ الشَّهْيِ يرقصُ الإيقاعُ فيَّ بشهوة الماءِ

موسيقى وأنفاساً وحسُ.

وقعت على استعارة بديعة، "المرأة الجرس"، كيف تكون المرأة جرساً؟ في الواقع المرأة كلها جرس، وإن لم يكن في الواقع، على الأقل في التصور الشكلي للمرأة، وخصوصاً عندما ترتدي فستاناً قصيراً، يبدو ساقها متحدين كلسان الجرس. وذلك الفستان كأنه قبعة الجرس الخارجية، فم المرأة أيضاً جرس، أسترجع زغاريد النساء، وكيف يبدو اللسان متردداً في جوف الفم. يتحول المشهد كله إلى قرع الجرس. والأدهى من ذلك، فرج المرأة جرس، عند الممارسة جرس وعند الاشتهاء وتفتحه شعوراً بالرغبة أيضاً جرس، فيه ما يشبه اللسان، إنه يتخذ موقعه فيه كأنه الجرس. وأخيراً الثديان جرسان متماثلان حجماً، كل ما في الجرس التقليدي النحاسي الذهبي يماثله في الثديين الناعمين المتألئين. إذن المرأة هي مجموعة أجراس في جرس أكبر. هل تثير الصورة سخرية أو امتعاضاً ما؟ لا أدري أشعر أنه كذلك.

كانت المقطوعة السابقة ذات بعد شبيقي كما تلاحظين من شرح الاستعارة، والآن إلى المقطوعة الأخيرة التي كتبت صباح هذا اليوم:

أريدك امرأة تجلس عند رأسي تكتب فيه جملة من فلسفة

تشبع الأفكار فكرا فلسفيا جائعا لكيثونة الحب العظيم

أفكرُ فينا عندما يجتمع الفلاسفة الأنقياء على مائدة الكتب

ينتظرون تحقق المعضلات الفلسفية في رحيق الفكرة الأخرى

يا امرأة النداء الأخيرُ

كوني اشتها السَّماء الآخرة

واحتدمي كشمس تغسل نفسها في النَّهر كلما لاحت تباشير الصباح

أفكر مليا فيما قلته، أراه غامضا قليلا، أترك لك التعليق، إن رغبت في ذلك.

أمر آخر أود أن أقوله لك في هذه الرسالة، أجد صعوبة بالغة في الاستماع إليك عبر الهاتف، لا أدري لماذا؟ لأجل ذلك لم أرد على اتصالك أمس، ثمة شيء داخلي يشعرني بالوجع. أرجو أن تتفهمني ذلك. وأكون لك ممتنا، لا أعرف إلى متى ستظل هذه الحالة مصاحبة لي. لكنني بالفعل أرغب في عزلة تامة إلا عن قراءة رسائلك أو النظر إلى صورتك. رجائي الأخير اكتبني كأنك تتحدثين إليّ، لعل ذلك يُفطع جسد اليأس ويذيب جليد روحي.

تحيات حارة وقبلات أرجو أن تكون دافئة.

السبت: 2018/6/30

العزيزة الغالية تحية ود ومحبة.

ما زلت أشعر برغبة شديدة في أن أتحدث إليك وبثرثرات محببة وحميمية، أحب أن تكوني بقربي دائما. أقرأ في هذه الأثناء في ثلاثة كتب معا، كتاب مترجم بعنوان "الأيروسية" لجورج باتاي، كتاب فلسفي مرهق، لذلك أقرأ فيه ببطء شديد، على الرغم من أنني معتاد على قراءة كتب الفلسفة، وأقرأ في أغلب ساعات الفراغ الرسائل المتبادلة بين حنة آرندت وهيديغر، علاقتهما رائعة وجميلة جدا، أنهيته اليوم صباحا، قبيل البدء بكتابة هذه الرسالة. وأعرج أحيانا على القراءة في العدد الأخير (عدد حزيران) من مجلة العربي الكويتية، أحب قراءة موضوعاتها الثقافية، فهي تمنحني الاتصال المباشر بكل جديد، وعموما أحب قراءة المجلات وأحرص على اقتنائها.

ما زلت أتابع الشأن الثقافي العام، ألاحظ أن صحيفة القدس الفلسطينية لم تعد تنشر صفحةً أدبية منذ مدة طويلة، في العادة كانت تصدر صفحاتها الأدبية كل جمعة، وأحيانا تصدر مع عدد يوم السبت. الآن لم تعد تنشر هذه الصفحة لا في عدد يوم الجمعة ولا في عدد يوم السبت. الصحافة الثقافية في فلسطين تعاني من خلل كبير، سواء في انتظام صدور الصفحات في الجرائد والمجلات أو في المادة المنشورة، ثمة مافيا ثقافية تسيطر على الصحف. عقلية الاستحواذ والديكتاتورية واضحة أيضا في الثقافة يا عزيزتي، ولعل لك بعض الملاحظات، وانتبهت لبعض مشاكلها. عموما لا شيء يسير كما يريد المرء في هذا البلد أو أي بلد.

اطلعت أخيرا بحكم متابعتي الثقافية على ما نشر من مقالات أدبية، مقال صحفي حول تخريب الفيسبوك للأدب العربي الحالي، ولي في ذلك قول موسع، نشرته سابقا، وتوسعت فيه في كتابي "بلاغة الصنعة الشعرية"، وتحقيق صحفي حول القصة القصيرة جدا، وأثر الفيسبوك فيه وفي شروط إبداعه وتكوّنه، من شارك في هذا التحقيق لا يظهر أن لديهم قدرة على معرفة ما هو فن ال (ق ق ج) وتغيب عن أذهانهم الكتب النقدية التي تناولت هذا الفن. حتى الكاتبة التي أعدت التقرير ينقصها الكثير من المعرفة. لكن لا بأس هذا هو حال الصحافة الثقافية: الابتسار والاختصار المخلّ، ف "إلى الجحيم أيها الليلك"، على رأي سميح القاسم. تجربتنا المشتركة في هذا الفن متواضعة، أقلعت أنا عن كتابتها قصصا ونقدا، وانتهت بالنسبة لي مع ما كتبت في كتاب "دوائر العطش" وكتاب "ملامح من السرد المعاصر - قراءات نقدية في القصة القصيرة جدا".

ومن المتابعات الأدبية، قرأت مقالا حول رواية "اليد الدافئة" كتبه واسيني الأعرج ونشره في "القدس العربي"، وألاحظ كيف يكتب الروائي عن الروائي والصديق عن صديقه، وأتابع بشغف ما يكتبه الدكتور عادل الأسطة حول رواية واسيني الأعرج عن مي زيادة، وتحليلاته للرواية وأفكارها، وأعجبني ما تحدث به عن المثلية عند مي في وقتين منفصلتين، وعرج كالعادة على المثلية في الأدب العربي قديما عند أبي نواس وغزله بالمذكر وفي كتاب أبي حيان التوحيدي "الإمتاع والمؤانسة" ويذكر بيتين من الشعر منقولين من كتاب التوحيدي ويحذف الكلمات العاهرة! أتذكر هنا كتابا مهما كنت قرأته سابقا وموجود لديّ "المتعة المحظورة".

ثمة أخبار ثقافية شتى أيضا اطلعت عليها؛ "سامي مهنا" يفوز بجائزة اتحاد الكتاب العرب لهذه السنة مناصفة مع الشاعر "معين شلبية"، أثار هذا الفوز أسئلة كثيرة لديّ فما هو أثر هذين الشعارين في الساحة الشعرية والأدبية، ثم اعتبارات لا أدبية لهذا الفوز من وجهة نظري.

وحول الإصدارات الجديدة، هناك العديد من الإصدارات شعرية ونقدية منها صدور ديوان للشاعر عمر شبانة في مصر، وكذلك ديوان جديد صدر في مصر للشاعر موسى الحوامدة، وثمة خبر حول تكريم إبراهيم نصر الله في باريس، نظمته معهد العالم العربي، وذلك لفوزه مؤخرا بجائزة البوكر. وأتابع من انتقل من الكتاب إلى الرفيق الأعلى. على الرغم من عزلتي الثقافية إلا أنني ما زلت متابعا

لتجليات الحركة الثقافية، هناك لوم من الكثيرين عن تقصير المثقف الفلسطيني وتراجع دوره، ليس غريبا هذا، فالمثقفون إجمالا يميلون إلى العزلة والابتعاد عن وجع السياسة.

في حمأة الانشغال بانتخابات اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين، ثمة (كوتة) فصائلية تفرض أن يكون ضمن الهيئة الإدارية للاتحاد كاتب واحد فقط من المرشحين المستقلين، وعلى ذلك فأنا أتنافس مع الدكتور حسن عبد الله. سيكون واحد منا عضوا في الهيئة القادمة عن المستقلين، إن الحزب الحاكم ومرشحيه والقائمين على أمر الانتخابات يفضلون الدكتور حسن عبد الله، فهو دكتور أولا وثانيا مقرب من الحزب الحاكم. مهزلة أليس كذلك؟ طرح اسمي صديق على اللجنة المتابعة للانتخابات وله أسبابه الوجيهة، كما قال لي، أولا أنني كاتب ذو توجهات إسلامية في العمق، وكل أعضاء الهيئة هم إما علمانيون أو يساريون، ما يعني أنني سأحدث فرقا في الهيئة الإدارية التي يجب أن تراعي جميع التوجهات. وذكر أيضا أنني مطلع ومتابع جيد لحركة الثقافة المحلية والعربية، وهذا كما قال ضروري جدا لأعضاء الهيئة الإدارية، وأخيرا ذكر أن لي مؤلفات تؤهلني لأكون "بروفسورا". أشك في هذه الثالثة بالتأكيد، ولكن ما دام هو يراني هكذا فليكن مع تقديري لشخصه وحبه. وأضاف خلال الحديث أنني معروف لدى جمهرة الكتاب والمثقفين، إذن له أسباب وجيهة جدا. أتمنى أن أنجح في الانتخابات، فثمة برنامج مبلور في ذهني لتنشيط الحركة الثقافية وربط الاتحاد بوزارة التربية ووزارة الثقافة، ورغبتي عارمة في تعديل القانون الأساسي للاتحاد، فثمة مستجدات كثيرة حدثت لا بد من أن يكون هناك تعديل في القانون الأساسي لاستيعابها، سأحدثك عن الفكرة لاحقا. الأمر كله ليس بسيطا بالتأكيد ولكنني سأحاول عبر الطرق القانونية اللازمة في هذا المجال، إن قدر الله أن أكون عضو هيئة إدارية للاتحاد.

كم كنت أتمنى لو أنك أرسلت لي رسالة أو سطرا، أو لو تفضلت عليّ بكلمة واحدة، ردا على الرسالة السابقة، لكن ربما تكونين غضبي عليّ قليلا، لما جاء فيها. اليوم السبت سأكون مشغولا بعزاء أحد أقاربنا فقد توفي أمس، وهو جارنا أيضا، واليوم سيكون الدفن، ولا بد من المشاركة في المراسيم كلها، والمكوث في بيت العزاء، وربما تمكنا كذلك وصديق لي زيارة أحد الأصدقاء في المستشفى اليوم عصرًا، وزيارة الفنان الكبير (أبو نسرين). ضرينا معه موعدا هذا اليوم، فهو يبحث عن كلمات جديدة بمزاج جديد، لعله يختار بعضا من قصائدي لتغني، سيكون ذلك فتحا كبيرا بالنسبة لي. لا تنسيني من دعائك.

أحييك تحية خاصة، متمنيا لك بكل ما أملك من قوة الصحة والسلام والحب الدائم وتفتح الشعر وبساتينه لتورق القصائد على شفتيك حلوة نضرة. تذكري بعد شهر بالتمام والكمال من الآن هو عيد ميلادي الخامس والأربعون، هل ستتذكرين أم ستنسينه كما حدث ونسينه العام الماضي ما أشعل خصومة قصيرة الأمد بيننا؟

وإلى لقاء...

الأحد: 2018/7/1

أسعدت أوقاتنا، وكللك الله بالصحة والجمال ومتعك بالحب.

ذكرت لك في الرسالة السابقة أن هناك موعداً مضروباً مع الفنان أبو نسرين، صاحب التاريخ الفني الطويل والمتنوع. فقد حظينا بشرف لقائه يوم السبت 2018/6/30 في منزله في مدينة رام الله، بيت هادئ تسوده روح الفن، كل شيء فيه بدأ متناغماً كلحن سلس، ثمة أعواد ثلاثة وربما أكثر مركونة في زوايا غرفة الجلوس، شهادات تكريم ودروع وصور، عندما دخلنا كان يستمع إلى الفنانة الفلسطينية الأصل ماجدة الرومي، وهي ابنة الملحن الكبير حليم الرومي، كان التلفاز على كل حال صامتاً، كنتُ مسروراً بهذا اللقاء وكان أبو نسرين مبسوطاً كذلك. تعرف إليّ وعلى عملي، يبدو أنه يعرفني من خلال صديقي إسماعيل مهندس هذا اللقاء، وحديثه عني.

كان حديثاً طويلاً شائقاً، مكثنا في بيته ما يقارب الأربع ساعات، مرت كأنها لحظات، أتينا فيها على موضوعات متعددة، سياسية وفنية وثقافية، وأحوال البلاد والعباد، وحدثنا كذلك عن قصة اغتيال الفنان ناجي العلي، وكانت تربطه به وهو في الكويت صداقة متينة، وذكر الشاعر أحمد مطر وقصة مسرحية سرحان سرحانة سرحان، والأزمة التي حدثت جراء إدخال (أبو نسرين) لقصيدة أحمد مطر "الثور والحظيرة" لتكون ضمن سياق المسرحية وانتهت الأزمة بعدم أدائها على المسرح وقد عرضت المسرحية في الكويت بمشاركة فنانين كويتيين.

وتحدث أبو نسرين عن أعماله الأخرى المهمة من مثل: يوييا يا ولاد حارتنا، وصعد يا شعبي صعد ثورة الحجار، والعرس الفلسطيني، وكذلك مشاركاته في المهرجانات بجانب أساطيل الفن العربي في جرش والمغرب وأمريكا وكندا. وحدثنا كذلك بحب عن عشقه للتراث وكيف كان يجمع أغاني التراث من الناس مباشرة ويوثق كل نص من ثلاثة أشخاص بأسمائهم الرباعية وبلدهم.

أبو نسرين كان يبحث وما زال عن الكلمة والنص الخالدين، لأنه ذو رسالة فنية خالدة، وقد حظينا منه بأن أسمعنا نصوصاً جديدة عن الأسرى وكيف جدد في أحان التراث الفلسطيني.

أبو نسرين علامة فارقة في الفن الملتزم وشرف لنا أنا وصديقي إسماعيل حج محمد أن التقيناه، سيكون لنا عودة أخرى بعون الله.

الاثنين: 2018-7-2

أيتها العزيزة الغالية.

أسعدك الله وكل رحلتك بالنجاح، وعدت إلى ربوع الوطن والأهل والأصدقاء بالسلامة.

لقد سرتني رسالتك بالتأكيد، كانت نابضة برقصة النشوة، مع كل كلمة من تلك الكلمات الحلوة السلسة، تتابع دون انقطاع للحديث عن الرحلة، يا لله كم أن اللغة حاملة لنفس كاتبها! وهنا

بدوت مفعمة بالفرح والحب والحياة واستخدامك للألفاظ مشع كالبريق في سماء زاخرة بحدائق الورد، بكل تأكيد أيضا تستحقين التكريم، رغما عن التلعثم بالكلمات، إنه يزيدك جمالا على جمال! فلا تبتئسي.

تدفعني رسالتك الشهية تلك أن أتحدث لك عن السفر، وأهميته للكاتب. يعترف الكاتب الأمريكي جون هوبكنز أن السفر مكون ضروري للكتابة، ويقول: "لو أني بقيت في الولايات المتحدة الأمريكية لن أكتب أبدا، وجب عليّ أن أسافر، أن أتعلم، أن أعرف العالم، هذا أمر ضروري وجوهري"، في رسالتك صدى لقول هوبكنز "مستمتعة بهذه التجربة، أتاحت لي التعرف على عالم مختلف، وثقافة مختلفة". صديقي الكاتب رائد الحوارية أشار عليّ يوما ألا أظل حبيس غرفتي، قال: "يجب عليك أن تخرج من معتزلك لترى الطبيعة والناس ومشاهدة الأشياء والعيش معها".

يبدو "أن السفر مدرسة ثانية، فالرحلة تخلق الكاتب حين تجد التربة والمناخ وهي رحلة في الذات أيضا"، كثيرون تحدثوا عن السفر يا عزيزتي، فالشافي رحمه الله يعدد ست فوائد للسفر، ويشبه ذلك بجريان الماء الذي "إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب". الرحالة كتبوا أعظم كتاباتهم وآثارهم نتيجة أسفارهم، الرحالة المسلمون والغربيون، كانوا يدركون أهمية السفر. والأساطير كذلك تجدين فيها موضوع السفر؛ في أسطورة جلجامش وبحثه عن الخلود ثمة سفر، رحلة الأوديسا كذلك، ودينيا كذلك أعظم ما يشار إليه رحلة الإسراء والمعراج. فالسفر مهم تماما كالعزلة، والقراءة والانفراد بالذات لسماع صمت العالم.

أعود لما كتبتة إليزابيث جيلبيرت في روايتها السيرية "طعام، صلاة، حب"، أعود إليها لأنها قائمة على السفر، سافرت إلى إيطاليا، حيث غرقت في شهوة الأكل حتى زاد وزنها عشرين كيلو غراما، ثم إلى الهند حيث غرقت في التأمل الروحي والصلوات الروحية، وأخيرا تتوجه إلى أندونيسيا حيث توجت رحلتها بالحب، فتغرق في شهوة الحب إلى أقصى حد، زاد وزنها، ثم فقدت تلك الزيادة، واستقرت نفسيتها بالحب، ثلاث جغرافيات، كانت مهمة لتنضج التجربة.

تدفعني رسالتك لأقارن بيني وبينك، أنا شخص متفوق على ذاتي، افتراضي، لا أعرف من العالم سوى الأسماء والصور، وأغرق في القراءة. ويدفعني ذلك للمقارنة أيضا بين القراءة والسفر والاستمتاع بالطبيعة. قد تقرأ قصيدة جميلة عن الطبيعة كقصيدة البحترى مثلا "أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا"، فيصلك شيء بسيط من تأثيرها، ولكن لو أنك عشت هذا الربيع وتماهيت مع الطبيعة وتعمقت فيها، وأحسست أنك جزء مادي ومعنوي منها، ستبدو قصيدة البحترى وكل قصائد الطبيعة على جمالها والنشوة فيها، باردة باهتة، لأنها كما يقول أفلاطون محاكاة، والمحاكاة أضعف أثرا من الأصل، سيعتمق في داخلك شيء لن تجده في القصائد، ولن تستطيع اللغة أن تحمله إليك، وأنت تشعر أنك تلامس الجمال الإلهي بكل رقة ووجدانية وجاذبية.

أغبطك أيتها الغالية على أسفارك الكثيرة، فقد زرت الأردن ومصر والسعودية والإمارات وتركيا وتونس وإيطاليا، وربما أيضا دولا أخرى لا أعرفها، وتمتعين بشبكة علاقات واسعة وممتدة وقوية

من كل الأعمار والجنسيات، مع أنها تشعرني بالضيق والضجر، وأنت تعلمين لماذا، كل ذلك يؤهلك لتكوني كاتبة من طراز خاص.

ربما أنك تقرئين أقل مما أقرأ في الكتب، لكنك تقرئين أموراً لم يحدث أن قرأتها أنا، الثقافة الأخرى والناس والنفوس والأرواح والجغرافيا، أنا جاهل في كل تلك القراءات وما زلت أمياً، إن أقصى مكان ذهبت إليه هو عمّان، ولم أخرج من بيتي إلا للعمل، ولا أحب صداقة الكتاب إلا القليلين منهم. قراءاتك تلك أهم من قراءة الأفكار المجردة الذهنية تلك القابعة في بطون الكتب، جامدة تتحرك كأطياف من المعاني المحتملة، فثمة فرق بين من يغرق في الصور الذهنية للأفكار وبين من يعيشها حياً بشكل طبيعي ويومي. هذا فرق كبير بيننا يا عزيزتي، لذلك أنا أغبطك، فيا ليتني كنت مثلك، "فأفوز فوزاً عظيماً"، ولكن "ما كل ما يتمنى المرء يدركه". ولذا لم تجر بي السفن إلى أي مكان.

كنت أبغي أن أحدثك عن قضايا أخرى، يبدو أن الرسالة قد طالت كثيراً، لا يحسن أن تزيد عن ذلك، فأنت في متعة روحية خاصة وفريدة، يا ليتني كنت معك، ولكنها الأمنية التي لن تكون.

استمتعي بما تبقى لك من وقت، متمنياً أن أراك على خير وأنت تزهين بحلة الفرح والسعادة، هل أعيد عليك أن ترسلي لي بعض الصور، فأنا لم أنعم برؤيتك منذ زمن طويل. فهلا أنعشت الروح بمرأى محياك البهي؟

دمت ودامت عليك الصحة والعافية وألق الكتابة.

المشتاق لرؤية بسمتك الندية

الثلاثاء: 3-7-2018

طبت شهوة وجنون حب، أما بعد:

هل أرهقتك رسائلتي السابقة وما فيها من حديث عني وعن الصحف وعن المتابعات الثقافية التي تبدو أحياناً بلا هدف أو معنى، إنها مجرد روتين يقتل الوقت، ويزجي وقت الفراغ، لا شك في أنه كان حديثاً مملاً، ولعلك قد شعرت بالضجر أو الملل، أو التثاؤب والتمطي، أراك وأنت تتثاءبين كقطعة لا تشعر إلا بالكسل، أكاد أجزم أنك ربما لم تنهي قراءة الرسائلتين السابقتين إلا بعد الكثير من المغالبة والصبر والتجلد والجلد. لا بأس، كأن هذه الرسائل هي مظهر من مظاهر كاتبها.

أحب الثثرة، أبدو أناانياً، وأنا أجبرك على أن تسمعي هذا الضجيج، أدرك كم أنا جاف وقاس حيالك، لم أعد أشعر بالشهوة تجاهك مثلما كنت أشعر سابقاً، كانت هذه الرسائل مهدتاً للأعصاب بطريقة عجيبة، ولكن، دوام الحال من المحال، ولا بد من أن تعود العاصفة من جديد، وها هي تضرب شواطئ روعي هذا اليوم، بعنف شهواني لا قبل لي به إلا بتمريره إلى شواطئك الساجية، وأمواجك الهادئة، لعلها تثور ثورتها الجميلة.

تذكري بشيء من العطف أن هذه هي الرسالة الثالثة التي لم تردي عليها، امنحيني طاقة لأكون أكبر ظلاً في المستقبل، بيدك موت هذه الرسائل أو حياتها، لا تنظري إليها بعين التفاهة والاحتقار وامنحها بعضاً من الاهتمام.

أتركك مع هذه الرسالة التي لم تكن سوى منبها صباحيا جامعا بين اللذة والوجع. كنت ما بين الصحو والنوم، أحس بجسدي يلامس جسديك، عبرت رائحتك في أعماقي، تنفستك بعمق وصحوت، ووجدت نفسي أهذي...

بي رغبة شديدة في مضاجعتك هذا الصباح، أستحضر رائحة أنوثتك كما أتصورها وأنت للتو مبتلة بماء الشهوة الدافئة، أقرأ ملامحك ككتاب مقدس. كل خلية في جسديك آية محكمة بإيقاع الجمال وموسيقى الجنون، أصحو وأنت كاملة في وأكتب وأنت تقفين بعريك الضوئي الكامل على رؤوس أصابعي وتدلفين إلى السطور كلمة كلمة وعضوا عضوا وشهية تلو شهية، تخلفين في شهوة لا تعادلها شهوة الآلهة لمتعة الخلق. ها أنت الآن على سريرك تضاجعك شهوة الليل وتفويض فيك الأحلام أغاني الرعاة في جبال الآلهة.

أيتها المنحوتة من صخر صبري فتتي الكلمات في لغتي، أعيدي اختلاق الزمن، واكتبي الحكاية من جديد. كل مرة هي المرة الأولى وإلا لا فائدة من التكرار. أنا وأنت لا نكرر الفعل وليست المرة الألف هي المرة الألف هي طعم الدفقة الأولى، هي شهوة الابتكار الأول لطعم ممارسة الحب بعنف.

بي رغبة كبرى لأسكر فيك، لأسكر منك، لأسكر كلما انغرست بلحمك. تشفيني الحمرة في أعضائك، شفتيك، وحلمتي نهديك، وفرجك، أغيب في وعيك الحي وأصحو راغبا من جديد في رحلة تيه أو سطوة في سفينة الشهوة.

أيتها الكائنة الداخلية في، اخرجي مني قليلا قليلا كي أرى نفسي لأعرفني أعرف حدّ حدي، تائه في كل هذا الالتحام. أين أيني يا أنا؟ لم أعد أعرف شيئا تهت عني فعرفيني كي أرى نفسي شهيدا أو شهياً.

أيتها الفائرة كأشعة المصباح، مدي الأشعة في مداي، اسكبي الضوء في عيني، احلمي عني الظلام لخطوتين بعيدتين، مزقي حجي، لأصير أوضح في عيون الآخرين، أشياؤك الأخرى تنام على جفوني، نصف شهوة منك تكفي في هذا الصباح لأكمل يومي، نصف فرحة، أو ضحكة، أو نظرة أو نصف لحن ناشز أو بعض أغنية نشاز! نصف طيف، نصف صورة، نصف أي شيء يجعلني أكثر قدرة على الاحتمال.

ظل ظلك في الظلال ضوء يثير شهيتي. يعذبني السّوق والانتظار، وهذا المستحيل، وجذور أشجاري تموت لا ماء في تربتها، ورائحة الجنون في عينيك نار، أحرقني هذه الكينونة الصغرى وانثري ذاك الرماد في عمق بحرك كي أنبت من جديد في تربة لحمك!

يا متعة في السماء البعيدة قربي الغيمة كي يظللني وجودك، يبس الماء في عيوني وأنا أحرق في الصور.

أشتاق إليك بكل ما ملكت قواي.

الأربعاء: 2018/7/4

يسعد أوقاتك

أتمنى من الله أن تكون كما ينبغي لك ولروحك.

هذه الأيام لا أستطيع التواصل لدي ظروف عائلية فراس وضغوط عمل.

بتمنى أشوفك الخميس ونحكي.

ف. ع

السبت: 2018-7-7

الغالية المحبة، الناظرة إلى هذا الأفق، أسعدت روحا ووقتا وجمالا وشعرا وشعورا. أما بعد:

فقد كانت فخامتنا تعتقد أن فخامتكم في شغل عنا، ولذلك اقتضى الصمت لحين الفراغ من بعض أعمالكم. هنا صار التقدير غير صحيح بالمطلق وخسرنا حديث فخامتكم. لكن لا بأس سنعوض هذا الآن، فهيا... كنت معتقدا أن الصمت حاجة ضرورية، وإذا بالصمت موجع كالكلام سواء بسواء، إذن فلنتحدث، لعل وجع الكلام أقل شرا من وجع الصمت.

هذه هي المحاولة الثالثة التي أهم فيها لكتابة رسالة أخرى. منذ الرسالة الأخيرة، وأنا أشعر بعدم الرغبة في الكتابة، حاولت أمس كتابة رسالة لم تكن جيدة ولا سلسلة، كتبت فقرتين، شعرت بالتعب، حذفتم الرسالة، ولذت إلى الصمت.

بي رغبة بين الحين والآخر في الحديث إليك عن نفسي، ولكن ما جدوى ذلك، وأنت غارقة فيما أنت غارقة فيه، كما أخبرتني في الظروف العائلية والعمل؟ ربما ستقرئين، أما أنك ستكتبين ردا، فقد غدا نادر الحدوث. ليس الأمر مقلقا، ولكنه مرحب به بكل تأكيد لو حدث وكتبت.

مرّ أسبوع شديد القتامة والبؤس، مرت زوبعة انتخابات اتحاد الكتاب، لم تخلف كثيرا من الغبار، رأي هنا ورأي هناك، ولكن بالمجمل انتصر المتنفذون وأصحاب القرار التنظيمي في فرض القائمة الموحدة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وفشل المستقلون جميعا، لقد كنا كأننا مكتملون للعبة الديمقراطية الشكلية، فُرض على المقترعين من الكتاب أن يختاروا واحدا وعشرين مرشحا من أصل ثمانية وعشرين، وإلا فإن الصوت لن يحسب، وستلغى الورقة، كما حدث وتم إلغاء أحد عشر صوتا انتخابيا، لهذا السبب، وبالتالي سيكون سلفا فوز القائمة الموحدة. بعض المرشحين انسحبوا بعد إنجاز القائمة، وحدي ربما الذي كنت أراهن على اللاشيء في تلك المعمة كلها. انتهت الانتخابات، وسقطنا، ولله الحمد والمنة.

لست نادما بالتأكيد، إنها تجربة، عرفت فيها الكثير من الخفايا عن قرب، وتعرفت أكثر على الكتاب، وتعرفوا علي، بدوت معروفا قليلا في أوساط كتاب الضفة الغربية، وحصلت نتيجة جيدة

على الرغم من أنها لا تؤهلني للمنافسة، حصلت على (32) صوتا من أصل (62) صوتا معتمدا، ولكن الفشل الحقيقي جاء من غزة، إذ لم أحصل على أي صوت من هناك. هل يعقل أن كتاب غزة لم يسمعو بي، وسمعوا بكل المرشحين الآخرين، وخاصة المستقلين، إذ أمر كتاب القائمة فقد غدا محسوما أصلا قبل الاقتراع. ثمّة خلل بالتأكيد، فالمستقلون أيضا حصلوا على أصوات من كتاب غزة إلا أنا. ما الذي جرى؟ لست أدري. على كل حال، فإنني لو حصلت على أصوات من هناك ستظل النتيجة هي هي، فشل المستقلين جميعا. حيث حصل أقل مرشح في القائمة على مئة صوت من أصوات الناخبين هنا وهناك.

لم تزعجني بالتأكيد هذه النتيجة، فهي معروفة سلفا، وقد انتهى الأمر بالنسبة لي، وستكون المرة الأولى والأخيرة التي أترشح فيها لأي انتخابات قادمة، تدخل فيها الفصائلية اللعبة فتفرض عبر الديمقراطية الشكلية ما تريد، لنصبح شهاد زور ليس أكثر. ما أزعجني جدا تشقي بعض الكتاب، أحدهم جاءني مزهوا كمرهق سخي، قائلا لي بعبارة تنضح بالغباء: (Hard Luck)، أعاد عليّ العبارة مرتين في زمنين متقاربين، وأنا أيضا كنت غبيا، وقد انتظرت حتى صدور النتائج. كاتب آخر، جاءني وقال: "يكفيك شرف المحاولة". بالطبع يكفيني شرف المحاولة. هذه المواقف هي التي جعلتني أقول: لا فائدة من الانتخابات إذا كانت العقلية ما زالت عقلية قبلية، فقد حل الحزب والتنظيم محل عبس وذبيان وتغلب، وصار منطق الانتخابات عينه هو ما قاله المثقف والشاعر القديم: "وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد"، هذا هو ما التفت إليه الدكتور عادل الأسطة وقد شارك مؤخرا في مؤتمر بعنوان "ما بعد في الأدب والنقد واللغة"، كتب لازما غامزا هذه الإحالة على الحادثة وما بعد الحادثة: "كيف نناقش ما بعد الحادثة في مجتمع بلا حادثة؟ كنا نناقش "ما بعد" ونحن نرسخ في "ما قبل الماقبل" -إذا صح التعبير-".

لم ينتبه الدكتور عادل إلى الانتخابات في منشوراته السابقة، لعله أعطاهما ظهره، لكنها لن تخرج عما قاله، فهذه الطينة من تلك المطينة، كما يقول المثل الشعبي. ولو أعارها شيئا من الاهتمام في خربشاتها الفيسبوكية لقال فيها ما قاله سعد زغلول لزوجته وهو على فراش الموت: "مفيش فايدة يا صافية".

العزيزة، الغالية:

كنت متوترا بعض الشيء يوم الخامس من تموز، لم أستطع أن أكلمك أو ألتقي بك، كنت متوقعا رؤيتك، لكن على ما يبدو جرت الرياح بما تشتهي سفن الفصائل، فتهنا عن أنفسنا وضاع منا أمل الحادثة وما بعد الحادثة، فلا تطمحي بكبير تغيير في حياتنا العربية، فيكفي أننا إلى الآن لدينا القدرة على أن نكتب، مُتحدّين أقدارنا التي وُضعتنا في سياق رياحها العاتية التي تدفع السفينة كل يوم خطوتين، بل عشرين إلى الورا، أرجو ألا نموت غرقا في وحل "ما قبل الما قبل". هل كنت سأغير؟ أي حلم يقظة كنت أغرق فيه؟

رسائلك الثلاث الأخيرة، كانت مُشقّرة، لم أستطع فك رموزها، لا أدري أين الخلل، حاولي أن تكتبي لي، طمأنة عنك وعن أحوالك. دمت بألق وحبّ وجمال. أَقْبَلُكَ لِأَحْيَا.

الاثنين: 2018-7-9

أسعدت حبا وأواقاتا أيتها الفراشة المتقافزة بين الحقول، أما بعد:

فإنه ليحلو لي على نحو استثنائي الحديث عن المحبين، فهم أصدقائي وعشيرتي، وتربطني بهم أكثر من رابطة، فهم مرهفون، رهافة تبدو طاغية ومؤثرة. الشاعرة فدوى طوقان تعبر عن حبها لسامي حداد، وقد تجاوزت الستين من عمرها في رسائلها المتبادلة مع ثريا حداد، والفيلسوف الألماني مارتين هيدجر يحب الفيلسوفة اليهودية حنة آرندت، وفرانز كافكا يقع في غرام مترجمة كتبه ميلينا، عدا غسان كنفاني وأنسي الحاج وحبهما للكاتبة غادة السمان. كل هؤلاء كتبوا رسائل حب وغرام، لكن أكثر الأدباء تطرفا في الحب كان هنري ميلر الذي لم يتخل عن الحب، حتى وهو في الثمانين من عمره.

أفكر وأنا أكتب لك هذه الرسالة كيف ارتقى هؤلاء إلى مراتب عليا في الحب، وظلوا مخلصين لمحبيباتهم، وخاصة هيدغر الذي ظل على حبه وتبادل الرسائل مع حنة حتى الموت الذي غيبهما في أقل من عام.

لم يتخل هنري ميلر عن الحب حتى وهو في الثمانين من عمره، هذا الكاتب العنيف الغارق في مداراته، حتى عرف عنه أنه كاتب الأيروتيكية التي أكسبته صفة الكاتب المجنون، لقد عاش حياة التشرذم والجوع في أقصى حالاته، ولكنه ظل وفيا لاقتناص لحظات السعادة، فمن وجهة نظره أن "الحب مثل السعادة، يجب التشبث به في أي وقت، وضرب عرض الحائط بالفضائح ومنطق الآخرين". فكم عاشقا مثل ميلر؟

في الحوار الأخير لهنري ميلر قبل وفاته في عام 1980، يترك ميلر محاوره عندما زارته برنتا في بيته، ما اضطر محاوره أن ينسحب ويتركه مع حبه، وكأنهما عاشقان فتيان، هي كانت في الثلاثين وهو شاب في الثمانين، لقد عاش هنري ليلته كعاشق مجنون، يمارس حبه كما يحلو لعاشقين أن يكونا في التحام كامل على سرير الشهوة الممطرة ندى وعطرا.

أيتها الغالية:

لماذا نخاف من الحب إلى هذا الحد؟ لأنه لا بد من ممارسته؟ يبدو ذلك حتميا وإلا لم يكن أكثر من صداقة، فما هي مليكة مقدم الكاتبة الجزائرية تفرق بين الحب والصداقة على أساس ممارسة الجنس، فترى أن "الصداقة هي الحب محروما من الجنس". إذن فإننا أصدقاء رغما عما يدور في ذهني من تمنيات مجنونة، تفضيخ فيها شهوة، كأنها حقيقة واقعة.

كنت أرغب أن أحدثك عن أشياء أكثر أهمية من هذا الحديث الذي لم يعد يروق لك على ما يبدو، غارقة في الصمتين. تعبت كثيرا من هذه العلاقة التي غدت أشبه بالعلاقة من طرف واحد. أخاف أن أنزلق إلى المراهقة مرة أخرى، فأكتب كلاما سخيفا، لم يعد مناسباً لرجل تخطى الأربعين،

موجها لامرأة هي أيضا تجاوزت الأربعين. لماذا لم نتعلم من دروس الكتاب العاشقين ميلر وهيدجر وكافكا وغسان؟

هل تصدقين أنني في الليلة السابقة هجمت علي فكرة هجاء نفسي بكلام بذيء جدا. لا شك في أنني أستحقه عن جدارة. كنت كسولا جدا، وأخذت أهذي. لم أرغب في كتابته، استسلمت للنوم، لعلمي أصحو وقد تخلصت من ذلك الشعور المميت.

في الصباح كنت أشعر نفسي كجمرة منتهية، فيها بعض حرارة. اغتسلت بسرعة، وتناولت فطوري بصعوبة وشريت فنجان قهوتي بلا لذة، تفقدت البريد الإلكتروني. لا شيء جديد؛ كل شيء يعاني من البرودة القاسية. تذكرت بيتا كنت كتبت ذات مرة محاكيا للشاعر القديم: "وأحبها وتحبيني، ويحب جملتها بريدي". على ما يبدو صار كل شيء صامتا باردا جافا، حتى هذا الصباح الذي لطمني فيه مشهد حادث مروري عرقل السير، ولوّن اليوم من بدايته بلون قاتم أسود، فكل شيء سيء في هذا الكون يتجمع أمامك دفعة واحدة، هنا تبدو نظرية كتاب "السر" لروندا بايرن صحيحة فقانون الجذب والتفكير الإيجابي يمكن أن يأتي بنتائج تجعل الحياة أفضل، وتجلب الحب والسعادة كما جلبته لهنري ميلر. أو العكس كما يحصل معي هذه الأيام، مع أن هذا الكتاب غير المنطقي في المطلق، لكنه أحيانا يصدّق نظريته في.

في كل مرة أكتب فيها أكتب لأرتاح، ولكنني كتبت اليوم فخرجت متعبا ومرهقا وحزينا، أكاد أنفجر من سوء ما أنا فيه. كم مرة مع هذه الرسالة طلبت منك أن تكتبي لي؟ إنها المرة الرابعة التي أقول لك فيها: اكتبي لي ولو سطرا واحدا. لا تحققي فيّ سلبيات نظرية قانون الجذب والأفكار السلبية. وأخرجني عن هذا الخوف وهذا الصمت لعلي أحياء في حدائق روحك الزاهية. فلو كان هنري ميلر حيا لم يكن ليتراجع أو يصمت أو يموت وهو حي دون أن يعشق كفتي يافع في الثلاثين على الرغم من سنوات عمره التي تجاوزت المئة الآن.

صباحك سعيد

الخميس: 2018-7-12

تحية ملؤها الشوق والحب، أما بعد:

فقد سرتني رسالتك القصيرتان في الرد على مقالة "ريتا على الحاجز"، إذ جاءتا بعد صمت طويل وقاس، ولم أكن أتوقعهما لما خبرته فيك من عدم المبالاة وقلة الاهتمام، فكيف تهتمين بهذه المقالة ولم تعيري الاهتمام نفسه أو بعضه للرسائل السابقة. لكن لا يهم ما دام الحال هو الحال الذي أعرفه، وأصبحت متيقنا منه تيقنا تاما.

أعيد لك القول إن رسالتك قد أدخلتنا السرور إلى نفسي وحركتنا في القدرة لأكتب رسالتي هذه، فقد كنت عازما على ألا أكتب لك، إذ لا مبرر لأن أكتب وأكتب ولن يكون منك رد، ولكن فلتسمحي لي

يا عزيزتي أن أقول لك إن خطأك في القراءة واضح فادح، وقد أخطأت مرتين، الثانية أفضح من الأولى وأشنع، فإذا ما كانت رسالتك الأولى تقول: "جميل من زاوية مختلفة وإن كانت الغريزة هي المحرك"، فهل كانت الغريزة محركا لي وأنا أرى تلك اليهوديات الإسرائيليات صباحا ومساءً؟ فهل أنا اشتعلت وجدا بهن أو بإحداهن؟ إنما المشهد كله كان التقاطة خاصة نابغة من تجربة حياة ذاتية، ذات منطلقات فلسفية وفكرية أبعد من التفكير بامرأة يهودية واقفة على الحاجز واشتهائها، إذ لا مجال فعلا لتأمل تلك اليهوديات، وليس كما قلت في رسالتك الثانية متمادية في الخطأ الأشنع: "تحاول محاكاة من سبقوك من أدباء تناولوا هذا الجانب الإنساني لفكرة التعايش مع الآخر المعتدي وتحييد كونه كذلك، أنا لا أرى الفكرة قاصرة ولا الرؤية، أنت رأيت مجددة إنسانة وجردتها من عتادها، لكني رأيت جنودا مدججين في مدخل إحدى قرى رام الله وشبابنا عليهم بحرارة في دخولهم وخروجهم. هناك قرى ذات احتكاك مباشر مع المستوطنات، والعلاقة عادية بينهم أو على الأقل هذا ما رأيته وإن استهجنته ولم أستوعبه".

فليس صحيحا إطلاقا أنني أكتب مجرد "محاولة"، ففي هذا الادعاء انتقاص من قدرتي التي تعلمينها، فليس بعد خمس وعشرين سنة من الكتابة والقراءة والحوار مع الذات والآخرين، توصف مقالتي بأنها "محاولة"، ولست بالطبع مقلدا غيبي، وإن استدعت الكتابة استحضار من كتبوا في الموضوع من باب آخر وزاوية مختلفة، تختلف باختلاف التجربة الشخصية والأسلوب.

عدا أنك وقعت في وهم القراءة المبتورة، فأنا لم أجردها من عتادها، بل كان عتادها هو الأساس الواقف بيننا وبينهم، فقد صنعوا كما قلت غابة من البنادق وأجروا من دمنا أنهار دم. هل يعقل أنك لم تقرئي ذلك؟ يبدو أنك كنت ذاهلة أو غارقة في بعض العمل، أو أنك كعهديك معي انتقائية لا تحسنين قراءتي. وهذا ليس استنتاجا على كل حال. إنها الحقيقة.

لا شك في أن الآخرين ممن تلقوا المقالة كانوا أفضل تلقيا منك، فقد تعاملوا معها أفكارا، ولم يتعاملوا مع الكاتب من أجل أن ينقصوا من شأنه ويروونه محاولا غرا مراهقا يتابع أجساد اليهوديات ويتلصص عليهن، أو أنه يقلد الآخرين ويسرق أفكارهم. تذكرني أنها ليست هذه المرة الأولى التي تتعاملين بها معي بهذا الأسلوب من التهوين والتحقير، حدث ذلك كثيرا في الشعر أيضا. فأنت أيتها الشاعرة الكبيرة صديقة الكتاب الكبار لا ترينني صالحا لأكون كاتباً، ولكن لا يهم.

والآن فليسمح قدرك الجليل أن أثبت لك في سياق هذه الرسالة التي تعاني من القلق والتشنج بعضاً مما كتبه الأصدقاء الحياديون عن المقالة.

في أول رد على تلك المقالة، جاءني هذا الرد: رائع هذا العرض والتحليل. كان لي صديق له مغامرات فاحشة مع نسائهم وكان يقول لي "يا رجل مش طالع بأيدنا عليهم ليس أقل من أن ننتقم منهم بآلاتنا الجنسية". هل ذلك يعكس الشبق والاشتهاء الشرقي للمرأة الغربية كجزء من عقدة الغالب والمغلوب أو تعويض عن عقدة النقص؟ في أدب الاستشراق الآلية معكوسة حيث الرجل الغربي يقابل المرأة الشرقية الشبقة. هي استخدامات وتوظيفات متنوعة للجنس والمرأة ودورها

في الصراعات المختلفة". إنه يدخل إلى صلب الفكرة وليس مجرد أنني أكتب بدافع الغريزة التي ماتت بفعل أسباب متعددة، ليس أولها حضرتك، وربما للعمر والظرف دور في ذلك.

وفي ذات الفكرة، يكتب أحد الأصدقاء: "ربما كلهن "ريتا".. ولكن يبقى السؤال: هل خان درويش قضيته عندما أحب "ريتا"؟ وهل نسير على نفس الدرب عندما نتوه في تضاريس أجساد أولئك وهن مزروعات على الحواجز لإذلالنا. يا إلهي هم يفكرون بنا كعبيد، ونحن نفكر كيف يمكن لنا مضاجعتهم. يا لعهرنا". ويسترسل في تعقيب آخر، متحدثا عن عقلية المثقفين النتنة الذين أنا منهم، حتى لا تسخري مني: "نعم والغالبية العظمى كذلك. تصور بعض الكتاب (الذكور) عندما يخبرون بعضهم أنه في يوم كذا سيكون هناك الكثير من (الممز) عند توقيع كتاب (أبو العريف). المسكينات يعتقدن أنهن سيأخذن فرصتهن من خلال وجودهن في هذا المكان المفروض به أن يكون (للثقافة)". إنها إذن عقلية ونمطية تفكير غير خاصة بالتفكير في اليهوديات، بل إن للبريات نصيبا كبيرا من ذلك، بصفتهن أقرب مأخذا وأسهل فريسة، فعلى الأقل المجندة تحميها بندقية أما هؤلاء فإنهن مكشوفات لأعداء الجمال المستهان به في حضرة الثقافة وأدعيائها.

وأما ثالث التعليقات فكان كالآتي: "النص مبدع، وربما يستدعي إلى الذهن ما يعرف بمتلازمة استكهولم حيث تقع الضحية في غرام الجلاد فتعتنق أفكاره وتتقبلها كنوع من أنواع الدفاع عن النفس بتبني مفاهيم الآخر المعتدى.. وربما هي النزعة الذكورية الطبيعية للاشتهاء يخالطها شيء من الماسوشية الناتجة عن استعذاب الألم من خلال التعايش اليومي المعتاد مع العدو". وليس بعيدا عن ذلك ما قاله صديق آخر: "إن الأستاذ فراس كان الأقرب للمعنى، إنسان ذكر، شرقي أو غيره، أمامه مجندة بتنورة، في سياق كولينيالي، مشفوع بتناصر درويش.... إنه سرديّة جميلة عميقة تثير الدهشة والتفكير في علاقات البشر والرجال والنساء والحروب، وقضايا المرأة والجنود..".

ولتقرئني على مهل هذا التعقيب أيضا: "على أرض الواقع قد اغتصب فينا الأشقر والأحمر والغربي والشرقي والآتي من بلاد الواق واق جميعهم. اغتصبوا فينا كل مملوك لنا. الذات أولنا والفكر آخرنا. ضاع منا كل شيء وذهب إليهم. ما فرقوا بين الذات والأرض والشرف والعرض والمال والولد. دعونا نشتهي فيهم الثأر، وننهم وننهل من أجسادهن وشهواتهن وأردافهن وأفكارهن وننتقم في كل شيء منهن". إنه منطق مصطفى سعيد بالضبط الذي جاء في رواية الطيب صالح "موسم الهجرة إلى الشمال" التي أشرت إليها في المقال، وأشار إلى ذلك دارسون كثيرون لافتين النظر إلى علاقة الأنا بالآخر، أو إشكالية تلك العلاقة.

إن كل هؤلاء لم يكونوا قراء عاديين إنهم كتاب ومثقفون، وأدركوا الدلالة للمقالة، وأنها ليست محاولة أو محاكاة، وليس لي علاقة معهم ليجاملوني، بل عندما كتبوا آراءهم لم أكن حاضرا، لتفكري بي تفكيرا سطحيا بأنني منتش بمثل هذه التعقيبات. كل القراء يروني كاتبا وجميلا، حتى وإن لم يعرفوني، إلا أنت، لقد أفسدك الحب وأفسد ذائقتك الآخرون، ولكن لا بأس بكيفي هذا الاهتمام، متذكرا ما قاله الشاعر القديم:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرّني أنّي خطرت ببالكِ

على كل حال، فإن كان الكلام موجعا، فالصمت أكثر وجعا، ويكفي أنك قادرة على أن تجعليني أكتب حتى وأنا أدخل دون تخطيط للدفاع عن نفسي، ولكن ما حيلة الإنسان إن فقد أعز أحلامه، فلتبق له الكلمات يطلب عزاءه فيها. فهلا رأيتني جميلا ولو في نص واحد أيتها الممتدة كشعاع في الأفق البعيد.

دمت بكل خير.

الأحد: 2018-7-15

العزيزة الغالية كفكرة ناضجة وامرأة عبقرية، أسعدت روحا واكتملت حبا وفكرا طيبا متفتحا، أما بعد:

تلتهمني الأفكار فكرة من بعد فكرة. وسؤال تلو سؤال، ولا أحسن الإجابات، ما زلت باحثا عنها تماما كما يبحث الأثريون عن قطع التاريخ المدفونة في أرض ما، وكلما وجدوا أثرا حفزهم للبحث أكثر. هذه هي حالي، لا أهدأ ولا أستكين. ما زلت أقرأ وأقرأ. أثرت في كثيرا حياة هنري ميلر وأثرت في من بعده أشعار ت. س. إليوت، قرأته مترجما. ثمّة شيء غائب عنا. ما زلنا نبحث عنه. هل سنجده؟ أشك في ذلك.

اطلعت على ما كتبه الصديق رائد الحواري عن الشاعرة جمانة حداد وكتابتها الجميل الصادم "هكذا قتلت شهرزاد". صديق لي قال: "أنت أحييت شهرزاد، وجمانة قتلتها"، لذلك حرصت على اقتناء كتابها، عندما وجدته في معرض الكتاب الأخير في رام الله أيار الماضي. كثيرون منا لا يعرفون جمانة حداد، ولا يعرفون أفكارها الصادمة. لماذا تعد أفكار جمانة أفكارا صادمة؟ ربما لأن الناس كما هم لم يتغيروا، ولن يتغيروا.

أتذكر ما قاله المتنبّي: "أنا من أمة تداركها الله، غريب كصالح في ثمود"، هكذا كانت جمانة، وهكذا كان صديقي رائد، وهكذا كل طليعي متنور. سيظل الناس على ما هم عليه، يعمهون في التيه، ينطبق عليهم قول القرآن الكريم: "إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون". بل إنني أعتقد أنهم لو لم يولدوا مسلمين ما كانوا مسلمين، ولو وجدوا في زمن قريش لكانوا من أتباع أبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة. ما خلا الشبوعيين؛ فإنهم وحدهم سيكونون أول المؤمنين. لقد ضحك صديقي رائد من قولي هذا وانفرجت أساريره. لماذا الشبوعيون؟ إنهم ومعهم كل العقلانيين من يفكر بطلاقة وحرية دون أن تكبلهم أفكار الآباء والأجداد. فالناس فاسدون جدا هذه الأيام وفي كل زمان.

لماذا أتحدث إليك بهذا الحديث؟ لعلك تذكرين قصة المقال الذي أثار حوله الأغبياء والمتربصون زوبعة فارغة. إن الأمر كما هو، لا أسمع ولا يتناهى إلى مسمعي إلا أنني أتحدث عن النهود والجلود. وما زلت لا أزور مدارس البنات منذ آذار 2013 وحتى آخر هذا العام الدراسي. لقد فقدت بسبب

هذه التقوى البائسة أصدقاء كثيرين وعاداني الأنبياء والقديسون الجدد، وامتنعت عن محادثتي وصدائتي صحابيات جليات. أعود وأنشر مقاطع شعرية أيروسية، فتنتشر بين الجهلة انتشار النار في الهشيم. والتعليقات هي التعليقات، والأفكار هي الأفكار. أي بؤس هذا الذي يعيش فيه الناس؟ أصبحت شاعرا "فاجرا"، "فاسقا"، "ماجنا"، "كافرا"، "ميؤوسا مني".

شاعرة عربية ذات قلم ذهبي ترغب في أن تكتب شعرا أيروسيا فلسفيا، ولكنها لم تستطع نشره، تخاف مما أنا لست بحافل فيه. هل ستنشره باسم مستعار؟ تخيلي لو أنها تنشر شعرا أيروسيا فلسفيا باسم مستعار. شاعرة وكاتبة عربية في القرن الواحد والعشرين تكتب شعرا باسم مستعار. ما التقدم الذي جناه المجتمع؟ ليس بمقدورها أن تجابه أو تقاوم أو تصمد أمام التيار الصاحب اللاهب، كما فعلت جمانة حداد، كتبت، قاومت، جابهت، وانتصرت أخيرا في معركتها التي كانت طاحنة. مع أنني لست موافقا لها في كل ما قالته إذ خلطت الحرية في الكتابة والتصرف والمعتقد بالإلحاد الفظ. لكنني بالتأكيد معها حول ما كتبتته حول الحرية وحرية التعبير عن كل ما يخطر ببال الأديب وضميره، فلولا الحرية لم توجد كتابة ناضجة. فأدبنا الحديث في مجمله يعاني من الإعاقات والتشوهات الفكرية نتيجة تلك الأفكار التي تحصر الكاتب في خانة المقدس الوهمي الذي يفتت الأفكار ويجعلها رمادا لا تنفع أمة ولا تغير مجتمعا. فاقدة لحرارة النضج الفكري، فما زلت تمشي على السطح، وتحذر من انفجار الألغام الفكرية المتعفنة هنا وهناك.

هذا هو زمن الفيسبوك والثورة العلمية والتكنولوجية وانفتاح الأفكار وتلافحها وحرية التفسير والتأويل والعقلانية. إننا نخدع أنفسنا يا عزيزتي خدعة كبرى، أين التقدمية؟ هل هذه الأجهزة والوسائل المريضة هي كل تقدمنا وعقولنا ما زالت تسبح في أوهام الظلام من عصر الكهوف؟ لعلك تتذكرين قصة ذلك الرجل الذي عاش في الكهف المظلم حينما من الدهر، فألف الظلام، واعتبره النور المبين، حتى إذا خرج إلى العالم والفضاء الرحب، آذته الشمس بنورها، والحرية بنسيمها العليل، فعاد إلى كهفه راضيا مرضيا. إننا لم نتقدم أبدا ولن نتقدم أبدا، وسيولد ألف كوبرنيكس ليقتل أو يصلب على مذبح الأفكار، أو لينتظر أن يكون على فراش الموت لتأتيه الشجاعة الكافية لنشر أفكاره التي ستؤلب الدنيا عليه. هل سننتظر مئتي سنة أخرى ليقتنع الناس بأفكارنا؟

عزيزتي المتمردة:

أمامنا الكثير من القلق، والسلم ما زال طويلا، ولكن علينا ألا نتراجع ونكتب لعلنا نفوز بشرف التعبير عن أفكارنا، حتى ونحن نفشل في التغيير. ولتعلمي أن العشاق وحدهم من يحق لهم ألا يتغيروا، وأنا لن أتغير سأظل مشعا بك كما عرفتك أول مرة.

دمت بود وأيامك حرية ونقاء. راجيا أن تكتبي لي، سلمت لقلبي حياة، ولفكري ملهمة في كل صباح جديد، ولحن جديد. تذكري أن عيد ميلادي قد اقترب، فأني رسالة يمكن أن تصلني منك في ذلك النهار البهيج؟

المشتاق لنسائم روحك.

العزيزة المبجلة معنى وروحا، صديقة روجي وعقلي:

فلا داعي لكل هذا الاحتجاب، لقد اشتقت لك شوقا فاض عن قدرة روجي على الاحتمال، وامتلأت به النفس، فصارت أطيارا تتقاذف بمخيلتي ووسائل أحلامي. فهذا الكون ناقص وأنت تحتجين عني.

الصديقة والحببية، أتخيلك معي في هذا الصباح، نجلس إلى طاولة صغيرة، في مكان هادئ ولطيف، ونسائم الهواء الخفيف تداعب خصلات شعرك الكستنائي، نجلس فتبتسمين، وتفيضين عطرا ساحرا. أحب أن أترثر في حضرتك، فيمضي الوقت كأنه على عجل، يلملنا بسرعة ويمضي، ويذهب كل منا إلى غايته، إنه الزمن السيكولوجي الذي قال عنه "يوسا" في رسالته السادسة إلى روائي ناشئ زمن "ينقضي بسرعة كبيرة جدا. عندما نكون نستمتع ومستغرقين في تجارب انفعالية حادة ومهيجة". إنه شعور نفسيّ فخم، جميل، يتوه الإنسان فيه عن نفسه ليصبح الزمن ذا حسابات خاصة، إنه ذلك الزمن الذي نشعر بالمتعة فيه مع الحببية أو الصديق. فاسمحي لي الآن أن أحدثك عن واحد من لقاءات الأصدقاء، ولك الفضل والمنة وأنت تصغين باهتمام إلى هذه الثروة المحببة التي تقطع الوقت بي فتغدو المسافة بيننا صفرا.

كم عظيم هذا الرجل الصديق، يمتلك روح الشباب وحكمة الفلاسفة ورقة الشعراء وانسياب الرواة والحكاكين العظماء. إنه الكاتب والصديق الشاعر إبراهيم مالك أبو مالك، علامة بارزة في تاريخ الثقافة الفلسطينية في المناطق المحتلة من فلسطين عام 1948. يحمل درجة الماجستير في الاقتصاد العملي، وخلال حوارنا الرباعي (معنا زوجته وصديقه أبو عروة)، يفرق بين هذا التخصص وتخصص الاقتصاد السياسي، عمل إبراهيم مالك في صحيفة الاتحاد أول صدورها في حيفا وكان أحد محرريها، ولبعض المصالح الشخصية للقائمين على الصحيفة تم استبعاد إبراهيم مالك من هيئة التحرير.

التقيت بإبراهيم مرتين، يقول صديقه ورفيق دربه أبو عروة إن إبراهيم يحبني، ونحن لم نلتقي إلا على متون النصوص والرسائل الإلكترونية، حتى إذا هاتفني وأبلغني أنه سيلتقي بي، التقينا مرتين في نابلس، أعجبت بحماسة المنقطعة النظير، وبشفافيته وحبه للأدب والأدباء.

إبراهيم مالك ذو الأصول الجزائرية عربي حتى النّخاع وفلسطيني حتى آخر قطرة في دمه وشيوعي يساري حتى آخر قطعة من فؤاده وإنساني حتى آخر جملة من فيض عقله وروحه، منفتح على الثقافة الإسلامية، حافظا للشعر، ويبدو مستمتعا وهو يعيد علينا مقاطع شعرية أو أبياتا قديمة، يقدم فيها رؤيا عصرية حديثة.

كم هو هادئ وخفيض الصوت، كيف له أن يشبهك في ملامحك تلك؟ أحبته وأحببت فيه تقديره للأدب والأدباء والانتماء للنص الجيد وحرصه على التواصل مع المثقفين؛ إعلاء لقيمة الحوار الخلاق بينهم، ويطلب مني دائما أن يتعرف على الأصوات الجديدة لينشر لها في مجلته

"كُتابنا كُتابنا". هذه المجلة الكتاب التي تضم في كل عدد من أعدادها مادة زاخرة مفتوحة الآفاق على متنوع السرد والشعر والفن عربيا وعالميا. في آخر اتصال هاتفي، بدا مسرورا وقد اكتملت مواد العدد القادم. إنه هاجس كثير من رؤساء التحرير الذين يظنون في توتر دائم حتى توفر المواد الصالحة للنشر وإنجاز العدد ومراجعته والاطمئنان على سلامة مادته، لغة، وتنسيقا، وإخراجا جيدا. كم كنت فرحا إذ ضم واحد من أعدادها أحد نصوصك الجميلة، فكنا كأننا على مائدة ثقافية واحدة.

صديقي إبراهيم مالك له آراؤه التي تقترب من آرائي حول الأدب والأدباء والمثقفين، وبتخذ المواقف ذاتها حيال كثير من القضايا التي نناقشها معاً. فعندما كتبت مقال "الشعراء المدجنون" من سلسلة مقالات "ظواهر سلبية في مسيرة الشعراء"¹ يهاتفني مسرورا على ما في هذا المقال من جرأة؛ إذ لا تأخذني هيبة الشاعر العظيم لأكتب فيه ما رأيت أنه يقدر في مسيرته كشاعر. وليس هذا وحسب، بل إن له وجهة نظر متطابقة مع وجهة نظري في توزيع الجوائز ومنحها لفنان أو فلانة. إنه مرض آخر يستشعره أبو مالك، ويرى فيه رأيه، لكنه لا يهتم، مثلي تماماً، بمن يفوز بهذه الجائزة أو تلك، وإن كنا نتابع الساحة الثقافية لمعرفة ما يدور حولنا في هذه الساحة التي تعج بالأمراض. فليست الجوائز هي التي تصنع المبدعين أو تخلق الإبداع. تداولنا كثيرا تلك الأسماء المعلن عنها هنا وهناك، ضحكنا بسخرية، وباركنا لهم بحسرة واضحة لما آلت إليه أوضاع الثقافة على أيدي الأذعياء المشوهين.

صديقي الجميل سيظل الأنيق والأجمل، ومن القلائل الذين عرفتهم ممن يستحقون صفة الأديب الإنسان. كم تمنيت أن أكون مثله، فعلى الرغم من وضعه الصحي، إذ نتشابه في هذا الأمر أيضا، وعلو سنه، إلا أنه ذو طاقة إيجابية تملأ النفس أملا وقوة لا تجعل الحياة مادة صراع كوني، ولكن مجالا للعيش والتأمل والحب والعطاء، ومعينا ثريا للكتابة والتقاط الأفكار وتحويلها إلى أدب خالد يدل على قيمة الإنسان والحزبة وجمالية أن تكون متمتعا بالحياة قاهرا ظروف الحياة مهما كانت قاسية. فهو الحكيم الذي لا يضعف! والشاب الذي لا ينحني.

إنه يشبهك أيضا في هذه القوة الإيجابية التي تمتلكينها، فبعد كل لقاء أو رسالة أو محادثة، لا شيء كان يُسرّي عن نفسي التعب سوى صوتك، ورقة روحك، ووجهك الملائكي الساحر البهي، وعطرك المتغلغل في أنحاء أنحائي. هكذا هم الأنقياء دوما تعاليل مبهجة وسر من أسرار الحياة الراضية.

دمت للقلب بهجته، على أمل أن نلتقي ولو على متن الرسائل، وتحية وفاء لهذا الصديق المناضل.

الأربعاء: 18-7-2018

صباحك الأجمل دائما.

¹ نشر في كتاب "بلاغة الصنعة الشعرية"، روافد للطباعة والنشر، القاهرة، 2020.

لك أن تتخيلي ما أحدثته رسالتك فيّ هذا الصباح، بعد أن عشت ليلة قاسية من القلق المقض للمضجع فعلا. أوهام كثيرة ركبتي، وآلام، لا أعرف كيف نمت، وهل أنا نمت فعلا أم لا. يصر الآخرون دوما على أن يحملوني همهم، وكأنني ناقص ومحتاج لهموم جديدة. اجتمعت عليّ مسؤوليات كبيرة، لو قلت لك إن الجبال تنوء بحملها فأنا صادق ولا أبالغ. أخي الأصغر مني يعاني من مرض نادر جدا، لا أعرف اسمه ولا هو يعرف، حدثني أنه يقضي أغلب الوقت في المشافي، ولك أن تتصورني رجلا عاطلا عن العمل، مريض، ذا مسؤوليات كيف هي حالته ووضع النفس، حدثني وهو في أقصى حالات يأسه، ويفكر بالانتحار والخلاص من هذه الحياة لولا أن قتل النفس حرام، كرهت نفسي أمس كرها شديدا، إذ كيف يعيش أخي حياة بائسة جدا، وأنا عنه لاه وغارق في أوهام الحب والكتابة، والعوالم الافتراضية.

كنت قد قررت الليلة الفائتة ألا أعود للكتابة، أو للتواصل مع أي أحد، وعطلت كل قنوات الاتصال، فأعدت إغلاق الفيسبوك وهجر تويتر، والتخلص من الواتس أب، واقتنعت أنني إنسان سيئ جدا ولذلك فليسعني بيتي ولأبك على خطيئتي، بل خطاياي التي ليس لها حد.

هزني بعنف كبير من داخلي ما علمته من تطور العلاقة بين صديقي الشاعر وحبيبته المتزوجة، التي عرفت أنها تمارس الجنس معه، وتأتي إليه بين فترة وأخرى، وتقضي بين أحضانها أياما، تاركة بيتها وعملها وأولادها. وزوجها الذي أنقذها من ضياع محقق وقت أن قررت الهروب من إجبار أهلها على تزويجها من شخص لا تحبه. إن هذا الأمر سيئ جدا، سوءا لا يتصور، كلما تصورت أن هناك إنسانا سيتألم لو عرف الحقيقة. هل تصدقين أنني أوشكت على البكاء، وشعرت بالفاهة إلى أقصى حد. هل يعقل أن يقابل إنسان إنسانا آخر أحسن إليه إحسانا ليس له ثمن بهذا الرد وبهذه الخيانة. شخص أنقذك من الضياع، وتخونه مع شخص عديم المشاعر أنني لا يفكر إلا بشهوة نفسه. كم هو تافه هذا الحدث.

أعرف أنني أفكر فيك بجنون، ولكنني لن أقدم على أن أكون سببا في شعور شخص آخر بالألم والخديعة، أو تلطيخ تاريخ عريق مجيد بسوء أفكار، لقد حضرتُ إلى رام الله مرات متعددة، آخرها كان حضور مؤتمر الأسرى، الاثنين الماضي (16-7)، ومعني من الوقت فسحة طويلة، ولكنني قررت ألا أراك. لماذا هذا القرار؟ إنه خوفي عليك مني، وخوفك مني وخوفي من نفسي حتى وأنا أتخيلك في وضع جنوني ما. أحاول أن أقتل المحب المهووس في داخلي، وأسعى إلى إعدام ذلك العاشق المجنون، وحتى ذلك الشاعر الموهوم. الأمر ليس سهلا بالمطلق، ولكن إرادتي جبارة، وسأحاول ما وسعني ذلك، حرصا على كل تلك المعاني الجميلة. أخجل من نفسي، ومن كل تصور سيئ مر في فكري.

إن ما تحدثت عنه أنه استقرار، هو في الحقيقة محاولة استعطف دمائي أن تهدأ وعقلي أن يكف عن التفكير وقلبي عن التوقف بالشعور بدفء النسيم القادم من تلقائك. أي قسوة أعيش وأي صراع أحياء، وأي مرجل أتقلب فيه؟ لقد كنت وما زلت أجمل وأنقى حدث في حياتي، ولكنني في

صراع لا تكفّ أمواجه عن أن تضرب هدوئي. لا شيء يخفف من غلواء عواصفك في شرايبي غير الكتابة والهرب.

الغالية عليّ كروحي:

سرني جدا أنك ستعودين للكتابة، واعلمي أن الكتابة شفاء من الوهم بالوهم، ولكنها نافعة في حالات كثيرة، في أن تحافظ على مسافة آمنة ما بين أحلامنا التي تقتلنا، وواقعنا الذي يكبلنا، لا تسقطي القلم من بين أصابعك اللطيفة، فبين إصبعين من أصابعك تولد كائنات الجمال الراقصة، فلا تنديها، وامنحها العطف والرعاية والولاية. إنها شواهد أروحنا بعد عمر طويل.

كل شيء يعصف بي، ولم تمر عني حالة مذ عرفتك كهذه الحالة التي أعيشها في هذه الأيام. طلبي الوحيد دائما وأبدا، أن تكتبي إلي ولو جملة، بين الحين والحين.

حفظك الله من كل سوء، وجنبك الأشرار، شياطين الإنس قبل شياطين الجن. ما زلت أدعو لك في صلاتي وعند نومي أن يردك الله ويحرسك. ولتدع لي لعل الله يفرج عني الكرب والهم، وآلاما تجمعت تكاد تقتلني.

دمت وسلمت.

الأربعاء: 2018/7/18

صباح الجمال:

هذا التحول في مفرداتك من رسالة إلى أخرى يربكني، بل يوقعني في مأزق التذبذب بين حالاتك الشعورية، وكأنه كُتب عليّ أن أحتمل مزاجك الشعري والأدبي المتقلب بين العاشق الجميل والمحِب المهووس. لكن لا ضير بل أشعر بالسعادة الآن وأنا أتابع استقرار مزاجك، وتجديني أتحمس للرد ببضع كلمات حتى في هذا الهزيع الأخير من الليل، إذ وجدت نفسي منقادة للكتابة التي هجرتها طويلا.

أشعر بالخواء في كل شيء حتى في مشاعري، وأشتاقني عاشقة وشاعرة. فهل تراني أعود؟ أظنني أدركت فضاة ما أنا فيه، وهذه أول الطريق للإياب.

دمت ودام حرفك نابضا بالحياة.

ف. ع

الأحد: 2018-7-22

أيتها الرفيقة الرقيقة، أسعدت أوقاتا، أما بعد:

هل تتوقعين كم أتفقد البريد الإلكتروني يوميا، لعل رسالة منك ضلت الطريق إليّ؟ يهمني جدا أن تكوني قد قرأت رسالتي الأخيرة. أصحو وفي النفس أشواق لتتحدث إليك بأحاديثها، أحتاج إليك لتستمعي إليّ، وتنظري إلى داخلي، ثمة ضباب كثيف يجثم في صدري، لا أدري سبب ذلك. العمل يكاد يخنقني، لا رغبة لديّ في الدوام، ولكن متاعب الحياة وأهوالها تجبرنا على أن نموت ونحن نجبر أنفسنا على الضحك، نتحمل غباء الآخرين، وفلسفتهم المدعاة. كم كرهت أن أخرج، فأرى، فأتعب، فأنام، ولا أرى إلا سديم الجنون يحيط بي.

في يومي العطلة السابقين كان الوقت مملا نوعا ما، قضيته كالعادة في البيت بين الكتب، قرأت عمليين من أعمال الفيلسوف الفرنسي جورج باطاي، مجموعة قصصية، ومجموعة من القصائد. تثير هاتان المجموعتان الكثير من التساؤلات، لم أستطع إلا أن أربط بين هذين العملين وكتاب باطاي المهم عن "الأيروسية". تشابه كبير بين المجموعة القصصية "حكاية العين" وبين هذا الكتاب. ذكّرني أعمال باطاي بكتابات الماركيز دوساد صاحب النزعة المازوخية في ممارسة الجنس. يبدو باطاي بشكل كبير جدا متأثر بدوساد، ولعله وضع كتابه لتفسير روايات دوساد العنيفة، ويخصص له دراستين في الكتاب، ويظهر أنه منحاز إليه بشكل كبير، فالعنف الموجود في المجموعة القصصية مرعب، أجواء قاتمة، دم، وعنف، وموت، شيء كما قال عنه باطاي نفسه في كتاب الأيروسية "مثير للقرف".

أثارت في هذه الكتب قضايا كثيرة، شرعية الفعل الإنساني، وكيفيته، وأوضاعه، وكيفية التعبير عنه، أتذكر نصوصا كثيرة تحدثت عن هذا الفعل من لدن الشاعرة الإغريقية "سافو"، وكنت قد حدثتك عنها في واحد من اللقاءات، كانت امرأة "سحاقية"، شاذة. عند باطاي أيضا تبدو "سيمون" امرأة شاذة، تتجرأ على الفتاة "مارسيل" وتداعبها وتقبلها، وتصل إلى النشوة معها.

في الليلة الماضية لم أستطع النوم إلا متأخرا جدا، لما بعد الثانية صباحا، كنت ممسوسا بعالم جورج باطاي، أستعيد كل ما كتبه الأدباء والشعراء العرب، استحضرت نصوصا أيروسية من المعلقات، ما قاله امرؤ القيس، وما قاله عمرو بن كلثوم، وما ورد في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" من شعر فيه ذكر للعملية الجنسية بلفظها الشائع شعبيا أو ربما هو لفظ سوقي تافه عديم الحياء، استعمال غير مثقف. ومر في ذهني أيضا غلمانيات أبي نواس الباذخة الجمال في التغزل بالمذكر، وتذكرت قصته مع أستاذه ومعلمه الشعر والبة بن الحباب. قفزت في ذهني صورة مشابهة لعلاقة المثقفين المشبوهة. تاريخ حافل بالقدارة لا شك في ذلك. وغير بعيد عن ذلك الشذوذ ما حاول أن يبينه واسيني الأعرج في روايته الأخيرة عن مي زيادة. ثمة شذوذ جنسي أيضا في حياة مي زيادة، ربما هو السبب في عزوفها عن الزواج أو الامتناع عن إقامة علاقات جنسية مع واحد على الأقل ممن أحبها من المثقفين في عصرها، هؤلاء المثقفون المنافقون جدا، ككل زمان وجدوا فيه يا عزيزتي. ثمة روايات أيضا تتحدث عن الشذوذ "عمارة يعقوبيان"، وبين الفتيات رواية "وجوه رام الله الغربية"، والكثير من الروايات في الفترة الأخيرة تحدثت عن ذلك.

كم يبدو هذا العالم مهووسا! كنت أظن أننا وحدنا ما نفكر بالمرأة على نحو تافه، كما كتبت إحدى المغردات تحتقر الرجال العرب أنهم أنفه من أن يفكروا بالمرأة بأبعد مما بين فخذيها! بالتأكيد هي نصف مثقفة، ليس العربي وحده من يفكر بما بين فخذي المرأة، إن من يقرأ باطاي والماركيز دوساد، وأظنك قد قرأت له روايته المرعبة "جوستين"، ومن يقرأ بوكوفسكي وروايته السيرية "نساء"، ورواية "الجنس والمدينة"، وروايات بابلو كويلو، و"لا تخبري ماما" لتوني مغواير، أو قصة حياة مارلين مونرو. سيجد أن الرجال كلهم يفكرون بالطريقة ذاتها.

إن من يتابع أخبار التحرش في أوساط الفنانين والسياسيين والمثقفين يدرك تماما أن الرجل هو الرجل وهي طباعه المفطور عليها، في امتقاعه بماء شهوته، ليظل عبدا لعضو قبيح، كما وصفه جورج باطاي، ووصفه قبله علي بن أبي طالب عندما قال: "تطلب المرأة لأقبح ما فيها". إن الجمال السامي يلطخه كشف هذه الأعضاء والنظر إليها، وهذه الفكرة مقتبسة من جورج باطاي أيضا عندما بحث فكرة الجمال في الفصل الثالث عشر من الكتاب.

كان جورج باطاي ملحدا على كل حال، ولكنه قال جانبا مهما من الحقيقة، ولعلك لو نظرت في القرآن الكريم لوجدت قول الله تعالى: "يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان، كما أخرج أبويكم من الجنة، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما"، هنا موضع الشاهد "سوءتهما". يلتقي باطاي مع القرآن الكريم في الوصف، إنه التفكير السليم الذي يقود صاحبه إلى الفكرة السليمة.

لقد ثررت كثيرا، كنت مزعجا بلا شك، ولكن لا بد لي من أحدثك فيما أثقل عليّ، وشوش أفكارني، أفكار جورج باطاي ليست سهلة وليست سطحية، ولذلك كنت حذرا جدا وأنا أقرأ وأفكر: ما الذي يختفي وراء هذا المجنون العاهر؟

أمل ألا يطول صمتك، وأن ترسلي لي بعض ملحوظاتك بخصوص "جوستين"، فأنا لم أقرأها إلى الآن.

دمت العينين اللتين أرى بهما، والقلب الذي يلهمني المتعة والكتابة وحب الحياة.

وإلى اللقاء.

الاثنين: 2018-7-23

أسعدت صباحا أيتها الكاملة كرؤيا، والبعيدة كحلم، والغامضة كإله محاط بالأسرار، أما بعد:

كل شيء غامض، غير مدرك الذات، هو إله. فكري معي بهذا الأمر جيدا. كيف لك أن تكون إليها؟ وهل بوسع بشر أن يكون كذلك؟ أليس كتاب الروايات هم آلهة ورقية، يشبهون الآلهة إلا قليلا، شبيها بعبدا، ساردوهم الذين يتخفون وراءهم هم الآلهة، وليسوا هم فقط. يطلق النقد على هذا النوع من السارد، السارد كلي المعرفة، السارد العليم، إنه إله. يستطيع أن يرى ويسمع ويتخيل ما

بداخل الشخصية، أينما ذهب شخصياته فهي تحت سيطرته، لا تغيب عنه، ويعرف بماذا تفكر، يقَلب أقدارها وقلوبها على هواه، مستمتعا بعذابها، وراضيا بشقاؤها. تقرأها معراة في الصفحات، وكأنه يتلذذ وهو يكشف عنها ستائرها. فالسارد إله مهووس بالفضائح.

الروائيون يصنعون أحداثا، ويرتبون أقدارا، ويخلقون شخصيات، يمنحونها الحياة الكاملة بأقدار كاملة، يحيون من شاءوا، ويميتون من شاءوا حسب ذلك القدر المتخيل. هم آلهة بصورة ما، يسيطرون على اللعبة كلها، لا ينقادون لشيء، بل يقودون العالم كله وراءهم، القراء عباد طائعون لقدر الروائيين، يقرؤون وينفعلون، يشتمون، ويصرخون، يحبون ويكرهون، والنقاد كذلك عبيد مقيدون بأقدار الروائيين. الناشرون كذلك خدم في معابد آلهة الرواية، يصنعون كل ما يستطيعون من أجل أن ترضى عنهم آلهة الرواية. الرواية أيضا إله، لها سيطرة وقوة، غامضة في أسرارها، تسيطر على العقل والنفس، وتستعمر العقل، والكل يسجد في محاربيها طائعا، وإن كره، مقودا إليها، وإن أحب. قضت قضاء مبرما على آلهة الشعر.

ليس الروائيون وحدهم هم آلهة في هذا العالم الذي أصبح يسبح دون أن يستند إلى إله حقيقي، الكل يركض وراء آلهة مزيفة ورقية، ووهمية، المرأة المعشوقة هي إله أيضا. تصوري معي ما كتبه الشعراء في محبوباتهم، إنهم يعبدونهن، ومستعدون لأن يسجدوا بين أيديهن. يتلون الصلوات من أجل إرضائهن، يستغفرون الحب إن سهوا عنهن، ويقدمون القرابين إن أخطأوا في حبهن. كم صريع في معابد الجمال والحب يا جميلتي.

الثوار كذلك آلهة، المثلثون الذين كانوا يجوسون الليل، ويحرسون الوجود من العبث، يعرفون كيف يصطادون الوحوش ويجعلونها راحة ذلا وصغارا، كم هي رائعة صور الثوار في عيوننا، وكم هي مرعبة في خيالات الأعداء. بالتأكيد إنهم يلاحقونهم فيكشفون عنهم، ويعرونهم وينتصرون عليهم، ويرجعونهم بشرا، يستعبدونهم، يقتلونهم، يعذبونهم، يعتقلونهم. إنها محاولة السيطرة على إله محتجب مخيف يرعبهم، والآن لك أن تتصوري فرحة هؤلاء كلما اصطادوا ثائرا إلها. كانوا يقيمون الأفراح ويوزعون الحلوى، كأنهم يقدمون القرابين لآلهتهم هم وقد انتصروا. لم يعد الصراع بشريا أيتها الفتازيا، إنه صراع آلهة.

الأشخاص الوهميون ذوو الحسابات الوهمية هناك في مملكة العم "مارك" هم أيضا آلهة، يراقبون الجميع، ويرونهم، يطلون من عل على أشيائهم، يكشفون عن ضعفهم، يتسللون إلى مخادعهم، يخدعونهم، يضللونهم، يستعبدونهم، ويحرقون أعصابهم. يحرسون سقوطهم، ويرفعون تفاهاتهم، ويهونون عليهم مجدهم، لا يسمحون لهم بالتعالي والتصايب، يقودونهم نحو الجنون.

المتحكمون في البشر في عالم السياسة هم آلهة أيضا، وإن كانوا أشرارا، يتحكمون في المصائر من وراء الكواليس، يرسمون لهم حياتهم، لا أحد يفلت من قبضتهم، يعاقبون، ويقتلون، وإن شاءوا يمنحون أتباعهم وعبيدهم الأعطيات والهبات، يرضون عنهم فيعيشون، ويسخطون عليهم، فيذهبون إلى العالم السفلي ملعونين ومرجومين. لا أحد له عليهم سيطرة أو سلطة.

رجال المخبرات والمخبرون جميعا آلهة صغيرة تافهة لآلهة أكبر حجما وإن كانت أشد جبروتا إلا أنهم أشد تفاعلة، والديكتاتور المتسيد على عرش الجنون إله وثنّي يحمل سوطا يجلد من شاء، ويغدق على من شاء، يحرم ويعطي حسبما يرضى ويهوى، وبإمكانه أن يختار عبده كما يحلو له!

كثيرا ما كانت تستفزني صورة "الكبير" الذي تصوره بعض الأعمال الدرامية في قصص المافيا، يصورونه من بعيد، لا ملامح له، له ظل أو صوت، لا يظهر ولا يستطيع أحد الوصول إليه، حتى إذا قضي عليه، صار واضحا كسوء امرأة عاهرة.

كنت ذات مرة إلهة، مرة وأنت مختفية محتجبة بحساب وهمي، لا أحد يعرفك، يتصورون صورتك، ويرسمونها كإلهة عليا، كنت قوية، قوة غامضة، في عرش عليّ، وعندما كشفت الحجاب نزلت عن العرش، صرت بشرا سويا، لم تعودني إليها، ها أنت أمام الجميع واضحة، واضحة، من شاء أن يصل إليك وصل، ومن شاء أن ينسك نسي، صار هو المتحكم في حضورك وغيابك. لم تعودني حاكمة على الأقدار، ولا على الآمال والتصورات، أوقفت الخيال عن الرسم، والشعر عن استحضار الجمال الإلهي الغامض الغريب. جردت الحياة من طعمها اللاذع المشبوب بالألم. فقدت صولجان الألوهة السحري في لحظة فتنة في التجلي.

وكنت إلهة مرة أخرى، عندما كنت معشوقة، تغييبين، ولا يجرؤ أحد أن يسأل أين كنت، لا يحق لبشر عبد أن يسأل إلهاً أين كنت. الآلهة وحدها من تسأل، والبشر منقادون وصاغرون، إنك كنت هكذا، إلهة معشوقة، متصورة. تستدرجينهم إلى حتفهم، وهم ضاحكون ومتهلفون. لماذا نزلت عن هذا العرش، أيتها الغامضة كإله جميل؟

أيتها الساكنة في البعيد، المحتجبة في مجاهيل الصمت، كوني إليها، ولكن إله رحمة لا إله عذاب.

إليك القلب حتى ترضي، ولك الحب حتى تصيري بشرا جميلا، وإن كنت في القلب نورا لإله عظيم.

صباحك واضح كأدلة على الخير والحب

المتقلب في محراب الحب.

الثلاثاء: 2018-7-24

أسعدت روحا، وقلبا، وكيانا عظيما:

كان يوما شاقا بأساء، شعرت كأن الدنيا كلها ستنهار دفعة واحدة، لولا رنة صوتك المسروق من بين اللحظة أعاد إليّ بعضا من توازني. الكتابة إليك أو الحديث معك يمنحني طاقة عجيبة، ولك أن تتخيلي ذلك، أكون في قمة اليأس والتلاشي، تأخذ الغيوم بالانحسار تدريجيا وتشرق شمسك واضحة دافئة، دفء أعضائك التي أحس نشوتها، وهي تحرس روعي من العبث.

ثمة ما يربكني، قربك يرمم خراب روحي، أسعدتني أخبارك بالتأكيد، وأربكني انشغالك عن الكتابة، عليك أن تجدي الوقت، ف"الكاتب الذي ينتظر تحقق الظروف المثالية ليكتب، سوف يموت قبل أن يضع كلمة واحدة على ورقة"، كما يقول Elwyn Brooks White. الحياة ليست سهلة، والكتابة في ظل هذه الظروف ستبدو أكثر صعوبة، ولكن لا بد من النضال من أجل الاستمرار في صنع الجمال.

ها أنا أحاول أن أكتب، على الرغم من شعوري أحيانا كثيرة بالفشل الكبير. حدثت في رسالة سابقة كيف يأخذ اسمي بالتقلص والاختفاء عن صحف كثيرة، هزيمتي في انتخابات اتحاد الكتاب كانت ذات أثر سيئ، الإشاعات التي يطلقها الآخرون، وتعليقات المتطفلين المزعجة. كاتب فلسطيني صديق يرى أن سبب هزيمتي في الانتخابات هو مقالة "ظاهرة الشعراء الصراصير"¹، ضحكت من هذه السطحية في قراءة المقال، كثير من الشعراء امتعضوا من هذا الوصف، لكنني بالتأكيد أرى أن ظاهرة الصرصر آخذة في الانتشار والتمدد في مساحات كثيرة، ضاع الجيد في كومة من الهشيم. من يشعل النار، فنستريح من هذا العبث اللغوي اللثيم.

صرت أكثر حرصا على أن أستريح من المشاركة في هباء الكلام المكتوب على أذباله أنه شعر. هل تتاح لي الفرصة بمشاركة كبيرة، لعل نفسي ترضى قليلا عن حالها، هل ستتحقق أمنيته بالسفر معك ولو مرة واحدة في العمر، ليس من أجل المشاركة بحد ذاتها، ولكن لأراك كما ينبغي أن أراك، كدت أنسى ملامحك لولا أنني أدمن النظر إلى صورك يوميا، أكاد أنسى لون عينيك وحركة شعرك المتطاير مع الريح، أكاد أتوه عن عقب رائحة جسمك التي كانت تمنحني الهدوء، أكاد أنسى ضحككتك اللطيفة، أكاد أنسى الجنون. معك حق عندما سألتك: "متى سأراك" أن تستعربي، فأنا شخص عديم الوفاء، سيئ الطباع، لثيم، لكنني ما زلت مشتاقا لرؤيتك وأحب التفؤ بين يديك، أحب مشاكستك، أحب غوايتك، أحب بريق عينيك عندما تتفرسان في عيني بحثا عن الصدق إذا ما تحدثت بحديث لا يدخل عقلك. تعلقين بفكاهة محببة "يا راجل". أحب تمردك، دمعتك، شوقك، جنونك، أحب كل شيء فيك حتى وأنت تتعمدين إثارتني.

رفيقة الروح:

آمال كثيرة ماتت، وأخرى على وشك أن تموت، الليل يتكثف أكثر وتسود لحظاته، البرد يعجن الأعصاب، ويصلب الشرايين، الروح تتساقط غصنا ميتا في تلو غصن. أمس فكرت كثيرا بالموت، على إثر رسالتك القصيرة، كيف سأكون إلها، وأنا شخص يشعر بالتلاشي، لا معنى لأي شيء دون وجودك. عندما سألتني عن مشروع "الرسائل" إلى أين سيمضي، وكيف سيكون مآله؟ لست أعرف سوى أنني أكتب في أحيان كثيرة لأتخلص من الكآبة، وأحيانا لأنني أحتاج أن تستمعي لثرثري الغبية، وأحيانا لأخبرك بطريقة ما عن أخباري، وأحيانا أحب أن أشاركك فكرة تعلمتها أو كتابا قرأته. أريد أن

¹ نشرت في كتاب "بلاغة الصنعة الشعرية".

تظلي مطلة على عالمي، وإن كان ضيقاً، لعله يتسع بسطر في رسالة قادمة منك عبر البريد. كم يكون الأمر قاسياً عندما لا يحمل البريد رسائل.

أبدو مشتتاً كثيراً، أكتب هكذا بعشوائية، ألم في داخلي يتلوى، لا يريد أن يغادرنى. أحياناً أقتنع أنني ارتكبت خطأ وجودياً في الاقتراب منك، وأحياناً أقتنع أنني ارتكبت جريمة نكراء بالبعد عنك، فاخترت الرسالة واخترعتها لتقف على ما تسمينه "البين بين". كم تتعبنى مسافة البين بين، يا ليتني كنت حجراً يا سيدة القلب، ليتني كنت نسياً منسياً، ليتني لم أحبك، ليتني لم أعرفك، على الرغم من أنني كبرت بين يديك، وتبرعت أغصاني برعاية روحك. أمواج تلطم روحي فتبعثرنى.

يا لله، أشعر أنني مراهق، وأكتب كالمراهقين، هل يكبر عاشق ويشيخ؟ أتنفس بصعوبة بالغة، الهواء لا يتحرك في الفضاء، القلب لا يدق، أشعر أنه لا دم فيه، لا حياة، لا حركة، لقد استقال القلب من جميع مهامه إلا من مهمته البيولوجية. وأشك في أنه يعمل بإخلاص في هذه المهمات، أحس فيه كسولاً يتمطى كمخبول، أعمى يقودني فقط على غير هدى، إلى الهاوية. لا تسألني عن مآل الرسائل. واسألني عن مآلي: إلى أين أنا ذاهب، أو إلى أين تأخذيني؟ هذا هو السؤال الأوجب، يا سيدتي.

يبدو أن يومك كان ذا فسحة، فإن بقيت هذه الفسحة متاحة، أرجوك أن تكتبي لي، فلا شك في أن كلماتك ستدخل مجرى دمي فوراً، فتضخ فيها الدفء، وأشعر بارتياح وانتباه، وأبعد عن خاطري شبخ النوم أو الموت أو اليأس.

أيتها الغالية:

ما زال في الحياة متسع لنعيش إن كنت معي، أعرف أنني لا أريد الانزلاق إلى لغة الاستعطاق، ولكن أرجوك، ظلليني بيديك، ولتحضن روحك روحي، فالقلب واهن واهن، والروح متشظية.

لا تسأليني لماذا كل هذا الارتباك، فأنا لست أفهم شيئاً من أمر نفسي.

أحبك حتى آخر الأبد.

الأربعاء: 2018-7-25

أسعدت أوقاتاً على كل حال، أما بعد

كيف تمر الأيام سريعة، في هذا اليوم يكون قد مر عشرة أيام على غياب صديقي، لم نتحدث معاً، منذ كنا في رام الله لحضور مؤتمر الأسرى، لا أدري هل هو غارق في عمل ما، أو أنه غاضب مني، الغريب أنني أنا أيضاً لم أهاتفه لأعرف ما به، لم أعتد على الاتصال به، في العادة هو من يتصل بي، أنا منهمك طوال الوقت في أمور خاصة، ربما كانت تافهة غير منطقية، أقرأ كثيراً، وأكتب خربشات

ليس لها طائل، ملحوظات على الكتب التي أقرأها. تعلقت في الفترة الأخيرة بمتابعة مسلسل "العقاب والعفراء"، أعادني إلى ذلك الزمن الذي كنت أعرف فيه أسماء الفنانين وخاصة الأردنيين، أنعش المسلسل ذاكرتي كثيرا، مع أن أفكاراً من عولمة الفن متسللة إليه.

صديقي الذي غاب هذه الفترة ربما هو منشغل بالفيسبوك، فمنذ أن قرر الدّخول إلى هذا الفضاء الضيق، وهو مغموس فيه، يتابع ويقرأ الشّعر، يسخر كثيرا من بعض النصوص، ينشر أحيانا قليلة، يعجب بالمنشورات، يكتب التعليقات المحيرة أحيانا، فلا تدري أهو يمزح أو يمدح أو يقدر. يدخل في حوارات طويلة مع الآخرين، لكنه كما قال لي لا يدخل في دردشات مع أي أحد وخاصة الصديقات. صديقي خجول جدا ومهذب، له محادثات فقط مع صديق لعله شاعر فلسطيني مقيم في سوريا، يبدو أن هذا الشاعر من أتباع النظام، مع أن صديقي ديمقراطي يكره كل الأنظمة!

صديقي وهو ينساني أياما وأنا أنساه، لكن هل يمكن أن أنساه على هذا النحو الفظ. لو كنت ناسيه لم أكتب لك عنه في هذا الصباح. أغلب الأحيان لن يرى ما سأكتبه حتى ولو نشر إلا إذا حدثه به أحد ما، ربما زوجته أخبرته، تقرأ لي دوما. تعليقاتها التي ينقلها لي صائبة وعميقة. قرأت كتبي كلها، وبعضها كانت ما زالت مخطوطة. صديقي أحيانا أشعر بأنه فخوري.

صديقي الذي غاب هو أيضا يأخذ مني في عمقه موقفا سلبي. لا أعرف لماذا، يشبهك أيضا في أنك لا تتحدثين معي إلا نادرا. لقد مر على القطيعة بيننا أيام طويلة أكثر من أيام صديقي العشرة، حتى ونحن نتحدث في الهاتف أشعر بأن الوقت قد باعد المسافة بيننا. كنت أشعر بالخجل اليوم وأنا أحدثك عن أوضاعي، شعرت أنك حيادية جدا، بل أوشكت على الدخول في التحقيق، لا يهم، ربما وصلك السبب الحقيقي في أنني لا أستطيع رؤيتك، حتى لو تعريت أمامك لا يسترني من واقعي البائس أي ساتر.

صديقي يشبهك أيضا في موقفه من كتاباتي "المجرّمة" التي تثير حفيظتك وحفيظته أحيانا. أعرف أنني المسؤول وحدي عما أكتب. أظنّ أنني أصبحت راشدا بما فيه الكفاية لأتحمل وحدي مسؤولية حياتي الخائبة. لا أحب أحدا أن يكون وصيا على كتاباتي، يوجهني ويقودني على هواه بدعوى التقوى. أنا أتقي ما أتقيه كما يتوافق مع تقواي الناقصة. أحب أن أشعر بالحرية، حتى ولو كانت حرّية موهومة. أعرف أنه لا يوجد إنسان حر في هذا العالم حتى حاكم العالم نفسه فهو مقود لشهوة التجبر في داخله. إذن هو عبد لشهوة مجنونة أشد خطرا من شهوة السرير. لا يوجد إنسان حر إطلاقا، لا نكون أحرارا إلا بالموت، أليست هذه هي فكرتك العميقة بالضبط؟

صديقي أنا؛ أنت وأنا واقعون تحت تأثير العبودية، كثيرة هي الأمور التي تستعبدنا في هذا العصر، أكثر من أي عصر آخر، بل إن العبودية والاستعباد أشد قسوة من ذي قبل، فنحن رضينا أن تستولي علينا أشد الأمور تفاهة. نؤلف حولها قصصا، ونتخذ تجاهها مواقف، ربما لو استعبدناها لكننا أهدأ وأجمل وأفضل حالا. لكن على ما يبدو أن شخصياتنا أصبحت أكثر هشاشة إلى درجة أن

يستعبدنا وهم أو صورة أو فكرة أو حتى لا شيء، مجرد أننا مستعبدون هكذا، فقط مستعبدون دون أي سبب.

معك حق فيما كتبتة: "يا إلهي، من حقلك أنت التعبير والاحتجاج والرفض أما أنا إن حكيت تهتز عروش العالم، يا أخي خليني أتساءل أم أنه ليس من حقي". لا بأس كل واحد منا يريد أن يكون العالم على هواه، يفصل الناس على مقاساته، وإلا فليذهب الحب والصدقة والجمال والأدب والحرية إلى الجحيم، هذا هو لسان حالك وحال صديقي وحالي الغارقة فيما يسميه البعض مستنقع القذارة في كتابة ماجنة تجعلني عاجزا ومشوهاً.

لا أعتذر منك هنا ولا أعتذر لصديقي لعدم الاتصال به، فكلنا لو دقت النظر قليلاً أنا نبيون لا نهتم بغير ما نريد، بأفكارنا، نحب السيطرة شئنا أم أبينا آتترفنا أم لم نعترف، في داخل كل واحد منا جنرال عسكري هتلري قاس لا يرحم، فلو كنا على كراسي الحكم العربية لكنا أسوأ من كل الحكام تصرفاً، ولقمنا بسحل الجثث في الطرقات لأتفه الأسباب. أليس سبباً تافهاً أن تحتجبي عني وأنت تظنين أنني كنت أعاني ما أعانيه من سوء الأوضاع؟

لا شيء أصعب على الإنسان من أن يكشف نفسه أمام شخص، فلا يلقي يداً حانية تمنحه بعض الدفء. ستقولين، وماذا بوسعي أن أفعل؟ بالتأكيد لا شيء ولكن يكفي أن تصغي إليّ ولا تتحولي إلى محقق، يتابع التفاصيل، كأنه يريد أن يقول: كم كنت كاذباً أيها المجنون. لا بد من أن يأتي يوم وتحسن الظروف، فقد مررت بأوضاع أسوأ، وتجاوزتها. ولكن أرجو ألا يأتي هذا اليوم وقد خسرت لهفة الحب في عيونك.

أتلهف لرؤيتك، ولكن لا أريد أن تشعري معي بالهوان وعدم الاحترام.

انتظريني، فربما غيبتي لن تطول.

الخميس: 2018-7-26

أسعدت أوقاتاً أيتها المبعجلة، سأروي لك أسوأ ما جرى لي هذا اليوم، فأعيريني السمع والفؤاد:

لا تهمني أولاً بالسوداوية، فأنا واقعي جداً، ولا أريد أن أكدر خاطرك، ولكنني أشعر بالعزاء وأنا أحدثك، سأحدثك عن الجوع القاتل. القراءة في الصباح لمدة ساعتين تجعلني أشعر بالجوع مضاعفاً، أترك القراءة، وأتمشى، أبحث عن فنجان قهوة فلا أجد، رائحة الطعام في الغرفة المجاورة يخترق أحشائي، تجعلني أشعر بجوع رهيب، أحدهم يلاحظ أنني أكل كثيراً، وأني لا أستفيد من هذا الكم الهائل من الطعام الذي ألتهمه، لم يكن وحده من لاحظ ذلك، كثيرون يؤيدونه، لكنهم لا يعرفون أنني لا أتناول إلا وجبة واحدة يومياً في غالب الأحيان. لذا قررت ألا أشاركهم الفطور إطلاقاً.

اليوم لست أملك ثمن الفطور، زوجتي معتادة كل صباح على إعداد وجبة خفيفة قبل الخروج إلى العمل. اليوم أيضا لم يكن لدي رغبة إلا في تناول بعض اللقيمات، لأستطيع احتساء فنجان القهوة الصباحية. كيف لي أن أهرب من الجوع؟ أعود للقراءة، أقطع بصعوبة مجموعة من الصفحات، تشتتني الرغبة في الطعام. كيف لي أن أتخلص من هذا الوحش الذي يفترسني من الداخل، ويمزق أحشائي. أدركت كم أن الجوع كافر، وأدركت مرامي ثورة الجياع، وأدركت كم أنا لا أساوي شيئا، ما دمت غير قادر على إسكات البومة في أمعائي. تذكرت في الحال احتمالات هنري ميلر، في فترة فقره الشديد، قبل أن يغدو كاتب مشهورا، وكيف كان يحصل على طعامه.

لقد أخبرتك في رسالة أمس عن سوء أوضاعي، وربما شعرت بالندم لأنني أخبرتك، وها أنا أعود للخطأ ذاته. أفكر بالشخص الذي ربما يكون قد استولى على "الشيك" الضائع، وكيف تطاوعه مشاعره الإنسانية أن يحرمني من هذا المبلغ الزهيد الذي أفتطعه من أجل توفير القسط الجامعي لابنتي، أهم بالحقد عليه، وشمته، أترجع، فربما كان بحاجة ماسة لهذا المبلغ. أحاول أن أطرده الجوع الذي يتغول في داخلي، أستل سيجارة من جيب سترتي. يا للمفارقة جائع وفقير وأدخن السجائر غالية الثمن، أي عبث أنا فيه. أحمد الله أنني لا أدخن كثيرا. فلا أحتاج في الشهر الواحد سوى لأربع علب فقط. إنني مدخن مثالي. يا للروعة!

الصخب في الغرفة المجاورة يزيد من تشتتي، صوت علبة الكولا يزيد من رغبتني في احتساء القليل منها، لا أجرؤ على مشاركتهم في ذلك. أشعر أن اليوم طويل، وطويل جدا. هناك مشكلة أخرى؛ تصحو رغبتني الشديدة بك، أهما أن أرسل لك رسالة أرجوك فيها أن نمضي الليلة سهرة ممتعة، فالجوع إليك أكبر مما يحتمل. ستقولين أي مهووس أنت، وأي مجنون؛ جائع ولا تجد ثمن فطورك، وتفكر بالمتعة، بالفعل إنك لمجنون. ولكن على الرغم من ذلك هل ستتيح لنا الظروف لنمضي الليلة سويا. الحياة كلها أضحت مبنية على الصدق، لا شيء ينفذ إن خططنا له، سيكون هناك شيء لنا بالمرصاد. إذن، فلنترك كل شيء كما هو. أمس نمت مبكرا.

شخصان يقتحمان مكتبي هذا النهار، يفسدان علي خلوتي مع الجوع، صافحتهما وأنا مترنح كأني ثمل، أتحاشى الحديث معهما، وأحاول أن أنام.

يبدو أنني نمت ساعة من الزمن، أحاول أن أسمع؛ لا صوت للجوع، يا إلهي لقد نجحت في السيطرة عليه، أو ربما ما زال نائما لم يصبح بعد. أعود للقراءة، أنهي الكتاب، وأكتب مجموعة من الملحوظات والاقتراسات ومسودة هذه الرسالة في جيبي. وقت الدوام شارف على الانتهاء، لم يبق سوى القليل القليل.

ها أنا في البيت الآن، وقد تجاوزت الساعة الثامنة والنصف مساء، في غرفتي الواسعة، أكتب لك بعد تناول طعام الغداء مرتين، وتناول فنجانين من القهوة. لقد مرت التجربة بسلام كبير مع ألم أكبر. جنبك الله الجوع والعطش، وأدام عليك الصحة والأمان.

ربما عندما أكون قادرا على دفع ثمن وجبة إفطار متواضعة نتناولها معا، سنلتقي. لا عليك لا بد من أننا سنلتقي... سأكون بخير إن قرأت هذه الرسالة وبعثت لي ردا ولو جملة واحدة.

أشتاق إليك وإن كان الجوع كافرا.

الثلاثاء: 2018/7/31

كل عام وأنا كما تعرفين، أما بعد

كنت أفكر أمس أن يكون يوم إجازة، لأحتفل فيه بنفسي، كونه قد صادف عيد ميلادي الخامس والأربعين، ولكن ما معنى أن أحتفل وليس معي أحد سواي، لم تتذكرني بالطبع أنّ أمس كان عيد ميلادي، على الرغم من أنني ذكرتك به في رسائل سابقة. تخيلي كم تؤثر فيّ هذه التفاصيل الصغيرة، ليس لأنني طفل أو ساذج، بل لأنني أشعر بالبراءة وأنا أتحدث مع من أحب، هنا أنا لا أحب الفلسفة، وأنه في داخل كل منا طفل علينا ألا نقلقه، كم أكره هذه الجملة التافهة، وإن تلفظ بها كتاب كبار فهي لم تعجبني لأنها جملة غبية بالفعل.

مؤلم جدا أن يحدث ذلك، ولكنه حدث على كل حال، ولذا وصلت إلى قناعة مرة وهي أننا صديقان، ولكننا أيضا غير حميمين، علاقتنا صارت تشبه زملاء العمل، جفاء، ورفع عتب، ويطمئن أحدهما على الآخر أنه ما زال على قيد الحياة، وأن أموره تأخذ روتينها المعتاد، وربما صرنا في قرارة أنفسنا نتمنى أن يصحو أحدهما وفي داخله رغبة ألا يجد الطرف الآخر، ولا يرد على رسائله، فيريحه من عناء ما، فلم يعد مهما وجوده. لم نعد صديقين حتى، كما أننا بالمؤكد لم نعد حبيبين بتاتا.

وعلى الرغم من كل ذلك سأواصل الكتابة، ولتسمح لي فخامتك أن أحدثك قليلا عن الفرق بين الحب والصدقة، ذينك المعنيين اللذين خسرناهما معا.

أثارتني هذه الجملة في رواية رجالي للكاتبة الجزائرية مليكة مقدم: "الصدقة هي الحب محروما من الجنس"، هذه هي المرة الثانية أو الثالثة التي أستخدم فيها هذا المقتبس، ولذا أن تدعي امرأة أنها تحبك دون أن تذهب معا برضا كامل إلى الفراش لممارسة الحب ما هو إلا صداقة قوية، ليس إلا. الحب بين شخصين هو أن يكونا أيروسيين حتى الموت. وأنت لم تعودي روحية حتى، فكيف ستفكرين بمتعة الجسد معي، فالجنس بلا عاطفة كما يقول باولو كويلو: "عنف ممارسه على أنفسنا". كم كنت أتمنى في قرارة نفسي أن يكون احتفالي خاصا، في هذا اليوم، عندما همست لك: هل يناسب أن نلتقي يوم الاثنين، تدرعت بما لا يقنع أكثر الأطفال سذاجة، فكثيرة هي أيام الاثنين التي التقينا بها، كنت أرغب أن يكون يوما خاصا بحضرتك، فليس أجمل من أن تحتفل بعيد ميلادك في حضرة امرأة ادعت يوما ما أنها تحبك. لا عليك، هل ستتذكرين الآن أنه كان أمس عيد ميلادي، لا بأس، لقد فات الأوان، ولم يعد له طعم أو مذاق، إنه أشبه بثمرة تركت في العراء فتعفنت.

لعلك تلاحظين أنني قد امتنعت منذ فترة عن أن أكتب قصائد غزلية، وامتنعت عن عادي الساذجة في أن أرسل لك قصيدة كل صباح، فالحب ليس أن تبعث قصيدة لامرأة جميلة تصف فيها ما خلقه الله وترى أن فيها شهوة الحياة، دون أن تتذوق طعمها بكل ما أوتيت من لذة المذاق. عندئذ لن تكون إلا شاعرا مهذبا يتغنى بهذا الجمال كما يتغنى شاعر آخر بجمال وردة أو سروة أو نجمة في السماء. وإذن ستكون صديقا وفيا ومخلصا لتقف عند العتبة ولا تتخطاها، واضعا بينك وبين تلك المرأة ستارا كثيفا من زجاج، ترى الماء، وظل الماء وتبقى عطشاً. لم نعد صديقين وفين أيضاً، لقد خانت النفس شقيقتها كثيراً، خيانات قاسية يومية.

كيف تذكرتني أمس، وبعثت لي رسالتك أول النهار؟ ماذا كنت تقصدين؟ ربما هو العيب، ليس أكثر، أعجبتك رسالة ما ربما كانت من عابث ما، فتصدقت علي بها، ف "شكرا جزيلاً"، عليك أن تدركي أن الحب ليس أن تسأل الشخص عن أحواله، وتطمئن على صحته، وهل ما زال على قيد الحياة. إنه بالفعل إن أجاب على رسالتك سيكون حياً، ولكنك ماذا فعلت له ليكون مستمتعاً بهذه الحياة، وهل منحت أعضائه وشهوة روحه حيويتها، وتفقدتها عضواً عضواً واطمأنت على سلامة فعاليتها. إن جعلتها راكدة دون حراك، فاعلم أنك صديق جيد فقط. الرسالة المحولة منك إلي، وربما أيضاً لغيري كذلك، فما هي إلا كبسة زر، والكل يغدو مستمتعاً بتلك الرسالة الظريفة.

الحب ليس أن تزور شخصاً أو تحادثه، وتستمتع بأحاديثه، هذا إن كانت تلك الأحاديث تتمتعك، فالمهرجون يفعلون هذا أيضاً، والأصدقاء كذلك يفعلون، وربما فعلها الأعداء أحياناً، ولكنك هل أتيت محملاً بك، لتجعلك بين يدي هذا الشخص، ليعيد ترتيبك في أوضاع مجنونة تجعل الوقت غير الوقت، والمكان متحركاً منتشياً يكاد يرقص من شدة الفرح.

الصدقة ثمرة عامة، متاحة لكل الناس، والحب ثمرة الناضجة لك وحدك، هل استمتعت يوماً بالحب لتدرك اختلافه عن الصداقة، إياك أن تقتنع أن الحب لا يكون إلا بالنظر وبالمكابدة وحرق الأعصاب، إنه ليس حبا إنه العذاب، الحب أن تعيش سعيداً كل لحظة تغتسل فيها مع من تحب، ويختلط الدم بالدم والماء بالماء، ويصبح الجسدان جسداً واحداً، تصنعه كيميائية خاصة، يجعلكما كيانا واحداً معروفاً بشيء واحد هو الحب.

الحب ليس هو أن تذكر الشخص بعيد ميلاده، إنك تذكره بالاقتراب من النهاية، دون أن تجعل هذه النهاية محفوفة بزركشة اللون المصطبغ على جسد مشوب بشهوته، وإلا فإنك لن تختلف عن شركة الاتصالات التي ستذكره بعيد ميلاده أيضاً، ولا عن أسرة البنك الفلاني الذي يمنحك رقم حسابك الخاوي، والمخصص فقط لأغراض الراتب، فإنهم أشد وفاء منك، لا ينسون، وإن أنت نسيت.

الحب ليس شركة، وليس صداقة، إنه أن تموت مستسلماً بكليتك لقدرك بين أحضان من تحب راضياً مرضياً مبتسماً، وتقول: "لا أريد إلا أن أحي بالموت فيك، ولا أموت إلا بالحياة فيك". هو باختصار أن تفهم أنك قد خلقت لأجله هو وحده، لتكون قديسه وقربانه، والصدقة أن تحرسه

من العبث، ولم تكوني إحدى تينك الحسنيين. كيف يخسر المرء خسارتين في يوم مولده؟ لست أدري. تذكري ذلك النص الذي كتبتة يوماً: "لا شيء يمنع لو كرهت¹". فلو كنت صديقا وليس حبيبا حتى لتذكرت أن أمس كان عيد ميلادي الخامس والأربعين. أرجوك ألا تعتذري بعد قراءة الرسالة، فلا شيء ينفذ إن نسينا، فالوردة في موعدها تكون جنة، والجنة في غير أوانها تكون صحراء قاحلة.

وبالمجمل- يا عزيزتي- فإنّ للناس آراءهم في هذا الموضوع، أما أنا فأرى أن من تحبها وتحبك يجب أن تصلا معاً إلى قمة النشوة الروحية المتمثلة بالممارسة الجنسية، عدا ذلك فإنه فلسفة خاوية من أي معنى، وتفتقر إلى المعنى الحقيقي من إيجاد الخلق على هذه الشاكلة.

هل ستتذكري إن بقينا أحياء في العام القادم أن يوم 7/30 هو عيد ميلادي؟ ربما، والآن دعيني أختتم.

المشتاق لكل شيء فيك

الجمعة: 2018-8-3

الغالية التي تضمن عليّ بكلماتها، على الرغم من أنها شهرزاد الحكاية، تحية ملؤها الحبّ والشوق، أما بعد:

لقد سرّني عندما نشرت مقالي الجديدة حول كتاب "يوم من حياة كاتب" أن أحد طلابي في المرحلة الثانوية عندما كنت معلما منذ عشر سنوات خلت، قد أبدى رأيه في بعض أفكار المقال، موضحا وجهة نظره، لقد كان أيام الدراسة طالبا ذكيا، في بدايات اشتعال جذوة الشعر في خاطره، كنت قد دخلت وإياه في إحدى حصص اللغة العربية بمهمة مشتركة، أن نكتب معارضين القصيدة القومية المشهورة "بلاد العرب أوطاني"، واتفقنا على مرأى ومسمع من الطلاب أن يكون المطلع "بلاد العرب أكفاني"، وفي اليوم التالي يكتب قصيدة سلسلة بارعة، وأكتب أنا أيضا. فرحت لقصيدته جدا، إنه واحد من الطلاب الذين أثمر فيهم التعليم، فصار شاعرا، وهو اليوم يعمل في سلك التربية والتعليم سكرتيرا في إحدى المدارس، وشارك في أمسيات شعرية، وفاز على مستوى مديرية التربية والتعليم التابعين لها (جنوب نابلس) بمسابقة "الشعراء المعلمين". إن هذا الأمر مفرح جدا يا عزيزتي. إنه الشاعر "لطفي مسلم".

ها هو يكتب لي هذا الرأي: "الكتابة الشعرية لها طبيعة تختلف اختلافا جوهريا عن طبيعة كتابة الرواية، فهي بحاجة إلى استقطاب عناصر كثيرة ودمجها في بوتقة واحدة، ذلك لأنها لا تعتمد فقط على مجرد أفكار يحتاج الكاتب لسردها، بل إلى قالب فني يشكل هذه الأفكار ويخرجها إلى

¹ نشرت في ديوان "وأنت وحدك أغنية"، لبرتي بوكس وبيت الشعر في فلسطين، القدس ورام الله، 2015.

العالم بالصيغة التي تعطي هذا الفن عوالمه المختلفة... وهو ما يسهل انتشار أدب الرواية على حساب الأدب الشعري عربيا وعالميا".

أما أنا فقد كتبت له ردا مسهبا فرحا ومنتشيا بما كتب: "ربما ليس هذا هو السبب، فلو اطلعت مثلا على الحوارات الرائجة في التسعينيات، ولو عدت إلى فترة الثمانينيات إلى المجلات والكتب النقدية والصحف لوجدت حضور الحوارات الشعرية بشكل لافت، بل لم تكن تلك المحامل تعنى بالرواية إلا عناية متواضعة. وكان للشعراء في هذه الحوارات طقوس للكتابة بل ربما هي طقوس أكثر خيالية وسحرية من طقوس كتابة السرد التي تجنح نحو العلمية والموضوعية. كان عالم الشعراء زاخرا بما هو مثير حقا، والكل يسعى للشاعر، القارئ والناقد والصحفي. أما الآن أين هم الشعراء إنهم ثلة من المساكين الضائعين على موائد الروائيين، بل إنهم يحاولون التسلل إلى الرواية، وعندما يكتشف أمرهم يطردون من الحلبة شر طردة، يركلهم النقاد والقراء إلى هامشية المشهد، فيزدادون غما على غم، ووهنا على وهن، فيجهضون القصيدة المكسورة الخاطر التي تبحث عن قارئ مشغول بالرواية، وناقد مفتون بالرواية، وناشر مفتون بالروائيين، ومحررين وصحفيين لا يرون مكانا لذلك السيل من غامض الكلام في الصفحة الأدبية إلا خجلا ونادرا".

كم أشعر بالفخريا عزيزتي وأنا أرى بعض الطلاب ممن علمتهم متألقين في مواقعهم، لحسن حظي أنني كنت معلما جيدا، وكثير من الطلاب على ما أظن يحملون عني أفكارا إيجابية، وما زالت تحياتهم تصلني بعد أكثر من ثلاثة وعشرين عاما من التدريس. ما زال طلاب أول مدرسة علمت فيها يتذكرونني، ويشيدون بي. على الرغم من أنني ربما أحببت كثيرين، لكنني كنت في كثير من الأحيان أشجعهم على ألا يخافوا، وعلى أن يناقشوا، وعلى أن يتابعوا اهتماماتهم.

كنت في فترة كتابتي لبحث الماجستير قد استأجرت منزلا، وعشت فيه عاما كاملا وحدي بين الكتب، قارئًا وكاتبًا، كان بعض الطلاب المبدعين يزورني، أحدهم أيضا كان شاعرا، وآخر كان يحب الموسيقى والغناء، شجعتهم على أن يتابع موهبته بعد الثانوية العامة، وها هو اليوم يعمل في هذا المجال.

ما زلت أومن يا عزيزتي أن المعلم ذو دور كبير، داخل الغرفة الصفية وخارجها، إن الطالب يبحث عن قدوة تحفزه على المضي قدما في درب الحياة، يتطلع إلى معلمه ليساعده، ويمنحه الطاقة الإيجابية، لم أبد يوما من الأيام أمام طلابي بأثسا أو يائسا، حتى أنني كنت دائما مهتما بأناقتي إلى أبعد حد، أكثر بكثير من هذه الأيام، كنت أعرف أن المظهر الخارجي للمعلم له أثر في نفوس طلابه، تخيلي معي لو أن معلما رث الثياب غير مرجل الشعر، يدخل على الطلاب ويتمطى بأثسا شاكيا، سيكون بالفعل مملا، وعنصر إحباط. لم أكن كذلك أبدا، وأما ما قد أكون أحببت البعض فيه هو تشددي في التدريس وفي الحرص على التعليم والاهتمام بالواجبات، والشرح المستفيض، وربما هي صعوبة الاختبارات التي كنت أعدها للطلاب، والأبحاث والمهام التي كنت أطلبهم بها. كنت كثيرا ما أحدثهم عن قراءاتي المتعددة، فيما يتصل بالتعليم، كنت مهتما يوميا بنشرات

الأخبار، وأبدأ معهم بخبر طريف ونادر، وعندما كانت إحدى الطالبات تكتب حكمة اليوم على السبورة، يجب أن ألفت إليها وأناقشها، وأصحح ما كان فيها من أخطاء، وندير نقاشا حول المضمون لبضع دقائق. كان الطلاب يدخلون إلى الحصة وهم مهياؤون للمعرفة، وكانت نتائجهم إيجابية.

لقد أسرفت كثير في الحديث عن نفسي معلما، ولكن الحديث ذو شجون، لاسيما وأنا أحدثك، وأجد متعة في السرد بين يديك.

عليّ أن أخبرك أن الشاعر لطفي زارني في بيتي ومكثنا طويلا نتحدث حول الشعر وغواياته وتطلعاته كشاعر، إنه يا للمصادفة يحمل أفكارا مشابهة فيما يخص صنعة الديوان، تلك التي حدثتك عنها، في أن يكون الديوان ذا موضوع واحد، ويحمل فلسفة واحدة، إنه يعي كونه شاعرا يريد أن يؤثر في الناس، وليس فقط أن يكتب شعرا وينشره. لقد أسهب في الحديث عن أحمد مطر وتأثيره، ونزار قباني وتأثيره، ودرويش وتأثيره. هو كذلك يطمح أن يجعل الشعر متغلغلا بين الناس. إن ما يحلم به هذا الشاعر الواعد كبير، ويلزمه الإصرار، وأنا على يقين أنه قادر على أن يفعل الكثير.

دمت جميلة كعهدي بك، راجيا أن تسعديني ببعض الذكريات حول التعليم والمعلمين والشعر إن أمكن، فإن هذا يسعدني كثيرا.

المشتاق

السبت: 2018-8-4

أيتها الجميلة الفائقة الحب والثورة كالبركان، تحية متشوق مجنون، أما بعد:

ما زالت استعارة "الجرس" تلح عليّ، أتخيلك جرسا، قد لبست ما يمنحك هذه الاستعارة، تبدو سافاك اللامعتان، على ما يثير في هذا المنظر من غيرة حادة. لو كنت معي الآن ستكونين شهية بالتأكيد.

أخذتني سنة من النوم، كنت مرهقا قليلا من تعب القراءة، والحر شديد لا يرحم، رأيتك بكاملك، قامتك المكتنزة، تهفّف في ملابس شفافة وردية، تتخايل منها أعضاؤك، ئدياك منتصبان، ووردتك زهرية اللون. اقتربت مني قليلا، غمرت رائحتك كياني كله، جسمك ناعم شفاف طري، جلست على ركبتك، وابتسمت كطيف، مددت يدي أنتحسس وجهك، أغمر وجهي في وردتك، حبست أنفاسي، تتأوهين كنغمة كمان موجعة، يسيل ماؤك وترتعثين. كقارئ وقع على المعنى أظير فرحا وأنا في كامل غيبوتي. أرقص رقصة صوفي توله بالحب، وتلمع عيونك من أثر الرغبة الفائرة.

ينقذني منك بول إيلوار فأحتمي بعشيقته الروسية غالاً، تلك "المرأة الخالدة"، فيا لجمال ما كتبه عنها، وفيها، "تعالى اشربي قبلة من هنا/ واستسلمي للنار التي تسحقك"، وأردد بعذوبة "أفتش عنك عبر الانتظار/ عبر نفسي/ ولا أعود أعرف لشدة ما أحبك/ أينا الغائب"، وأسمعك تقولين كما قالت: "لماذا أنا جميلة هكذا؟/ لأن سيدي يحممني"، وأتلذذ بشهوة مجنونة قوله كأنه قولك: "أيها الحيوان البري لقد بدلت أسماءك/ حسب مشيئتي/ لقد امتزجنا معا".

أراك تتأملين وردتك وأنت تناجينها: "بالطبع يا وردتي البيضاء ما كنت إلا وسيلة/ ساقاي يحييطان بك وبطني يمنعك/ أيتها البجعة المسكينة المثلجة/ ما كانا جناحي إله جناحك/ إن لي أجنحة نارا كلها". فتبليجي يا غايي واحرقني وجعي لأولد من جديد أيتها الجديدة دائماً.

أحب تلك التحية التي كان إيلوار يحيي بها غالاً، قائلاً في نهاية رسائل عديدة: "أقبلك في كل مكان"، وأنا أقول لك: "أقبلك في كل مكان، من رأسك حتى أخمص القدم، متذوقاً كل أثمارك الناضجة".

أحبك حتى تيزغ الشمس من مغربها، أو أن أهلك دون هذا الحب.

المشتاق بجنون ورغبة جارفة.

الأربعاء: 2018-8-8¹

أيتها المرأة التي لا أدري ما أسميها، لعل أوقاتك سعيدة، أما بعد:

منذ ما يزيد عن سنتين أو أكثر، لم أعش هذه الحالة التي أعيش فيها الآن، كيف أصف ما أنا فيه، أشعر بعدم رغبة في التحدث مع أي أحد، لم أكتب شيئاً مهما منذ أسبوع أو أكثر، النوم متقطع، والرغبات الأخرى في انعدام تام. حتى لقد انقطعت شهيتي عن التدخين، كل شيء في تراجع، والخمول يعبئ الفراغ.

حاولت أن أكسر هذا الضباب الكثيف، توجهت مطلع هذا الأسبوع إلى مقر دار الفاروق في نابلس، لمناقشة ديوان "وأنت وحدك أغنية"، شرّق القوم وغرّبوا، وخضّوا القرية، ولكن المردود كان متواضعاً جداً، لم ينظروا إليّ إلا أنني شاعر أحاول الكتابة، وليس كشاعر ذي مخزون ثقافي ولغة خاصة وصورة مختلفة. نصحوني بنصائح كثيرة، كأني طالب في الثانوية العامة، يتلقى نصائح أساتذته. أنكروا عليّ أن أكون شاعراً مختلفاً، بل لم يرونني كذلك.

هنا أريد أن أحدثك بقصة طريفة حدثت مع أحد زملائنا في قسم اللغة العربية أيام الجامعة، كان يكتب شعراً، وشعره جيد، ولكنه طالب، بمعنى أنه شاعر ما زال يحبو. كان يدرك كيف يفكر الطلبة غير المثقفين، فما كان منه إلا أن كتب نصاً ونشره في مجلة النادي الحائطية، ووقع تحت

¹ أشار إلى هذه الرسالة الكاتب المصري محمود الشبراوي في مقال بعنوان "الكاتب بين مطرقة تأثير الهالة وسندان النقد"، للاطلاع من خلال الرابط: <https://2u.pw/phgyie9>

النص "محمود درويش". انهال القراء على النص بالمديح التام، وهم يدركون أنه لمحمود درويش، وليس لزميلهم، إنها مشكلة مركبة، تعاملنا مع النصوص بأسماء كتّابها، وليس لأن النصوص جيدة. هذا ما حدث معي مثلاً في مناقشات دار الفاروق في المَرتين اللتين تم فيهما مناقشة ديوانين لي. لقد شتّعوا عليّ كثيراً في مناقشة ديوان "مزاج غزة العاصف"، إلى درجة أن يقوم أحد أعضاء لجنة المناقشة باقتراح تعديل لنص من النصوص. إنّ كل تلك المواقف تذكّر بمواقفك مما أكتب، فكثيراً ما كنت تتهميني بالسطو على قصائد أصدقائك الشعراء وأسرق منهم لغاتهم وألفاظهم، فأنا في نهاية المطاف لست شاعراً جديراً بالقراءة أو بأن أعدّ في الشعراء. هنا أتذكّر أيضاً كيف نظر شاعر كبير لبعض نصوصك واعتبرها متواضعة، حتى إذا كتب فيها أحد النقاد، محللاً ومبرزاً جمالياتها، عاد وغير رأيه، بل سعى وراء الناقد ليكتب في نصوصه الباهتة، ولعله لم يكتب.

على كل حال كنت شخصا هادئاً تماماً، وشكرتهم جداً، لتفضلهم عليّ بقراءة هذا السيل من الهراء، ربما فعلاً لا أحسن الكتابة ولا أستطيعها، وأني ما زلت محتاجاً للتدريب والتعليم. وأنا بالمناسبة لست أحبذ كثيراً من يمدحني ويقول لي: (رائع وممتاز وأبدعت). كلها كلمات استهلاكية. لقد أعجبتني قراءة الحبيب بلحاج سالم الأخيرة لنص سردي حوارى قصير أناقش فيه "المسافة الآمنة"¹، كان مذهلاً حقاً في تناوله للنص وتفكيكه، لم يمدح ولم يقدح، ولكنه كشف عما في النص من أبعاد فكرية وفلسفية وثقافة نسقيّة. إن هذا النص نفسه لم يعجب كتاباً آخرين وقراء كثيرين. ليس مهماً، وربما أنا لم يعجبني كذلك، لكن لهذه القراءة سحرها التي جعلتني أقرأ النص كثيراً.

اسمحي لي أن أعود قليلاً إلى مناقشة الديوان، لقد أعجبتني ملاحظتان، واحدة آتية من قارئة للديوان التفتت فيها إلى استخدامي للفظ "الأرجوان"، وكيف أنه يستخدم لعلاج سم الأفاعي، وقد ذكرت في النص لفظ "الأفعوان"، أما الملاحظة الثانية فمن قارئ آخر لاحظ غياب المكان تماماً في كل قصائد الديوان، إن ملاحظته كانت عبقرية جداً، كوني كاتباً إلكترونياً وعاشقاً افتراضياً، فمن الطبيعي أن يغيب المكان، ولعلك تدرकिन الآن دقة الملاحظة، فما كتبت القصائد إلا في ظل انعدام المكان الحقيقي، خلا المكان الافتراضي في عالم التكنولوجيا والإقامة الجبرية فيه. هنا أدركت كم كنت صادقاً مع نفسي ومع الشعر الذي يعبر عن التجربة تلقائياً دون أن يكون ذلك حاضراً في الوعي.

لقد اكتشفت بعد هذا الكم الهائل من القصائد كم كنت تافهاً عندما أحببت، وفاشلاً عندما كتبت، وغيباً عندما صدقت أنني يمكن أن أكون شيئاً، فلا شيء يستدعي أن أظل أدور كثور على بيدر لا قمع فيه! يا للتداعي في الأفكار، لقد كانت أمي كثيراً ما تقول إنني (ثور مُطْوَجُنْ)، لا أفهم ما يجري من حولي.

¹ نشر النص في كتاب "نسوة في المدينة"، دار الرعاة وجسور ثقافية، رام الله وعمّان، 2019. ونشرت رأيه في كتاب "لا شيء يعدل أن تكون حراً"، دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، 2022.

أعرف أنك لن تكتبي لي، فهذه الأمنية لم تعد حديث نفس، فقد تنازلت عنها إلى غير رجعة. وأخيراً، هل لاحظت كم أن تاريخ هذا اليوم مميز، ثلاث مرات كتبت الرقم (8)، أرايت كم أنا سطحي جداً، لألاحظ تاريخاً عادياً، لم يمكث سوى أربع وعشرين ساعة ويمضي. ربما نلتقي في قابل الأيام، أما أين ومتى لست أدري، ولعله من الأفضل ألا نلتقي أبداً.

السبت: 2018-8-11

أسعدت أوقاتاً أيتها المحتجبة كروح والسارية في دمي كضوء، أما بعد: كثيرة هي الأحداث التي مرت بي مؤخراً، أحاول أن أوافيك فيها، لعلك تسمعينني فتتعاطفين معي. أو ربما انحزت إلى الطرف الذي لا يراني جديراً بالقراءة، ولا أستحق أن أكون كاتباً.

أبدأ بما نشرته الكاتبة اللبنانية مادونا عسكر من مقالها التحليلي حول إحدى المقطوعات الشعرية القصيرة، ثمة من رأى في النص أنه "تافه لا دلالة له". لم أنزعج بالتأكيد من التعليق، فلكل رأيه، وكما قلت مراراً نحن لا نكتب وحياً مقدساً لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، بل إننا جميعاً، الكتاب، نعتز في قرارة ذاتنا أننا كتبنا نصوصاً ضعيفة أو سيئة، ولكننا لا نستطيع التخلي عنها لحاجة في نفس يعقوب. ونقتنع أن ما وصلنا له لم يكن سوى مرحلة وخطوة لخطوة أبعد معلوم بها، لذلك ستلاحظين كما لاحظ صديقنا رائد أنه "لا شيء يعجبني" مما كتبت، فعندما أعود إليه لا أرى أن معظمه جيد أو يستحق القراءة والخلود.

وفي مقابل ذلك هناك تعليقات تفرح الكاتب وتجعله يزهو منتشياً، ولا غرابة في ذلك، فانتصار الكاتب الحقيقي هو أن تحوز كتابته رضا القارئ، لاسيما إذا كان القارئ مثقفاً أو كاتباً أو قارئاً لا يعرفك ولا تربطك به إلا النصوص وجماليتها، فعندما يرسل لي أساتذة جامعات إطرأ لنص كتبتة أجد نفسي راقصاً مزهواً، وخاصة إذا كان هذا الأستاذ أو ذاك ذا قدم راسخة في عالم النقد والأدب. فرحت جداً مثلاً بآراء أصدقائي الكتاب في، ولو أردت تعدادهم لاستهلكت كلاماً طويلاً، ربما لا تجد من طائلاً. صحيح أن بعضهم انتقدي بشدة واحترم ذلك، لكنهم بالتأكيد كانوا منحازين بصورة أو بأخرى للنص وبجانب ما من جوانب فنيته.

سأعود إن سمحت لي إلى تعليق رائد الحوار على الرسالة السابقة، بعد أن قام مشكوراً بنشرها على صفحات الفيسبوك، أردف الرسالة بتعليق طويل، قال فيه: "رسالتك هذه كانت (قاسية ومؤلمة) جعلتني أتأكد بأنك كشاعر. لا يمكن أن يلبي طموحك أي شيء، ولا يرضيك شيء، فأنت مثل "سدهارتا" كلما وصلت إلى مرحلة تجدها تافهة، وتريد أن تتقدم أكثر، وهذه حالة طبيعية عند الشعراء، لكنني أنا، القريب منك، أشعر أنني أخفقت في إخراجك مما أنت فيه من كآبة، بأس، قرف، غربة، لهذا أقول إن رسالتك كان وقعها عليّ شديد الوطأة، وآلمني ويؤلمني، أما فكرت بي، وبما سأكون فيه بعد هذه الرسالة؟ فراس الشاعر والصديق هو غايي وهدي، لهذا عندما أجذك

مبتهجا أبتهج، وعندما أراك غير ذلك أكون أنا أيضا، لك محبتي، وسأكون كما أنا، لن أخذل نفسي، فأنت هدفي وغايتي، إلى أن تصل إلى ما تريد".

أصدقك القول إنني عندما رجعت إلى الرسالة مرة أخرى وقرأتها، انتابني حالة من الصدمة، والخوف، والشعور بالخيبة إلى ما يقارب الخزي، كيف كتبت تلك القسوة وبهذه الطريقة، إلى درجة أنني قد بكيت من سوء ما فعلت يداي. ولكنني وإلى الآن لا أدري ما هو موقفك من تلك الرسالة؟ بل رسائل كثيرة سابقة، التزمت حيالها الإطباق على القلب والفم، وأنا أغدقت فيها ثرثرة وصأصأة.

وأما بخصوص قراءة الكاتبة مادونا عسكر التي افتتحت بها هذا الرسالة، فقد كانت قراءة تحليلية، متأنية، مفاجئة، على نحو شهني، نعم، فأنا أشتهي القراءات الرصينة الجليلة التي تغوص في أعماق النص، أحببت فيها ذلك الإيقاع الموحد للتحليل الذي يسير بتناغم وسلاسة منطلقا من اللفظ إلى المعنى ومعنى المعنى وصولا إلى الحالة الكلية للنص أو الحالة النفسية للشاعر. وبعيدا عن التعليق الذي ذكرته لك سابقا حول النص. يكتب الأستاذ محمد بن جماعة، وهو شاعر تونسي رصين، هذا التعليق على النص: "يتبدى لنا في هذا النص الشعري حذق وصفي نابع عن مهارة المشاهدة والتأمل في مساحات لا تغادرها الحركة إطلاقا، بداية من الحلم وصولا إلى الفلسفة ومرورا باللحن والرقص والضوء. كلها تنبئ بتفاعلات ذاتية شديدة التراكم، حيث كان هنا الفعل الوصفي أقوى من الفعل (Le verbe) أضعافا... فالوصف بالتالي أصبح المتنفس الوحيد لشاعر باحث عن الحقيقة يروم المسك بمعناها المنشود والمفقود في ذات الوقت، حتى وإن صبّ كامل وصفه. لم يلق إلا الغموض. قد تكون المرأة أو الوجود كجوهر، بالتالي يلتف المعنى على هذه الثنائية ويدحرجها ككرة تلج"، ولعلك ستسألين: أي نص؟ فسأوفر عليك معاناة البحث، فهالك هو¹:

"قاسية كحلم البارحة

رهيفة اللّحن

هاربة على شفا حفرة من أداء الرّقص

موجعة كغصنٍ مثقلٍ بالثّمر

عارية كضوء

واضحة كآسرارِ النَّبِيِّ

بين يديّ وحي

غامضة كفلسفةٍ وجوديّةٍ

وفيهما كلّ شيءٍ".

¹ النص والقراءة مدرجان ضمن كتاب "سر الجملة الاسمية"، دار الرقمية، القدس، 2023.

لعلني كنت محظوظا كثيرا في الفترة الأخيرة، وقد ساهم هذا في تبديد ما تلبد في صدري من كآبة: مناقشة الديوان في دار الفاروق، وقراءة الحبيب بلحاج سالم، وقراءة مادونا عسكر، وانتشار مقالاتي الأخيرة في كثير من المواقع الإلكترونية والصحف، خصوصا مقالي عن محمود درويش في ذكرى وفاته العاشرة، ما يعني قراء أكثر بالضرورة، وبكل تأكيد.

لقد قرأت هذا الصباح مقالة للشاعر شوقي بزيع عن درويش، منشورة في صحيفة الشرق الأوسط، ما لفت انتباهي أنني ما تحدثت عنه في مقالي تحدثت عنه شوقي بزيع، وهو بالتحديد علاقة درويش بالمتنبي، وسيرورة شعر درويش، بل إن كثيرا من الجمل التي أوردتها أوردها شوقي بزيع في مقالته، وكذلك فعل الكاتب اللبناني إلياس خوري في حديثه عن صديقه الشاعر، فقد كتب مقالا طويلا، ورد فيه علاقة الشاعر درويش بالمتنبي الشاعر. فأى شيء وشى بنا نحن الثلاثة لتحدث حول موضوع واحد متصل بشخص الشاعر محمود درويش؟

يبدو أن الأمور لن تأخذ منحى واحدا، فلا شك أن فيها محطات سوداء قاتمة، ولكنها بالتأكيد تمنحنا أحيانا وقتنا للفرح، كم أسعدني مثلا أن طالبة دكتوراه قد استعانت بمقالة لي حول رواية أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك"، وكانت رسالتها عن "النقد الأخلاقي"، وقد سبق أن استعان أحد الباحثين نشر مقالة محكمة في مجلة محكمة في إحدى جامعات العراق الكردية بمقالة لي حول اللغة العربية، لا شك أن كل هذه المواقف تشعرني بالسعادة، أتذكر ما أبلغني به الدكتور عادل الأسطة يوما أن أحد الباحثين كتب حول "خطب الديكتاتور الموزونة" بحثا، وكان الدكتور الأسطة أحد المحكمين، فرفض الأسطة البحث لأن الباحث لم يأت بجديد على ما قدمت أنا في بحثي يوم كانت تلك القصائد موضع دراستي في الدراسات العليا. بل على ما يبدو أن الباحث لم يطلع على ما كتبت. بالمقابل لقد اطلعت باحثة أخرى في جامعة مؤتة على دراستي، فأشارت إليها في مقدمة بحثها عن تلك القصائد الدرويشية المهمة. كل ذلك أشعرنى بأهمية أن أكتب، وأن أستمر في الكتابة.

على العموم ما زلت أبحث عن ناشر للكتب النقدية التي جهزتها للطباعة، لا أدري هل سيحالفني الحظ، بعثت اليوم لدار نشر في الأردن مستفسرا عن ذلك، أسأل الله التوفيق. على الرغم من أن دور النشر والكتاب يشكون من قلة النقد، ولكنهم عندما يصلون إلى ما كتبت، لا يتشجعون ولا يغامرون بنشر الكتاب. مغامرة أن تصدر كتابا لناقد غير معروف، فسوف تتكدس النسخ في المكتبات ولا تجد شاريا، كما أخبرني أ. صالح عباسي أنه لم يبع من كتابي "قراءات في الرواية" سوى عشر نسخ، وبدا نادما على ما يبدو؛ لأنه أضاع مبلغا من المال فيما لا نفع فيه، فلو نشر رواية لكاتبة سيكون المردود أفضل، أو نشر رواية لكاتب معروف من تلك الأسماء التي تعرّش في الساحة الأدبية، وذات سلطات ليست بالضرورة ثقافية، فربما كان ذلك أجلّ وأعظم شأنًا.

ربما حدثتك في رسالة قادمة عن ذلك الهجوم الذي شنته القراء عليّ عندما نشرت مقطع فيديو لراقصة تتلوى كأفعى، فلم ينتهبوا للأغنية المصاحبة وجميعهم فقط ذهلوا لروعة الرقص، ولكنهم

بعد أن متعوا نظرهم بها، انهالوا عليّ بالشتائم، ومارسوا عليّ الوعظ والإرشاد، فشعرت أنني الكافر الوحيد المتبقي من قريش، وأن الناس كلهم أنبياء وقديسون وصالحون.

طالت هذه الرسالة كثيرا، فلتسمح لي جلالتك أن أقول في ختامها: سلاما، ولعلنا نلتقي.

الأربعاء: 2018-8-22

أسعدت أوقاتا وكل عام وأنت بخير.

مشتاق إليك بحجم هذا الكون الذي يتكور عليّ ويخنقني، ولولا أنفاسك التي أشتها في الصور لكنت متّ، يا أجمل وأنقى وأشهى امرأة تنام على ساعديّ. أتنفسك في كل حين؛ في صحوي وغفوتي. كم تخيلتك تتقاسمين معي شهوة العيد. هذا العيد الذي مرّ سينا كالعادة، لا شهية لديّ لفعل أي شيء.

لم أقرأ شيئا منذ أكثر من أسبوع، ينتابني الحنين لضحككتك الشفافة ورائحتك الحلوة وحديثك اللطيف. يمر الوقت صعبا للغاية، أحاول أن أزيجه بسماع الأخبار. كأنه ينقصني وجع جديد. أخبار العالم لا تسر، مسلسلات القتل والعنف ما زالت متتابعة وتزداد حدة، الإرهاب يزداد، والإلحاد كذلك يشتد، والتشدد يتصلب، والعالم يموج في غربته المجنونة، لا أحد يدري ماذا يفعل، الكل بانس وموجوع. لا شيء يخفف هذا الوجع مثل حديث الأصدقاء، وتهنئتهم بالعيد على الرغم من كل ما يتلبد في الفضاء من غيوم شرسة.

تقودني رغبة دفينّة لأعيد قراءة رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان. أراه ذلك العاشق الموجوع الذي تورط في الحبّ دون أي أمل، نتشابه كثيرا يا جميلتي غسان وأنا، أنت وغادة السمان ولكن ثمة فروق أيضا. هذه هي المرة الثانية التي أقرأ فيها رسائل غسان، تلك الرسائل التي لا ينتهي الكتاب عن الإشارة إليها، وإلى ما فيها من جمال الألم. وبهاء الكاتب المناضل الإنسان.

عذبّ الحبّ قلب غسان كنفاني إلى درجة أنه في إحدى رسائله لها يحييها بأن يسب دينها، نعم لقد بدا غاضبا جدا، لأنها تكتب للكل ولا تكتب له، وأنت كذلك أيضا، دون أن أتجرأ على تحيتك بمثل تحية غسان، يعذبني هذا الحبّ كثيرا، لا أعرف له نهاية قبل أن يقضي عليّ أو يترك في عاهة مستديمة غير ما في من نحول وأسقام وعاهة خلقية مزمنة. فالحال من بعضه يا غسان، وها هي عادة أخرى تعود للمرواغة من جديد.

الرقيقة التي لا ترقّ:

أعرف أن الحبّ طاقة مدمرة إن جاء في غير زمانه، ولكن علينا أن نخفف من آلامه قدر المستطاع، علينا أن نحترق قليلا لنستطيع التصالح مع هذا الجنون الذي نحن فيه، أو ربما أنا من غارق فيه وحدي. هل تعانين من آلام الحبّ كما أعاني؟ هنا أيضا أنا أتشابه مع غسان كنفاني وأنت

مع غادة السمان. غسان الذي رحل وخلف شواهد العشقية في رسائله، لتدل علينا أيضا. وعلى كل عاشق مبتلى بمثل هذا الحب المستحيل.

لماذا لم نعد صالحين للحب؟ هل باستطاعتك الإجابة عن هذا الوجد القدرى الطويل العمر؟ فكرت طويلا بحالتي التي ليس لها من شفاء على ما يبدو! أنسيت الحب؟ هل تشبع خاطرك مني فمللتني حد القرف والخزي من أن يكون لك بي صلة ما؟ هل أصبحت مجروبا تخافين من عدوى ما؟ يا لك كيف تتقنين نزع الروح بهدوء مقيت!

رسالتك الأخيرة كانت قصيرة وقاسية جدا، أبعد هذا الصمت الطويل، يكون ردا مستفزاً إلى هذا الحد؟ "أتذكر كل شيء، وإن تناسيت فهذا يعود لي". أي غاية لك من هذا العذاب؟ أيعقل أن تكوني شاعرة وشفافة وقاسية حد التلاعب والاحتقار والإهمال المتعمد؟ يا لها من مفارقة مؤلمة.

بالأمس كنت أقرأ في أحد دواويني البائسة، كهذا الحب الخائب، صادفتني جملة التي قلت فيها ذات يوم "وهل أنا ناكرة للجميل لأترك من يكن لي كل هذه المشاعر؟" ماذا تسمين هذه الحالة التي تسود بيننا؟ أليست مملأ؟ أليست جفاء؟ أليست هجرا غير جميل؟ كنت أفكّر بالتوقف عن كتابة الرسائل لكن شيئا ما في داخلي يدفعني للهذيان والثثرة. إنها اللعنة الأبدية التي تلبستي لأظل رازحا تحت أوهام حب لا يعرف الرحمة، ولا تريد صاحبته أن تعرف الرحمة.

أشفاق إليك حد الرغبة العارمة، حد الجنون المفضي إلى الموت الرحيم. ترفقي بشخص يحبك، ولا يرى للعيد طعما دون بسمة ثغرك، وعدوبة أنغام صوتك.

المشتاق إليك دائماً.

الخميس: 2018-8-30

الحبيبة المحصورة بين قلبي وعقلي، تحية محمولة على الأبجدية في نهار مشبع باللغة، أما بعد:

أعود لأكتب لك بعد فترة من الانقطاع الطويل، كنت غارقا في ضباب رؤياي التي أخذتني كل مأخذ. كل الأيام بنهاراتها ولياليها بائسة، لا شيء فيها واضح، ترائين طيفا شاحبا كلوحة أغضبت صانعها، فلطخ وجهها بالغبار.

أكتب وأنا لا أدري ماذا سأقول، لا فكرة محددة لديّ. في اللقاء العابر الذي جمعنا قبل أيام، تحاشيت النظر إليك، أو محادثتك، كنت متوقعا رؤيتك بكل تأكيد، ولولا هذا الأمل، لم أكن أتيت لمناسبة لا ناقة لي فيها ولا بعير، فقط كانت الرغبة تشعل خاطري لأراك ولو من بعيد. ستقولين: "كم كنت قاسيا ولثيما، كنت على بعد خطوتين مني ولم تحرك يدا، ولم تشر لي حتى بطرفة عينك". رأيت على وجهك علامات الدهشة والسرور، كأنك تقولين: "ما علاقتك بالأمر؟ هل أصبحت يساريا مثلي؟" هل أنت يسارية؟ يا لها من فكرة عظيمة، يساري من أصول دينية، يحب شاعرة يسارية متوغلة في اليسار. على كل حال أنا لست يساريا حتى هذه اللحظة، فكريا على

الأقل، ما زلت يمينيا متطرفا، أشد ما يكون التطرف. ولكن لماذا لم تبادري للسلام عليّ ومصافحتي وأنت التي دخلت بعدي ووجدتني هناك؟ كانت اللياقة تقتضي ذلك. هل أردت معاقبتي؟ كنت متوقعا أن يحدث مثل هذا، لعلك تقولين، ماذا لو حدث العكس، هل كنت ستسلم عليّ؟ ربما فعلتها، فأنا لم أخطط لهذا الموقف الهامشي صدقا.

قبل أن تأتي إلى ذلك المكان كنا قد سبقناك إليه أنا وصديق لي، له علاقة حزبية مع أبناء الفقيدة. ابتعدت عن صديقي وجلست وحدي كما رأيتني، حتى لا تحدث مفاجأة تخلط الأوراق وتربك المشهد برمته، كعادتي في اقتناصك جلست قبالة الباب الرئيسي لأتأكد من رؤيتك. رأيتني وحدت في، مع ابتسامتك الطريفة، رقص قلبي فرحا للوهلة الأولى، ولكن اهتاجت روحي حزنا، وامتلأت نفسي شغفا، تأكدت من حضورك، فلملمت نفسي، ورحلت، لم أنظر إلى الخلف، مودعا ومسلما، اكتفيت بهذه النظرة الماكرة التي ما زالت تخترق بمشهديتها كل أعصابي.

كيف غادرتُ القاعة دون أن أتحدث أو حتى أن أبتسم ردا على ابتسامتك، كنت حجرا بنتوء مدببة، أطلت شعر رأسي ولحيتي، لا رغبة لديّ بفعل أي شيء، أو أن أتعرف على أخبارك، ونشاطاتك التي أبلغتني عنها في آخر حديث هاتفي بيننا. أكتب إليك وأنا لا أريد أن أعرف وكيف سأعرف، وقد انقطعت عن الكتابة لي منذ مدة طويلة. عبث أن تكتب لامرأة رسالة وهي لا ترى حاجة في ردها، كأن رسالتها استطراد مملّ على هامش أكثر مللا.

عندما عدنا لم نتحدث كثيرا، بقيت صامتا، أسترجع شريطا طويلا من الذكريات، وتنهال عليّ صور شتى، أسأل نفسي: لماذا وصلت إلى هنا؟ لكنه سؤال عبثي جدا، عبث هذه العلاقة المعقدة، فقد وصلت وانتهى الأمر. أفكر بالخروج ولكن كيف؟ لست أدري.

في جلسة مع صديقي نتبادل أفكارا كثيرة، يلاحظ ما أنا فيه من حزن، يقترح عليّ سماع الموسيقى، لعلها تخفف من كثافة اللحظة، يقول: "للموسيقى فعل السحر في تكسير صخرة الحزن وتفتيتها إلى حصوات يمكنك بعدها أن تدوسها بقدمك، وتضحك للحياة". هو لم يكن يدري أنني كلما سمعت مقطعا موسيقيا ذبت حنينا وشجنا، وأوشكت أن أصبح غيمة فائرة. صديقي يداوي أحزانه بقراءة شعر أدونيس، أما أنا فلا شفاء لي منك، مهما قرأت أو كتبت أو استمعت للموسيقى، حتى لو تحولت كل الموسيقى العالمية إلى نهر يصب في أحشائي، لن تغسل أحزان روحي. إنها ليست مبالغة كاتب، يشعر بالخيبة.

في اليومين السابقين انشغلت كثيرا بالسرد، كتبت آخر مشهد من كتاب "نسوة في المدينة"، أراجعه المراجعة النهائية قبل الزج به إلى المطبعة، هذا الكتاب الذي خصصت فصله الثاني للحديث عنا، أنا وأنت، أعيد قراءة هذا الفصل، إنه مؤلم جدا، كنت قد قرأت بعضه لابنتي، لم تستطع إلا أن تبكي، كنت غيبا عندما قرأت لها بعض ما جاء فيه، لقد استحضرتها بيننا في مواقف كثيرة. ابنتي تعرفك جيدا، ولكنها لا تسألني عنك إلا إذا حدثتها أنا. فكرت في العطلة الصيفية أن

تتعلم على يديك، تراجعتي كي لا أثقل عليك مهمة قد تبدو سيئة المآل لثلاثتنا. تعاتبني على أنني تراجعتي عن هذا الأمر، لكنها تتفهم جيدا، أن الأمر ذو نتائج ليست جيدة على أقل تقدير.

ابنتي عادت إلى المدرسة، وهي تستعد للثانوية العامة في هذه السنة، ونسيّت موضوع التدريب، ولكنها على ما يبدو لا ترغب في الدراسة الجامعية، أو أنها تلعب بأعصابي، على كل حال، سأنتظر حتى الربيع القادم، لعل الخير يرافقها. حماكما الله، وراكما.

المشتاق لنظرة عينيك.

السبت: 8-9-2018

الحبيبة الغائبة الحاضرة، سلام من القلب، أما بعد:

أردت أن أخبرك أن حالتي الصحية في تحسن، دفعني الفضول لمراقبة وزني، لقد تخطيت حاجز الخمسين كلغم، فرحت كثيرا، صرت أنام أكثر، وآكل بشهية أكبر، أشعر براحة كبيرة هذه الأيام، (تفرجعت) الغمة التي كانت تضغط على أعصابي، ديوني في تلاشٍ، لم يتبق منها غير مبلغ صغير، أفلحت في السيطرة على أمور كثيرة من أجل أن أتحرر من ثقل ذلك الدين الذي كان يزعجني، لكنني ما زلت أعاني من ضائقة مالية، ولكنها إلى زوال، إن لم يحدث طارئ، لا سمح الله، واضطرت إلى الاستدانة من جديد.

أوضاعي بشكل عام جيدة، عملي مستقر، كادت تهب عليّ رياح سموم مزعجة، دفعتني لأحني لها القائمة كي تمر، صحيح أنني اضطررت إلى إغلاق صفحة الفيسبوك من جديد، لأن المتربصين بي كثير، ولا أريد أن أنشر فيها ما يشعرهم أنني جبنت أو ضعفت، وإنما تخلصت منها نهائيا، وربما إلى غير رجعة. لعلك تتفهمين موقفي إنه ليس جبنا، وإنما كما قال شيخنا المعري: "فعاقد من تطيق له عنادا"، فكيف لي بمقارعة من يجهل ولا يعرف الرحمة، إنها مجازفة خطيرة، في ظل النفاق الوظيفي السائد، وانعدام المؤسساتية والنزاهة، وتحمل المسؤولية.

ما زال صديقي النبيل رائد الحواري يزورني في مكنتي، نغزّب ونشرّق كثيرا في طرح الأفكار ومناقشتها. تقلقني أفكار كثيرة، العدالة أضحت مقلقة، أناس يلعبون بالملايين وآخرون يحتاجون الملاميم، "إن الحياة ابنة كلب" كما يقول صديقي. أحاول أن أخفف عنه، ثمة كتاب كثيرون عانوا كثيرا في حياتهم أكثر مما نعاني أنا وأنت وصديقنا رائد، تعرفت مؤخرا على حياة الكاتب العظيم مكسيم غوركي، نحن أحسن حالا منه بكثير، عاش التشرّد واليتم والضياع، ليس هو فقط، سبق وحدثتك عن هنري ميلر وما لاقاه من حياة بائسة. علماؤنا العرب القدماء، كانوا فقراء، الخليل بن أحمد الفراهيدي مات بخصّ ولم يسمع به أحد، كما كتب عنه أحد الكتاب، هل كان المعري ثريا؟ أظنه كان بائسا جدا وفقيرا، الكتاب العرب المعاصرون أغلبهم كادحون من طبقات اجتماعية ليست فقيرة وحسب بل مسحوقة، عدا أسماء قليلة جدا. الكاتب السوري الذي رحل أخيرا حنا مينا لم يكن يحيا حياة منعمة، لا يتوارد إلى ذهني سوى اسمين لكتاب كانوا أثريا نزار قباني وأحلام مستغانمي حتى قبل أن تقترن بزوجها الرجل الثري. أقدر معاناتك في العمل، وما تعانينه من تعب

وإرهاق إلى الحد الذي يمنعك أحيانا من الكتابة والقراءة، مع أن بمقدورك أحيانا السفر أو اقتناص وقت للترفيه أو السهر.

علينا أن ننظر يا عزيزتي إلى الحياة كما هي دون أن نراها سوداء قاتمة ولا أن نحاول تلطيف صورتها، الحياة ذات وجه قبيح جدا، مع أن لها وجها آخر غريبا عنا، تصر على ألا ترينا إياه، وليكن، ماذا يضيرنا، فهي حرة، ونحن أحرار في مواجهتها بالسخرية منها وقهرها.

سعدت كثيرا هذا الأسبوع، يهاتفني صديقي الكاتب إبراهيم مالك صاحب الكتاب الدوري الثقافي "كتابنا كُتابنا"، ليخبرني أنه نشر في العدد العاشر من الكتاب الرسائل الخمس الأولى، على أن يستكمل نشر بقية الرسائل في أعداد قادمة.

عدت للقراءة والكتابة بنهم كبير، أنجزت كثيرا من الأعمال، أتممت مراجعة كتابي "بلاغة الصنعة الشعرية" وأنهيت أمس المقدمة، منتظرا أية فرصة لنشره، إنه كتاب كبير الحجم، سيتجاوز (500) صفحة من القطع الكبير بعد المنتجة والتصميم، فرح جدا به، فقد جعلته شبه موسوعة في مناقشة كل ما يتصل بالشعر وصنعتة، كذلك الأمور تسير معي بشكل رائع في الإعداد لكتابي الآخر "في حضرة الشعراء"، وكتاب "نسوة في المدينة" أصبح شبه جاهز بعد أن اطلع عليه الصديق رائد وكتب فيه مقالة رافلة بالجمال، تُعزف بفلسفته، لقد أعجبني أنه التقط العصب الرئيسي للكتاب، هذا الكتاب كما أخبرتك سابقا سأنشره قريبا، ودفعت إلى دار نشر فلسطينية بديوان "ما يشبه الرثاء" لعلهم يوافقون على نشره.

أتمنى أن تكون أخبارك جيدة، لقد ثرثرت كثيرا دون أن ألتفت، ونسيت في غمرة الحماس أن أسألك عن أحوالك. هل أقول لك اكتبي لي. لا أظن أن ذلك سيحدث، ولكن ربما يحالفني الحظ فتكتمل فرحتي بسطور قليلة منك.

أتمنى رؤيتك قريبا، من يدري، لعل الله يحدث بيننا صدفة جميلة فنلتقي، كما التقينا آخر مرة في المدينة.

تحيات قلب عامر بحبك.

الجمعة: 2018-9-14

سلام من القلب، أما بعد:

في حادثة قديمة تعود إلى أكثر من أربع وعشرين سنة طويلة، قال لي زميل في الجامعة: "من كان مثلك لا يحق له الحب"، كانت جملة موجعة بالتأكيد ما زالت تحفر في أعصابي، كل النساء اللواتي رغبت في الارتباط بهن وقد أصبحتُ موظفا نفرن مني نفورا شديدا، كوني فقيرا ومعاقا، ما زلت أسترجع موقف تلك المرأة "المثقفة" التي طلبتها للزواج نظرت إليّ باحتقار شديد بعد أن تواعدنا

لتراني وأراها، وقالت: "لا أفكر بالزواج الآن". هي أرادت أن تقول إنك لا تناسبني، بعد أن خاب ظنها في رؤيّي وقالت: "أهو أنت؟" قالت الجملة بازدراء شديد. زميلات الجامعة لم يكن يُعرنني أي اهتمام حتى أنهن لم يكنّ يلقين عليّ التحية. صديقي رائد بعد أن قرأ كتاب "نسوة في المدينة"، ولاحظ الانفجار الشهواني في القسم الثالث منه قال: إن سبب ذلك هو الحرمان منك، ذلك الحرمان الذي وضحته في القسم الثاني من الكتاب. لذلك فقد سيطرت عليّ الأحلام كثيرا في هذا القسم.

لا شك في أن تحليله صحيح، لقد كانت علاقتنا قوية جدا ونحن عاشقان افتراضيان، ولكن عندما تعرّفت إليّ في الواقع نفرت مني أيضا، لقد صحّحت فيك رغبات كل امرأة؛ تريدين رجلا عاشقا وسيما وغنيا ومعافي بدون إعاقات. الآن أفهم بُعدك عني بهذه الطريقة القاسية. أنا أجمل في عيونك ما دمت افتراضيا، هذا ما قلته في كتاب "نسوة في المدينة"، فلا داعي لتعاتبيني على الغياب أو على هذا الجفاء، وقد اخترتُ كل ذلك، وخصوصا في لقاءنا الأولي.

لم يعد يقنعني بتاتا قولك ونظرياتك المثالية المدعاة، وأنا أرى ما أرى. لكن لا يهم، المهم هو أنني أصبحت أقدر على معرفة الحقيقة وتقبلها. عندما كتبت قصيدة "الفقير لا يصلح للحب"¹ كنت صادقا مع نفسي صدقا حقيقيا، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنني حزين أو سلبي، على العكس تماما. كانت هذه التجربة، وكل التجارب الأخرى متسقة مع ما استقر في نفس المرأة، وقد عبر عنها الشاعر القديم "إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له من ودهن نصيب"، وأنا ليس لي نصيب من ودك غير التقلب في مرارة الحب التي لم تأت إلا بمزيد من وضوح الرؤيا.

هل كنت مهووسا عندما صدقت أنك تحبيني؟ أظن أنني كنت خياليا مغرقا في توقع النتائج الإيجابية. لعلك كنت تسألين نفسك: "كيف نسير معا، وأنت تعرج، إنك تلفت النظر إلينا، لذلك علينا ألا نسير معا في نزهة أو شارع. كل ما هنالك كان الرضا بالجلوس معا في مقهى أو مطعم، هذا الجلوس الذي يخفي إعاقتي وفقرتي.

من حقلك أن تحلمي بعاشق جميل ومعافي وإن كان من حقي أيضا أن أحب امرأة جميلة، حتى وإن قال ذلك الزميل ما قال. ناضلت كثيرا لأسعد بهذا الحب، ولكنه كان شقاء مطلقا، إنه يؤول إلى ما آل إليه من هذا الذي تشاهدينه ونعايشه بمرارة، لكنني لا أحجل من إعاقتي أو فقري المدقع، فكلنا فقراء ومعاقون في نهاية المطاف، أو لنكن إيجابيين ونقول: كلنا أغنياء وأصحاء أيضا ما دمنا أحياء ونمارس شهوة الحياة ودفء الحب وإن كان بالوهم.

لا تحاولي أن تفسري الأمور بغير هذا المنطق، أو تدعي غير هذا، فرسالتك الأخير عابثة جدا، ولا معنى لها غير أنه أصبح لديك فسحة من الوقت لتتسلي بي، وإلا ما معنى تلك التخاريف التي قلتها: "واضح أنني أنسى، لكن ذاكرتي المنقوبة تعيد لي بعض نزواتك التي لا تنتهي، ولتهنأ بهيامك أبدا".

¹ نشرت القصيدة في ديوان "ما يشبه الرثاء"، دار طباق للنشر والتوزيع، رام الله، 2019.

هذا هو الوهم الذي عشت في ذاكرتك المثقوبة، فلست بالتأكيد كما لمحت إليه إطلاقاً، فأني هيام أهناً به ونحن على ما نحن عليه؟ إنه موجه جداً لو ظننت غير هذا وخاصة في جملتك الأخيرة غير المفهومة "ولتهناً بهيامك أبداً". أي جنون يستعمر عقلك لو أن ما وصلني من معنى هو المعنى الذي تسلق جدران عقلك؟ لا أريد أن أوضح أكثر، فليس من حقنا أن نعتدي على حرمة الآخرين حتى ونحن نناقش مسألة عاطفية غاية في التعقيد.

أما بخصوص رسالتك الأخرى: "أبهجتني رسالتك الأخيرة، أحب هذا التفاؤل في كتاباتك وأشعر أننا نستحق أن نعيش الحياة كما ينبغي لا كما تفرضه علينا، ابق بهذه الروح وهذا الجمال. هل لي بنسخة (pdf) من كتاب "نسوة في المدينة؟"، فقد كتبت ببرود واضح، فلم أشعر بحرارة الحب فيها، لقد دفعتك الفضول لكتابتها، بعد أن قرأت مقالة رائد حول الكتاب، ولولا ما جاء في مقالته من مقاطع استفتتكم لم تكوني لتكتبي لي شيئاً، فقد وصلتك بالتأكيد كل الرسائل السابقة، ولكنك لم تردني عليها، وبقيت صامتة. أصبحت أعرفك على نحو أكثر حزناً للأسف. لن أرسل لك نسخة من الكتاب وعليك الانتظار حتى يطبع، وإن أحببت قراءته واقتناؤه فلك ذلك. ليس لؤماً بطبيعة الحال وليس تشويقاً للكتاب، ولكن لعلمي أنه لا فرق بينه وبين كل كتبي السابقة، سيأخذ مكانه على رف الكتب دون أن يكون له بهجة ما.

وأخيراً أريد أن أقول إنني لست حزينا بتاتا، وإن كنت غير سعيد أيضاً. دمت كما أنت ولعلنا نلتقي، أين؟ ومتى؟ فلنترك ذلك للصدفة الجارحة.

الجمعة : 2018-9-21

الحبيبة الباقية ما بقيت الروح، أسعدت أوقاتنا والأشواق ترقص في نظرة عينيك، أما بعد:

في مثل هذه الأيام من أيلول دخلنا "متاهتنا اللذيذة"، تلك التي أحببنا أن نسميها "الحب". إنها أكبر من هذا وذالك وكل ما مر بين عاشقين. فكل أيلول وأنت الحب الذي لا ينضب. سأتجاوز عما حدث في الرسالة السابقة من سوء الفهم، ولن أقف كثيراً عند تلك المعاتبات القاسية في رسائلك الغاضبة، فالأمر يحدث كثيراً بيننا، وبين غيرنا، فعادة المحبين ليست دائماً كنه رقيق، بل يشوبها أحياناً بعض الكدر الظريف الذي يضح الدم في العروق، ويجدد الشوق، ويقدم أدلته على طريقته في المحبة الراسخة. ولتسمحي لي أن أعتذر لك على طريقي.

أيتها الحبيبة التي أرى بعيونها، وأقرأ بأفكارها، وأتحسس وجودي على هدي من وجودها، إن طالعت صورتي في المرأة فلا أرى غير صورتك، وإن نظرت إلى السماء فلن أرى غير وجهك، ولو رقدت في فراشي فلن يزورني إلا طيفك، ولا يضحك لي من وجوه البشر سوى ملامح النور في فيض محبتك. فهل يعقل أن أكرهك كم ادعيت تجنياً، وربما، دللاً واستفزازاً؟ إن فكرت بهذا فهذا قمة جنونك. والأشد جنوناً من كل هذا قولك: "أعلم أنك أغلقت كل حساباتك في وجهي لتبقى صورة

العاشق الضحية برسائلك، بينما أنت تعبت مع العابثات على حساباتك. كفاك وكن صادقا مع نفسك وانظر في المرأة". وها أنا أستجيب لطلبك وأنظر في المرأة.

كوني على ثقة أيتها المقيمة في حناياي أن الأخريات لا يعشن إلا على الضفاف، فليس مثلك في العالمين امرأة، وإن هذا لا يحتاج تأكيدا ولا تبريرا، فهو أرسخ في الروح والعقل من رسوخ الأصابع في راحة اليد.

قد تستغربين أنني سعيد برسائلك على الرغم من قسوتها، وقد دفعتمني للبقاء، هل يوجد هذه الأيام رجل يبكي من العشق والشوق؟ لقد أبكتني رسائلك الأخيرة كما أبكتك رسائلي، وأعترف كذلك أنني سعيد بالكتابة إليك، فهي فسحة للروح لتشعر بالرضا في معمعة الحياة المجنونة، وأحمد لنفسي فعلها إذ كتبت الرسالة السابقة؛ إذ دفعتك للحديث بعد صمت طويل، ألم تفكري أنني ربما كنت أستفرك فيها؟ لقد أفلحت في ذلك، ولكن لا تعدي هذا لؤما، لقد أعمى عيوني صمتك وأفقدني البصيرة أيضا.

كان لتلك الرسالة وقع جميل، مهما قلت عنها أنها متجنية ومجافية لحقيقة نفسك، ولكنها كانت ضرورية، وضرورية جدا، ودعيني أحدثك عن مآلاتها. ثمة قراء يقرؤون رسائلنا بعيونهم وقلوبهم ويرون ما لم نر نحن، رأوا فيها الانتهازية والواقعية وفضح كثير من السلوكيات العامة والخاصة في التعامل مع المعاقين، فادعاء المثالية أمر لا يخفى؛ فكم من نبي في أقواله وهو بالفعل شيطان رجيم. هذا ما كنت أربي إليه وأنا أكتب رسالتي الأخيرة، ليس ضعفا حديثي عن الإعاقة، أو استندارا للعطف، بل على العكس تماما فإنني لم أشعر يوما أنني معاق أو محتاج لمساعدة من أحد، وعشت ما مر من حياتي كما لم يعيش الأصحاء المعافون وحققتم ما لم يحققوا، وعلى طول هذه السنوات كنت رافضا أن أكون عضوا في الاتحاد العام للمعاقين، لأنني لا أشعر بضرورة أن أتميز عن الأصحاء، وأني أفضل من كثيرين منهم، ليس بسبب الإعاقة بالطبع، ولكن لأسباب أخرى ليس للإعاقة دور فيها.

كانت فكرة في الذات، وأردت أن أبلغها للآخرين، ليلتفتوا إليها، ولعلني نجحت، مع أنك لم تتعامل مع تلك الرسالة بإيجابيتك المعهودة، وأنا الذي أعرفك جيدا، وقد خبرتك على مدى سنوات. فجاء عتابك حاملا للشك وغارسا في القلب السنة من لهب، مع أن هذا العتاب أسعدني أيضا على رأي من قال: "ولو منك عتب جاني، سعيد الحظ تلقاني".

إن ما تحدثت به لا يحمل وجهة نظرك، ولكن هل سيتخذ القراء موقفا سلبيا منك بسبب تلك الرسالة؟ لا أظن أن ذلك سيحدث، فثمة أمور يحسن القراء التفريق بينها أيضا، ولأول مرة أراك منفعة انفعالا في غير محله، وقد منعتني لأتحدث إليك عن أشياء أجمل من العتاب، لعلني في رسائلي القادمة أحدثك عما كنت أبغي الحديث عنه، وما زال أفكارا عائمة في بطن أجندي السوداني.

أرجو أن تسامحيني إن زل القلم، أو شطح الفكر بعيداً، فسبب لك بعض الألم. وأخيراً أتعلمين ما هو أجمل ما حدث لي؟ أنك ارتبطت بي لما بعد انتهاء الحياة الدنيا، وسيظل القراء يقرؤون "الشاعر والجميلة".

أحبك حتى آخر العمر، ودمت الضياء الذي يغمركياني كله. المشتاق لقبلة ثغرك...

الجمعة: 2018-10-5

عمت صباحاً ومساءً، أما بعد:

ماذا يعني أنك غبت أو حضرت؟ لا شيء إطلاقاً. مر على آخر رسالة منك في هذا اليوم ثلاث جُمع كاملة لا أدري عنك شيئاً، ولم تصلني أخبارك. السماء لم تسقط على الأرض، ولم ينخسف القمر، ولم تنكسف الشمس، لقد استمرت بالشروق كل صباح وهي تبتسم، والعصافير لم تمتنع عن التغريد حزناً، بل إن كل شيء سار عادياً دون وحشة أو سوء حال. فالأمر طبيعي جداً. وما زلت أستمتع بشرب القهوة والقراءة أحياناً، وأذهب إلى العمل وأقوم بواجباتي على أكمل وجه.

قال أحد المفكرين: "إذا غابت الفكرة حضر الصنم". وإذا غبت تحضر أصنامك كلها. لكن المسألة ليست كذلك بالضبط، دعيني أشرح لك قليلاً: ها هي قطعة خشبية تعلو مكتبي. صنم صنعته عند نجار صديق، كان بارعاً إلى حد الدهول، أريته صورتك، وأخبرته أن يصنع لي تمثالاً على صورتك ومثالك. كان فناناً فعلاً، نحاتا أتقن الصنعة، ها أنت الآن أمامي بكامل حضورك. صنما، وَثَنًا، فكرة، أحدثك كلما اشتقت إليك، أبتسم كلما لاحت لي الضرورة كي أبتسم. أتحسسك فأنت هنا وأكثر. تمثالك يُعني، يفعل بي كل شيء، إلا مضاجعتك، لقد تنازلت عنها، لتكون خاصة في الأحلام كل ليلة. أحلامي هي الأخرى ما زالت كما تعلمينها زاهية لم تتغير، ولن تتغير.

ثلاث جُمع وأنت صامتة، تسترقين النظر وتطلين على شرفة الكلام المنشور هنا وهناك، ما الذي حرك فيك نشوة الاستمتاع بالعبث؟ لماذا لم تظلي باهتة الملامح، غارقة في المجهول؟ أعرف أنه لا فائدة من الكلام ولا من كتابة الرسائل. كل علاقتنا عبث، وكل ما كتبناه عبث، وكل رسائلنا هراء، ما نفعها؟ وهذه الرسالة أيضاً نوع إضافي من العبث.

صديقي لو قلت إنني لم أعد أشتعل وجداً كما كنت سابقاً، فقد نجحت في تراكم الجليد طبقة من بعد أخرى. عندما قرأت رسالتك الليلية الفاتئة لم تكن مفاجئة، إذ كانت شبه حاوية من المعنى، أو بأدق تعبير حاوية تماماً من أي رسائل، لم أفكر للحظة أن أهتم بها. إنها لا شيء، لأنها لو كانت تمثل لك شيئاً لم تكن لتتأخر ثلاث جُمع متواصلة، كنت غارقة فيها في ذاتك ولأجل ذاتك. مباركة تلك الذات يا عزيزة الذات! فلا تحاولي الالتفات مرة أخرى لأي شيء، فأصنامك التي في ذاكرتي وتمثالك الذي يتوسط مكتبي كافية لتكون البديل.

أريد أن أخبرك من باب الاستطراد العبثي طبعاً، أنه لا قصائد، أو كتابات جديدة سوى نص طويل كتبته من وحي حوارات طويلة مع صديقة جديدة، عرفتني ما كنت أجهل، أطعمتني شهوة

الحديث حول أشياء كثيرة، والليل لم يعد طويلاً أو مملاً، مع أنها رفضت إقامة علاقة معي من أي نوع سوى علاقة الصداقة.

عليّ أن أخبرك أيضاً أن صديقاتي رائعات، لا يعرفن العقوق ولا الخذلان، ربما ضحكك الآن بملء الفم إلى حد القهقهة من ذلك. أعرف ذلك كأنني أراك تقهقهين بلوّم واضح. أرى تمثالك أمامي ضاحكاً أيضاً، ها هو ينظر إليّ ويمد إحدى ذراعيه يتحسس وجهي، مع أنه من الخشب المصقول إلا أنه ليس بارداً إطلاقاً، تسري في كفه حرارة من نوع خاص، لسْتُ أتخيل أو أتمنى، بل إن تلك الكف الوثنية تنبعث منها رائحة شبيهة برائحة جسدك.

فكري معي بفكرة الصنم المخترع، فكري بتلك الأقوام التي صنعت أصنامها لتعبدتها، تريد أن تتقرب إلى الله زلفى بها، هل سيصبح ما بيننا تماثيل ومجموعة أصنام، ونسى أن هناك شخصاً، ما زال حياً. أتمنى أن تستطيع هذه الفكرة ملء الفراغ.

لا أريد تحطيم تماثيلك الوثني ولا أصنامك الزلفي، ولكن أريد أن أسهر معها على طريقي الخاصة، فلم أعد وحيداً بعد هذا الاختراع العبقري، ولتبادري إلى صنع أصنامك أنت أيضاً، فقد حان الوقت لنعود إلى ما قبل فكرة التوحيد العاطفي، يبدو أنها لم تعد مناسبة في الحب على الأقل، ولم يعد يليق بنا الإيمان أيتها المستنفرة المستنفرة.

لا أدري متى يُبعث رسولنا الجديد لينقذنا من جاهليتنا الجديدة، ف "لا شيء يقلب حياة المرء كما يفعل الحب"، إننا نعيش بفترة من الرسل، حتى ذلك الوقت الذي أرجو ألا يطول ظهوره قبل أن نموت، سأنتظر، لعلني أكون أول المصدقين به والمؤمنين بشرائعه.

حتى يحدث ذلك فهل تنتظرين معي؟

السبت: 2018-10-6

جميلتي اللذيذة، ونص كتابتي الأشهى، أسعدت نشوة وشهوة وكتابة أما بعد:

عندما أكتب عن امرأة مرت في حياتي أمحوها من ذاكرتي وأنظف القلب من آثارها إلا أنت، فإنني أفعل ذلك في كل مرة لتثبت مفعول الأدرينالين في دماي. الكتابة في حالي هذه تشبه تدفق الدم في الشرايين لتجديد النشاط، هكذا أفعل كي تظلي حاضرة بكامل النشاط الوهمي لهذا المسمى "حبا".

في محادثة طويلة مع أحد الأصدقاء أنتبه إلى أن فعل الكتابة يشبه تماماً الفعل الجنسي، إنها عملية سرية، تحدث في الخفاء، كيف يكتب الكتاب؟ ومتى؟ لا أحد يطلع على ذلك، كل الكتاب عندما يكتبون يعزلون عن العالم أنهم يدخلون طقوس المضاجعة بين القلم والورقة، لتحدث تلك العملية البارعة، المسماة "الكتابة".

لاحظي معي أن الكتابة فعل مقاومة في الحالتين السابقتين، في الحالة الأولى مقاومة لاستعمار الأخرى لمواقعي الحساسة، فيستعمرن لغتي وأوراقى بدلا من استعمار تلك المناطق الحساسة

من جسدي، وفي الحالة الثانية مقاومة لغيابك القسري، وأظل كلما كتبت عنك أو لك أطل على المكان الذي أنت فيه وأبتسم حتى لو كنتُ في حالة يأس.

لقد انتبه أحد المشايخ في القرن التاسع عشر إلى هذه المسألة، ولو لم يصرح بذلك في كتابه الموسوم بـ "الإصابة في منع النساء من الكتابة" إلى أن الكتابة تماثل العملية الجنسية، يا ترى ما الذي دفع الكاتب ليقول هذا؟ أظن أن الفكرة أصبحت واضحة الآن. على الرغم من أن دوافعه المعلنة في الكتاب ليست الرابط بين الفعلين، ولكن ما أتى به من أمثلة تعد مقدمة لذلك. أبو تمام قديماً كان أجراً عندما عبر عن الكتابة الشعرية بقوله: "والشعر فرج ليست خصيصته طول الليالي إلا لمفترعه". لاحظي هذا التوحد بين النشوتين في الفعلين.

ثمة أبعديات نستخدمها نحن الكتاب تنتمي إلى تلك المنطقة المشتركة بين الكتابة والعملية الجنسية، ألم يتخذ القلم مشبهها به للعضو الذكري، أتذكر عندما كنت صغيراً، كان أحد أصدقائي يطلق لفظ القلم على ذلك العضو، إنه لا يكتب إلا إذا كان منتصباً بين إصبعين، ويكون ملامسا لجسد الورقة، تماماً كما يحدث في العملية الجنسية. وعندما كنا نضع أقلام الحبر في جيب القميص ويتعرض لارتفاع درجة الحرارة كنا نقول: فاض القلم، إنها الألفاظ نفسها إذا ما تعرض أحدنا لحادث ترتفع فيه درجة حرارته، فإن قلمه سيفيض أيضاً.

لعلنا سننسى مع التكنولوجيا الحديثة هذه الاستعارة اللطيفة، إذ لا أقلام نستخدمها للكتابة، لكننا ما زلنا نستخدم الأصابع لذات النشوة، هل تحولنا إلى أقلام إلكترونية ونشوة إلكترونية؟ يبدو أن الأمر يدور في فلك استعارة أخرى، وإن كانت في السياق ذاته.

اللذيذة الجميلة كجملة شعرية مفترعة:

تأملي معي الأمر جيداً، لكن لا يحسن بي وبك أن نحصر الكتابة ونشبهها بهذا الفعل مع أنه فعل إنساني خالد، كيف يقاوم الإنسان موته؟ هل فكرت بالأمر؟ من المؤكد أنه يناضل بالقلمين معا حتى لا يموت له ذكْر، قلم يكتب في جسد ما وينتج نصاً، سيُدعى ولداً أو بنتاً، يحملان اسم صاحبه وجيناته، وهي طريقة بدائية للتحايل على الموت، وثمة قلم آخر يكتب نصوصاً لغوية خالدة، تجعل الكاتب خالداً، لعل هذا هو المعنى المقصود من مقاومة الموت بالكتابة، تموت أجسادنا وتبقى النصوص بعدنا شاهدة على أرواحنا، لا داعي لأقول لك أمثلة على ذلك، فأثار المبدعين من عهد قديم ما زالت حية ترزق. نتنفس أنفاس الكتاب كلما قرأنا كتبهم.

إننا نحن البشر نتاج عملية كتابية، يقول جبران خليل جبران "إنما النَّاسُ سطوْرٌ كُتبتْ لكن بماء". ثمة من اتحد لينجبنا، ونحن نتحد مع غيرنا لننجب آخرين، وستستمر عملية الاتحاد إلى ما شاء الله لتظل الكتابة وفعلها هي أعظم ما منح للإنسان ليعبر عن طاقته الحيوية بشهوة قلمه، ويوظف قلمه الآخر ليعبر عن نشوة الكتابة. إنها هي النعمة الكبرى، والمعنى العظيم لهذا الخلق.

بقي أمر أود أن أحدثك عنه في هذه الرسالة فيما يخص الكتابة، إنه لجدير بالتأمل. هل تعتقد أن القرآن الكريم لم يتعرض لهذه المسألة؟ هناك في القرآن الكريم سورة تدعى "القلم"، وبدت بـ "نون والقلم وما يسطرون"، إن هذه الآية العظيمة تحمل من بعيد المعنى السابق، فما هي النون هنا؟ وما هو القلم؟ وما هو المسطور؟ إن اتحاد النون مع القلم هو ما يحيل إلى اتحاد الأعضاء الجنسية، وما ينتج عن القلم من عملية التسطير والكتابة، لعل هذا ما انتبهت له مجلة "بدايات" فنشرت على الغلاف في أحد أعدادها صورة ربطت فيها بين النون والقلم وبين الجسد الأنثوي، مع إبرازها لعلامة الترقيم، التعجب (!)¹، ولنا أن نتخيل أنا وأنت هذه الدلالة ونستحضرها.

هذا ليس تحريفا ولا تجديفا وليس شططا في التفسير. فكل ما في الكون يحمل هذا المعنى من اتحاد بين مذكر ومؤنث، وكل اتحاد بين مذكر ومؤنث ينتج عنه عملية عبقرية، البرق والرعد والمطر، شق الأرض بالمحراث، و"نساؤكم حرث لكم"، واشتعال الكهرياء في الأشياء، ناتج عن اتحاد مذكر ومؤنث/ سالب وموجب، هذه هي سنة الحياة التي سنها الله، ليكون الاثنان حاضرين في كل مكونات هذا الكون.

أرجو أن أقرأ وجهة نظرك في الموضوع، فهلا كتبت لي لعل الفكرة تغدو أوضح وأجلى. أنا أكتبك وأكتب لك وعنك إذن أنا أمارس الحب معك. دمت النون لقلم لا ينفك فيفيض كلما جر حرفا ليكتب.

الجمعة: 2018-10-12

العزيزة الغالية، أسعدت أوقاتا وتجلتيا وحباً، أما بعد:

أذكر عندما كنا نناقش اللغة في الرواية مع الدكتور وليد الشرفا، كان صديقنا الشاعر الجميل خالد جمعة حاضرا، قال جملة ربما كشف فيها عن أنني، بحكم تديني، لم أقرأ الفيلسوف نيتشه. إن صديقنا خالد بالتأكيد يرى أن نيتشه كان ملحدا، ولذا فإنني ما زلت متدينا، ولم يتضعض إيماني الفطري ما دمت بعيدا عن نيتشه.

ربما كل الفلاسفة كانوا ملحدين، مع أن منهم من قاده البحث إلى الإيمان، فثمة من قال "لو لم يكن الله موجودا لاخترعناه". لم يكن نيتشه غائبا عني بالتأكيد، ولكنني لم أكن قرأت له كتابا، وإن كنت قرأت عنه كثيرا. لقد قرأت كتبا كثيرة في الفلسفة ولم يزعجني ما فيها من إلحاد ونفي للخالق أو "موت له"؛ إذ إنني أدرك على نحو يقيني قاطع أن شطحات الفلاسفة تشبه شطحات الشعراء

¹ عدد 10- شتاء 2015 من مجلة بدايات، وكنت كتبت مقالا قصيراً انتقدت فيه هذه التوليفة، موضحاً سبب الانتقاد بما يلي: "حولت المجلة القلم إلى رسم تعبيري يشبه علامة التعجب التي ينتهي آخرها برأس يشبه رأس القلم وينزل منه نقطة النون ليكون في المنتصف، والنون والقلم هذان جاءا في منطقة الفرج في رسم امرأة شبه عارية، ليدل على عملية التلاقح الجنسي! وإن عجز القلم عن الوصف فإن الصورة الملحقة كقبلة بالتعريف". (ينظر المقال: دنيا الوطن، 2015/5/1: <https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2015/05/01/364785.html>)

والمتمصوفين والعباقرة والعشاق، كلهم كان باحثا عما يعتقد أنها الحقيقة؛ ليرتاح، وليس ليكون تعباً وقلقاً.

إن فكرة الإلحاد بحد ذاتها فكرة ساذجة جداً، ولذلك لم تكن لتؤثر في أفكاري كثيراً أو قليلاً. فما يضير الخالق أن ينفي وجوده فيلسوف أو شاعر أو عبقرى؛ هي أزمة فكر بلا شك، فلا أحد منهم يريد أن ينفي الخالق اعتباطاً، وإنما لم يهدده تفكيره إليه، بحكم عوامل عدة.

المهم يا عزيزتي، تعرفت إلى نيتشه أخيراً، وعلى كتابه المربك "هكذا تكلم زردشت". بدا نيتشه في الكتاب قلقاً ما بين الإلحاد المطلق والإيمان اليقيني. متذبذباً بين "الكفر" و"الإيمان"، لكنه بلا شك كان باحثاً عن الحقيقة.

لا بد من الشك أولاً للوصول إلى اليقين، هذا هو المبدأ الفلسفي العام الذي ينسب إلى ديكارت، وأحسن طه حسين استخدامه والتعبير عنه، وإن كان علماء الكلام من فلاسفة المسلمين قد انتهجوه في أبحاثهم العقديّة، فجاءوا بمبدأ "التخلية قبل التحلية". لقد سار طه حسين على المنوال ذاته في دراسته "في الشعر الجاهلي"، أراد الشك من أجل الإثبات، ولكنه شك ولم يثبت شيئاً، ولعل خطأ طه حسين هو أنه نقل المبدأ الفلسفي من بحث الألوهية إلى مجال الشعر، فثمة فارق كبير بين الحقلين، ومن هنا كانت السقطات التي وقع فيها الكتاب. أحببت كتاب طه حسين، وقرأته في طبعته الأولى غير المعدلة بنهم وسعادة كبيرة، ولم أر فيه ما يدعو إلى التكفير. لماذا تراجع طه حسين عن بعض أفكاره؟ إنها معضلة فلسفية وفكرية أن يتراجع الكاتب عن أفكاره أو أن يتخلى عنها أو يعدل فيها.

كتاب "هكذا تكلم زردشت" جعلني أسأل نفسي أسئلة كثيرة: هل يجب علينا أن نقرأ الفلسفة؟ وهل لا توجد فلسفة إلا في كتب الفلاسفة؟ ولماذا نحشر الفلاسفة في خانة الملحدون فنخاف منهم؟ ولماذا يلجأ الفلاسفة إلى التعقيد؟ ماذا عليهم لو طرحوا أفكارهم بسهولة ويسر؟ ربما نحن مفتونون بالتعقيد، ونبحث عنه، وبقدر ما تكون معقداً في لغتك تقترب من الجمال والفلسفة، فالغموض حارس الذائقة العنيد، وإلا فأنت بسيط وساذج. ننفر من البساطة التي هي أعظم كلمة في معجم الفلسفة الكبير المتضخم. رواية "عالم صوفي" تقوم على الفلسفة وتعالج فكرة وجود إله، ولكنها عرضت الفكرة بقالب روائي جميل، غير معقد. الفيلسوف الفرنسي "لوك فيري" في كتابه "أجمل قصة في تاريخ الفلسفة"، يرى أن الفلاسفة عقّدوا الفلسفة في اجتراحهم لغة معقدة غير مفهومة إلا من النخبة.

الفلسفة موجودة في كل شيء؛ أن تقول: "إن الحياة حلوة" هي فلسفة، وأن تقول: "لا إله إلا الله" فلسفة، وأن تقول: "الجمال نسبي" فلسفة، كما يمكنك أن تقول هذه المعاني كلها بألغاف معقدة. من يدرك حكمة الحياة قد أدرك كنه الفلسفة، إذ لم تأت الفلسفة إلا لجعل الحياة أكثر فهماً.

الجميلة الرائعة:

لم أشعر أنني كنت بحاجة لقراءة نيتشه إلا "من باب العلم بالشي ولا الجهل به"، فوراء كل تلك الغمغات اللفظية واقع أجلى وأعظم من كل ما يقوله الفلاسفة والمفكرون، ولعل الحياة أبسط مما يتصورون، وربما هي أعقد مما نفكر فيها بسداجة.

أتعرفين ما هو أكثر أمر يقلقني في تفكير هؤلاء المثقفين؟ هو أنه يجب عليك أن تقرأ لنيتشه وديكارت وكانت وهيكلم وماركس وهيدجر وروسو، وأراهم مفتونين حد العظم بما يقول هؤلاء دون أن يكونوا قادرين على شرح أفكارهم أو هضمها. ثمة فرق بين أن تقرأ لتعي وتناقش، وبين أن تقرأ لتنقاد، مثقفونا في الغالب، يقرأون لينقادوا، وليس ليفكروا وينتجوا جديدا. انتهت عندهم الثقافة مظهرا محصورا في "نيتشه وفيروز وشرب النبيذ والعرق، والعلاقات المفتوحة مع النساء"، وإذا لم تكن من مرتادي البارات فأنت لا تستحق لقب "مثقف"، وستكون غريبا موحشا في جلساتهم البائسة. هكذا ينتهي نيتشه في عقول المثقفين دون أن يفكروا فيما بعد نيتشه. فكرة راودتني منذ فترة وهي الموازنة بين نوعين من الكتاب، الكتاب التأصيليين والكتاب التناصيين، إنه لأمر محزن أن تدريكي أن أغلب كتابنا الكبار هم كتاب تناصيون، وليسوا تأصيليين. إنها حالة سقم كبير في إنتاج المعرفة.

أرجو أن تكون فكرتي قد اتضحت بعيدا عن غمغات الفلاسفة، متمنيا ألا يفهمني أحد خطأ، أو تأويلا عبثيا. دمت أجمل من الجمال، وأعظم من الفلسفة، أيتها الهادية إلى متون الفلسفة الروحية الجميلة.

أحبك هكذا دون فلسفة زائدة عن حد القلب المفتون فيك عشقا.

الثلاثاء: 2018-10-16

شاعرتي الجميلة، وجملتي الناعمة كالحرير، حياك وحي الشعر وبياك أيتها الشهية، أما بعد:

عادة أدمنت عليها مذ تركت الفيسبوك، عادة البحث عن منشوراتي في المواقع والصحف، والبحث عما ينشر لي على الفيسبوك من القراء، لقد فاجأني كثير من المنشورات، ومنها منشور طريف من قارئ مغربي يتندر على قصيدة لي منشورة في صحيفة "الاتحاد الاشتراكي" المغربية¹. القصيدة هي "على كراسي العرش"، أما المنشور فمكتوب باللهجة العامية المغربية، وقد جرّ موجة من التعليقات الساخرة لأصدقائه كذلك من القصيدة ومن قصائد ومنشورات أخرى في الصحيفة ذاتها.

أثار في التعليق موجة من الضحك، لقد سررت به كثيرا على الرغم من أن فحواه وصف القصيدة بالرداءة، وخاصة بداية القصيدة التي كانت هكذا "أناديها: ارتعشي علي" ما دفع هذا القارئ أن يكتب: "شريت الاتحاد الاشتراكي يحسابني اليوم كايكون فيه الملحق السينمائي. ولكن لقيت فيه الملحق الثقافي. على الحلة خرجت فواحد الشاعر سميتو فراس حج مجد كاتب قصيدة باديا هاكا: أناديها، ارتعشي علي".

¹ منشورة في عدد يوم الجمعة: 2018/7/20. للاطلاع على النص: <https://2u.pw/nz85djh>

إلى هنا ينتهي المنشور الأساسي، ولكنه فتح شهية أصدقائه للتندر على الشعراء. أحدهم كتب: "أنا حضرت مهرجان الشعر واحدة قالت: "أنا الشرنقة أنا الفراشة" فكراتي بمقرر النشاط العلمي ديال الرابع". وكتب آخر يطالب صاحب المنشور أن يكمل فقد شوقه المنشور إلى المزيد، فأخذ يستعرض منشورات الملحق الثقافي بسخرية فيكتب يونس برياز ربما هكذا يلفظ الاسم (Baraiz) مستشهدا ببعض الأسطر الشعرية من مقاطع متعددة: "يقول نفس الشاعر في نفس القصيدة:

تعالِي

وازري نهديك في صدري بحق الرب

.....

انعجني فيّ بعنف

.....

أيتها اللذة انهجري عليّ"

ويردّفه بتعليق آخر: "إلى أن يقول بلا حياء:

اعتلي برجي المغمس بالندی

وانتصبي مثل ضوء باذخ يهدى

بعرف الند".

وقد طالت التعليقات الساخرة شعراء آخرين كتبوا في الملحق نفسه، يقول معلقا على أحد النصوص لشاعرة مغربية: "في أعلى نفس الصفحة تكتب شاعرة اسمها مالكة حبرشيد قصيدة بعنوان: لن أموت حتى أفقأ عين الانتظار استهلتها بالمقطع التالي: أقطع ذيله الذي زاد عن حده".

ولم تسلم القراءات النقدية من اللمز والهمز فيكتب يونس هذا التعليق: "وفي الملحق كذلك مقال كتبه دكتور اسمه أحمد زكي كنون عن الشاعر مجد السرعيني يصفه بـ "المتألق، الفواح بعطر العطاء، الغارق في بحر المعرفة...".

يبتعد صاحبنا قليلا عن السخرية، فيشير إلى مقال ما إشارة عابرة كأن اللعبة أسعدته وشوقته: أما حسن إعلان فكتب مقالا مطولا عن رواية "دانتي" لمحمد الهراي الملتزم بـ "العلامات المزووجة للدليل". كأن هذه الجملة الأخيرة لم تعجبه أيضا، وربما كانت غامضة فلم يستطع استيعابها.

ولم يسلم الشاعر الكبير شوقي بزيع من التعليق فيعلق على حديثه خلال حوار مع الشاعر منشور في العدد نفسه. قائلا: "أما الشاعر اللبناني شوقي بزيع فيعترف بأن زواجه أدى إلى تراجع منسوب قصيدة الحب لديه لأن الزواج حالة نثرية". وتخرج التعليقات خارج الملحق الثقافي ليكتب أحدهم متندرا: "وفي اليوم العالمي للشعر صاح أحد الشعراء الشباب: تحية لكل الأصدقاء والصديقات الذين من أجلنا أصبحوا (طريطورات). وتساعدي خدمة الترجمة الإلكترونية لأفهم

معنى الكلمة (Traiteur)، وتعني "متعهد حفلات". وهكذا تنتهي التعليقات الساخرة على القصيدة والملحق الثقافي في صحيفة الاتحاد الاشتراكي بهذا التعليق: "في الواقع، وجدت هذه الصحيفة، وقرأت كل صفحات الملحق الثقافي"، وينتهي التعليق أنه لم يعد يقرأ في صحف اليوم ما كان يقرأه سابقا من مادة أدبية وفلسفية ونقدية، وأن هذا الأمر لم يعد مستغربا.

وقفت عند هذه الحادثة، متأملا بعد أن سكتت عني موجة الضحك، ربما هناك أشياء نجهلها نحن الجيل الجديد من الكتاب والشعراء، وربما القراء أنفسهم يجهلون أشياء كثيرة أيضا، فهل يعقل أن يكتب شاعر عاش في الألفية الثالثة كما يكتب شاعر من جيل الخمسينيات والستينيات؟ وهل فعلا كانت الرداءة بهذا الحجم بحيث طالت كل مواد الصحيفة؟ ألا يوجد فينا كاتب رشيد، رصين، يُسعد يونس وأصدقاءه؟

على كل حال، بدا الأمر عابرا، أحببت أن أطلعك عليه، مع حزني المؤكد على صاحبنا الذي اشترى صحيفة الاتحاد الاشتراكي ولم يجد الملحق السينمائي، فقد خيبت وزملائي الكتاب ظنه، وذهب عمله باطلا، ولكن رب ضارة نافعة، لنا نحن الكتاب الذين حظينا بفرصة القراءة، في مجتمع أصبح فيه قراء الصحف الورقية وقراء الكتب عموما عُملّة نادرة.

لو أردت أن أسترسل في موضوع التعليقات الساخرة على الشعراء لطالت الرسالة طولا يحملك على قوائم من خشب الملل، ولكنني أذكرك بقصيدة "الحليب والعسل" للشاعر التونسي المنصف الميزغني التي أثارت موجة من السخرية، وسرعان ما ربط القراء بينها وبين قصيدة مرجان أحمد مرجان/ عادل إمام "الحلزونة يما الحلزونة"، وعلى الرغم من محاولة قناة العربية رد الاعتبار للشاعر الكبير في برنامج "بانوراما"، عندما وصفت المذيعه المنتهى الرمحي القصيدة بأنها عميقة، وإن كانت بألفاظ بسيطة تصل إلى الجمهور وتؤثر فيه، وبأنها قصيدة سياسية، مذكرة بقصيدة الشاعر الأخرى "خروف دخل البرلمان". إنها مرة أخرى مشكلة الشاعر الكبير وإن كان النص ساذجا أو تافها، مع أنه لا يوجد شاعر كبير أمام قراء الفيسبوك وتفاعلمهم، هذه الظاهرة من التقييم التي بشر بها رونان ماك دونالد (Ronan McDonald) في كتابه البديع "موت الناقد"، إذ تنبأ بموت الناقد الأكاديمي المتخصص ليحل محله قارئ متذوق، دون أن يكون مجبرا على الاستناد إلى أية نظرية سوى نظرية ذائقته ومزاجيته القرائية.

لقد مررت سابقا بالتجربة نفسها وطالتي سهام المعلقين عندما نشرت هذا المقطع:

كوني امرأةً أنثى

والبسي تنورةً

فأنا لا أحبّ البنطلون

واستعملي أشياءنا

تلك التي اخترناها معاً ذات حديثٍ

واستعدّي للجنون

فقد علق أحد الأصدقاء قائلاً: إنه قد تذكر قصيدة "الحلزونة" لعادل إمام وهو يقرأ هذا النص. وما زلت أذكر تعليقات ساخرة كثيرة لزملاء العمل حوله. إنه لأمر طبيعي أن يحدث مثل هذا الأمر وأكثر منه أيضاً. فللشعراء سقطاتهم لا شك في ذلك، وعليهم أن يحتملوا آراء القراء، وإلا عليهم أن يصمتوا، فلا يوجد كاتب بمنأى عن الرداءة مهما علا كعبه في الشعر، أو سطع نجمه في سماء الشهرة.

والشيء بالشيء يذكر كما يقولون أيتها الجميلة، فما زلت أذكر منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة حيث كان الشيخ عبد الحميد كشك في تسجيلاته الصوتية يسخر من عمالقة الفن والطرب، فبعض جملة عالقة في الذاكرة إلى الآن، معلقاً بفكاهة ساخرة على العندليب الأسمر في قوله "إني أتنفس تحت الماء"، ليسخر منه الشيخ الجليل بقوله: "ألك خياشيم يا عبد الحليم"، وتعليقه على "أنا الهوى هوايا" قائلاً: "ده الهوى مش هواك ده الهوى بتاع ربنا"، ولم تسلم منه أم كلثوم كذلك، فتناولها بسخريته التي كانت تسعد الجمهور وتثير فيه شهوة الضحك. لقد كان هذا الموضوع أيضاً مجالاً للتندر في واحدة من مسرحيات سيد زيان، عندما تناول بالسخرية مجموعة من الأغاني ومنها أغنية فائزة أحمد "يما القمر ع الباب"، ليقول: "بجيبوا الكلام ده منين"، ولسة يا ما نشوف على رأيه في المسرحية نفسها.

أتمنى أيتها الغالية أن تبترني وأنت تقرئين هذه الرسالة، ف "لا شيء يستدعي القلق" والتجهم. نصيب مرة ونخطئ مرات، وإنما لمستمررون حتى آخر الشوط، ما وسعتنا اللغة والحياة، وما أمدنا الحب بالطاقة الحيوية كي نكون.

دمت بخير ورهافة حس وشعر، وإلى لقاءٍ، لعله صار أقرب من أي وقت مضى.

الأربعاء: 2018/10/24

جميلتي اللذيذة، أسعدت أوقاتاً أما بعد،

لقد سرني على نحو لطيف جداً مكالمة اليوم، كأنها الغيث التثريني في موسم قحط شديد، لكن، لا شك في أن انقطاعها كان كتوقف الماء فجأة في حلق الظمآن، فلا هو ارتوى، ولا الماء غدا صالحاً للشرب. لحظة كنت دائماً أتوجس منها وأخافها، وها هي تحدث، كما أنها تحدث في كل مرة تقريباً، ثمّة من يقطع هذا الحديث المشتهي.

لقد كانت رسالتك المقتضبة مزلزلة لكياني كله: "بحق ما تحفظه لي من ود أن تدعنا نلتقي"، سنلتقي أيتها الغالية عندما أشعر أنني أصبحت قادراً على لجم شهوتي التي تأكلني كلما التقينا. فبحق من برأ الخلق وقدر علينا هذا الشقاء الأبديّ أنني مشتاق لك شوقاً لا تستطيع الكلمات أن تحمله أو تصوره، ولكنني لا أستطيع أن أراك في هذه الأيام، فلن أحتمل رؤيتك والجلوس قربك، ففي كل مرة تطحنني شهوة جارفة لك، فالبعد أخف كثيراً من عذاب لفائك. هل تخيلت يوماً

عذابي؟ إن النار تلتهمني حتى لو تحدثنا وضحكنا، حالة مستحيلة على الشرح، يكفي أن تعرفني أنني أريدك بكل ما ملكت من جنون وقوة وحب وشوق، لا تفارقيني في أي لحظة من نهار أو ليل، ولكن مع كل ذلك كلما كتبت لك أهدأ قليلاً، فما بالك وأنا أكتب لك بعد أن تذوقت حلاوة صوتك بعد عطش شديد.

لقد مررت في الفترة الأخيرة بحالة من الشوق الشديد، كنت أعالجها بالقراءة والاستماع إلى الموسيقى، لعل أهم كتاب قرأته هو "الفلاسفة والحب"، إنه يتحدث عن تجربة عشرة من الفلاسفة ووجهة نظرهم في الحب، لقد أحب الفلاسفة حبا طبيعيا عاديا فيزيقيا كما يحب الناس العاديون، لقد اشتهاوا محبوباتهم كما أشتهيك، لم يكونوا مثاليين، بل كانوا دائما يطمحون إلى ممارسة الحب مع محبوباتهم، فامتزاج البعدين الروحي والمادي ضروري جدا أيتها الحبيبة. لقد كنت أقول لك ذلك، فازدادت قناعتي بهذا لما أراه من حال العشاق، كتابا وشعراء وفلاسفة وسياسيين وطغاة، أمام الحب يتلاشى كل شيء، ويتعري المخلوق من كل مكتسباته، ليظهر على حقيقته محتاجا عاجزا ناقصا، يسعى إلى الاكتمال مع من أحب، فالجسد ليس عفونة يجب أن نتخلص منها، إنه بوابة الروح والامتزاج بها.

لا شيء يجعلنا قادرين على أن نرى الأشياء على حقيقتها سوى الحب، أفكار هؤلاء الفلاسفة عمقت فيّ الإحساس بأهمية الحب في الحياة، صحيح أن ما بيننا هو قدر، وقع دون تخطيط مسبق، لكنه كان قدرا مهما، كقدر أن نكون موجودين على هذه الحياة، الحب حياة أخرى متجددة داخل الحياة، لكنها حياة لا تشيخ، ولا تعرف الضعف أو التجبر.

كنت أرغب في الحديث أكثر هذا اليوم، عن الجوائز والفائزين بها مؤخرا، ولجان التحكيم، والذائقة الفنية، والاعتبارات الأخرى، لكن حدث ما حدث. لا بأس، ربما أتاحت لنا الفرصة أن نتحدث في قادم الأيام. فعلى ما يبدو ليس متاحا أن نتحدث متى شئنا، فالعمل والآخرون وأشياء أخر تمنعنا وتقطع لذة الحديث.

كنت مشتاقا للحديث حول رواية صديقنا الجميل مشهور البطران "أوبرا القناديل"، فقد وصلتني في البريد العادي، فرحت بهديته جدا، وأنهيت قراءتها، إنها عمل يربك القارئ والناقد على حد سواء، كانت الرواية مدار حديث بيني وبين الصديق رائد الحواري، إذ يتبنى موقفا إيجابيا من الرواية، على عكس ما وجدت أنا في هذه الرواية.

كانت الرواية خليطا من الواقعية والرمزية والفتنازيا والسخرية والأدب الشعبي، وبتقدير لم يأخذ أي حقل من هذه الحقول حقها في الوضوح، فالفتنازيا في الرواية سطحية، وتشعر في بداية الرواية أنك في معمعة مطاردة الصراصير، ولا شيء غير ذلك، فأنت أمام مشاهد حقيقية لمجموعة من الصراصير المزعجة، فلم يظهر فيها أولا أنها ذات بعد فتنازي أو رمزي، ثم تتطور الأمور وشيئا فشيئا تصبح رمزا لأولاد العم، الذين أفلحوا في استدراجنا عن طريق الوسطاء إلى ما يريدون، ثم ينسى أمر الصراصير كمادة فتنازيا ورمز وتغيب عن المتن الروائي صفحات كثيرة، إلى درجة أن تسأل

أين ذهبت وتلاشت، لتعود خجولة متسللة مرة هنا ومرة هناك، لتشارك الزعيم المخلوع غرفته وطعامه، إنها عادت إلى طبيعتها مجرد كائنات مزعجة غير مرغوب فيها، وإن أصبح الزعيم أكثر تقبلاً لها.

هل ما زلت تتذكرين ما كتبتته حول ظاهرة الشعراء الصراصير؟ أنا كنت أكتب ملاحظات نقدية على سلوك ثقافي، هذا المقال كما يقول الشاعر إياد شماسنة إنه سبب سقوطي المدوي في انتخابات اتحاد الكتاب الأخيرة. تخيلي مقال يسبب سقوطي في الانتخابات! ليس دقيقاً ما قاله الصديق إياد، لكنه يبقى رأياً، كأن شماسنة بعيد عن "اللعبة الديمقراطية" الهزيلة المفضوحة بسيطرة الفصائلية التي تهزم كل من تحرك خارج دائرتها.

ليس مهماً كل هذا، يا عزيزتي، فقد انتهى الأمر وانفضّ السامر، وربحت فصائلنا المعركة الخاسرة أصلاً، ولنعد إلى رواية "أوبرا القناديل". ما أعجبنى في الرواية هو ما فيها من كسر لقلب الرواية الكلاسيكي، فهي لم تحتف بالبطل الفرد كما جاء في الرواية ذاتها، ومنحت المرأة "مريم" والأطفال بطولة روائية، ولكنها أيضاً ممتدة في موضوعات متشعبة، لم يمنح أي موضوع منها صنعة روائية جيدة، فالزعيم "الأب الكبير"، الذي يبدو أحياناً كأنه صدام حسين أو زين العابدين بن علي وأحياناً بشار الأسد، وأحياناً الزعيم الفلسطيني الذي يدخل في مفاوضات عبثية. ثمة خلط في الرواية، تضبيع فيها الأفكار والأحداث، ولا تستطيع أن تعطي لها شخصية ما. هل كان ذلك مقصوداً كما يرى صديقنا رائد الحواري؟ لا أدري. لم أفتنح بوجهة نظره فيما كتبه عن الرواية¹.

أمر آخر أعجبنى في هذه الرواية وهو إحالتها على كثير من المراجع المهمة، وأولها الفلسفية، فثمة أسئلة فلسفية في الرواية، من مثل: ما هو الحب؟ وكيف يكون؟ وما هي السلطة؟ وكيف تكون؟ وما هي القوة؟ وكيف تكون؟ وكيف يمكن السيطرة على الذات الجامحة للحب واللذة والشهوة، شهوة النفس للحب أو للحكم والتجبر؟ لقد أعادتني الرواية إلى مجموعة من الكتب المهمة التي تظهر الكاتب مثقفاً ثقافة متينة، فلا بد وأنت تقرأ في الرواية إلا أن تتذكر كتاب "المقاومة بالحيلة"، و"الفلاسفة والحب" و"حيونة الإنسان"، و"خطب الديكتاتور الموزونة"، وفيلم "Dany The Dog".

أمل أيتها الجميلة أن تقرئي الرواية، وتكتبي لي وجهة نظرك فيها، لقد كانت رواية صادمة، ويحسب لها فنيته غير الكلاسيكية ومحاولتها أن تقول أفكارها بطريقة جديدة، مع قناعاتي الراسخة أن نجاحها في ذلك كان نجاحاً متواضعاً.

وقبل أن أُلثم شفتيك بقبلة أخيرة، أرجو أن تسامحيني فقد قسوت عليك وقسوت على نفسي كثيراً، لست أدري هل أنا على صواب أم على خطأ، ولكن أرجو أن تحتملي مني ذلك، عسى الرحمن

¹ المقال بعنوان: "الواقع والفاثنازيا في رواية "أوبرا القناديل"، دنيا الرأي: <https://2u.pw/fnB717G>، نشر بتاريخ: 2018/10/12.

أن يخفف عنا ما نحن فيه، فهذا أنا أمثل لقولك: "اكتب كل ما تهبنا (تخيلاتك المجنونة) من حياة حتى يقضي الله أمره فينا".

وإلى لقاء، أقبلك مع كل نسمة صباح وزهرة تفوح بعطرك.

الجمعة: 2018/11/2

مساؤك وصباحك قبلة ووردة وقصيدة، أما بعد:

لم أحوّظ منك برد على رسائلي السابقة، لكن لا يهم، يكفي أنك تقرئين ما كتبت، ولا يفوتك منه شيء، هذا بحد ذاته دافع للاستمرار في الكتابة. مر عليّ هذا الأسبوع نكدًا طويلًا، كأنه ظل كثيف الغيم، سرعان ما تبدد في حضورك على مدى يومين باتصالك الهاتفي، كم كنت محتاجًا لتنقذي مما وقعت فيه أخيرًا من شرك السفاهة والتفاهة والبلادة. ولتسمحي لي أيتها الحبيبة أن أبلغك شيئًا عما جرى.

بالتحديد يوم الثلاثاء الفائت، كان يومًا أسود، تافها، قذرا، شعرت فيه أنه يوم هجائي بليد لا طعم له، بل إن له طعم الحنظل المنعقد في ذاكرتي، كلما تذكرته حتى أشعر بالاختناق والضيق والغثيان ووجع في المعدة. كان يومًا طويلًا مُمَلًا، قضيته برفقة أحد المعارف في المدينة، تحولت دفعة واحدة إلى شيء عديم الفائدة والقيمة، كم أتمنى لو أنسى ذلك اليوم. اليوم أكتب لك عنه لأنني أصبحت قادرًا على مسك ذاكرتي بين إصبعين من أصابعي وأفتتها بكل رفق ولذة وربما بلا رحمة دون أن أشعر بالامتعاض. أكتب لك عن يوم كنت فيه أبله، وكان يومًا متفوقًا في البلاهة على كل حال. دعيني أسمه لك "الثلاثاء الأسود"، والغبي أيضًا. لقد ضاع من حياتي سدى، ولم أشعر في أي يوم من أيام حياتي كلها أنني عشت يومًا أسوأ من يوم الثلاثاء الماضي.

في ذيل ذلك اليوم، حضرت لقاء أدبيا للكاتب الشاب أحمد جابر لمناقشة مجموعته القصصية "السيد أزرق في السينما"، كان لقاء متواضعًا على كل حال بالحضور كمًّا ونوعًا، وأغلب الحضور كان رفقًا من "الحمام الإلكتروني" كما قال أحمد نفسه "جمهور من الفيس بوك"، فتيات، قارئات، متابعات للكاتب، جنّ وحضرن اللقاء، شكلن نسبة جيدة في الحضور، هنا تبدو نظرة رونان ماكدونالد صائبة تمامًا في إعطاء القارئ العادي قيمة للعمل الأدبي بعيدًا عن النقد الأدبي الرصين. هنا يمكن للمرء أن يفهم تلك العوالم المشوهة في القصص، وسطحية الرؤى في تلك النصوص.

ثمة ملاحظات كثيرة على المجموعة القصصية التي فازت بجائزة القطان، ورأيت أن ما قالته لجنة التحكيم عن المجموعة مبالغ فيه كثيرًا، فلم تكن فسيفساء المجموعة معبرة بشكل عميق عن ذلك الرأي "المهول جدًا" في وصف المجموعة القصصية، ولكن لا بأس.

ولعلك تسأليني ماذا وجدت في المجموعة من ملاحظات؟ لا شك أنني سأسرد لك في عجلة أبرز ملاحظاتي على تلك المجموعة، وإن أتاحت لك الفرصة قراءتها فلنتبادل الآراء حولها في قابل الأيام.

أحسست وأنا أقرأ في نصوص المجموعة أن "القصة القصيرة" في مأزق إبداعيّ، فليس هناك نماذج لقصص قصيرة بارعة كتلك التي سادت في الثمانينيات أو ما قبلها، أصبحت القصة القصيرة قليلة

الحضور وباهتة البناء، وكتابتها قليلون، يكتبونها ربما للبحث عن فكرة روائية كما حدث مع أحدهم، فبعد نجاح إحدى قصصه القصيرة، قام بوضعها في قالب الرواية، فمظها وأمّأها، وخرّب القصة والرواية معا. هذا ذكرني بزملء عملوا في تأليف مقررات اللغة العربية الحالية، لقد كانت معضلتهم إيجاد نماذج من القصة القصيرة، لقد اتصل بي بعضهم، ولكن ذائقتهم وذائقة من يعملون معه ربما لم تكن كما ينبغي أن تكون، فرفضوا كل اقتراحي، ليستقر رأيهم أخيرا على نماذج باهتة وركيكة أو مكررة أو اعتماد مقالة بدل القصة، ولهذا الأمر وقفة أخرى غير هذا الموقف.

أغلب القصص في مجموعة "السيد أزرق في السينما" لا تتجاوز قامتها السردية صفحة وبضعة أسطر، وتقوم على ملامح باهتة للشخصيات ببعديها النفسي والخارجي، عدا ما تتمتع به أغلب الشخصيات من أزمة نفسية تقربها إلى عالم اللامعقول، وأحب أن أستخدم مصطلح "اللامعقول" حتى لا تظني أنني لو استخدمت غيرها كالفنتازيا مثلا، أن النصوص من الأدب الفنتازي، هي لا معقولة فقط، بمعنى أنها لا رؤيا لها، تلك الرؤيا التي يستند عليها "الأدب الفنتازي"، لقد بقيت هذه النصوص سردية سابحة في خيال غريب، حتى وإن حاول الكاتب إدخالها في الرمزية ومبدأ الإسقاط الواقعي، فإن شيئا ما لن يساعده في ذلك. فطبيعة السرد المقتطع غير المستند إلى إشارات نصية تجعل النصوص مبتورة سابحة في فضاء أسود لا تستطيع الاستقرار على معنى معين.

ثمة ملاحظات أخرى لا تبدو ذات أهمية، وإنما أحببت أن أوضح وجهة نظري المغايرة لمديح لجنة التحكيم "الكبير" للمجموعة، مع ملاحظة أن المجموعة تغص بعنصر "التغريب" الذي أشعرتني بوجع ما، وكنت قد ناقشت ذلك منذ مدة، عندما تناولت بالقراءة إحدى الكتب الفيسبوكية.

لقد اعتمد الكاتب بكليته المعرفية على الأدب المترجم، فبناء جملة، والفضاء المكون للقصص، وأسماء الشخصيات، كلها تسحب قارئها إلى عوالم الكتاب الأجنبي، كما صرح الكاتب نفسه أنه قد تأثر في قصة من قصص المجموعة بإحدى القصص المترجمة، وما يظهر كذلك من استعراض حياة "كافكا" في أول تلك القصص، لتبدو قصة "الشباك الخامس" قصة غريبة عن المجموعة، كأنه النص النشاز في غابة تعج بالمناخ الغريب جدا، لتصبح الغرابة غرابتين وغربتين. ربما أراد الكاتب أن يستعرض ثقافته على القارئ، فليكن.

لقد لاحظت إحدى القارئات هذا الملمح في القصص، أيضا، فلماذا كان الكاتب منحازا لذلك المناخ السردى اللامعقول المنغمس في الأدب المستورد؟ على كل حال يا عزيزتي، ربما سيكون لك موقف آخر من المجموعة.

أرجو لك الخير دائما، منتظرا رؤيتك، ربما أتاحت لنا الظروف لقاء طويلا نتبادل فيه الأفكار والشعر والأغنيات، ولا تجعلي غربتي غربتين كنصوص السيد أزرق هذه.

المشتاق لراحة يدك الدافئة.

الخميس: 2018-11-15

عزيزتي الغالية، أسعدت أوقاتا

ألوذ إليك، مشتاقا لأحدثك عن بعض تلك الأفكار التي تضح في رأسي، متأزرة في وجعها مع وجع الأضراس، هذا الوجع المؤلم إلى حد فقدان القدرة على التركيز، وانهيار نشوة الفرح والسعادة بقراءة الكتب.

يعاودني الألم بين الفينة والأخرى، أستغل الوقت لأكتب لك، متناسيا هذا الألم الحاد الذي يضرب الفك الأسفل الأيمن كله، لا أدري ماذا أصابه؟ وأي جن يسكن تحت هذه العظمة الناتئة التي تبدو حقيرة كأنها ناب قط؟

لقد أفسد هذا "الألم الملحد" الذي لا يراف لتوسلاتي لأن يهدأ، أفسد متعتي بقراءة رواية الكاتبة السورية حميدة نعناع، أتعرفينها؟ أنا لم أكن سمعت باسمها، لولا صديقي الطليعي قد حدثني عنها في إحدى جلساتنا، وأعارني روايتها المذهلة: "الوطن في العينين". إنها الرواية الثانية التي يعيرني إياها هذا الطليعي المهووس بالكتب، بعد رواية "من يتذكر تاي" للكاتبة السوري ياسين رفاعية، روايتان تشتركان في أنهما تبحثان في القضية الفلسطينية، لقد كانت حميدة نعناع صحفية وعضوا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكتبت تجربتها في العمل العسكري، وخصوصا موجة خطف الطائرات، لقد كانت قائدة عملية "جنيف"، هل سيصيبك الحنين هنا في هذه النقطة؟ لا أدري لكنها كتبت أوجعا كثيرة عن المناضلين والثورة وأمراضها، والدكتاتورية داخل الفصائل المسلحة، ربما ليست ديكتاتورية، فلا يوجد شيء اسمه ديمقراطية في العمل المسلح، أظن المسألة لا بد لها من حسم وبصورة حازمة. هذا هو العمل العسكري مع أنني لم أجربه إطلاقا، فأنا لا أصلح لأي أعمال عسكرية. أتذكر ضابط المخابرات (الإسرائيلي) الذي قابلني في عام 1994 كنت في السنة الأخيرة من المرحلة الجامعية (البكالوريوس)، دخلت عليه كان طويلا وعريض المنكبين درزيا يتقن العربية. قال لي بعد حوار طويل وهو يمد رجله في وجهي على طاولة مكتبه: "لو كنت صحيفا لخربت الدنيا". ضحكت قليلا، ولم أجبه، لم أعد أتذكر أنني رددت على كلامه.

على أية حال، هذه الرواية تفتح الجرح الفلسطيني من الداخل، لترى وجع الثائرين وصورتهم الحقيقية، وإنهم ليسوا قديسين، ولا أنبياء، أو أنهم "لا يأكلون ولا ينامون ولا يحبون النساء"، إن لهم أوجعا كبيرة، كما أن لهم تفاصيل صغيرة يهتمون بها، إنهم بشر كبقية البشر، لهم حزنهم، وعاطفتهم تجاه الأشياء والأفعال والناس. ولكن لحساسية مهامهم تكون النتيجة كارثية ومؤلمة لو حصل أن أصبح نائر وثائرة عشيقين، كما حدث في الرواية بين ناديا و(أبو مشهور). لعل أهم درس من رواية "الوطن في العينين" هو: أن للمثقف خيانات أخرى، كأن يتنازل عن أفكاره في حين يشقى بهذه الأفكار مؤمنون كثيرون. هذا يشبه نبيا دعا قوما إلى دينه ثم تخلى عنه! إنها رواية "نقد الأخطاء وانتقادها" فيما يخص الأعمال العسكرية، وخاصة تلك التي حدثت في أوروبا من مثل خطف الطائرات.

قرأت الرواية يا عزيزتي دفعة واحدة في جلسة واحدة، متذكرا قول الكاتب الإنجليزي جورج أورويل: "عندما أجلس لكتابة كتاب لا أقول لنفسي: سوف أنتج عملا فنيا. أكتبه لأن هناك كذبة أريد فضحها. حقيقة ما أريد إلقاء الضوء عليها. لكن ليس بإمكانني القيام بمهمة تأليف أو حتى مقالة طويلة لمجلة ما لم تكن أيضا تجربة جمالية". لقد اجتمع في هذه الرواية الأمران: فضح الكذب وإلقاء الضوء على الحقائق، مع مفارقة الرواية للبناء التقليدي للرواية، لذلك جاءت الرواية مختلفة في تقنياتها الفنية التي اعتمدت على أسلوب الرسالة الذي استهلك من البنية الروائية أكثر من تسعين بالمئة منها، وعندما وصلت إلى توقيع المرسله/ ناديا، قلت في نفسي هنا يجب أن تنتهي الرواية، لكنها للأسف لم تنته، بل بقي منها ما يزيد عن ثلاثين صفحة تحدثت فيها عن صديق ناديا؛ (فرانك)، هذا الثائر القديم، ليقرر الالتحاق بها في لبنان، لينضم إلى الثورة.

تذكري حديثنا قبل أيام، عن طبيعة عملك الأخير، وهل يصلح أن يكون رواية أو لا، لا تفكري بجنسه الأدبي، فكري أن يكون فقط عملا فنيا بارعا، ذا قالب غير تقليدي، فكلنا يعرف الأفكار، ولكن ليس كلنا يعرف الأساليب والأشكال، فابحثي عن قالب روائي قصصي سردي يخصبك، ليكون العمل مميزا، ولا تستندي إلى موضوع العمل وما يثيره من عواطف، فالناس تتأثر بالأخبار التلفزيونية أيضا. عليك التفكير بالفن أكثر من الموضوع.

لقد نجحت الكاتبة، على ما أتوهم، في أنها خرجت من أسر القوالب الكلاسيكية للرواية، مع أنها كتبتها في أواخر السبعينيات من القرن المنصرم، وكانت الرواية الكلاسيكية في توهجها المحفوظي، ولم يكن المثقفون بعد قد اطلعوا على الرواية الأجنبية بشكل كاف، ولم تكن الترجمة رائجة رواج اليوم. ربما أكون مخطئا ولكنني هكذا أقدر من خلال متابعتي الأدبية والثقافية.

حبذا لو تبحثين أكثر في الأساليب الروائية غير التقليدية، وعليك إن كنت معنية بأني تكوني روائية جيدة البحث عن قالب روائي جديد، فلا تكوني متقنة للعبة أتقنها قبلك الكثيرون، ولكن كون مبدعة للعبتك الخاصة، هنا تقفين في منطقة وحدك، ليقول الأدب ها أنا ربحت كاتبة متميزة.

أتمنى لك التوفيق في قادم أعمالك، ولا تتعجلي الوجبة، فالوجبات السريعة في الأدب مضرة تماما كما هي الوجبات السريعة في المطاعم المنتشرة على جوانب الطرق السريعة.

سيكون مناسباً جداً أن أراك قريباً، بعد أن تنجز المسودة، لعلي أكون أول من يطالعها ويراجعها، ولكن ربما هناك "وحوش سرد" أفضل مني سيقدمون آراءهم حولها. لا يهم. المهم أن تكون النتيجة في صالح العمل، وصالح قضيتك السردية ومجدك الأدبي، لتنضمي إلى كوكبة الروائيات المبدعات من أمثال مليكة مقدم ورضوى عاشور وبثينة العيسى وليلى العثمان. وأخرى كثيرات.

أوشك على النهاية، أشعر أن هذه الرسالة قد أفلحت في هزيمة ألم الأضراس الحاد المؤلم. أشتاق إليك أكثر، حتى وأنا في معتزلي هذا أراقبك عن كثب. قبلاتي الحارة لشفتين من ناعم الورد.

مجنونتي الحلوة، وشاعرتي النقية:

أيّ امرأةٍ ألدّ منك في هذا الوجود؟ صباحك أجمل من الجمال، وأشهى منه عناقك بلذيذ الوصال. ومساؤك عسل أيتها العسلية، الحبيبة التي أشتاق رائحة جسدها المتدفق كل حين بفضل الحب، كأنه سرد كوني أبدي في سفر الوجود، أما بعد:

فما زالت بيّ رغبة أن أحدثك عن السرد ومشقاته وأهواله، فالسرد خطِرٌ، بل أخطر أحيانا من الشعر، وهو غير مأمون العواقب إذا جرى الكاتب مع شهوة اللاوعي، فلتحذري هذه المطبات. أسعدني جدا أن المقال الذي أرسلته لك أمس قد أعجبك، إنني دائم التفكير بما تفكرين فيه، لقد شعرت بأهمية أن تقرّي هذا المقال إنه يطرح أسئلة على السارد، عليه أن يقف عندها مليا، ويفكر بها كثيرا. لقد أعجبني جدا ما ورد في المقال من قول الكاتبة الأمريكية توني موريسون: "لو كنت ترغب في قراءة كتاب لم يكتب بعد، فما عليك إلا أن تبدأ بكتابته بنفسك"، إنه مقتبس كفيل أن يلخص حياة كل كتاب وكاتب، ومن الطبيعي إذن أن تقولي في رسالتك المقتضبة: "أشعر أنني في دوامة السرد أتخبّط بلدّة من يقفز على نظاطة في كل قفزة أرتطم بها بحدث". يا له من تصوير لحالة الكتابة التي أراها تنبجس ينابيع سرد من مخيلتك الخصبة.

تكمّن متعة السرد يا عزيزتي في ذلك التدفق، ولكن عليك بصنع القوالب المناسبة التي تستطيع أن تجعل هذا التدفق تماثيل فنية نابضة بالإبداع، هنا فلتسمحي لي أن أستعرض لك رسائل يوسا الاثنتي عشرة التي بعثها لروائي ناشئ، وما دام أنك لم تصدري رواية إلى الآن أو مجموعة قصصية، فإنك ما زالت في طور الروائي الناشئ الباحث عن صيغته ومبتغاه.

يؤسس يوسا لهذه الرسائل برسالة أولى يوضح فيها أهميتين، الأولى تتعلق بالرقابة، وخطر الرقيب، ولك أن تتصوري الرقيب وانشغاله بالأدباء والأديبات تحديدا، إنها مسألة في غاية الخطورة، عليك أن تحسبي لها حسابا، وأهم أنواع الرقيب، "الرقيب النقدي" الذي يقف شامتا أو صامتا، أو مجاملا، أو مؤلفا الإشاعات الحارقة، هنا تذكري جيدا ما قاله يوسا حول "الميل الأدبي"، وهو الأهمية الثانية: "فالميل الأدبي ليس تزجية للوقت، وليس رياضة، ولا لعبة راقية تمارس في أوقات الفراغ"، إن ثمة حياة يدفعها الكاتب وهو يكتب كتابه، إنه بالضبط كما قال يوسا: "الميل الأدبي يتغذى على حياة الكاتب". أو كما قال فلوير: "الكتابة هي طريقة في الحياة". عليك أن تقفزي أكثر وبتركيز أكبر فوق النطاطات لعلك تعثرين على الكثير من الأحداث، بل الكثير من الحياة. إن الروائي والقاص دائم الاشتغال على تطوير ذاته، ولذلك فقد أخذ يوسا في المقارنة بين الشعراء والروائيين في هذه الرسالة بقوله: "أما ذلك الشيء الآخر الغامض الذي نسميه الموهبة، النبوغ، فلا يولد على الأقل لدى الروائيين بصورة مبكرة وصاعقة، وإن كان ذلك ممكنا أحيانا لدى الشعراء والموسيقين". عليك التقاط هذه الفكرة وأن تظلي في شغل دائم في تطوير أدوات السرد وتقنياته. فلم يوجد الروائي العظيم إلا بعد التعب والمجاهدة والإعادة، أحد الروائيين

أعاد كتابة رواية من رواياته عشر مرات، هذا درس مهم لكل من يريد أن يكون عظيما في فن الرواية ويترك بصمة فيه.

أظن أن هذا أمر مهم أن تفكري به على هذا النحو. أدرك أن مشروعك السردي القادم ذو فكرة إنسانية واقعية، لا تخافي من ذلك، فليس كل أدب يمتح من مفردات الواقع هو أدب خالٍ من الفنية والإبداع، ما رأيك إذن بما قاله يوسا في الرسالة الثانية حول هذه النقطة بالذات، إذ يبين علاقة الروايات بتجارب كتابها الحقيقية؟ وكيف يجب التعامل مع تلك التجارب، ليتوصل إلى هذه الجملة البديعة: "أصل كل القصص ينبع من تجربة من يبتكرها"، أرايت كيف جعل الأمر وكأنه ابتكار للواقع من جديد، إعادة خلق له، ليبدو كأنه خيال؟ لقد ناقشتُ هذه المسألة في بحث مطول حول علاقة الكتاب برواياتهم، وكل الكتاب العظام أجمعوا على أنهم كانوا يوظفون حياتهم الشخصية فيما يكتبون من قصص. تحدّث هنري ميللر خلال حوار معه كيف أنه تخفى مرة بثياب القس يوم الأحد في الكنيسة ليستمع إلى اعترافات المذنبين، بحثا عن فكرة وحدث. إنه كان يقفز على نطاطة خاصة به ليرتطم بأحداث لها طزاجتها. لقد نجح في التلصص ليسبر الأرواح الغارقة في الظلمات كما قال. لا تخافي إذن من تلك الأفكار الواقعية، إنها روح القصص وجسدها أيضا.

إن الكتابة بحاجة إلى خبرة وتجربة، ومنتعة في الصناعة والخلق، اصطدمي أكثر، لتنبجس الأفكار حرة وشهية وطازجة، ولكن عليك أن تكوني مقنعة، ها أنا أدخل إلى الرسالة الثالثة ليوسا، وقد خصصها لأمر يبدو مهما جدا، إنه "الإقناع". صحيح أننا نكتب أدبا متخيلا له صلة بالواقع من جهة ما، ولكن لا بد من أن يكون مقنعا، فإقناع القارئ مهمة ليست بسيطة، تأملي جيدا ما يقوله يوسا، لك ولكل روائي ناشئ: "الرواية الرديئة التي تفتقر إلى قوة الإقناع، لا تقنعنا بقوة الكذبة التي ترويها لنا، وعندئذ تظهر لنا تلك الكذبة على حقيقتها مجرد "كذبة"، خدعة، بدعة تعسفية، وبلا حياة خاصة بها، تتحرك بتثاقل وخرافة مثل دمى محرك عرائس سيئ". إن الإقناع يفترض أنك أصبحت داخل العمل، وأن القارئ يتخيل نفسه داخل العمل، إن توقف عن القراءة ضاع أو شعر بنوع من الهوس والجنون إلى متابعة القراءة. الإقناع أن تكتبي من داخلك إلى داخل القارئ، تجعلينه بعقلك وتستوطنين عقله، هل بمقدورك أن تجعل كل القراء أحبارا على مائدة كتابك أو على الأقل تلاميذ منصتين بشغف لروعة ما يقرؤون؟

هذه يا عزيزتي أبرز الأفكار التأسيسية في الرسائل الثلاثة الأولى لأي روائي ناشئ كتبها روائي حاز على جائزة نوبل يوما ما. يتابع يوسا في الرسائل المتبقية مناقشة مجموعة من الأساليب الروائية، وضرورة البحث عن الأسلوب الخاص بكل كاتب، وكنت قد تحدثت لك عن أهمية خلق أسلوب مميز يخصصك وحدك في الرسالة السابقة، ولن أزعجك بأحاديث النقد التفصيلية حول الأساليب والتقنيات السردية للكتاب العظام، فقد بسطها يوسا بسطا جيدا في رسائله من الرسالة الرابعة وحتى الحادية عشرة، ليصل في الرسالة الثانية عشرة إلى "النقد" وأهميته وكيف يكون، كما يراه. ولكن إن أحببت أن تتعرفي على تلك الأساليب، فسألخصها لك في رسالة قادمة، فالأمر يعود إليك، فاكتبي لي إن أحببت التعرف إلى ما قاله يوسا حول ذلك.

سأورد هنا وجهة نظره حول النقد بتلخيص شديد، لأن النقد نشاط إبداعي مهم، لا بد من أن يواكب أي عمل إبداعي، مع أن يوسا، سامحه الله وعفا عنه النقاد، يلزم بهم كثيرا، فهم المتحذلقون الذين "ابتدعوا تسميات متعددة لشيء يمكن لأي طارئ أن يتعرف عليه دون أدنى مشكلة". إن يوسا يتعامل مع النقد والنقاد بنظرة المبدع، فلذلك طغت عليه "الفوقية الإبداعية" في النظرة إلى النقاد، وبدا ذا منطق براغماتي في حديثه عن النقد، إنه مع النقد وضده في الوقت ذاته، يريد من النقد أن يكون خادما له وللمبدعين، لاحظي مثلا نبرته وهو يحدد معالم النقد وأهدافه: "لست أعني بالطبع أنه لا جدوى من النقد، وأنه يمكن الاستغناء عنه، لا شيء من هذا، بل على العكس، إذ يمكن للنقد أن يكون مرشدا عظيم القيمة في النفاذ إلى عالم المؤلف وأساليبه، ويمكن للبحث النقدي بحد ذاته أحيانا أن يكون إبداعيا مثل أي رواية قيمة أو قصيدة رائعة دون زيادة أو نقصان". هل تظنين أنه مع النقد والنقاد؟ إن يوسا مع ذلك يعتبر النقد قاصرا في نهاية المطاف، ما دام أن المبدع له "عالم" ومجموعة "أساليب" والناقد يتحتم عليه ولوج تلك العوالم ويفكك تلك الأساليب، إنه أشبه بالميكانيكي من وجهة نظر يوسا، كاشفا عن روعة الإبداع، لا شيء أبعد من ذلك.

إن تلك العوالم أحيانا عصبية على الناقد من وجهة نظر يوسا: "إن النقد بحد ذاته حتى في الحالات التي يكون فيها شديد الصرامة والصواب لا يمكن له التوصل إلى استنفاد ظاهرة الإبداع وتفسيرها بشموليتها، فهناك على الدوام في الرواية أو في القصيدة الناجحة عنصر أو بُعد لا يمكن للتحليل النقدي العقلاني أن يمسك به، لأن النقد هو تمرين للعقل والذكاء، بينما يتدخل في الإبداع الأدبي وبصورة حاسمة أحيانا إضافة إلى هذين العاملين الحدس والحساسية والتخمين وحتى المصادفة، وهي عوامل تفلت دائما من أكثر شباك البحث النقدي دقة".

ماذا يريد أن يقول يوسا يا عزيزتي عن النقد؟ ربما أراد أن يقول لذلك الروائي الناشئ، كن على ثقة أن من يصنعك هو أنت وليس النقاد، فما النقاد إلا تابعون لك، يتلصصون على نتاج عقلك ولغتك، وأحيانا ربما أغبياء، صدقا أحيانا النقاد أغبياء جدا، عندما يحملون النص أكثر مما يحتمل، أو يهملون عملا أدبيا دون احتفاء أو احتفال لدعواٍ سقيمة وذاتية وأنانية، ومصالحة مقبلة. فكم من كاتب جميل أماته النقاد، وكم من كتاب رديء سوّفه السفهاء منهم، وربما كانوا يعملون ذلك مدفوعي الأجر من هؤلاء "الكتاب".

وأخيرا أيتها القصصية القادمة إلى بحر من السرد متلاطم الموج، تأكدي أنك تسبحين وحدك في هذا العالم، أو كما قال يوسا نفسه: "لا يمكن لأحد أن يعلم أحدا الإبداع، وأقصى ما يمكن تعليمه هو القراءة والكتابة، وما تبقى يعلمه المرء لنفسه بنفسه، ويعثر ويسقط وينهض دون توقّف". كوني على استعداد كامل للمواجهة، مواجهة الكتابة، ومواجهة النقد والنقاد المتطفلين.

زيدي رقاص القفز، واكتبي بشهية من يمارس الحب بشغف، وستنجحين بلا شك، فمخزونك العقلي والسردى واللغوي يؤهلك للنجاح والإدهاش، لنحارب معا ضد الرداءة وأشباه الروايات

والروائيين الساعين بلا توقف إلى الكتابة وعيون أغلبهم على الجوائز التي يسيل لها لعابهم القدر المدجج بالفيروسات اللغوية المميتة.

دمت متفوقة أيتها المرأة الشجرة، الكاتبة المثمرة سردا شهيا طازجا. أحبك سامقة ومبدعة بهية.

الاثنين: 2018/11/26

إنه الاثنين، في مكتبي البارد أسترجع في ذاكرتي قولك في رسالتك القصيرة الحادة: "ممكن أفهم، ماذا يحدث، أم أنني سأبقى أعيش هذه المزاجية؟". إنني لست مزاجيا، شيء أبعد من المزاجية، إنه الإحساس بالكارثة، باليأس من كل شيء في هذه الحياة، أفكر على نحو سطحي: ماذا تفعلين في مثل هذا اليوم؟ لعلك في العمل، عملك يختلف عن عملي، أشيأؤك مختلفة، اهتماماتك أيضا مختلفة، ربما لم يعد شيء يجمعنا، لا أشياء مشتركة، غريب هذا الإحساس، لم يعد حتى الأدب والاهتمام به يجمعنا، أشعر أن الأمر سيئ للغاية، بل ربما هو كارثي أيضا.

أقاوم الإحساس باليأس، لا رغبة لدي سوى المكوث بلا عمل حقيقي، أغوص منذ يومين في قراءة رواية "عندما بكى نيتشه". أصدقك القول إن نيتشه وأفكاره وكتبه وما كتب عنه تستحوذ على اهتمامي بالكامل. شيء مهم وحاد وقاس في هذه الرواية مع أنه ملهم أيضا. يملكني إحساس بالفوضى والعشوائية وأنا أقرأ. عوالم ليست منظمة على نحو جيد، ليست روايتا بطبيعة الحال، أقصد ما تحدث عنه الرواية، علاقة نيتشه بنفسه وبمحبوبته "لو سالومي" عبثية جدا، ربما هي تشبهك قليلا، لكن ثمة فارقا بينكما بالتأكيد. أجواء من الإحساس المؤلم عند كل من الطبيب بريوير ونيتشه، مخالطة نوعا ما، لكنها ليست مزاجية. عقلان عظيمان يتحركان في فضاء هذه الرواية، متصارعان على السيطرة؛ سيطرة الطبيب على مريضه، وسيطرة البروفسور الفيلسوف على الطبيب، لعبة شد الحبل أو عض الأصابع، إن شدت في هذه الرواية.

أرتشف قليلا من الألم البارد مع كل رشفة من فنجان القهوة المرة الذي أحضره لي المراسل. شخص كثير الكلام، لحوح، شعبوي، يقتحم مكتبي كثيرا، يعرض علي خدماته، يدخل في أحاديث كثيرة، لا داعي لها، ليس لي رغبة في الحديث معه، شخص مزعج جدا وخاصة وأنا في هذه الحالة. لعلك تعانين أيضا مثلي من الأشخاص الفوضويين الفضوليين المزعجين.

إنه يوم الاثنين، موعدي مع صديقي الطليعي، كنت أظن أنه لن يتصل بي ولن يأتي، هاتفني قبل قليل، وأنا أكتب لك هذه الرسالة، إنه قادم، لا أدري ماذا سيكون بيننا من حوار، لكنه سيحدثني عن انشغاله بمتابعة الرواية، قرأت ما كتبه قبل أيام عن واحدة من الروايات، يستعين برأي لي حول الرواية: "أعتقد أن هذا التركيز على الرواية يضر بالرواية وبكاتبها، فرغم الكم الكبير الذي يُنشر إلا أنه قليل الجودة، ويُبقى فنية كتابة الرواية على السطح دون أن يوصلنا إلى النشوة التي نريدها من العمل الروائي". إن النشوة التي يبحث عنها القارئ والناقد هدف مهم لكل كاتب وقارئ. لماذا تنعدم هذه النشوة ويصاب القارئ بخيبة أمل؟ فكري بهذه النقطة الحيوية في عملك القادم.

الليلة السابقة، كانت ليلة مزعجة جدا، هواجس وتخيلات، أفكر بقول الطبيب بربوير وهو يتحدث عن مريضته النفسية وكيف أنه ابتعد عن زوجته ولم يلمسها منذ عدة أشهر، لا يريد أن يشعر بالخيانة، ويتخيل هذه المريضة تحته وهو يضاجع زوجته. كنت أفكر بهذا بالضبط منذ أيام، كيف كنت أفعل الأمر نفسه، لقد أبلغتك سابقا عن هذا، على الرغم من استحسانك الفكرة ونظرتك إليها من جانب مختلف تماما، ما دام أن في الأمر إسعادا للطرف الآخر، فليس هذا مهما. كما قلت لي يومئذ. كنت محتاجا منك لهذا التصريح، فجزيت في كل مرة مع هذا الأمر إلى أقصاه، ما هي مشاعري حيال ذلك؟ وما هي مشاعرك؟ كنت أشعر بالرضا أحيانا وأحيانا أخرى بالتفاهة. ففي كلتا الحالتين بعيدة عني جدا، ولا أستطيع أن أشم أنفاسك التي كانت تتغلغل في ذاكرتي كعمود ضوء برقي.

لم تكن هذه التخيلات وحدها هي المسؤولة عن قلق الليلة الفائتة. عدت إلى البيت متأخرا بعد المشاركة في مراسم دفن أحد أقاربنا، شخص مصاب بالسرطان لم يمهلته المرض طويلا، في بداية الخمسينيات من عمره ربما، حشد كبير من الناس، يودعون رجلا توفي، الناس في ذهول، لا أحد يتحدث مع أحد، متأثرون جدا لموت هذا الرجل الذي لم يكن مفاجئا. لماذا يصحو الناس أحيانا من سكرتهم، ويأخذون بتأمل مشهد الموت. تأملت مشهد الناس أمس، وتذكرت أقوال نيتشه عن الموت، يبدو أن الفلسفة أخذت تنخر في عقلي ونفسي، لماذا يموت الناس؟ ولماذا يولدون إذا كان مصيرهم هو الموت؟ أسئلة صعبة وقاسية وليس لها جواب محدد.

لقد غصت قاعة بيت العزاء بالناس، لست معتادا على هذه الأجواء، منذ مدة لم أشارك بمثل هذه الاجتماعات، لكن هذا الموت الذي صدمني جعلني أغوص في تلك المشهدية المعقدة للموت، كيف لي أن أتخلص من هذا الجو الرهيب؟ لحسن حظي جلست إلى جانب أحد زملاء المدرسة، دار حديث حول العمل، والأبناء، يعمل صديقي في البناء، يربني من جهازه المحمول إنجازاته من بنايات وعمارات، بعد أن أشرت إليه أنني قد علمت بعض الموجودين في القاعة، وكأنه يريد أن يوازن بين الإنجازين. هل أنجزت فعلا شيئا مهما أنا؟ هل يعترف هؤلاء الذين علمتهم بالفضل أو بالأثر الذي تركته فيهم وعلى حياتهم؟ لا يبدو ذلك، ذهب عملي باطلا، أما صديقي فعمله واضح ثابت.

صديقي هذا كان طالبا مشاغبا مع أنه ذكي، وأعترف أنه كان أذكي مني، وأمهر في الرياضيات، يتحدث لي أنه كان يجيد الرياضيات وأنا أجيد الحفظ، بالفعل كنت كثير الدراسة وأركز المجهود على الحفظ، لا عيب في ذلك هذه هي قدراتي، وهذه هي إمكانياتي. يسترسل صديقي في إنجاز مهمات صعبة، يستطيع قراءة خطط المهندسين بسرعة، وينفذها بعبقرية، إنه محظوظ جدا.

الليلة السابقة كانت صعبة جدا، في حاشية الموت الممتدة على مساحة الحياة، ثمة طلاب علمتهم، التقيت بهم، كبروا كثيرا صاروا ناضجين، هؤلاء المشاغبون سابقا، صاروا أكثر رجولة الآن، أنا أصبحت أكثر عجزا، وهم أكثر حيوية، أحدهم يكتفي من التعليم بثمانين ساعة، يغادر

الجامعة ويعمل في مصبغة، بدا سعيدا أنه لم يكمل تعليمه، لقد كان محقا على ما يبدو، فالتعليم هو همّ الكسالى والباحثين عن الفقر أمثالي، هو الآن يلبس ملابس غالية الثمن ويدخن نوعا فاخرا من الدخان، كان مشرق الوجه على الرغم من بشاعة الموت البادية على وجوه البشر المكسدين في الساحة العامة وعلى جانب المقبرة.

أفكر يا عزيزتي في الموت كثيرا، أرى تقديمي في العمر وتواضع هذه الحياة بإنجازاتها العبثية. لا شيء يمكننا أن نقدمه لهذه البشرية الساعية إلى أهداف عبثية، العمل، الزواج، البناء، لكن لا أحد يتحدث عن تحسين الظروف العامة، هل أبدو لك مثاليا نوعا ما؟ لا أظن ذلك، فأنا أيضا لم أساهم في تحسين الظروف العامة عدا تحسين ظروف الشخصية. هل لو سعى كل شخص لتحسين ظروفه الشخصية ستتحسن الظروف العامة؟ فكرة غبية وعبثية أيضا، لأنها تجعل الناس منغمسين في أفكارهم ومصالحهم الشخصية المتضاربة والمتواضعة. فلا شيء سيتحسن لو انغمس الناس في تحسين ظروفهم الخاصة، فالحياة تحتاج إلى ما هو أعمق وأكثر تركيزا.

على كل حال، لا تفكري كثيرا بالمزاجية، لقد نضجتُ بما فيه الكفاية، فلم أعد خاضعا لهذا القلق النفسي المراهق. لكن تذكرتي أيضا أنك ربما كنت مزاجية؛ ألم تقرئي رسالتي السابقة، ولم تردني عليها بأي تعقيب صغير أم كبير؟ ماذا يعني ذلك؟ أليست هذه مزاجية مغلقة بغلاف من اللامبالاة وعدم الاهتمام؟ لا تحفلي كثيرا بهذا التفسير، ربما كنت مخطئا، لكن شيئا مزعجا في هذه العلاقة المميّنة حقا.

لم أنس وعدي في الكتابة إليك عن بقية رسائل يوسا، ولكن عليّ الانتظار لتحسن حالة القلق، لا أستطيع الكتابة بشكل مكثّف ودالّ وأنا في مثل هذه الحالة، تكون لديّ رغبة في الهذيان والاسترسال في موضوعات شتى، وهذا لا يناسب الحديث عن تقنيات الرواية التي تحدث عنها يوسا. أكتب إليك فقط لأشعر بشيء من التحسن. اصبري عليّ قليلا ربما استطعت تجاوز هذا الذي أنا فيه.

اكتبي إليّ أرجوك إن شعرت أن أحوالي قد تهلك، ولو قليلا، من باب التعاطف الإنساني العام ليس أكثر. دمت بود ومحبة.

المشتاق إليك بقوة.

الثلاثاء: 2018-11-20

العزيزة الغالية، أسعدت أوقاتا، وكل عام وأنت بخير ورضا بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف، أعاده الله عليك وعلى الجميع باليمن والبركات. أما بعد:

لقد أحببت رسالتك المقتضبة الأخيرة، كانت غاية في الروعة؛ حتى وأنت يتملكك شعور بالخوف من هذه الرسائل، أتفهمك جيدا، وأنت تقولين: "كم أخشى من رسائلك هذه التي تنشرها، بقدر ما

أحبها إلا أنني أخشاه وأخشى ما ستركه من ظلال على حياتي، فالمتريصون بي كثير، لكن لا بأس، فلتكتب ما دام ذلك يوجب قدرتك على الكتابة وشهيتك لها". أقدر ما أنت فيه من هذا الشعور المؤلم، ومن مشاق العمل، وربما لم يترك لك فرصة لقراءة الرسائل السابقة بتأن، وقد أثارني ردك الذي أبلغتني فيه أنك قرأت الرسالة وأنت تغالين النعاس، والتعب، جعلني أتذكر قول شوقي:

يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى أبداً أسهرت مضناك في حفظ الهوى فتم

الحبيبة الغالية:

ما زلت مهموماً في البحث عن الرواية، وأتابع ما كتب حول بعض الروايات الفائزة بالجوائز، ولذلك كلما قرأت مقالا له علاقة بهذا الموضوع، أحب أن أطلعك عليه، ومن ذلك المقال الذي كتبه الناقد الأردني مهند النابلسي حول رواية إبراهيم نصر الله "حرب الكلب الثانية"، إنه مقال صريح وجريء ونقدي انتقادي، وأنا أعرف الكاتب وجراته وعدم ممالأته أو محاباته للكاتب، فهو يكتب ما وجده حقا، وتظل له وجهة نظره التي بسطها في وقفته تلك. قد نتفق معها قليلا أو كثيرا. فلا أعتقد أنه قد تجنى على الكاتب كما بدا في رسالتك. فلا أظن أن في هذا النقد أي تجنى لسبب بسيط أن الكاتب عموما يكتبون من أجل الجوائز. كثير من الكتاب لا يكتبون إلا من أجل الحصول على الجوائز. إنها مقبرة أخرى للكاتب أحذرك من متابعة أوهامها، ليس كل رواية فائزة هي رواية تستحق وليس كل رواية أهملت هي رواية رديئة. هذا أمر صعب جدا وشائك ومعقد، ولا أدري كيف يمكن لكاتب أن يفكك ما وراء هذه الظاهرة من جنون أو تلاعب أو توجيه.

بعد أن قرأت هذا المقال للكاتب مهند النابلسي في صحيفة "صوت العروبة"، أشعر أننا بحاجة إلى أمثاله في البعد عن المجاملة والمدح الذي يطيل عمر الزيف والوهن في الحياة الثقافية. إنني أثق بآراء هذا الصديق ثقة كبيرة. فهو ضليع في متابعة الخيال العلمي في الأفلام، وخاصة الأفلام الأجنبية، وله في هذا مقالات متعددة، وهو إضافة لذلك ناقد جيد أعرفه من أيام مجلة عود الند الثقافية، وهو ناقد جريء يصدح بآرائه حادة وقوية من على صفحته في الفيس بوك، يقول ما يريد قوله، ومقتنع فيه تماما.

لقد كشفت مقالات كثيرة عن تلك المشاكل التي تعترى الروايات الحالية، وألخصها في مشكلتين تبدوان على طرفي نقيض. فالروايات المعاصرة إما أنها تعاني من التكتيف والنزوع نحو الخطاب الأيديولوجي الفكري البحت، وتأخذ الروائي نحو الفكرة فينسى الصنعة الروائية المتقنة، فيخبث الفن الروائي، وعلى ذلك روايات كثيرة كأمثلة صارخة، وإما أن تطول الرواية وتتوء بحمل لغتها المترهلة، وعلى ذلك روايات كثيرة أيضا بأمثلة مملدة، لقد أصبحت هذه الروايات تعاني من الحشو الزائد الذي يضر بالرواية وسلاستها ورشاقة أسلوبها. على كل حال ليست الرواية العربية هي وحدها التي تعاني من الخلل سواء في البنية أو في الأسلوب، فقد كتب الكاتب والروائي الإنجليزي جورج أورويل مقالا عام 1940 تحدث فيه عن الروائي هنري ميلر جاء فيه: "أن خمسة آلاف رواية تنشر كل عام في إنجلترا، وأن أربعة آلاف وتسعمائة منها هراء". إذا كانت هذه هي حال

الروايات الإنجليزية، فكيف تبدو حالة الروايات العربية؟ لو كان جورج أروويل حاضرا، ويتقن اللغة العربية لقال أكثر من ذلك! فلا تغتري بحصول الكاتب على جائزة، ربما هي لعبة عبثية لا أكثر.

ما يهم هو أن تأخذي هذا النوع من النقد وهذه الملحوظات بعين الاعتبار، وتبחי عنها كثيرا في مقالات الكتاب، لتكويني محصنة تحصينا جيدا من الوقوع في الكوارث السردية والخطايا الروائية، فما زلت مقتنعا أن الرواية عمل صعب وشاق ويحتاج إلى الكثير من التعب والصنعة والإتقان.

لا أريد أن أطيل كثيرا في هذه الرسالة، حتى لا أرهقك في القراءة. وسأرجئ الحديث عن بقية رسائل يوسا في رسالة خاصة، لقد أسعدني جدا قولك: "أريد أن تكمل لي ما كتبه يوسا". وأحب أن أبلغك أنه في الأسبوع القادم سأتسلم كتابي الجديد من المطبعة، ففي هذا الكتاب أيضا تحدثت عن الرواية، وعما يتصل بهذا الفن من أفكار نقدية، وربما وجدت فيه ما هو مفيد حقا. كما أنني حصلت على نسخ من مجلة أدبية، ولك في ذمتي نسختان منها، سأوصلهما جميعا لك مع نسخة من كتابي الجديد في قادم الأيام بعون الله وتوفيقه.

قبل أن أنسى أعجبني جدا صوتك وأنت تترنمين بأغنية نجاة الصغيرة "عيون القلب". سبع دقائق ونصف نقلتني فيها إلى مراتب الجمال والشجن والحب، فيا لله ما أصفى هذا الصوت الملائكي الذي أعشقه بكل ترنيماته الشعرية والغنائية، حتى وأنت تتحدثين حديثا عاديا تكاد الموسيقى ترقص على شفتيك، وترقص كل أوصالي. مفاجأة سارة جدا لم تكن متوقعة أعادتني إلى سنوات مضت، وأنت تغنين لي بعض أغاني نجاة وعبد الحليم وأم كلثوم. كنت في غاية اللطف والحب والبهجة والسعادة.

دمت بود وجمال، وإلى لقاء قريب، عساه يطفئ شيئا من لوعة الأشواق.

الاثنين: 2018/12/3

أسعدت أوقاتا:

لا شيء جديد، أشعر أن الحياة تراوح مكانها بروتينها القاتل، السيناريو يعاد كل يوم بقسوة شديدة، تلتبس عليّ الأيام أحيانا، ولا أعرف في أي الأيام أنا، إلا بعد العودة إلى الروزنامة. البرد شديد هذا اليوم، لا شيء يشغلني عنه، ولا شيء يبعده عني، متصلب كقطعة خشب باردة. والوحدة تزيد من الإحساس بالبرودة واليأس والمرض أيضا، وهي محفز شديد لإخراج كل ما يفكر فيه المرء دفعة واحدة دون رحمة.

زرت المدينة في الأسبوع الماضي، وكان من المقرر "ظاهريا" أن نلتقي، يبدو أنك لست متشجعة لذلك، كنت أترقب رسالة منك، ولكنك غصت في معمة العمل، فنسيت الوعد والموعود، وربما جاءك الإنقاذ من حيث كنت ترغبين عندما أبلغتكم أنني قد قفلت راجعا، ولم يكن بالإمكان أن

نلتقي. أراك قد تنفست بعمق، وقلت وأنت تبتمسين وقد انزاحت الغمة عن صدرك: "الحمد لله، ارتحت من رؤيتك". ثمة أمور أكثر جدوى من ضياع الوقت في لقاء بلا قيمة. أليس كذلك؟

في الحقيقة أنا كذلك لم أكن أرغب في أن نلتقي، وما الفائدة؟ فلا جدوى من لقاء حبيب، وأنت تعلم أنه سيأوي إلى حضن غير حضنك في نهاية اللقاء. كان هذا الإحساس مؤلماً، ولكن الأشد ألماً أن تظل متعلقاً بشخص لن يكون لك ولو بعد مئة عام.

أنهيت أخيراً رواية "عندما بكى نيتشه"، كان نيتشه يعاني من وجع حبه ل (لو سالومي)، رأيت في هذه الرواية الألم، كما هو، عارياً، وجهاً لوجه، كان نيتشه مريضاً نفسياً وبحاجة إلى العلاج، وكل العشاق مع الوقت يصبحون مرضى نفسيين، يحتاجون إلى العلاج، لقد وقفت عند هذا المقطع، وأعدت قراءته عدة مرات. مقطع يبين مدى معاناة نيتشه من سيطرة لو سالومي على نفسه وتغلغلها في كيانه، ورغبته الجامحة التي وصلت إلى حد الانتقام منها: "لقد استولت هذه المرأة، لو سالومي، على عقلي وقبعت فيه. لم أتمكن إلى الآن من إبعادها عن تفكيري، لا يمر يوم وأحياناً لا تمر ساعة من دون التفكير فيها، في معظم الأوقات أكرهها، أفكر بإذلالها، بإهانته على الملأ، أريد أن أراها ذليلة تتوسل إليّ حتى أعيدها. وفي بعض الأحيان يحدث العكس، إذ أشتاق إليها، أريد أن أمسك بيدها، أن نذهب في نزهة بالقرب من بحيرة أورتا، أن نحبي شروق الشمس في بحر الأدرياتيك معاً...". ليست غريبة هذه الحالة عني، لقد فكرت بما فكر فيه نيتشه مع لو سالومي التي وصفت بأنها المرأة التي سلبت عقول العظماء في القرن العشرين.

إن المدهش في هذه الرواية أيضاً هو أن الطبيب نفسه يعاني من الأعراض نفسها، وبالضرورة المرض نفسه، والأكثر صدمة أن يكون القارئ يعاني من هذه المتلازمة التي أصبحت كالقدر. انتهت الرواية بشفاء الطبيب وبكاء نيتشه، ما يعني أن دموعه قد طهرته من ذلك الوجع الذي أصابه في حبه ل (لو سالومي)، ولكن القارئ لم يشف بعد، وأظن أن لن يشفى أبداً من هذا الوجع. ربما كان من الأجدى أن يفكر الروائي بالقارئ أيضاً. كيف له أن يشفى؟ وكيف يمكن أن تكون الرواية علاجاً لهؤلاء القراء الذين يشاركون الشخصيات المرض نفسه. لا بأس إذن، فلنواجه المصير المحتوم حتى آخر العمر، مرض مزمن ومعاناة أبدية قهرية قسرية.

أحاول أحياناً ألا أفكر كثيراً بهذه المسألة، وأركز التفكير في أمور أكثر جدوى وأقل ألماً. لعلك علمت أن ندوة اليوم السابع في القدس قد ناقشت كتابي "ملامح من السرد المعاصر - قراءات في الرواية"، أسعدتني جداً هذه المفاجأة، كنت أظن أن الكتاب لن يناقش في الندوة، فقد سلمت منه ثلاثين نسخة للكاتبة ديمة السمان قبل أكثر من خمسة أشهر عندما زرتها في مكتبها في وزارة التربية والتعليم. ووصلت إلى اليأس من ذلك. أسعدتني بلا شك ملاحظات الكتاب، ولكن بعضهم قد تجنى على الكتاب، واتهمني أنني اعتمدت على الملاحظات الفيسبوكية، رجعت إلى الكتاب وقرأته، وسألت نفسي أين حدث ذلك، لعل الكاتبة التي كتبت ذلك لم تنتبه إلى أنني عندما استعنت بالفيسبوك كان من أجل إتمام ملاحظتي حول "النص الفوقي" لرواية "السماء قريبة جداً"، إذ

يقتضي الموضوع متابعة المواقع الإشهارية للرواية. أيضا ثمة عدم تركيز في الاقتباس من الكتاب، وخلط الملحوظات بين الروايات. ولكن بالمجمل كانت المناقشة مبهجة وجميلة. أعادت إحياء الكتاب، هذا الكتاب الذي شكل غصة في حلق الناشر، فهو لم يبع منه سوى عشر نسخ في كل المعارض الدولية التي شارك فيها. كتاب فاشل بلا شك من وجهة نظره.

ملاحظة وقفْتُ عندها مليا خلال مناقشة الكتاب، عندما بينت الكاتبة ديمة السمان في معرض حديثها عني أنني معاق، وتظهر في كتاباتي، بشكل غير واعٍ، هذه المعاناة، وأشارت إلى ما كتبته عن رواية "أرواح كليمنجارو"، وتضيف أنني حتى لو لم أصرح أنني معاق، فالإعاقة حاضرة في كتاباتي كلها. هل تلاحظين ذلك؟ عليّ أن أعيد قراءة كل ما كتبت لأرى ذلك، ولكن ربما كان من الأفضل أن يبحث عن ذلك غيري.

لم أتسلم كتابي الجديد بعد من الناشر، وأبلغتني دار نشر أخرى أنها بصدد طباعة ديواني "ما يشبه الرثاء"، ولكن عليّ أن أدفع مبلغا كبيرا، إلى متى عليّ دائما أن أدفع مقابل أن ينشر لي؟ إنها خسارة تلو خسارة، هنا تبرز حسرة خاصة تضاعف من الإحساس بالندم للنشر والكتابة عموما، يبدو أنني إلى الآن لم أنجز شيئا ذا بال. ويبدو أنني لو مكثت العمر كله أكتب وأصدر الكتب، ستصدر كلها على نفقتي الخاصة، ما يعني تكديسها في المخازن والمكتبات وغرفة نومي. هل تصدقين أن نيتشه كان يعاني من المشكلة ذاتها؟ يتوقع نيتشه أن من قرأ كتبه لا يتجاوز عددهم المائتين فقط. بدا حديثه في الرواية مفخحا باليأس من هذا الواقع.

أصدقك القول وأصارك أن اليأس معي كل أفكاري حيال الكتابة وجدواها وأهميتها، تيفنت أنه لا أحد يتقن الكتابة ولا حتى أنا، كل مرة أحاول فيها الكتابة أبتعد عن الكتابة الجيدة، وأغوص في العدم والرداءة. أشعر بالتفاهة والجنون والعبث أحيانا، كل شيء يسير بالعكس، في الحياة، وفي الحب، وفي الكتابة، خيبات تتصارع على ما تبقى من جثتي المتهالكة.

نسيت أن أخبرك أنني بدأت بقراءة كتاب ماريو بارجاس يوسا الذي ذكرته في رسالتك السابقة "الكاتب وواقعه"، يبدو كتابا مفيدا، مع أنه غير سلس. سأحاول أن أنهيه قريبا، مع أن القراءة فعل ليس أقل عبثا من الكتابة، بل ربما يفوقها عبثية، دائما أسأل نفسي ما فائدة أن تقرأ، أو أن تكتب؟ وربما ما فائدة أن تعيش أصلا؟ وما معنى أنك من سكان العالم؟ وماذا يحدث لو نقص العالم نفسا من نفوسه المتكاثرة بلا جدوى؟

آخ كم يوجعني كل ذلك ولكن لا بأس. لا عليك. لا تفكري بهذا كثيرا.

ربما استطعت أن أراك قريبا، لا أدري، لم تعد عندي الجرأة الكافية لمزيد من الخسارات المؤلمة، ولكن بالتأكيد سأجد طريقة مثلى أوصل لك فيها نسخة من الكتاب عندما أتسلمه، كما حدث وأوصلت لك نسخة من ديوان "الحب أن..." لكن لن أعيد السيناريو نفسه، لأنني، بكل تأكيد، أكره الروتين مهما كان جميلا.

اكتبي لي لعل بضعة كلمات تُبلسم الوجد الذي يتفشى في الروح كأنه الداء العضال.
دمت وسلمت.

السبت: 2018-12-8

عزيزتي الغالية، أسعدت أوقاتا،

لقد شعرت بالدفء وأنا أقرأ رسالتك الأخيرة، تلك التي جاءت طويلة على نحو أبهجني، وجعلني أعيد قراءتها كثيرا، وجاءت حميمية أكثر من أي وقت مضى، أحببت فيها ذلك التعاطف الكبير غير المعلن عنه صراحة في ثنايا الكلام، ولكنه واضح، كنت محتاجا لها على الأقل وأنا أشعر بهذا البرد الريفى الذي يبدو لي أكثر وضوحا في منطقتنا الريفية القابعة على هامش هذا العالم المسكون بالهواجس.

تدفعني أجواء الشتاء بالعودة إلى ذاتي، وكثيرا ما يكون الشتاء فرصة مواتية لفعل ذلك، أعود إلى بداياتي وأراجع نفسي، وعلى الأخص بدايات التعلق بالكتابة والصحف في أوائل تلك الفترة؛ فترة التسعينيات، فكيف كنت في أولها؟

كنت شغوفًا بتجميع الصحف، وإلى الآن أشعر بحنين للصحف والمجلات. أعود إلى ذاتي قبل 26 سنة، كتاباتي الأولى قرأت بعضها، لم أستطع إكمالها، بعض تلك النصوص عارية ومخيفة وسيئة! يقع بين يدي شهادات تقدير قديمة ليس لها قيمة الآن؛ لا أحد يتذكرها ولا أنا! هل تطورت عما كنته آنذاك؟ كنت أكتب نصوصا غزلية وإلى اليوم أكتب نصوصا غزلية، كنت أكتب للفراغ، وإلى الآن أكتب لفراغ آخر مختلف. مؤلم أن تكتب لفراغ ما بعد أن أصبح فراغاً!

ما زال أرشيقي من كتب وأوراق يدل على ذلك اليافع الذي فارقتَه رغما عني بفعل الزمن الذي جرفني إلى حيث أنا الآن قابعا في الوحدة، مع فارق بسيط أنني أصبحت مجنونا ليس إلا. أفكر بأشياء ربما بدت غير قيّمة بالمطلق، وأراجع كثيرا من الأفكار التي كنت أؤمن بها، واستقرت في وعيي طويلا، أراني ابتعدت كثيرا عن براءتي الأولى لأصبح أكثر هلامية وضياعا. نعم أكثر ضياعا، على الرغم من كل تلك الأشياء التي تحاصرني وتضغط عليّ.

لعلني صرت الآن أكثر وعيا على أشياء كثيرة، بفعل التأمل وهذه الانعزالية الاختيارية، أفكر بما قلته في رسالتك الأخيرة؛ اكتب لي عن كل شيء، عن العلاقة الحميمة وعن نفسك، دفعني ذلك لأفكر بذلك الهوس الذي يملكني والصراع ما بين العذرية والأيروسية، غدوت أرى أن العذرية في الحب، على رأي المثل الشعبي، "قُصُرْ ذيل يا ازعُر". من أحبّ اشتهى ومن اشتهى يجب أن يأكل فيشبع ويشرب فيرتوي، ولا أظنّ عاشقا بعد ذلك يكتفي، وإلا لا معنى لكل ما ندعي من حب، لقد صارحتك أكثر من مرة في هذه الرسائل التي أكتبها لاستحضارك أنني أرغب في الالتحام بك، لعلني أشعر بالدفء والخروج من هذه الدائرة المغلقة من الانعزالية، إذ لا معنى لكل من حولي وأنت الغائبة الوحيدة. لقد أعطيتني هذه الوحدة قدرا كافيا لأقف في مسافة آمنة لأتأمل المشهد كله، ما

زلت باحثا فيه عن إجابات لكل تلك الأسئلة التي تقلقني، ما زالت هواجسي في تكاثر، ونومي متقطعا.

ما زلت أقطع الوقت بالقراءات التي ألتهمها بيسر وسرعة، إلى الآن استطعت أن أتعرف إلى أدباء كثيرين كنت أجهلهم، هنري ميلر ومكسيم غوركي وفردريك نيتشه وبيسوا ويوسا، وأخيرا توقفت عند حياة مارك توين، هذا الكاتب الذي "كانت حياته سلسلة من المصائب: فهو الطفل المشاغب الذي ظفر بعداء الجميع، وهو الاقتصادي الفاشل الذي يعانى الإفلاس، وهو البائس الذي رأى أخاه يحترق، وهو الزوج الذي فقد أفراد أسرته وظل وحيداً". لعل أعظم ما شديني في سيرته الذاتية تلك السلسلة الممزوجة بالفكاهة في الحديث عن تلك المصائب التي عاشها، ولكن الأعمق حزنا في كل ما كتب حديثه عن وفاة ابنته جين، وحديثه عن ابنته سوزي التي كتبت سيرة حياته وهي ابنة ثلاث عشرة سنة، وقد توفيت هي الأخرى.

أما القراءات النقدية فكانت من نصيب كتيب صغير الحجم "الرواية الجديدة والواقع". يحتوي أربع مقالات مترجمة حول الرواية، إنه كتاب مهم للغاية، يبين علاقة الروائي بالواقع، تلك العلاقة التي حدثتك عنها كثيرا. تتلخص الفكرة فيما قاله المترجم: "لا بد من أن تكون لكل واقع لغة جديدة، وقوالب شكلية مبتكرة، ووسائط أسلوبية مبتدعة". لقد أشبع يوسا في كتابه "الكاتب وواقعه" هذه العلاقة بين الروائي والواقع، ولعلك تذكرين حديثه عن رواياته التي تستند إلى خبرته الشخصية، ولكن مع بعض التحوير والتعديل. هذه الفكرة لها صدى مختلف في هذا الكتاب. إنه يتغيا الحديث عن واقع آخر لا يوجد إلا في الرواية؛ ف "حين يتعلق الأمر بالممارسة الروائية، ننطلق من لا شيء بحيث ينتفي ما قبل النص، باعتبار النص بحثا عن شيء ما، لن يوجد إلا بعد الانتهاء من الكتابة". إذن الروائي يكتب واقعا يراه ويتمنى وجوده. هكذا فهتمت الكتاب وأبحاثه أن الرواية الجديدة هي احتجاج على واقع غير مُرضٍ نهائيا.

هناك بعض الأخبار التي قد تسرك، أولها أنني حسمت الأمر بالموافقة على طباعة ديوان "ما يشبه الرثاء" مع دار طباق، وكان من المفترض أن أوقع العقد هذا اليوم، ولكن للظروف الجوية الباردة لم أستطع الذهاب، أيضا أشعر أنني أكثر حيوية فيما يخص العمل، خبر ثان قادم من معرض الكتاب الدولي في الدوحة، يفيد أن كتابي "شهرزاد ما زالت تروي" قد نفذ من المعرض، إنها أخبار سارة بالتأكيد، بعد أن أخبرني قبل مدة ناشر الكتاب أن كتاب "كأنها نصف الحقيقة" هو الآخر قد نفذ مع أنه طبعه طبعة محدودة.

انتبهي لنفسك جيدا في هذا البرد الشديد، ولتحرسك العناية الإلهية، وفقك الله ورعاك، وعلى أمل أن نلتقي دمت بود ومحبة ودفء قلبي الذي يشتاقل لاحتضانك، لعله يدفأ ولو قليلا في هذا الشتاء القارس. كيف يبدو الأمر عندكم؟ أرجو أن تكتبي لي. فرسالة أخرى منك تجعلني سعيدا بالتأكيد.

الأحد: 2018/12/9

مساء الأخبار الجميلة

ألف مبروك مقدما، الآن عرفت لماذا طلب مني (....) قبل أيام رقمك، دار نشر نشيطون مع أنهم دار نشر حديثة النشأة، إلا إنهم يشاركون في معارض دولية بإصداراتهم، أجواء الشتاء جميلة للخلوة مع الذات، وكان الطبيعة تجبرنا على هذا البيات لنكتشف ماهيتنا.

بالنسبة لي نهار الشتاء القصير يجري ولا أدري كيف يتسرب مني، توقفت عن الكتابة، لكنني أقرأ لتشيخوف، لم أكمل كتاب الكاتب وواقعه، أنقل بينهما. الجو بارد هنا، أشعر أحيانا مثيرة بالخواء، ولم أحدد بعد ماهية ما أكتب، ولا أدري أين سيقودني. في المركز يزورني الكثير من الصديقات القديمات (الرفيقات) وأغلبهن الآن في (فدا).

اليوم زارني (غ. م) لم أرها منذ ثلاثين عاما، رأيته مؤخرا في عزاء والدة زهيرة يوم كنت أنت هناك واليوم فاجأتني هي وصديقة أخرى. تمضي الأيام سريعا. أشعر أنني كثور الساقية، وأحرث في الماء. كن بخير إلى أن تتكرم بزيارتنا ولقائنا.

ف. ع

الاثنين: 2018-12-10

أسعدت أوقاتا، صباحا ومساء وما بينهما،

لا أجمل من أن أصحو باكرا فأجد رسالة منك، تخبريني فيها عن اهتمامك بأخباري، يسرني ذلك جدا، ويفتت صخرة البرد الذي يتغلغل في أوصالي، أخبارك مع الرفيقات وتواصلك معهن أسعدني، لقد جمعتني بالرفيقة زهيرة كمال الأسبوع الماضي هي والرفيق صالح رأفت في نابلس، كنا في اجتماع خاص، تحدثت عن الوضع السياسي الحالي، وتم مناقشة الكثير من القضايا، وقد حضرت أيضا الرفيقة سهام البرغوثي.

أجد نفسي مسرورا وأنا أدخل في هذه التجربة الشخصية بعد أن جريت الانتماء للأحزاب الإسلامية، وما أنا هذه الأيام في تجربة جديدة، مع أنني أحيانا غير متشجع لذلك، فأسال نفسي عن هذا التحول وما الهدف منه، لا أراني شغوبا بالتجربة، ففكرة الانتماء للأحزاب السياسية خطر كبير على الكاتب، وعلى تخلخل القناعات القديمة. كثيرة هي الأمور المقلقة، شخصية أكثر منها عامة. أجواء الشتاء كما تفضلت برسالتك أجواء تبعث على الرجوع إلى الذات ومنجزاتها وتأمل مسيرة الحياة. مع ما يرافق ذلك أحيانا من الشعور بالملل والخواء. لقد اشتبهت في هذه الأجواء رؤيتك كثيرا، وشرب قح من "السحلب" الساخن، ولكنها كانت مجرد أمنية. قد تضحكين على سذجتي هنا، لكن لا بأس.

وصلني أمس كتاب كبير الحجم تجاوز الـ "400" صفحة من القطع الكبير بعنوان "جرائم لا يعاقب عليها القانون"، مهوراً بإهداء خاص، عرفت من منسقة النشاطات الثقافية في مكتبة البلدية في نابلس أنه سيكون نقاش للكتاب يوم السبت 22-12، وفي هذا اليوم سيكون نقاش لكتابي "ملاحم من السرد المعاصر- قراءات في الرواية" في دار الفاروق، لا أدري كيف يمكنني التوفيق بين الفعالتين، أرجو أن أتمكن من حضورهما والمشاركة فيهما، إذ إن كتاب هذه الجرائم يستحق الحديث حوله والتعقيب على قصصه، فهو كتاب يمتح من التجربة الشخصية للكاتبة شادية كمال. لهذا الكتاب ميزة خاصة في أن كاتبته بدأت بكتابته بعد أن تقاعدت من العمل، يعني أنها بدأت الكتابة في سن متأخرة. لا يوجد لهذا الكتاب ذكر في موقع جوجل، مع أنه صادر عن دار نشر أردنية، لا أخبار عن الكاتبة أيضاً، وليس لها وجود خارج هذا الكتاب. أتمنى أن أستطيع إنهاءه قبل الموعد المضروب، لأتمكن أن أكتب فيه قراءة ما.

إلى الآن أنتظر كتابي الجديد، لم يصلني بعد، يبدو أن سيتأخر حتى الخميس، إذ أخبرني المسؤول عن أن سبب تأخر الكتاب نقل المطبعة من مدينة إلى مدينة، على كل سأنتظر، وفي حال وصلني سيكون بين يديك، لأكون سعيداً وأنت تقرئينه، لعلي أحظى بوجهة نظرك في مادته النقدية المتنوعة حول ألوان من السرد، بعضها ليس له حضور قوي في الدراسات أو المؤلفات الإبداعية والنقدية.

أستعد لإصدار كتاب جديد حول القصة القصيرة، هذا الجنس الإبداعي الذي يحيا على هامش الإبداع السردي، مع أن له جائزة إبداعية عربية "جائزة الملتقى للقصة القصيرة العربية"، تلك الجائزة التي فاز بها مؤخر الكاتب العراقي ضياء جبيلي وسبق للكاتب الفلسطيني مازن معروف أن فاز بها عام 2016، والقاصة السورية شهلا العجيلي عام 2017. فهل باعتقادك تستطيع القصة القصيرة منافسة وحش الرواية المتغول؟ كل المؤشرات تقول: إن القصة القصيرة في صراع غير متكافئ، ربما ستصبح من الماضي كالمقامات، مع أن الدوريات ما زالت تفرد لها باباً خاصاً في كل عدد من أعدادها.

ثمة احتفاء كبير على ما يبدو برواية جمانة حداد "بنت الخياطة"، وهي روايتها الأولى، هذه الرواية التي تستند أيضاً إلى خبرة الكاتبة الشخصية، وتتناول قصص نساء ولدن بطلات، وواجهتهن ظروف مريرة: من حروب، وهجرة، واغتصاب، وجوع، وفقر. تدور الرواية حول أربع نساء من حلب، وعنتاب، والقدس، وبيروت، نساء من أربعة أجيال، يبدأ زمن الرواية في القرن الماضي ليستوعب الحاضر ومشاكل النساء في ظل الحروب، هؤلاء النساء اللواتي يلقين مصيراً واحداً، ثم يلذن بعد ذلك إلى حضن الموت الدافئ. إنه موضوع شائق وشائك، وعلى ما يبدو انطلقت فيه الكاتبة من الأفكار النسوية، وقد أشارت إلى ذلك في أحد اللقاءات معها. تذكرني هذه الرواية بروايات الكاتبة السورية مها حسن، وخاصة رواية "عمت صباحاً أيتها الحرب" التي تستند أيضاً إلى تجربتها الشخصية ومعاناة المرأة السورية، وخاصة في ظل الأوضاع المتردية في سوريا، وما تعانيه من آلام إنسانية.

كما استرعى انتباهي الرواية الجديدة للكاتب الفلسطيني الأسير باسم خندقجي "خسوف بدر الدين" الصادرة في بيروت عن دار الآداب، وستوقع الروايتان في معرض بيروت الدولي للكتاب، ربما اليوم أو غدا. للروائي باسم جهد مميز في الكتابة الروائية، وها هو يخطو خطوة أخرى نحو التاريخ ليكتب رواية تاريخية بعد روايته المدهشة "مسك الكفاية". في جعبة هذا الكاتب رواية أخرى بعنوان "كأنها أمي"، لم يفرج عنها، ولا أدري السبب، كنت قد اطلعت على مسودتها قبل أكثر من عامين.

والآن أيتها الجميلة الدافئة، فلتسمحي لي أن أستعير نهاية رسالتك خاتمة لرسالتي لأقول مع بعض التحوير اللازم: كوني بخير إلى أن تتكرم الظروف علينا بالزيارة واللقاء. لا تتوقفي عن الكتابة لي، إن أردت فعلا أن أكون بخير.

المشتاق لقبلة من شفتيك الكرزيتين الدافئتين.

الأربعاء: 2018/12/19

يبدو أنه إن لم أتفقدك لا تكلف نفسك السؤال، اعتدت على ذلك واستعذبتك كما يبدو. على العموم كن بخير، وهذا وحده إحساس يملؤني غبطة.

ف. ع

الجمعة: 2018-12-28

الحبيبة اللطيفة، كل عام وأنت بخير:

ها هي سنة أخرى تهّم أن تودّعنا، وتودّع فينا ذكرياتها، أقف على حافتها الأخيرة، أنظر إليها، أستعيد معها أول عتبة لها من العام الذي انصرم أو كاد، دائما، أسأل نفسي ها هو العمر قد زاد سنة أخرى، ولا أدري كم تبقى من فتيل هذه الروح الضعيفة، ما الذي أنجزناه معا؟ وما الذي أنجزته وحدي؟ حتى أننا صرنا أقل حديثا ولقاء، صرنا غرباء أكثر من أي وقت مضى، الظروف ليست هي المشكلة، المشكلة فينا نحن. أراني كالدجاجة أحفر التراب الذي هو تحت قدمي دون أن أتقدم ولو خطوة واحدة، الانكسارات كانت قوية هذا العام الذي يوشك على الانتحار، ليترك فينا جثته النتنة، ولا أظن أن العام القادم سيكون أفضل حالا. سنة أخرى تستعد لتشعل فينا نيرانها لتقضنا على مهل والسؤال هو هو، والقلق هو هو، وكل شيء على حاله.

هل قلت: إن كل شيء على حاله؟ يا ليت أن كل شيء سيظل ثابتا، على حاله دون تراجع، سأكون ربحت توقف مسلسل الخسارات القوية، فقدت كثيرا من الأصدقاء، فقدت الكثير من اللغة، فقدت الكثير من الأمل، فقدت الكثير من الورد والقصائد. غريب في هذه الحياة الغريبة.

لعلك ستلوميني على هذا التشاؤم، هل بمقدوري أن أتفاءل وأنا أرى نفسي تتلاشى يوما بعد يوم، دون أي هدف، هذا الشتاء بارد وقاس وثقيل، لا شيء جميل فيه، أصرف الوقت كل الوقت بلا أي

قيمة، أفضيه أمام التلفاز. رأيت تفاهة أكثر من هذه؟ أجلس على الكنبه منذ الساعة الثامنة صباحا وحتى التاسعة مساء فقط وأنا أتابع خيالات معروضة على شاشة تلتهم كل شيء في، عدت إلى متابعة المسلسلات العربية المملة، تافهة تلك الدراما، ولكن حياتي أشد تفاهة منها لذلك أجد بعض المتعة فيها.

هل تعلمين أنني لا أحب الشتاء؟ لقد كرهته أكثر وأكثر هذا العام، إنه يمنعني أن أكون وحدي، وأمارس غواياتي كما يحلو لي، تتقلص المساحة التي أمنحها لنفسي، تتوقف القراءة أيضا فيه، ولا أعود إليها إلا مع بداية الربيع. لا أستطيع الكتابة والقراءة إلا منفردا معزولا؛ ما زلت مقتنعا أن الكتابة عملية سرية جدا، ومن العبث والجنون أن تكون مع الآخرين وأنت تكتب. لعل هذا هو السبب في أن الطلاب يفشلون في كتابة موضوعات التعبير المدرسية، لأنهم مجبرون على مخالفة الظرف الطبيعي للكتابة التي يجب أن تكون سرية جدا، وخاصة بالمطلق. يا للنظام التعليمي كم يقتل من إبداعات! كيف للطلاب أن يكتبوا وهم يشعرون أنهم تحت المجهر، ويتلصص المعلم عليهم كل دقيقة ويفتحهم طقوسهم، غير المتوفرة حتى ولو بالإيهام؟ إنهم يشعرون أنهم عراة مفضوحون وهم يمارسون كتابة العبث، لذلك هم يفشلون وباستحقاق. يا ليتني كنت أعلم هذه الحقيقة وأنا معلم، لكنني تداركتها بشيء من الحكمة، لقد فات الوقت الآن، ولم يعد يجدي الندم شيئا.

ثمت أمور تزعجني في هذه الحياة؛ تفاصيل حياتية صغيرة، هي تافهة بالتأكيد، لكنها تحفر في العصب، تمنعني من النوم. بالمناسبة لقد أصبحت أقل نوما، وأقل سهرا أيضا، وأقل تدبرا وتأملا وحكمة، وأقل كتابة، وأقل حبا، تكلس القلب وجفت نداوة الروح، أشعر أنني أصبحت حجرا لا شكل له ولا اعتبار. أصبحت أقل كينونة وجودة وهدوءا، بل غدوت مفعما بالخسارات، فهي كل ما تبقى لي.

أيتها الحبيبة، لا أكتب لك لت شعري بالبؤس، ولا لتتعاطفي مع حالتي التي تزداد بؤسا كل يوم، لعلك ما زلت تذكرين آخر رسالة رجوتك فيها "أن تمسحيني من قاع حذائك". أعرف أنني كنت قاسيا، لكنك إلى الآن لم تستطعي إدراك حجم الخراب المعشش في كياني ليدفعني إلى هذا الجنون، لقد كانت رسالتك محقة: "يا لقسوة كلماتك يا لهذا الجنون الذي يسكنك، يا لوجعي وخيبيتي، كأننا نحرث الماء ولا جدوى من شيء، فقط أريد أن أعرف شيئا واحدا ما الذي يثير جنونك لهذا الحد؟ ما الذي جنينته؟"، إنني لا أملك أي جواب على هذه الأسئلة المدببة، بالفعل ليس عندي جواب. لست أدري هل ستسرك رسالتي هذه التي تأخرت أكثر مما يجب؟ أمل أن تقرئها جيدا، مع أنني لا أطلب ردا ولا أنتظره، وفي الحقيقة لا أريده.

على الرغم من كل هذا الوجع أتمنى لك سنة حلوة، مليئة بالشعر والرضا عن النفس. سنة مضت كانت أكثر حزنا ولم نلتق فيها كثيرا، أتمنى أن يكون العام القادم أكثر سرورا، لك أنت، أما أنا فقد ألفت السواد وألغني وصرنا توأمين.

دمت بخير وعافية وشعر....

الأحد: 2018/12/30

أيتها الكاتبة الجميلة والشاعرة البهية سلام من القلب، أما بعد:

سأخبرك اليوم عن الجمال الظاهري، ولعبة الشكل والمضمون، وما هو الأهم؟

أفكر هكذا بيني وبين نفسي: ما معنى قولي "جماليات الأدب العربي"، وقد نشرت اثنتي عشرة صورة لكتابت جميلات، لم تكن صورتك حاضرة بالطبع، لأسباب تتعلق بي وتعريفينها، هل تريد معرفة هؤلاء الكاتبات؟ إنهن: "سماح صفاوي، حزامة حباب، شهلا العجيلي، نسيمه الراوي، آمال عواد رضوان، فاتن مصاروة، د. رزان إبراهيم، بدرية البدري، ريتا الحكيم، زينب الأعوج، دلال بارود، منصوره عز الدين". كاتبات جميلات فعلا على الرغم من أن بعضهن كبيرات في السن، إلا أنهن ما زلن يخترن جاذبية وسحرا طاغيا حتى في الصور، وأنت كذلك ما زلت تخترن إبداعا خاصا في الصور، وما زلت إلى الآن بين الفينة والفينة أمتع ناظري بما لدي من صور، وخاصة صورتك في الرحلة الأخيرة.

هذا الموقف أثار سجلا غير بريء من الغيرة عندما تم نشر الصور، سنذهب سوية أنا وأنت إلى القراء ونقرأ ذلك السجال. يبدأ السجال صديق بسؤال حيادي كأن الأمر لم يعجبه:

- من حيث ماذا هذا التصنيف؟

أرد عليه:

- من حيث الجمال فقط، من حيث الجمال.

لم يتابع السجال، ليكتب صديق آخر قائلا:

- لا أعرف ما مقياس الجمال لديك؟ بصراحة أول مرة لا يعجبني ما نشرت.

أحاول أن أخفف عنه وطأة الغضب:

- الجمال أذواق يا صديقي، جميلات هؤلاء النساء فيهن جاذبية، صحيح كبار في السن لكن ما زال الجمال باديا فيهن.

- أعتقد أنه إطرأ جميل تشكر عليه مع احترامي الشديد لكل تلك الأسماء.

- وهل هناك أروع من الماء والخضرة والوجه الحسن، فما بالك لو كانت الخضرة والماء في الوجه الحسن نفسه، نعمة باذخة والله، تبارك الله كيف جعل النساء مفاتن الرجال. (في الحقيقة كنت أتحدث عنك، وليس عنهن).

- تسلم أستاذ.. لن نختلف هُن نصفنا الأجل.

- نعم إنهن حياتنا الجميلة، يا للصحراء التي نعيش فيها إن خلت حياتنا منهن، حبيبات أو زوجات أو أخوات أو بنات أو أمهات.

صديق آخر يعيش في ذهنه التمثيل الجغرافي للكتابات ليسألني: هل شملت كل الدول العربية؟
لأرد من فوري: لم أنتبه لذلك، لكنني ربما أكمل العمل.

هذا حوار القراء، فهات نر حوار القارئات وماذا قلن.

- كنت أعتقد أن المضمون ما يهم عندك وليس الشخص.. ولكن...

- الشكل مهم والعقل مهم والإنسان محضر ومخبر وتعريفين ذلك جيدا لا بد من اعتبار الشكل للوهلة الأولى وعلى هذا الكلام أدلة كثيرة.

- عندما تضع صورهن وتقول "جماليات الأدب العربي"، فهذا خطأ في رأيي، أما الشكل للوهلة الأولى فهو مهم إن كان الإنسان يبحث عن علاقة وجدانية عاطفية أو جنسية، هنا صحيح أن الشكل له بريقه الأول... دور من يهتم بالأدب أن يعزز تسليط الضوء على المضمون والمستوى الأدبي فقط لا غير، حتى لا يصير هناك خلط بين الإعجاب بالكلمة والإعجاب بالشخص.. أليست مشكلتنا الموضوعية؟

- ها أنت أخذت المنشور نحو هدفه السري، هناك مشاكل جمة في التعامل مع الأدبيات "جماليات الأدب العربي"، أعرف قصصا محزنة وحضرتك تعرفين وكل من له علاقة بالأدب والوسط الثقافي يعرف ذلك. هنا المشكلة.

- أعرف جيدا كيف يتم التعامل معهن، نالني قليل منه مع أنني لست كاتبة أو شاعرة، أنا أحب القراءة، بعض شخصيات الصور كتب عنها شخص يدعي أنه ناقد ولا يفرق بينهن، إذ كلهن عنده "الكبيرة المبدعة"... تخيل أنه سألني على الخاص: "هل أكتب عنك؟" رغم رفضي لعرضه وتاكيدي أنني لا أملك شيئا يُكتب عنه، كتب منشورا، وتجاهلته تماما، وألغيته من صفحتي.

- أرايت كيف تصنع الأدبيات، والله أغلبهن خاويات بل حاويات نطف للرجال المبدعين، يؤسفي أن أقول ذلك، ولكنهن لا علاقات لهن بالأدب. طبعا ليس الكل والتعميم قاتل، وعلى فكرة لا تدخل أي من صاحبات الصور في هذا الحكم.

- جملتك قاسية جداً. ولكن ماذا نقول عن بعض الرجال "الأدباء" هل يحملون نطفا أيضاً؟
الموضوع برمته يندرج تحت عنوان المصلحة، والمصالح أنواع، وفهمك كفاية.

- صحيح وأعلم أنها قاسية وجدا، ولكن الواقع بشع جدا والله.

قارئة أخرى تبدو أكثر اهتماما يدور بيننا هذا الحوار:

- إن كنت قصدت بالجماليات المميزات أدبيا فلا بد من نقد يعالج هذا الجمال ويقف على أوجهه المتعددة.. أما إن قصدت جمال الشكل فلا تعليق لدي!

- هو الجمالان بالتأكيد

- جمال الشكل تختلف مقاييسه من شخص لآخر.. ولكن جمال الأدب وإن ارتبط بالذوق العام إلا أن له ضوابط ومعايير تميز جميله من قبيحه؛ فهلا عرضت جميلاتك يا سيدي لتلك المعايير وقدمتهن لقارئك قبل تقديم أحكامك؟ ثم، واعذرنى لذلك غير أنني لا أجد ثمة علاقة يمكن أن تربط جمال الشكل الخارجي بجمال الأدب الصادر عنه.

- لكل ذوقه، و"إن الله جميل يحب الجمال"، وقد كانت الحضارات جميعها ومنها العربية والإسلامية تقدر الشكل الخارجي وتحتفي به، مع تأكيد الحضارات للتوازن بين الأمرين لاحظي معي ما يقوله المثل الشعبي: "خذها بيضا ولو مجنونة"، وقول الشاعر:

لا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم يزن حسن الجسوم عقول

الشاعر احتاط بالنوعين. عدا أن يوسف عليه السلام كان جميلا وكل الأنبياء والملائكة وإن الله جميل يحب الجمال. فليس هناك من خلل ابتداء لو امتدحنا جمال الكاتبة لاسيما أنه معبرها المهم حاليا إلى عالم الأدب والشهرة والمال بل وفرص الحياة، فالجميلة حظها مضاعف وأخطاؤها مغفورة بعون الله، ومشاركاتها الكرنفالية مؤكدة ومقدمة على أصحاب المواهب الحقيقية، والشواهد أكثر مما تحصى.

- معبرها المهم إلى عالم الأدب والشهرة؟ وأخطاؤها مغفورة؟ أتسخر من الوضع القائم أم تتحدث بجدية؟

- بالعكس هناك نماذج جادة في الأدب النسائي ومهمة.

- هذا أمر مفروغ منه بالطبع، ولكني لا أناقشك في الأدب النسوي وأهميته، بل في مسألة ارتباطه بالشكل وجمال الكاتبة يا سيدي! أجده رأيا متحيزا لشكل الكاتبة، وهو بالتالي غير منطقي ولا يمت لعالم النقد بصلة. باختصار.. عندما يقرأ الإنسان لرجل أو لامرأة فإنه يطلع على جزء من عقل وتجربة الآخر لا شكله، أشكلنا في النهاية قشرة خارجية لا تحكي عنا إلا القليل، الكتابة هي عذابنا المكشوف أمام العالم؛ لذا يبدو تقييم كاتبة وفق شكلها أو ربط مسألة الشكل بمستوى الكتابة أمرا سطحيا بل وعنصريا بالنسبة لي، لا يهمني عند القراءة أن يكون الكاتب بشعر أو أصلع مثلا، وسيما أو غير ذلك! القارئ يبحث عن متعة القراءة بالدرجة الأولى، أما إن رغب بالتمتع بالنظر لجمال الآخرين فالتلفاز وإعلامه يكفي ويوفي.

وبعد أن أكدت كلامها بكلمة واحدة "صحيح"، تعود مرة أخرى بهذا التعليق:

- يا إلهي.. طيب افترض أن كاتبة (قبيحة) مع تحفظي على الكلمة كتبت رواية مبدعة وذات مستوى أدبي مرتفع.. ألا تدخلها في صفحتك (الجَنَّة التي لا يدخلها إلا الحوريات) المخصصة لجماليات الصحف العربية؟

بالطبع كان سؤالاً محرجاً، وقلت ببني وبين نفسي هل يوجد هناك كاتبة قبيحة؟ أنا الآن لم أجد كاتبة قبيحة المنظر، كلهن في نظري جميلات جداً، حتى وإن قال أحد أصدقائي وهو شاعر: "لا يجتمع جمالان في امرأة كاتبة".

هنا تتدخل القارئة الأولى:

- تراوغ في إجاباتك، وبعضها صحيح عملياً، وخطأ أخلاقياً، كأن تقول أن شكلها معبرها إلى عالم الشهرة... لا تختلف عن غيرك... ومجرد ربط "جمالياتك" بالأدب العربي، لا يختلف كثيراً عن التسحيح الثقافي من النقاد وغيرهم.

فأحاول أن أبين وجهة نظري:

- طبعاً، صحيح عملياً، وخطأ أخلاقياً لا شك في ذلك، لكن انتبهي أنهن لسن وحدهن الجميلات، ولا أعرفهن إطلاقاً ولنس صديقات لي ولا بأي شكل من الأشكال، ولذلك تختلف الأمور فهي ليست من باب التسحيح الثقافي. أما الاختلاف عن غيري فواضح أنني جداً مختلف؛ فلم أسمع لأي كاتبة ولا التملق لها، فأنا لست معنياً بأي كاتبة جميلة أم قبيحة، صغيرة أو كبيرة، وإنما أثارتي ظاهرة وجود كاتبات جميلات. الفكرة تراودني منذ زمان بعيد، وكنت أرغب بتدشين صفحة مخصصة بجماليات الصحف العربية، ولكنني تراجعته. نقطة أخيرة هناك من هن أجمل بالتأكيد من هؤلاء الجميلات، ولكنهن بالتأكيد جميلات روح وفكر وجسد كذلك، وأنا أحب النظر إلى الجمال، وهذا ما لا ينكر، وأولست تحبين النظر إلى الجمال؟

في نهاية هذا الحوار يعود صديق لي يكتب:

- لا أتفق معكم أن تنشروا صور نساء وتثيرون هذه المسألة، وكأنها قضية أدبية أو نقدية. الأدب والفن عموماً أخلاق قبل أن تكون شيئاً آخر. وفي كل ميدان كواليسه و(كابيناته) الخلفيه التي تحمل فضائحه. أفتطور هذا الميدان يتم عبر الحفر في مجاريره الخلفية؟ لا أظن ذلك يحصل بهذا الشكل. كل ميدان خليط للغث والسمين، والصراع بينهما يتم مرة علناً ومرات أخرى في الخفاء. "الجماليات يحملن نطف المتنفذين في الأدب".. هذا قذف عليّ ورغم استبعاده لصاحبات الصور المرفقة بالموضوع، فإنه لم يورد هذه الصور إلا للدلالة على ما يريده ويذهب إليه. الأدب أخلاق والأمم أخلاق. وما سمي الأدب أدباً إلا لأنه يقول كثيراً من الأشياء القاسية بطريقة مؤدبة ولبقة تسمح حتى لمرتكبي أكثر الأفعال دناءة بالانخراط في مناقشتها. هذا رأيي صراحة في هذا الموضوع. وقد شكلت في خيالي هذه المداخلة صراعاً قبل أن أدلي بها. لكم مودتي

واعذروا صراحتي التي تدخل في إطار حرية الرأي الذي لا يجتريح الآخر ويحترم شخصه أثناء النقاش.

إلى هنا ينتهي الحوار، ولكن تبقى المشكلة قائمة. أو ربما ما افتعلته من قضية سيبقى هناك فيها ما هو مسكوت عنه، وللتخفيف من حدة القضية أعلنت سؤالاً آخر للنقاش، وهو: كيف تقيمون العلاقات البينية الثنائية الآتية: كاتب مع كاتب، كاتب مع كاتبة، كاتبة مع كاتبة، كاتبة مع كاتب، كاتبة مع ناقد؟ ولم يحظ بما كنت أتوقعه من حوار ونقاش، على الرغم من أن هناك دارسين كثيرين قد خاضوا في هذه الثنائيات، إما في مقالاتهم أو في تحقيقات صحفية.

أعرف أنك تختزنين في ذاكرتك أسراراً جمّة عن ذكور الأدب ويعاسيب الثقافة والمداحين جمالك أولاً قبل جمال أشعارك، وأعلم جيداً أشياء أخرى ربما وصلت إلى حد التحرش، ولكنك لم تتحدثي لي عن ذلك، فلست قريباً إلى روحك لتصارحيني حول هذا، فعالمك مليء بالأسرار، فكم تمنيت أن تكوني كغادة السمان! وهذا أحد مواقف أنايتك التي لن تتخلصي منها مهما ادعيت من حجج، لا أحب أن أذكرك ببعض الشائعات التي منعنا النوم أسبوعاً، وقد اهتمت فيها كاتبة بما هو فظيع، وشنيع.

ربما حدثتكم في قادم الأيام حول أشياء مفيدة، بعيدة عن ثرثرات الأصدقاء. أتركك لتفكري في الأمر جيداً. لن أطلب منك أن تكتبي لي ردوداً، فلست معنياً أيضاً بأي رد.

ربما نلتقي.

رسائل 2019

ما زلت مفخخاً بـصور النساء وروائح شهواتهنّ

السبت: 2019-1-12

عزيزتي الغالية، أسعدت أوقاتا وحباً، أما بعد:

ها أنا أتورط أكثر في كتابة الرسائل وقراءتها، فقد قرأت رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، ورسائل كافكا إلى ميلينا، ورسائل أنسي الحاج وغسان كنفاني إلى غادة السمان، ورسائل أنور المعداوي إلى فدوى طوقان، ورسائل فدوى طوقان إلى ثريا حداد، ورسائل يوسا إلى روائي ناشئ، ورسائل حنة آرندت ومارتن هيدغر، ورسائل فرناندو بيسوا إلى حبيبته، وأخيراً رسائل الشاعرة الأرجنتينية أليخاندرنا بيثارنيك إلى معالجها النفسي ليون أوستروف.

لقد شغفتني كثيراً هذه الرسائل يا عزيزتي، وأحببتها حباً كبيراً، على الرغم من أنها أحياناً لم تكن ذات لغة رفيعة أو أسلوب أدبي نقي، إلا أن ما أعجبنى فيها هو صدقها الكبير، وتلقائيتها الباهرة التي تضيء عتمة الذات في تقلباتها الحياتية والفكرية، إن لكل مجموعة من تلك الرسائل ميزة خاصة، ولكن لا أجمل من رسائل جبران، ولا أشهى منها، إنها ترقق القلب، وتُرهب الشّعور، وتدعُ الدمعة تترقق في العيون. جملتان مهمتان وردتا في الرسائل؛ الأولى: "لم يعقد ضبابي قطراً يا مي" والثانية: "لم يبق لي دور"، جملتان قاسيتان، لكنهما صادقتان. كانت شعلتهما الزرقاء تبهج خاطري كلما كتبت لك سطراً في هذه الرسائل. لعلك قرأت بعضاً منها كما أخبرتني أنك قرأت رسائل إلى روائي ناشئ، وأظن أن رسائل غسان كنفاني لم تكن لتفوتك. كم أتمنى لو تتاح لك الظروف لتفترئين كل الرسائل الأخرى أيضاً، لتعلمي كم كنت شغوفاً بك مع كل رسالة كتبها شاعر لحبيبته أو فيلسوف لعشيقته أو كاتب لزوجته أو فنان لملمهته. لم أكن أكتفي بالقراءة الخالية من التخيل واستحضارك تخطرين بين يديّ وبين عينيّ في كل سطر، وكم كنت أبتسم عندما تتماثلين مع إحداهن في موقف أو نظرة أو جملة أو صورة.

لن أتحدث لك عن جميع تلك الرسائل، ولكن أحب أن أشير إلى بعضها، فمثلاً تكتسب رسائل هيدغر وحنة قيمة خاصة، لأنها ذات رؤية مختلفة من وجهين: أن من تبادلاها هما من الفلاسفة، وهنا جدلية الحبّ والفلسفة واضحة فيها، والثانية أنها جمعت أطراف العلاقة الأربعة: هيدغر وزوجته وحنة آرندت وزوجها، الأطراف الأربعة حاضرة في هذه الرسائل، عدا أن هذا الكتاب اشتمل على رسائل الطرفين تلك التي لم نجدها في رسائل جبران خليل جبران إلى ميّ زيادة ورسائل غسان كنفاني وأنسي الحاج إلى غادة السمان وكذلك رسائل فدوى طوقان إلى أنور المعداوي ورسائل فرانز كافكا إلى ميلينا. وجدير بالذكر أن العلاقة بينهما استمرت حتى موت حنة أولاً ثم لحقها هيدغر بمدة ليست طويلة؛ بضعة شهور فقط بينهما. قصة حب فيلسوف هتلريّ لفيلسوفة يهودية صهيونية، تجعل هذه العلاقة جداً مميزة وغريبة وعصية على الفهم، هو هكذا الحب أيضاً لا يمكن لأحد أن يفسره. يخرج عن المنطق ليصنع منطقته الخاصة فيه، ألا يخلق ذلك مبرره الخاص معنا أنا وأنت ونحن ندخل في معمعة هذا الحب المستحيل الذي ليس له نهاية إلا بالموت على ما يبدو حتى وهو يحصل ما يحصل معنا الآن من بُعد وجفاء.

لا يهم ذلك الآن، ولكن اسمحي لي، بمناسبة الحديث عن رسائل الأدباء أن أحدثك، عدا قيمتها الإبداعية في حد ذاتها، عن أهميتها في الدراسة النقدية والأدبية، وفي هذا الباب، فإن هذا الكتاب جدا رائع، مميز ومختلف، أفصد رسائل إليخاندر بيثارنيك، إلى معالجها النفسي ليون أوستروف، يبدو في هذه الرسائل أن هذه الشاعرة التي لم تعمر طويلا كانت تنوي كتابة جانب من سيرتها الذاتية، وأشارت إلى ذلك في واحدة من الرسائل: "أرغم رسائلي من أجل كتاب سيرتنا المستقبلين". كما أشارت إلى يومياتها التي كانت تكتبها بالتزامن مع هذه الرسائل، وهناك تشابه كبير في الموضوعات التي تتحدث عنها في هذه الرسائل واليوميات كما أشار من كتب عنها. إضافة إلى أن هذه الرسائل تبين العوالم الداخلية والهواجس التي كانت تعاني منها الشاعرة، وكيف كانت تنظر إلى الشعر، وما تمثل لها كتابة القصيدة، إنها ليست مجرد كتابة نص، فالشعر يمثل بالنسبة لها واحدة من القيم الروحية التي تتمنى ألا تفقد إيمانها بها، ف"الشيء الوحيد الذي يهمني في هذا العالم هو أن أكتب الشعر"، فلا عجب إذن أن تصبح شاعرة عالمية ومشهورة وهي في ريعان شبابها، إذ لم تتجاوز الخامسة والعشرين. كما أن هذه الرسائل بينت التكوين الثقافي لهذه الشاعرة وماذا كانت تقرأ، وفي أي المجلات نشرت قصائدها وريبورتاجاتها الصحفية، وذكرت إصداراتها وترجمة أشعارها، كأنها بالفعل كانت ترسم سيرة فكرية أيضا ليستعين بها كتاب سيرتها المستقبلين، ولعلها تقدم تفسيراً للتحليل النفسي في الكشف عن دوافعها للانتحار، حيث انتحرت وهي في عمر السادسة والثلاثين، هل امتلأت من الهواجس أم أن صراعها مع الحياة والموت حسمته لصالح الموت؟ هنا سيكشف الدارسون عن ذلك لو أرادوا. أتمنى أن تتاح لك هذه الرسائل لتقريئها فهي مهمة جدا في بيان صراعها من أجل العمل، لتأمين معيشتها، وضيقها من العمل أيضا. إنه صراع، لكنه كان حتميا، وربما ضاقت به ذرعا، وسارع في حسم مسألة حياتها.

وقبل أن أنهي هذه الرسالة أود أن أخبرك أنني بعثت لك في البريد العادي الكتب التي وعدتك بها، كتابي الجديد "ملامح من السرد المعاصر- قراءات في الرواية"، وكذلك عددين من مجلة "كتابنا كُتابنا"، آمل أن تصلك بأسرع وقت. أرجو أن تبلغيني في حال وصولها.

أقبل شفيتك الناعمتين، منتظرا فرصة أن نلتقي أو أن تكتبي لي عن نشاطاتك الأخيرة.

الخميس: 2019-1-17

عزيزتي الدافئة أسعدت أوقاتاً:

أتمنى أن تكوني بحالة جيدة ونشاط أدبي وفكري حيوي رغما عن هذا الشتاء المتراكم، فها هو الشتاء يتقدم أكثر ويورطنا في البرد، لا مجال لأن تحتال على الشتاء وبرودته إنه لا يعرف المجاملة ولا التصالح، كأنه شخص مسكون بالانتقام منا. هكذا أشعر بالبرد هذا العام، لا أدري كيف تقضين أوقات الشتاء، منذ مدة طويلة لم تكتبي لي ولو حرفا واحدا، يبدو أن مزاجيتي قد أتعبتك كثيرا وتنازلت إلى غير رجعة عن الكتابة لي. أسمع الريح ترمجر في الخارج فتتوعدني بمزيد من الألم.

ها أنا أقضي معظم الوقت كما أخبرتك سابقا أمام التلفاز، عادَ يعوّضني عن القراءة كثيرا، لكن البرامج الثقافية مملة جدا، وهي نادرة على كل حال، مدسوسة كبهارات الطعام بين البرامج الأخرى، والأخبار السياسية مقززة، ما زالت الحرب على الإرهاب تغذي الصحف والفضائيات. والأخبار الطريفة سطحية وبلهاء.

أعجبني قول بول بولز في هذه الحرب وأنا أقرأ في كتاب "الحوار الأخير" الذي يرد فيه على اتهامات مجد شكري له: "القطب الرأسمالي يرى أن الإسلام لم يروض ولم يخضع للتدجين الكافي"، لذا ستكون هذه الحرب طويلة وغنية بالضحايا قتلى ومشردين ومتنوعة السيناريوهات الروائية والسردية والمسرحية التي تصيب الإنسان بالإعياء.

أتمنى ألا يطول الشتاء كثيرا، وأعود إلى معتزلي وأمارس غواياتي الشقية. أكتب لك هذه الرسالة وأنا أعاني من الحنين الشديد للدفء، كفت يدي تكاد تتجمد من البرد وهي تكتب، والكلمات تعاني من الكسل والتثاؤب تحتاج إلى مدفأة قوية لتعود إليها الحياة.

ربما أشعرتك رسالتي أنني أعيش في سيبيريا، أراك تضحكين، ونحن نتفق على هذه النتيجة، صدقيني أنني وإن لم أجرب برد سيبيريا فأنا أعاني من شدة البرد كأنني ملقي هناك على مساحة من الثلج عاريا لا شيء يسترني من هذا البياض المخيف.

يصحبي الآن إبريق من الشاي أسرق شيئا من حرارته التي لن تدوم طويلا، فيا لله ما أسرع أن يبرد كل ساخن في هذا الشتاء القارس! تخيلي لو أنك الآن معي تشاركينني اللحظة، لن أقول على مبدأ الرومانسيين وتفكيرهم: "لن أشعر بالبرد". من المؤكد أن صلف الشتاء هذا العام سيقضي على كل أفكار الرومانسيين وتخيلاتهم العاطفية. لو كنت معي الآن ستشعرين أيضا بالبرد، ولكنك ستكونين قادرة على احتضاني، ربما لأشعر بمزيد من حرارة دمك تجري في عروقي!

تقفز إلى ذاكرتي تلك الحركة التي مثلتها يوما في مقهى المدينة، عندما كنا نعمل على واحد من الكتب، وتمنيت فيها احتضاني كان يومها شوقك عارما شبقيا، وكنت في أبهى صورة وأشهاها، لكن تلك الحركة ماتت في الفراغ، ولم تحدث وبقيت أعاني من البرد والشوق منذ ذلك الوقت إلى أن يشاء الله، وإن داويتُ وجعي حينها بقصيدتين وقصة قصيرة بائسة طلبت مني عدم نشرها، وقد التزمت بذلك ولم أنشر كل ذلك البؤس حتى الآن، أظن أن القصيدة ستكون في ديواني الجديد الذي تأخر في "المونتاج".

عزيزتي الدافئة: كم أتمنى لو أن قبلة منك تقضي على هذا الشتاء القارس؛ لكنك شعرت ببعض التحسن، ولكنك كتبت أجمل مما أكتب الآن! يا لهذا الهديان أين أخذني!

علي أن أصحو من سكرة التخيل المستحيلة، وأسألك إن كانت الكتب قد وصلتك أرجو أن تبلغيني بذلك كي أرتاح من هاجس ضياعها أو رجوعها إليّ خائبة وقد ضلت طريقها.

أقبلك لعل شمسا تشرق بين بسمتيك لنشعر ببعض الدفء فنهزم هذا الشتاء البليد.
المشتاق لدفء صدرك.

السبت: 2019-1-19

أسعدت أوقاتا ونشوة أيتها الكاملة في شهوتها وجنون حبها، أما بعد:

فهل أتاكِ حديث المرأة العراقية قبل اليوم؟ لا أظن ذلك، أنا سأحدثك عنها، ولا أريد لقصتها هذه أن تكون ضمن كتاب "نسوة في المدينة" الذي أجلت نشره، وربما ألغيت النشر دون أن أعلن ذلك، لقد أبلغتك سابقا أنني لن أنشر الكتاب، لا أدري هل أكون على صواب أم لا؟ ربما لو اقتنعت بوجهة نظري مستقبلا ستسمحين لي بنشر الكتاب والتمتع بقصصه الطازجة الجميلة.

تعرفين أين تكمن أهمية كتابي هذا؟ إنه فيما قاله الكاتب الأمريكي (تشاك بولانيك) عندما سئل في حوار معه عن مصادر قصصه: "في الحقيقة، لا أحب أن أستقي قصصي من وسائل الإعلام المختلفة - فمثل هذه القصص سوف يعرفها الجميع- ولكني أحب أن أستمع إلى القصص السرية التي لن يتاح لأحد سماعها إلا من أصحابها الأصليين". هذا ما فعلته بالضبط في هذا الكتاب استقيت المادة من أصحابها الأصليين، بل صنعتها مع هؤلاء النساء. ولذلك لن يجد القارئ مصدرا آخر لهذه القصص إلا في كتابي أو في عقول الآخرين وتجاربهم التي لا يحبون إذاعتها ويتكتمون عليها.

سبق وتحدثت عن الفكرة في قصيدة "رسائل في محرقة الحذف"، وتناولت مواقف المتحدثين السريين في الدوائر الثلاث: الجنسية والدينية والسياسية. هذه القصيدة التي علق عليها أحد الأصدقاء من الكتاب: "هذه قصيدة وقحة لا بالمعنى الاجتماعي، بل بالمعنى الرمزي، كونها تعزي وتفتضح، عموما أنت تشاكس كثيرا، وأظن أنك تتبع الخط الغرامشي، إذا جازت الاستعارة، فأنت تخرمش وتفضح وتعزي. لكن تذكر أن هذا الطريق صعب، ويجرك إلى المتاعب". وكتبت إحدى الصديقات الفيسبوكيات في حينه معلقة على هذا النص: "رغم أن النص غير مقبول للجميع (من باب التنكر والتصنع)، إلا أنني شخصا احترم جرأتك وقوه قلبك بخط هذا النص".

أما حكاية صديقتي العراقية فحكاية طريفة تشبه حكايات "نسوة في المدينة"، بدأت كما تبدأ النساء المتطفلات، في الرغبة في التعرف إليّ ككاتب، وأنها لم تنقطع عن التفكير بي منذ تعرفت إليّ وصادفت اسمي وصورتي في أحد المواقع الإلكترونية، وأني لا أغادر مخيلتها منذ ذلك الحين. كلما غابت تعود بشراسة أقوى لتتعرف إليّ أكثر، ولا تريد ما هو منشور في الكتب أو المقالات، وإنما شيء ما يشدها إليّ كما قالت، وأنها لن تمل ولن تستسلم حتى تفتح حصوني عن آخرها، ونصبح صديقين وربما أبعد من صديقين.

أخبرتها أنني مللت من العلاقات الافتراضية، وأني أرغب في علاقة حقيقية مع امرأة حقيقية، اتخذت الموقف ذاته مع امرأة أجنبية كانت ترغب في إقامة علاقة معي في (تويتر)، ورفضت ذلك

جملة وتفصيلا. هذه المرأة العراقية عرّفتني على اسمها وتخصصها الأكاديمي، وبعد مزيد من التردد تبعث لي صورتها. هي تقول إنها امرأة في عامها الثالث والعشرين، لكن صورتها تقول إنها أكبر من ذلك، وملامح وجهها تشي بأنها على أبواب الأربعينيات وفي نهاية الثلاثينيات، ذكرتني قصتها بقصتك قبل سنوات عندما تعرفت إليّ وادعت أنك عذراء عشرينية، لكنك كنت، وما زلت، أجمل منها على كل حال، مع أنها جميلة وشفافة وذات منطلق في الحديث، امرأة خجول، وذات صوت أنثوي جميل وسلس، ليس ناعماً طفولياً، ولكنه راسخ الأنغام في عالم النضوج الأنثويّ الساحر.

لم أثبت في الحقيقة هدفها من التعرف إليّ. هل كانت تريد صداقة أم كانت تريد تزجية الوقت بالحديث والممارسة الجنسية الافتراضية؟ هي لم تكن تعلم أنني متخم من العلاقات الافتراضية إلى حد القرف، لكنني رغبت في امتحانها؛ لأكشف عن أهدافها، طلبت منها رويدا رويدا أن تتعرّى بالكامل وتمارس شهوتها كأننا في السرير. لا أدري هل استجابت أم لا لكن تلك المحادثة لم تكن سلسلة بما فيه الكفاية لإحداث النشوة المتوقعة، عرفت عندئذ أنها تعاني من مشكلة ما؛ فهي لم تجرّ معي كما تجري النساء في العادة، فطلبت منها ارتداء ملابسها، وسألتها إن كانت عذراء أم لا، فأخبرتني بعد فترة من الصمت والأسئلة الجانبية أنها كانت متزوجة.

هنا، أخذ الحديث شكلا آخر. إنها تعاني من "رهاب الجنس"، وصارحتني أنها لم تفعل شيئا، وإنما فقط كانت تبكي، إنها لم تلمس صدرها أو عضوها كما طلبت منها، إنما فقط كانت تشعر بالقرف والخوف، حاولت أن أشرح لها أهمية الجنس ودوره في توطيد العلاقة بين الرجل والمرأة، وأنه ليس عملية حيوانية، وإنما هو طريقة رمزية ذات دلالة اجتماعية وفلسفية وفكرية، فعندما يتعرّى الرجل أمام المرأة أو تتعرّى هي أمامه فذاك يعني أنه لا حواجز بينهما، سينهار الحاجز الديني، والاجتماعي، والجغرافي، وصولا إلى الحاجز اللغوي، عندئذ سيتحدثان ببساطة وأريحية دون أي تحذيرات أو محاذير، وهذا نفسه ما قصده القرآن الكريم بقوله: "وقد أفضى بعضكم إلى بعض". إنها لم تستطع أن تفضي إليّ كما كنتِ تفعلين، عرفت ساعتها أنها امرأة عابرة، ولن تعمّر طويلا، سترحل كما رحلت أخريات قبلها، وتظلين وحدك شاهدة على جنوبي الحي الذي لن ينتهي.

على أية حال، فإنها تخرج عن خجلها بجرأة لا حد لها، وتتطور العلاقة معها لبضعة أيام، فقد صحت في أحد الأيام وتفقدت بريدي. فإذا بها تبعث لي صورة مغرية، بلباس شهّي، شيء يشبه قميص نوم شفاف، يبدو فيها فخذاها الممتلئان وصدرها المشبع وجسدها البض. صورة أغرتني بأن أطلب المزيد من الصور الفاضحة، فلم تتردد في أن تبعث لي مجموعة من الصور، تبدو فيها عارية تماما من الأمام ومن الخلف، وفي وضعيات شهوانية، يبرز فيها فرجها وهو فاغر شفّتيه يريد أن يشبع أو يرتوي. أصدقك القول إن جسمها كان شهيا جدا، مشدودا، بلوريا، ناعما، وظهرها مع عجيزتها في استواء تام. بدت لي مختلفة، طازجة، لكنها لم تترني إلى ذلك الحد الذي يمكن لامرأة شبقة أن تثير رجلا أربعينيّا مثلي، "مفخخ بصور النساء وروائح شهواتهن".

هذه الصور، مع صور أخرى غيرها للنساء الأخريات ممن أحتفظ بصورهن العارية، بما فيها صورك بكل تأكيد، جعلتني أفكر في التخطيط لعمل معرض فني من هذه المادة الطريفة، وأخذت أفكر على نحو جدي كيف يمكن أن تكون هذه الصور، مرتبة، فكرت هل يمكن أن أعرض صور كل امرأة على حدة أم أجمع الصور المتشابهة لكل امرأة معا؟ ما زلت محتارا في هذا الأمر، متأملا في الطريقة المثلى لعمل ذلك. متحاشيا التفكير في تلك المتاعب التي أشار إليها صديقي الكاتب، وربما عرضتني للمحاكمة والرجم كما حدث قبل سنوات، ولم تتوقف هزاتها الارتدادية حتى اليوم.

على كل، لقد غادرتني تلك العراقية، كما توقعت، ورحلت إلى غير رجعة، وهكذا، يا عزيزتي، صدمتها؛ لأنني لا أريد لها أن تظل حائمة حولي تطنّ فوق رأسي كنحلة. أحببت أن أخبرك القصة؛ لأنني منذ أفضيتُ إليك وأفضيت إليّ أصبح مُحرّماً علينا أن نكتم أسرارنا، بل علينا أن نتشارك فيها، مع أنك تضمير عني كثيرا من الأخبار والأسرار. وعليك أن تعلمي أنّ الكتاب ليسوا ملائكة، فإنهم قد يمارسون الجنس أحيانا، ويشعرون بالإحباط، وينامون صباحاً حتى الظهيرة، ويعانون من الكسل ووخزات الضمير كذلك. ويحدث كذلك أن يشتهوا نساءً على قارعة الطريق، ليسوا ملائكة، نعم. وليسوا شياطين كذلك.

أرجو ألا تغضبي من هذه القصة التي قد تبدو بلهاء ماجنة وقليلة القيمة، فلولا ما تتمتعين به من راحة عقل وتفهم ما كنت قادراً على أن أتفوه لك عن ذلك بكلمة واحدة. لعلك ستشعرين بالقليل من الغيرة، وأرجو أن يحدث ذلك، ألم يقولوا أن الغيرة من علامات الحب؟

أحبك أيتها الجميلة وقليل من العبث مع النساء لا يفسد للحب قضية.

المشتاق للمسة يدك النحيلة.

الأحد: 2019-1-27

عزيزتي: حبي وتحياي الكبيرة الدافئة، جمّل الله أوقاتك بالسعادة، أما بعد:

لقد أسعدني جدا وصول الكتب إليك، وأبهج خاطري رؤية المغلف مختوما على طاولة مكتبك، ونعّص عليّ تلك السعادة قولك في رسالتك المقتضبة: "شكراً. هل سأجد فراس هنا طي هذه البريد أم سأجد طيف رجل كنت أعني له ذات يوم شيئاً؟". عليك أن تعلمي أنه لا شيء يعدل أن تكوني حبيبي وإلى الأبد، ولكنه عهد قطعه من أجل ألا أؤذيك فيّ أو أؤذي نفسي فيك. أستميحك العذر في هذا، وأرجو أن تقبلي وتتقبلي قراري.

والآن، فلنتجاوز هذه النقطة، ولتسمحي لي أن أحدثك عما جرى معي في الفترة الأخيرة. أغرب حادثة حصلت لي على (تويتر)؛ شخص ما، ليس له إلا الاسم الأول، يدور بيننا حوار قصير، لكنه متقطع، يطلب مني أن أكتب له كتابا "سيرة ذاتية لشخصية اجتماعية وإدارية"، ويسألني إن كان لديّ وقت، وهل بالإمكان أن نتفق على إنجازه. هو يوفر لي المادة الخام وأنا أعيد صياغتها لقاء مبلغ من المال فقط، دون أن يكون لي أي حقوق فكرية أو معنوية أو أن يشار إليّ من قريب أو

بعيد، يلخص هذا العرض بهذه الجملة: "أنا سأوفر المادة، وأنت تقوم بصياغة المادة بقلب سردي على هيئة سيرة ذاتية".

دعوة وعرض خرافيان، صحيح أنني أعاني من ضائقة مالية، ويبدو أنها طويلة الأمد، ومحتاج لكثير من المال، لكن ليس لدرجة أن أبيع جهدي مقابل مال لن يعمر في حسابي البنكي سوى سويغات قليلة ويتلاشى ليكون في جيوب الآخرين وحساباتهم، وصحيح أن لدي وقتا وقدرة كافيين لإنجاز الكثير؛ رغما عن هذا الشتاء المجنون، ولكن لن أكرر خطأ وقعت فيه قبل ما يزيد عن اثني عشرة سنة عندما أنفقت جهد ثلاثة أشهر في الإعداد لمساعد مدرسي للصف الثاني عشر (التوجيهي)، وبعته لأحد المعلمين التجار بثمانين، هو بخس مهما كان عاليا، لأن ذلك الجهد المضني ذهبت حقوقه الفكرية لغيري، وهذا ما أزعجني في هذه الدعوة الجديدة.

لقد كان ردي حاسما وقويا، ولم أمنح نفسي فرصة للتفكير، إذ إن هذه الدعوة تشبه حالة الأم البديلة التي تستخدم لحمل نطفة مولود، لن يكون لها نصيب في أمومته، فيترى ويترعع بعيدا عنها بعد أن أعطته من دمها وروحها. أيّ غباء هذا الذي يحصل في عالم رأسمالي لا يفكر إلا بالمال، وكيفية الحصول عليه، لاحظي يا عزيزتي كيف يحاول هذا الشخص أن يغريني بالعمل معه بعد أن عرف أنني كاتب ولدي ثمانية عشر كتابا مطبوعا: "لو اتفقنا سنخرج مجموعة أعمال، لدي أفكار ممتازة وذات ربحية، ولكن هذا العمل يختلف، سأبلغك لاحقا عن السبب". رأيت كيف يفكر هذا الشخص ومثله الكثيرون؟ فهم أبناء عقلية رأسمالية تجارية قذرة؛ إن لديه أفكارا ربحية. متى كانت الكتابة مشروعا اقتصاديا للكاتب الحقيقي؟ يا إلهي كم يهين الآخرون الكتابة والكتاب! لذلك لم أتردد لحظة واحدة في أن أقطع معه هذا الموضوع المثير للسخرية والمحرض على الذكاء والمستفز: "يا صديقي أنا لست تاجرا، أنا كاتب. لست كاتب عرائض قانونية لأحصل على أجر مادي فقط، وأرجو أن تقدر هذه النقطة، فهذه الصيغة لا تعجبني، وأرجو أن تعذرنني". أعرّف أن كثيرين من الكتاب يتمنون أن يحصلوا على هذه الفرصة، فقد قال لي مرة معلم صديق: أنت تمتلك مهنة تطعمك الشهيد. تخيلي كيف يفكرون، هل هؤلاء الكتاب والمعلمون قادرون على إنبات جيل يتمتع بالانتماء إلى القيم الحقيقية؟ أظن أننا في تردّد مخيف.

يا لهذا الشتاء ما أغربه! كتبه غريبه، صدفه غريبة، أفكاره غريبة، كل شيء فيه بدا لي غريبا، كأني لم أعش شتاء قبل هذا الشتاء، إنه ليس قارسا وحسب، بل إنه يحاول أن يجمع كل ما يؤدي إلى عدم احترام الذات والعمل والكتابة. بالتأكيد ستضحكين من غرابة ما أخبرتك به، لكن تأكدي أن هناك في الحياة مواقف يجب أن نفقها وإن كانت تضعنا على حافة الانهيار، لكنّ تمسكك بالقيمة الكبرى يمنحك انتعاشا وقوة وصلابة ودفئا. لعل هذا ما كنت أطلبه لأشعر بأهمية أن أكون كاتبا محترما بعيدا عن جنون التفكير بالمادة فقط، وماذا يضيرني لو أمضيت العمر كله فقيرا؟ إن هذا أفضل مائة مرة من أن أرى كتابا ألفته، وبذلت فيه جهدي، مطبوعا على الرفوف دون أن يكون لي حق أن أتبناه أو أن أضيفه إلى سيرتي الذاتية، كتلك الأم البديلة، كيف سيكون موقفها عندما ترى ابنها

الذي حرمت من أن يكون لها. الكتاب ليس أقل شأنًا من ابنك أو ابنتك، بل إنه أهم منهما في أحيان كثيرة.

يا ليتك كنت معي الآن وأنا أعيش هذا الإحساس المختلط بين الشعور بالغرابة والاندهاش والنصر، واجترأ ضحكة ساخرة في مواجهة كل ما حدث.

وأخيرا عطفًا على بدء. إن حدّقت جيدا في الكتب التي وصلتني ستريني كما يجب أن ترى كاتبة حبيبها الكاتب، وهي تفكّك مقولاته التي أودعها في الكتب. ولو دقت جيدا سترين نفسك في تلك القصائد والرسائل المنشورة في الكتابين الآخرين. أمل أن تعوّضك الكتب عن رجل رحل، ربما إلى غير رجعة، مكتفيا بآخر ما لديه من قدرة على كتابة رسالة جديدة كلما برّح به الشوق.

مع تمنياتي لك بدفء ناعم وشتاء خفيف الدم... قضيت الثلاثة أيام الأخيرة في الشمس أمام منزلي، كم كانت الشمس جميلة هنا.

2019/4/1

هناك الكثير من الجنون والعبث واللاجدوى، لكن برغم كل ذلك يصبح مع الوقت إرثًا ربما ليس ثقبًا بالمطلق. متى سأراك؟ لدي الكثير لأقوله ولن أفعل هنا.

ف. ع

الأربعاء: 2019/5/15

العزيزة الغالية، سلام من القلب.

أعرف أن هذه الرسالة لن تصل إليك ككثير من الرسائل السابقة، فقد أعفيتك من القراءة أو الرد على تلك الرسائل، ولكن هل يكون لهذه الرسائل جدوى إذا لم تكن موجهة لشخص ما؟

عندما نشرت الرسالة السابقة، لاحظت الشاعرة آمال عواد كما لاحظ من قبل غيرها أن هذه الرسائل خالية من "الروح"، وعلى ما يبدو أن معها حقا في ذلك، فكل رسائل الأدباء السابقين كانت موجهة لشخص حقيقي وليس افتراضيا، إذا ما استثنيت ما قيل عن "رسائل يوسا إلى روائي ناشئ"، فأغلب الظن كما يقول المترجم أنها كتبت لمرسل إليه افتراضي، وربما ليست فقط رسائل يوسا التي كانت افتراضية، ربما رسالة محمود درويش الشعرية "إلى شاعر شاب" كانت لشاعر افتراضي، وكذلك فعل مثلا هيرمان هيسة في رسالته التي أخذت الاسم نفسه، ومع ذلك هناك رسائل الشاعر ريلكه التي وجهها لشاعر شاب، يدعى فرانتر كزافر كابوس.

في اعتراض الشاعرة آمال بعض الواجهة في أن هذه الرسائل، يجب أن تتحلّى ببعض الألق والدهشة عندما تنشر بعد (عمر طويل)، ولكن لماذا عليّ الانتظار أن أنشرها بعد عمر طويل؟

لذلك فإنني ربما خالفت تلك الأعراف التي استقرت عندما نشرت رسائل الكتاب إلى محبوباتهم، فقد كان أحدهما غائبا بالموت، أو كلاهما، وتولى في الحالة الأولى أحد الطرفين نشر الرسائل، أو بعض الورثة أو المهتمين في الحالة الثانية، ولكن من سيهتم برسائلي لينشرها من بعدي، لاسيما أنها غير معروفة المرسل إليه. إنها تفتقد للجانب الفضائي الذي صاحبت مثلا نشر رسائل غسان كنفاني وأنسي الحاج لغادة السمان، وقامت عادة نفسها بنشرها، تحقيقا لأهداف شتى، ربما كانت أدبية أو ذاتية، أو ربما كانت تبغي لفت الانتباه إليها وإلى عشاقها الكثيرين، ألم تقل عادة يوما: "غسان أحب رجالي إلي"؟ على ما يبدو أنها امرأة مغموسة منغمسة بحب رجال كثيرين.

هنا سأفصح كل أسراري المتبقية في هذه الرسالة، اعتمادا على اعتراضات الشاعرة آمال عواد رضوان، فأنا في هذه الرسائل أردت تجاوز كل ذلك التراث الذي اطلعت عليه من رسائل الأدباء إلى محبوباتهم، أو غيرهن، فثمة رسائل بين أدبيين، وليس بين كاتب وكاتبة، فهناك مثلا رسائل سميح القاسم ومحمود درويش، وقديما رسائل جلال الدين الرومي إلى شمس التبريزي، ورسائل ريلكة إلى شاعر شاب، كما أن هناك رسائل بين أدبيتين، كما هو الحال في الرسائل بين فدوى طوقان وثرثيا حداد.

ماذا قالت رسائل الأدباء السابقة؟ وماذا أردت أن أقول؟

هذان سؤالان يا عزيزتي أثارتهما الشاعرة آمال خلال حديثها معي، لقد لاحظت بعد أن قرأت الرسائل العشر المنشورة أن هناك تكرارا واضحا، فما تحدثت عنه في مقال ما أعيد الإشارة إليه في الرسائل، إن هذا الاعتراض وجيه جدا أيضا، ولكن هذه الرسائل هي كاشفة عن نفسية الكاتب، فقد بدوت، كما قالت، مرتبكا، وضعيفا، وكما قالت قارئات أخريات: إنني أقلل من شأن نفسي كثيرا في هذه الرسائل. صحيح أيضا أنني أعاني من الضعف والارتباك الواضح لعدة أسباب أولها أنني أعيش هامشية المشهد الثقافي، بكل عفونته البادية، فكثير من المهرجانات الأدبية والشعرية والمؤتمرات والفعاليات الوازنة التي ترعاها الدولة أو تقوم عليها المؤسسات الرسمية والجامعات لم أدع إلى المشاركة فيها إطلاقا، وأكثر ما أشارك فيه هو الحضور كتكملة عدد. فما هو تفسيرك المنطقي مثلا أنني إلى الآن وقد أخبرتك عن ذلك مسبقا لم أدع إلى أي مقابلة صحفية رسمية أو تلفزيونية أو إذاعية، أليس في ذلك تحقيق للهامشية وترسيخ لها؟ لقد وصلت إلى مرحلة الشك في ذاتي، وأني لست أكثر من متطفل على الأدب، فما معنى أن لي ثمانية عشر كتابا، ولم أدع إلى أي نشاط ثقافي رسمي، سواء من وزارة الثقافة أو اتحاد الكتاب أو المؤسسات الأخرى؟ وربما تقولين كما قلت في إحدى رسائلك السابقة النادرة الحدوث أنني سأكون إليها يوما، ويقروؤني. ولكن متى؟ بعد موتي؟ وما الفائدة؟ وربما تقولين عليك بالكتابة، أما الأمور الأخرى فستأتي تباعا، ها أنا أكتب والأمور الأخرى لم تأت. وعلى رأي المثل: موت يا قديش تيجيك الحشيش.

أعرف أنه ربما من المعيب للكاتب أن يبحث عن ذلك كما قال يوسا في رسالته الأولى إلى روائي ناشئ: "لا تبني أوهاما كبيرة بشأن النجاح، مع أنه ليس هناك بالتأكيد سبب يمنعك من تحقيقه،

ولكنك ستكتشف سريعا إذا ما واضبت على الكتابة والنشر، أن الجوائز والاعتراف العام ومبيعات الكتب والسمعة الاجتماعية للكاتب لها مسار من نوعها، مسار تعسفي إلى أبعد الحدود، فهي تتجنب بعناد أحيانا من يستحقها بجدارة كبيرة، وتحاصر من يستحقها أقل، وتثقل عليه". ولم يفت يوسا أن يتحدث عن "الإحباط وانهايار الحلم". لكنه يتابع قائلا: "الكاتب يشعر في أعماقه بأن الكتابة هي أفضل ما حدث، وما يمكن أن يحدث له، لأن الكتابة في نظره هي أفضل طريقة ممكنة للعيش بصرف النظر عن النتائج الاجتماعية والسياسية أو الاقتصادية التي يمكن أن يحققها من خلال ما يكتبه". إن فيما كتبه يوسا بعض العزاء لي ولكثير من الكتاب الذين يعانون مما أعاني، ولكنهم صامتون، أو يخجلون من مناقشة مثل هذه الموضوعات الحساسة.

وما العيب في أن يبحث الكاتب عن الشهرة؟ فكلنا يكتب وينشر من أجل تحقيق حلم الكاتب الكبير، وليس لمجرد معاينة الكلمات، هذه هي الأمنية التي تدفع الكاتب للكتابة، أتعرفَ بذلك الكتاب أم لم يعترفوا؟ إنها هي الحقيقة. ما الذي يجعل الكاتب متصيدا للأفكار ومجودا للأسلوب وباحثا عن الأفكار الغربية غير الظهور بمظهر التميز والإبداع؟ ألم يكن الشاعر القديم حزينا عندما رأى أن غيره - الأقل منه حسب وجهة نظره- أعلى منه شأنًا؟

فكم في الأرض من عبد هَجِينٍ يقبّل كَفّه حُرُّ هِجَانُ
وقد يعلو على الرّأس الدُّنَابِي كما يعلو على التّار الدُّخَانُ

إنها هي المشكلة يا عزيزتي، فما الذي يجعلك تسافرين هنا وهناك، وتجوبين العالم؟ أليس من أجل أن تكوني معروفة وشاعرة ومكرسة في الساحة الأدبية؟ بلى إنها هي رغبة كل ذي قلم.

لقد كنت أريد أن أتحدث إليك أكثر وأكثر في موضوعات كثيرة، خططت سلفا أن أناقشها معك، ها هي بقيت مسوداتها على حالها مركونة في "الأجندة السوداء" مقبورة فيها. لا عليك، يبدو أنني غدوت ثرثارا كثيرا، ولا أظن أنها صارت ثرثرات محببة. أستودعك الله، محروسة بعنايته، ومشمولة برعايته، ولعلنا نلتقي يوما ما، ولكن لست أدري متى وأين ولا على أي صعيد.

إنك تدفعيني دفعا بوهيمياً لأتوقف عن كتابة الرسائل، إنك لم تريدي لها الحياة، فصمتك كان السبب الوجيه لعدم حيويتها، وبالتالي ربما من الأجدى التفكير في التوقف عن كتابتها وإماتتها إلى الأبد، أو إلى أن يجدّ جديد. عليك أن تتذكري وعليّ ألا أنسى قولك: "إلى الجحيم أنتَ ورسائلُك". يبدو أنها هي المكان المناسب لي ورسائلي التي لم تجلب لي- كما أنت- إلا المزيد من الشقاء بقية عمري.

وأخر كل شيء كأوله: سلام من القلب.

الثلاثاء: 2019/5/21

أسعدت أوقاتا أيتها البهية مثل بدر الربيع،

أحدّثك اليوم حديث الشجون الخاصة، وعلاقتي بالأشياء، فأنا أحبّ أن أقيم علاقة ألفة مع أشياءي التي أمتلكها، لأنني لا أمتلك شيئاً من باب الفضول أو الترف، ولذلك يكون لهذه الأشياء علاقة حبّ خفية، فما بيني وبينها، لن يفهمه أحد سوانا، فتلك الأشياء أصدقائي يفهموني وأفهمهم، ولذلك تظل معي ولن أتخلّى عنها، حتى لو توقفت عن العمل.

ربما تعرفين مناسبة هذا الحديث، فلا تظني أنه أمر نادر أن تودّع شيئاً من أشياءك. لكنه صعب على من هو مثل حالي، لاسيما إن كان هذا الشيء قد صحبتك فترة طويلة، وارتبط بذكريات جميلة، وجاء إليك بظروف خاصة جداً. إنني أتحدث عن جهاز الآيفون الذي صحبتني مدة تزيد عن ست سنوات. فلماذا استحق كل هذه المكانة عندي؟ ولماذا لا يستحق حتى أكثر من ذلك، وقد كان أول هداياك لي أول لقاء بيننا؟

فلتسمحي لي أولاً أن أعيد عليك هذه الحادثة الموغلة في التراث؛ فقد روي أن الشاعر الشماخ بن ضرار مدح عرابة الأوسي بقوله:

رأيت عرابة الأوسي يسـمو
إلى الخـيرات منقطعـ القرنين
إذا ما راية رفعت لمجد
تلقأها عرابة باليمين
إذا بلّغتنـي وحملتـ رخـلي
عرابة، فاشرقـي بدم الوتين

ويعلق المبرد على البيت الأخير بقوله "عاب بعض الرواة قول الشاعر: "فاشرقى بدم الوتين"، وقال كان ينبغي أن يُنظر لها مع استغنائه عنها بعين الرأفة والرحمة، فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد أن قالت: "يا رسول الله، إني نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها". فقال النبي: "لبئس ما جزيتها".

هذا الخبر ذو دلالة قوية في احترام ما كان له فضل عليك، بشرا كان أو شيئاً أو دابة، ولذلك لم يكن الشاعر موفقاً، ولم تكن الأعرابية موفقة في نذرها، إن حالي- يا الحبيبة- مع هذا الجهاز كحال الشاعر والجارية مع ناقه كل منهما، ولذلك لن أقوم بإتلاف هذا الجهاز، بل أجعله ضمن أشياءي المحفوظ بها، وأرجعه إلى علبته التي ما زالت على حالها منذ ذلك الحين جديدة لم يمسهها سوء، بيضاء نقية كقلبك ولغتك وإحساسك، ولن يزول ذلك الشعور منذ ولد وحتى الموت.

والآن، ما هو فضل هذا الجهاز عليّ؟ بداية لم أكن أحلم يوماً أن يكون لي جهاز (آيفون) آخر سرعة في حينه، ويتجاوز سعره راتب شهر كامل، فأنا كنت مكتفياً بجهاز متواضع يبلغني إياك في اتصالاتي. ولذلك فقد أحدثت بهذا الجهاز نوعاً من الفخامة و(البرستيج)! نعم. إن معي آيفوناً حديثاً كالباشوات وأصحاب رؤوس الأموال. يا لسعادتي! ويا لذلك الحسد الذي كنت أراه بعيون

الآخرين، وهو يزهو بين أصابع يدي أنيقا متناسقا، حيويا، مبهرا. لقد منحني الهيبة كما منحني الحب. أتدرين لماذا؟ لاحظي ماذا كان بفضل هذه الهدية؛ ففي إحدى حواراتي مع صديقة تونسية، أتينا على ذكر أنواع الأجهزة التي نستخدمها أنا وهي، عبرت عن انبهارها الشديد لامتلاكي هذا الجهاز، وقالت لي: من يملك آيفونا عليه أن يسجل ذلك في سيرته الذاتية، أعادتها مرة أو مرتين. كانت تتوق لاستخدام الآيفون وامتلاكه. لقد شعرت بالزهو كثيرا لحظتئذ، فأنا معي آيفون. إنه لأمر جلل.

هذا أحد المواقف التي أحب أن أسجلها لك ولهذا الجهاز الذي قاوم معي لآخر ما يستطيع من عمره الافتراضي، إذ إن لكل جهاز عمرا افتراضيا مقدرا في عُرف من صنعه، وأظن أنه تجاوز هذا العمر، وهو من الأشياء القلائل التي جازت عمرها المفترض.

لقد ساعدني هذا الصديق الوفي الجميل، وحل محلّ الورقة والقلم، وصرت أكتب فيه مقالاتي الطويلة والقصائد وأحتفظ بها وأخزنها بسلاسة ويسر، بل إنه أزاح من حياة الكتابة حاجتي الماسة لاستخدام الحاسوب الشخصي (اللابتوب)، فصارت الكتابة عندي أسلس ومطوعة أكثر، وأكتب كل حين. لقد كان له الفضل العظيم في استحضر الكتابة وجاهزيتها كلما عنت فكرة بالبال. فأنا من بدل بالدفاتر والأقلام آيفوننا، ولذلك صرت أكتب أكثر وبغزارة واضحة. فقد ساعدني على أن أكون متقنا وسريع بديهية. لقد كتبتُ لك في الحقيقة أغلب الرسائل والقصائد باستخدامه. لم يخذلني هذا الوفي يوما حتى وهو في فترات مرضه القليلة، فهو لم يمرض قبل تقاعده الأخير وشيخوخته إلا مرة واحدة، وأنقذته بعملية أعادته إلى الحياة شهورا إضافية. فعاد حيويا كما كان صلبا عنيدا مقاوما، يحمل أحزان الكتابة وأسرارها، ويتحمل نزع الحروف ونزف الجروح التي كانت تسيل من دمي كلمات كلما برح بي الشوق وأضناني السهر، وأشقاني الغياب، كان مؤنسا وحبيبا وصديقا لا يُملّ.

لم يخذلني هذا الحبيب- كما لم تخذليني كلما لجأت إليك حزينا شاكيا موجوعا- حتى في أيامه الأخيرة، وهو في نزاعه الأخير، سرعان ما كان يفوق من غيبوبة مرض الموت والشيخوخة، ليطمئنني عنه، وتسطع شاشته بضحكة صافية تستعير بهاءها من ضحكك قائلا: "شبيك لبك حبيبك بين يديك". نعم كان يصارع الموت، لكنه كان متشبثا بالحياة والصدافة، ويومئ إليك لتظلي بين عينيّ تلك الحبيبة التي لا تخفت لها ضياء، ولا تغيم بها سماء.

لم يخذلني هذا المقاوم العنيد، على الرغم من تلك المرات التي كان يسقط فيها أرضا، ويقع على وجهه، فلم ينكسر له خاطر، ولم يتعكر له صفو، ينهض لا مكروه أصابه، في حين أسمع عن حالات كثيرة لأجهزة كثيرة، لا روح لها، سرعان ما تتشظى بمجرد وقعة خفيفة على الأرض. إنه يمتلك روحا صلبة تستعصي على الكسر. إنه يشبهك كثيرا، فقد غبت عني كثيرا، وتشاجرنا كثيرا، إلا أننا قد بقينا على قيد حبّ.

بمثل هذا الجهاز الحبيب القريب العاطفي الودود تقيم النفس حفلة شكر وعرفان وتقديس، فهو لم يكن مجرد جهاز كأَي جهاز بل جهاز لا مثيل له في الأجهزة قاطبة، في شرق الأرض وغربها، عند العرب وعند الأعاجم أيضا.

لن أقول وقد امتلكتُ جهازا جديدا أحدث وأكثر تطورا، فلتشرق بدم الوتين كما قال الشماخ والجارية، بل ستكون حيث يجب أن تكون محتلا مكانتك الوثيرة في خاطري، ولن يملأ مكانك أي جهاز غيره، مهما غلا سعره، ومهما تطورت أدواته وبرامجه. وإن القلب ليحزن لفراق استخدامك، ولكنني لن أتخلى عنك لتكون في سلة المهملات، ولن أسمح لعامل نظافة أن يتأملك بيديه، وهو يلتقطك من بين الركاب، بل إنني حريص على أن تظل حيا في أدراج سريري نومي نتبادل التحايا كل صباح ومساء. ولترقد بسلام هناك في ضريحك الأبدي كأعظم الأشياء قداسة في حياة كاتب، كنت له صديقا وملهما وحبيبا أبديا، وهدية عظيمة من امرأة تحب بشغف كأنها الأبدية المطلقة.

الآن أيتها الحبيبة كل الأجهزة سواء، كما أن النساء سواء. دمت متألقة أبدية الحب يا سيدة الحب.

الاثنين: 2019/8/19

عليك أن تكسر مراياك لترى وجهها آخر مشرقا وجميلا لك وللناس من حولك وللحياة، قلت لك ليست الأمور كما تراها بالضرورة هناك صورة غيرها. تكلمت مع ... بالأمس ونقلت ملاحظاتك وكانت حريصة على أدق التفاصيل. كن إيجابيا يا فراس، نحن لا نعيش إلا حياة واحدة، ولا نعرف ما بعدها. اختلط بالناس الإيجابيين. ابتعد عن كل ما يعكر مزاجك، وانظر دائما للجانب المشرق.

يسعد صباحك

ف. ع

2019/8/19

لا أعرف لماذا حدث كل ما حدث، أنا والله لم أكن بهذا السوء، يبدو أن المهزوم لا يحسن التصرف. ثمة أمور تجعل الإنسان مختلفا ربما غبيا، لا أتمنى إلا أن أفقد ذاكرتي كلية لعلني أصبح شخصا آخر.

طعم الخسارة مزعج وجدا، وأشعر أن كلي معبأ بهذا الشعور. لا أريد شيئا من هذه الحياة سوى أن أرتاح، ولكن يبدو أنها أمنية مستحيلة. سامحيني إن عكرت مزاجك، أفكر بالانزواء ثانية.

لم أنم الليلة الماضية نهائياً، ولم أرغب بالإجازة حتى لا أكتئب أكثر. للأسف الأمور ليست جيدة بالمطلق بل هي أسوأ ما يكون. لماذا يحدث معي كل هذا؟ لست أعرف.

سامحيني فقط، أرجوك.

ف. ح

الثلاثاء: 2019/8/20

عزيزتي الغالية وحببتي الأبدية:

سلام من القلب، كم تمنيت لو أستطيع الحديث في هذه الرسالة عن الأمور التي تؤلف بيننا بحرية كاملة، دون خوف أو وجل أو وجل وخاصة تلك الأحداث التي تمس شغاف القلب، لديّ حنين هذا اليوم لكتابة الرسائل بعد أن قررت الصمت والامتناع عن كتابتها خشية الانزلاق إلى ما لا تحمد عقباه. للأسف لقد قطع العمل وظروفه الاسترسال في الكتابة لأضطر للتوقف.

أشعر بسعادة ما تغمر أرجاء نفسي هذا اليوم، سبجان مغير الأحوال، كنت أمس في حالة سيئة للغاية، والآن في حالة أخرى مناقضة تماما، حتى اجتماع العمل كان اجتماعا جيدا، أو ربما أنا رأيته جيدا "كن جميلا تر الوجود جميلا". ليس لأن رئيس القسم متأنق بشكل لافت هذا اليوم، وهذه هي عادته على كل حال، ما يشعر المحيطين بالبهجة. أو ربما أيضا أنا رأيته متأنقا بشكل لافت.

كم كنت مشتاقا فيما سبق أن نتحدث وجها لوجه، لكن جرت الرياح بما عطل سفينة الريان، أتمنى أن نلتقي قريبا، فثمة ما يقال حول كثير من القضايا.

الحبيبة التي لا تتوقف عن الإلهام، اكتبي لي، لعل سطرًا واحدًا يصنع بهجته الخاصة في روح روجي.

لك القلب حتى ترضي، ولك الروح حتى تسعدي، ولك الشعر كله يا رب الشعر.
أحبك

السبت: 2019/9/21

صباحك الخير أيتها الناعمة مثل وردة،

لا أدري لماذا كل هذا الصمت، على كلٍّ، هذا ما اعتدت عليه، تضعين قواعد لعبة عبثية وما عليّ سوى الخضوع لقواعدها. ليس مهما جدا هذا. أخبرك أنني كنت في رام الله أمس للمشاركة في المؤتمر الرابع لعدا؛ حضرت الافتتاح واليوم الأول، وكان من المفترض أن أنام في أحضان جبل النجمة، مكان انعقاد المؤتمر، لم أستسغ النوم في المكان، ولا المشاركة في أعمال اليوم الثاني. كانت نقاشات اليوم الأول نقاشات عقيمة وسيئة، لا شيء مهم فيها، شد وجذب وصراعات وكولسات ومنافسات على عضوية اللجنة التنفيذية ومنصب الأمين العام للحزب على هامش اليوم الأول، ترك فيّ اليوم الأول كماً لا بأس به من الإحباط واليأس. أخبرت صديقي أنني لا أريد أن أبيت معهم. سيقضون الليل في المناقشات والكولسات. وأنا لا ناقة لي ولا بعير في كل ذلك. شعر رفيقي في الحزب وصديقي أنني ربما سأكون حملاً ثقيلاً وشيئاً زائداً، يصطحب معه أحد الرفقاء من منطقة طولكرم. لم أتعرف على اسمه وخلال الحديث عرفت أنه قريب الدكتور عبد الستار قاسم. يوصلاني إلى البيت، يصر عليّ الرفيق الكرعي أن أحضر اليوم من أجل المشاركة في الانتخاب؛ فهو مرشح وبحاجة لصوتي، قال: ضروري أن تأتي فنحن بحاجة لك. هو أراد أن يقول

أنك لست مهما كشخص وهذا طبيعي فهو لم يعرفني ولا حتى يهमे التعرف على اسمي كل ما يعنيه هو حضوري لانتخابه كونه مرشحا ليكون عضوا في اللجنة التنفيذية للحزب. موقف أعادني سبعا وعشرين سنة إلى الماضي حيث الجامعة وانتخاباتها واهتمام المرشحين والكتل الطلابية بك صوتا فقط. هي هي العقلية الحزبية المقيتة التي لن تتغير أبدا. ولذلك لا تتفاني بحدوث التغيير في المستقبل، لا القريب، ولا البعيد.

ما يهم هو أنني وصلت البيت، اغتسلت ورميت كل ذلك اليوم وراء ظهري. ولم أعد أفكر لا بالرفيق ولا بالمؤتمر ولا حتى بكل تلك المنظومة الهائلة من التفاهة السياسية والفكرية. لقد رحمني الله عندما خرجت من حزب التحرير، ولكنني لم أرحم نفسي عندما دخلت في حزب آخر، فأنا لا أتقن العمل الحزبي، ولا أجد جدوى منه، فما هو إلا عبث على عبث، ويرمي بنا في أغوار المجاهيل، ولن تفيد أحدا، لا وطننا ولا مواطننا.

ليس مهما كل ذلك. ولكن الأهم هو أنني خلدت إلى النوم باكرا، لم أشغل بشيء، على الرغم من أنني غدا مشارك بندوة في مقر محافظة نابلس لتقديم كتاب منجد صالح "ضاحية قرطاج" وكتاب لينة صفدي "دنان". لا أعرفهما حتى اللحظة، ولم أكن قد سمعت بهما قبل ذلك، ربما كانت الكاتبة يوما ما من ضمن قائمة أصدقاء الفيسبوك ولم أنتبه لها. أما منجد صالح فليس من أصدقائي حتما.

الأهم من ذلك أيضا أنني عندما خلدت إلى النوم تقضين الليلة بكاملها معي. نسير معا في مكان ما، يبدو المكان ريفيا هادئا، وجهك يشع بجماله، رائحتك الطيبة تغمر كياني، خدك يعرني بأن أطلب منك قبلة، قربت خدك عليّ وأنت صامتة وتبتسمين بخفة، أقبلك قبلة خفيفة.

مشهد آخر في هذه الليلة التي قضيتها برفقتي أو قضيتها برفقتك، لم يفارق نهدك يدي، يا له من كائن جميل! طير ناعم وشهيّ. ما زالت صورته حاضرة في كل وعيي الشقيّ وأنا أكتب لك عن هذا المشهد، ما زال حيا وحرارة نهدك وحجمه وحجم حلمته ما زالت قادرا على تبيانها وبقدرة فائقة.

لا أخفيك سرا أنني كنت باحثا عنك في الوجوه والأشخاص، مفتشا عنك بين الحضور في المؤتمر، ولكنك، لأنك لا تحبين الأحزاب والانتساب إليها، لم تكوني هناك، ولكنك كنت طوال الوقت في رأسي وفكري، وتلعب ملامحك في خيالي وحروف اسمك تتقاطر واحدا واحدا على لساني.

أصبحت في هذا النهار مشبعا بك وتعبئين ذاكرتي وتحتلين لغتي، ولم أجد بدا من الكتابة إليك. لا تمتعني من قبلي، ولا من أن نهدك كان بين يدي طوال الليل كما كنت طوال ذلك النهار المشؤوم معي. ولا شيء كان يخفف عني تفاهته سوى أنني على مسافة تكاد تكون صفرا منك.

أحبك!

الثلاثاء: 2019/11/19

سؤال

ما حاجتي لامرأةٍ لا تُريني صدرها العاري
ولم تلعبَ معي
ولم تُقْضِمِي التَّفاحَ بعد المغفرة
ولم تجعل من التَّهدين خمراً يصيب الرأس
بالفكرة المحرَّرة
ولم تغرقْ معي
وتغرقني
في مياه المحبرة؟
ما حاجتي لامرأةٍ لم تمدَّ لي يدها لتتنقذني
من جحيم الكفرة؟

الخميس: 2020/4/9¹

"نص منثور منتفض على نصك"

ما حاجتي لرجل
لا يوقد التنور في مضاربه
ليقيمني خبز
روحه العاشقة
لا يلاحق خيول قلبي
مطلقاً صهيلها
مفجراً سيول الشبق المنسي
وسط هذا القتام
ما حاجتي لعاشق

¹ على إثر هذه القصيدة التي ردت فيها على الرسالة بعد مضي عدة شهور كتبت نصاً "لقد آلمني أن حبيبي تسرقني القصيدة"، فاتهمتها فيه بالسرقة، فبعثت رسالة غاضبة، مثبتة في الرسائل اللاحقة.

لا يغريه الرمان المتفجر
على رخام صدري
ولا يلهو معي
لا يقضم التفاح المتورد شهوة
ولا يعصر عنب قُبله فوق شفتي الظامئتين
ما حاجتي لمن
لم يغرق معي
بين شفتي النهر ويغرقني
ما حاجتي لعاشق
لا يمد يده لينتشلني
من هذا الجحيم
الذي أحترق في أتونه
الآن

ف. ع

السبت، 2020/4/18¹

أنا سارقة نصوص يا فراس! كم من نص لي أفرغته في نصوصك وجعلته من سياقها؟ تحاسبني على محاكاة لنص لك بعثته لي وأنت تتمنى أن أردّ عليه. كم مرة طلبت أن أرد على ما ترسله لي وتمنيته. أقسم أنك تعي ذلك وتتلذذ في هذيانك وتصدقه. تنتظر ردودي لتجعل منها مادة تكتبها، وتعيش دور الكاتب المهم.

ستقرأ هذا بمرارة. أعلم ذلك وتتحرك فيك حمية العاشق الغر الذي تتلاعب فيه عشيقته، وتدرك أن هذا مادة غنية تغري متابعيك في قراءته، ألا بنس الكاتب أنت، وبنس القراء الذين يقتاتون على فتات حزنك.

ف. ع

¹ وضعتُ هذه الرسالة والرسالة القصيدة هنا وليس في مجموعة رسائل 2020، لأنها مرتبطة بالقصيدة وقصتها، وإن تأخرت بالرد عليها- كما هو مبين بين التاريخين- عدة أشهر.

الثلاثاء: 2019/12/3

من كل كياني مدين لك بهذا الفيض الحميم من الحب. حالي يا الغالية في تذبذب مستمر، لا أدري ماذا يحدث لي. اليوم كنت في أشد حالات اليأس وكره الكتابة وحتى نفسي كرهتها. لا أدري أي حالة أعيش فيها. أحيانا ترينني في قمة النشوة وأحيانا أرى نفسي تافها جدا، لا أدري أيضا كم بإمكانك احتمال تقلباتي المجنونة، لكنني أنا نفسي كرهت ذلك من نفسي. لا أخفيك أن رسالتك هذه أشعرتني جدا بالسعادة وارتفاع منسوب النشاط في دمي.

كوني دائما حيث يريد لك المجد أن تكوني.

2019/12/3

مساء الرضا

تسرنني دائما رسائلك وافتقدها، وإن كنت أتوقع التجني عليّ فيها دائما، فلا يخلو الأمر من إسقاطات نفسياتك المحببة عليّ، وأنا أحتمل ذلك. لا بأس ما دام هناك كتابة، ليس مهما أن تنشر هذه الرسائل، وأنا شخصيا لا أحبذ ذلك، فقط يهمني أن تكتب لي، وهذا وحده يملؤني غبطة، ستقول: إنني أنانية، حسنا ربما أكون كذلك معك.

ما تكتبه هذا وحده مهم وسيأتي اليوم الذي يرى النور ربما لأجيال أخرى لا تتبئس.

تتأثر كثيرا بما تقرأ، وهذا واضح جدا، وفي كتاباتك السابقة كما نوهت أنت نعم تركز على الإعاقة؛ كتابتك عنها يعني تقبلها والتعايش معها ظاهريا، لكنها تترك آثارها النفسية ربما، لأن هناك من هو في محيطك القريب جدا يذكرك بها ولا يتعامل معها بتقبل بالرغم القبول الظاهر اجتماعيا.

لا بأس فراس اكتب لي عن الإعاقة. اكتب عن أشد الأمور حساسية بالنسبة لك. اكتب عن العلاقة الحميمة كيف تكون. اكتب إذا كان ذلك يريحك.

ما زلت هناك حيث تريدني أن أكون فراس.

ف. ع

2019/12/3

وما زلت إلى الآن...

كفالك الله الشر والمرض أيتها الحبيبة،

يظن الناس بي خيرا وإني لشّرّ الناس إن لم تعف عني

أعزّي نفسي وأصبرها في هذا البيت لعليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه. فقد واجهت حقيقة أنني شر الناس فعلا في فترة مرضي الأخيرة. يوم من المرض الشديد منعي الأكل والشرب والقراءة

والكتابة والتواصل مع الأصدقاء والتفاعل مع منشوراتهم. ما أزعجني حقيقة ليس المرض بحد ذاته. فهي ليست المرة الأولى التي أمرض فيها مرضاً مؤلماً كهذا، مرضاً تشعر أن كلك في هزال، روحك قبل جسمك، وكل خلية فيه تتألم ألماً لا حدا له ولا يطاق. ما آلمني شعور أن الله قد تخلى عني ولم يعد يسمع دعائي ولا يلطف بحالتي، ولا ينظر إلي بعين الرحمة والرأفة، أنا العبد الفقير جدا إلى الله، هذا العبد الذي لمس حب الله له في أكثر من موقف في كل فترات حياته، منذ الطفولة وحتى الآن، كثيرة هي الأزمات التي مرت بي، صحية واجتماعية واقتصادية، ولكنني لم أكن لأضعف؛ لأنني كنت دائماً أحس أن الله معي ويرعاني.

هذه المرة شعرت أن الله تخلى عني فعلاً. يوم من العذاب الشديد وجع في كل جسمي من رأسي حيث الصداع الشديد إلى أخصص قدي حيث الألم والتعب. شعرت نفسي طفلاً شديد الاحتياج لأمه، وأمه تنظر إليه ولا تعيره اهتماماً. كان هذا شعوراً مؤلماً. فلم أُنح قدرة على الصبر وبكيت بكاء حارقاً مراً، ليس من المرض ولكن لأنني فقدت القدرة على المقاومة. ولماذا فقدت القدرة على المقاومة؟ لشعوري الحاد أن الله قد تخلى عني، ينظر إليّ متألماً ولا يستجيب لدعواي هنا بكيت وجأرت واستجرت وخفت خوفاً مضاعفاً، لا شيء سينفعك لو تخلى الله عنك، وكل شيء، حتى شربة الماء، سيصبح دواءً ناجعاً لو كان الله معك.

مرضتان متتابعتان لم ينفعني في الأولى منهما وكانت طويلة ما تناولته من دواء، والثانية استمرت 24 ساعة شديدة جداً كإعصار تضرب كلي وبلا توقف. فقدت كل مبررات العيش والمقاومة. يا له من إحساس أن تشعر أن الله ضدك أو أنه قد تخلى عنك، ينظر إليك ولا يشملك برحمته.

الأربعاء: 2019/12/4

لماذا القنوط من رحمة الله؟ هكذا هي الأمراض؛ اختبار وجلد ورحلة شاقة في الجسد. سلامتك ألف سلامة عليك، هكذا نحن عندما يستبد بنا المرض أو هن الخلق وأضعفهم، لكنها فترة يقاوم بها الجسم ما استطاع ويستعيد عافيته.

ف. ع

رسائل 2020

من حليبكِ تخلقُ ملايين الكائنات، وتتفتّح بضحكتك الأزهار، وتتشبع بشهوتك شهوة الإلهاتِ
والحوريّات

الأحد: 2020/3/15

شرعت اليوم بعد أن أنهيت المكالمة بكتابة رسالة. لم أكملها وحذفتها. شعرت أنه لا داعي للوعظ والإرشاد. أقول فقط يكفي أن نجد شخصا واحدا يحبنا في هذا العالم لنكون جديرين بالحياة، وأن نعيشها فهذا ما يعطينا أهمية وجودية لذاتنا.

لا تنسي أنك كنت في يوم ما صانعة الأمل في حياتي، فلا تجعليني ضعيفا. بل كوني قوية بي لأكون بك قويا، قويا بوجودك سعيدة في هذا العالم، قويا بقدرتنا معا على أن نتحدث ولو لدقائق معدودة تمنحنا طاقة عجيبة. قويا بهذا الشعور الجميل بالارتياح لهذا الحب القلق.

لا فلسفة زيادة بهذا. فعلا شعور بالارتياح تجاه هذا الحب القلق لكنه الذي لا ينقطع، كوني قوية لأظل أشعر بأهمية أن أبتسم عندما يمر طيفك نورا في مخيلتي ويتمحور جملة شعرية على رؤوس أصابعي.

أحبك.

الأحد: 2020/5/31

مساؤك شعشع كطراوة لحم جسمك، أما بعد:

لا أدري لماذا عدت إلى كتابة هذه الرسالة، وفي هذا الوقت بالذات.

لم أنتبه لرسالتك في الإيميل أمس التي تخبريني فيها بإمكانية الاتصال بعد عشر دقائق، رأيتها بعد أكثر من ساعة، يا لسوء حظي!

عتابك أمس على ما اتهمتك به من سرقة قصائدي، كان موجعا جدا بالنسبة إليّ، لأنني تذكرت تلك المشاعر التي انتابني وأنا أقرأ رسالتك في حينه، وتتعمدين إغاضتي، بل واحتقاري. نعم، لقد تعمدت احتقاري، هذا واضح تماما، لعلك كنت تنتصرين لنفسك فيها، بهذا القدر من الاحتقار، كأنني مجرد شيء تافه يمرّ في حياتك، عابّر، لا وزن لي، ولا قيمة ولا تقدير. أعرف أنك ربما تكابرين عندما لم تريدي الاقتناع بوجهة نظري، عندما شرحت قصدي بذلك المقال "السافل". لا يهمّ.

اليوم كان يوما مزعجا بامتياز، كل شيء فيه يؤشر إلى ذلك، أمس لم أنم جيدا، وفي الصباح لم أغتسل، ولم أفطر، كالمعتاد، خرجت من البيت صامتا متجهما، أفكر في أشياء كثيرة، ربما لم تفلح تلك الأدعية التي دعوتها قبل التوجه للعمل لأحافظ على هدوئي طوال اليوم، والأهم ألا تجرني حالتي النفسية التعيسة إلى مشكلة مع أحد الزملاء. ولعل تلك الأدعية قد نجحت، بالفعل كنت يائسا اليوم، في أقصى درجات اليأس. ماذا أفعل وأنا في هذه الحال؟ طوال الوقت وأنت تدقين رأس ذاكرتي. أفتش في رسائلك القديمة أقرأها واحدة واحدة، أتعثر بصورة شهية لك، يا إلهي، ما

أجمل تلك الصورة! أعرف متى أرسلتها إليّ بالضبط وما المناسبة. كانت بلا شك صورة، أدخلتني في الهستيريا من جديد، مشاعر لست أعرف وصفها، تأملتها كثيرا وكثيرا، كم تمنيت ساعتئذ أن أكون معك في تلك الصورة، في تلك الوضعية، وأغرق فيك، لالكلك، وأذوق طعم شفتيك ونهديك، وكل خلية من جسدك، كم تمنيتك هذا اليوم لي! هذا جعلني أكثر استفزازا واضطرابا وجنونا. ذهبنا إلى الحمام مرتين لأتخلص من جنون شهوة ركبتني، ولم أهدأ بعد، أريدك أكثر وأكثر من أي وقت مضى. مشاعر من الهوس أثقلتني بلا رحمة.

يا إلهي كم كان هذا اليوم صعبا! أصعب مما تتخيلين، لا أريد أن أعمل، الحياة تافهة، الجو مشحون، زملاء في واد وأنا في واد آخر. أزعجتني اليوم وجدا وبلا توقف أحاديث زملاء، كانت أصواتهم مرتفعة، ربما هم هكذا، ومعتادون على هذا، ولكنني أحسست أن أصواتهم تفجّر رأسي، احتججت عليهم، ولكن لا فائدة. الزملاء بلا عمل، وخالي البال، ووحدني من يسكن في لهيب من شوق ومن جنون، ومن شهوة لا تريد أن تكفّ عن أن تضربني في عمق أعصابي. صورتك تلك بقيت قابضة كرؤيا الأفق أمامي، وأنا أرجو كل الرجاء أن تكون لي ومعني في تلك اللحظة القاهرة.

انتظرت رسائلك اليوم خلال الدوام، ولكن أبي البريد الإلكتروني أن يوصل منك ولو حرفا واحدا، كنت مشتاقا لقراءة ردّي على ما بعثته من أسطر تعليقا على صورة أكلتني وحرقتني وتركتني رمادا. يا لك من مجنونة عندما أحببتني، ويا لتعاستي عندما أحببتك. يبدو لا شيء يمكن أن يجعلني أتخلص منك إلا بك! يا ليت لي قدرة على خطفك والذهاب بك بعيدا لتكوني إلهتي وأنا كل عالمك الهائم فيك عشقا، العابد لجمالك المتمتع بصناعة شهوة لا تنتهي ولا أريد لها أن تنتهي!

أرأيت كل هذا العذاب الذي تأججت نيرانه في هذا اليوم البائس حقا؟ يا ليتك تدركين مدى اشتياقي لك وحاجتي لتكوني لي وحدي في عالم يعجّ بك وحدك. فهلا أتيت؟

طراوة لحمك التي شعرت بها تملكني في الصورة لن تفارق مخيلتي وبياض جسمك المشع مع ذلك الرداء الأحمر زادني شغفا وجنونا لالتهامك رويدا رويدا، كلك الآن هنا، وما زال يفعل بي فعله، يلتهمني حتى الرمق الأخير.

أيتها البعيدة البعيدة عن متناولي، تقربي إليّ وكونيني ولو ساعة من عمري المحروق بانتظار الاغتسال بين يديك من كل أرجاسي، لتطهر كل ذاكرتي... فتعال لي شبع منك كلي!

الخميس: 2020/7/30

صباحك فلّ وأرجو أن تكوني متفائلة، أما أنا فلا تسألني عن حالتي، فهي تغوص عميقا في مهاوي التشاؤم المفضي لليأس الرهيب، لا أدري لماذا؟ ولكنها هي حالتي التي امتنعت بكل أدران النفس التي تفاعلت مع نفس لم تعرف سوى الظلام والقهر والعوج والبلاء من لدن الطفولة حتى الآن.

هل مررت بيوم سعيد؟ أكذب عليك لو قلت لك لا، وأكذب عليك أيضا لو قلت لك نعم، لا أدري هل كانت تلك الأيام القليلة في حياتي أياما سعيدة، أم كانت مجرد طيف عانقني ظلّه وغاب؟

كلّ يوم يمرّ، وتبزغ فيه الشمس، وتتدرج في مدارج سمائها، من لدن الشروق الجميل وحتى المغيب والأصيل، لا أدري كم حلما حلمت؟ وكم وردة ياسمين زرعت؟ وكم وردة من خيالات الروح شممت في غفوة من غفوات الروح؟ أصحو وإذا بالشروق يمر كما يمر الغروب، ويأتي الليل بالهواجس ماجنا ماكرا لعينا قاسيا، يلفني بمحاذيره وخواطره وأخطاره، أنكور على نفسي خائفا من نفسي، وأكظم في الحنايا تقهقر أمنيات، كنت أظنها بين يديّ، وإذا بها لا شيء.

كل كتابة كتبتها، كنت أحاول فيها صناعة أمل ما، حملت الأفكار بحمل كاذب، فولد الأمل الميت، ألفت جثته ببقايا روح مقتولة، ليدفنا سوية في قبر من الجنون في حياة لا ترحم، وأيام لا يستقيم لها شأن، هكذا مضت سبعٌ وأربعون سنة من هذه الحياة الفانية، التي أراها تهول نحو نهاية اقترت، وإن لم تقترب، يكفيها أن الحياة ببؤسها وجحيم سطوتها قد نالت مني فتركتني كما تقرئني الآن من لغتي، حطاما تذروني الرياح في يوم عاصف، أينما أتوجه لا آتي بخير.

عفت الرسوم وجهي المقيت، وغدوت اسما من أربعة حروف لن تحيا ولو سقيت بمياه فرات، هكذا وصلت إلى المحطة الأخيرة، وأنا مجموعة عظام في ثياب تستر عورة الجسد، وتكشف للريح عورات الروح.

فيا لله ما أطيب الموت لو كان سيد الحضور الآن!

الخميس: 2020/12/3

أسعدت حبا أيتها الإلهة الوثنيّة الحرّة:

هكذا فاضت اللغة على نحو مفاجئ لتكتب غوايتها بين أصابعي، وقد عشت معك وبك وفيكِ وعليكِ ليلة طافحة باللذّة، يغمرنى جسدك بعريه النقيّ الشفاف. عليّ أن أخبركِ بما كان من هذه الليلة الممتدّة، جسداً يغرق في الوقت بلا حدّ، فإذا مشيت تحرك الحجر، وانتصبت أغصان الشجر، وأنصبت العصافير لوشوشات رائحتك، وتمتّى الكون أن يكون لها وفيها، على صدركِ تسكن آلاف الرغبات، وفي وردتك تحيا آلاف الأمنيات، ومن حليبكِ تخلق ملايين الكائنات، وتتفتح بضحكتك الأزهار، وتتشبع بشهوتك شهوة الإلهات والهوريات. يا لكِ من امرأة بحر لذّة لا ينتهي وبركان شهوة لا عاصم منه إلا به، كلما اقتربت أكثر متّ بجلال أشدّ، وكلما ابتعدت عشتُ بجنون بلا حدود لمسافاته، قاتلة في الحالتين، ووحدني قتيلكِ بين تأوهين.

أتخابلكِ في فضائي فراشة، وفي فراشي صرخة استغاثة، وفي القصيدة عصارة ماء، آية على وجه قمر، أغنية على ثغر شمس، ووشم على نهديّ تبتلّ وانتصب، متّسعة كانبساط السهل، عالية كجبل، بعيدة كمغارة الراهب، قريبة كالهواء، سهلة كامتداد الأصابع، صعبة كارتداء المعاطف. تنفجر شهوتك كبركان وتهجمْ نشوتك كعاصفة، ثمّ تهدئين مثل لحن كمان!

تراوديني عن فمي المعطوب بالقبلة المشبعة المحتمدة، وتتأبين عليّ في مساء مفخّخ باشتياق رؤيتك عارية كقطعة ماس مبتلّة بماء الشّهوة الحارقة. فيا لله كم أشتاق رائحة فرجك. حلمت بك

كثيراً، وتصورتكِ فيّ طويلاً، تحسّست جسمك كلّه، ردفك العالين بمهابتيه الفخمتين، صدرك الفاره كصحن كنيسة عالية، نهديك المنتبهين المنتبهين بحلمتين مولهتين، متنك الممتدّ، بطنك وسُرّتك، وردتك المبلّلة، باطن فخديك المكتنزين، ساقيك، نعومة ملمسك الطريّ، كلّ شيء فيك له انتفاضته الخاصّة في دمي، شعرت بدفء أعضائك، بطعمك المتعالى عن الوصف، كان يجب عليك ألا تغادريني، وأن تبقي معي، وأن تتركي ماءك يبّلل كلّ أعضائي، ويفيض في فمي، عَطِشُ أنا، فارويني بكأسك التي تفور، وبلدّتك التي تنور، امرأة طازجة وممتعة، لكنك أنت المرأة المؤلمة المجنونة، تضربين الأعصاب، وتغادرين المكان، لتتركي النار تنهشي والشوق يأكلني، ولا أدري كيف يمكن أن أستجمع نفسي وقد أصابها إعصارك هذا على نحو مهووس ومدمّر. بل كيف لي أن أرمّم نفسي بعد هذا العطب؟ وكيف سأعود أخضر ناضراً وأنا يتصاعد مّي دخان احتراقي بك؟

تراوديني اللحظة عن كلّ لحظة أخرى، كأنك وقت للانتظار، تستولدين الشوق بعداب عنيف الموج. أينك أيتها اللذة؛ لأقول لك بسذاجة الأطفال ووعي الدماء وبلاغة الشعراء وانتفاضة اللغة "أحبّك"؟ فتعالني لنصنع شيئاً من هدوءٍ، ونحن نطفئ لهيب الشهوة في جسدنا المحترقين في نيران الانتظار. يكفيني ما حلمته بك، فالأحلام خائنة، ونهاياتها قاسية دائماً، فتعالني نصف عارية؛ لأكمل زيني بلباس جسمك المشتهى أيتها الدواة التي تفيض نشوة وسعادة. تعالني لتكتمل الحياة، ولأرى منها وجهاً جميلاً بعد كلّ هذا الشقاء الذي أنا فيه.

باننتظارك لتشبع من جسدنا وروحينا اللذة الكاملة.

الأربعاء: 2021-1-6

كم من المومسات كتبتَ لهن مثل هذا؟ لقد قرأت "نسوة في المدينة" للمرة الرابعة، لأتجاوز الصدمة والقرف وأقرأ بجديدية. ليتني أستطيع أن أزيح ما علق في مخيلتي وأنا أراك متسماً أمام نوافذ الدردشات محملاً بكل ما يعرضه عليك من أجسادهن وكل ما يكتبه استداراً لمائك وإشباعاً لرغبات رخيصة، وطمعاً بأن يقمن ربما باستغلالك. هل تعتقد أنني أستطيع أن أتجاوز هذا؟ لقد دلقته في وجهي كماء النار شوهدت كل ما أراه. فأطفئت ناظريّ عن كل جميل منك. لتتل المجد الذي تتوق إليه وتذهب المشاعر الجميلة إلى الجحيم واهناً بعقلك الخرب.

إذا كنت تنوي إرسال ما كتبتَه للنشر وهذا واضح من تحريك له أرجو أن تفكر بأنك تهدم بيتي وأسرّتي. هناك من قرأ الكتاب كاملاً وأصبح متأكداً أنني المقصودة بالباب الثاني كما كثير من أصدقائنا. ما الذي تريده يا فراس؟ ها أنت تشوه وتقضي على أجمل ما جمعنا بطهارته وإن كنت تحملني وزر شططك وتماديك. سنتحدث عندما نلتقي وأرجو أن يكون لقائنا في مكان يسمح لي بالصراخ لديّ الكثير لأقوله.

ما كتبتَه لم أكن أنوي إرساله بأي حال، كنت أفرغ شحنة غضبي في بريدي الخاص بعد كل رسالة تصلني من رسائلك، ولكنها إرادة الله أن تأتيك، هي مرسله لي، إن لاحظت ذلك، وعندما أرسلت

لك رسالتي الأخيرة لأقول لك إنه لا يمكنني التعليق على مقال (...). بعد أن أشرت إليّ على مقالها كما يبدو أيضاً أرسلتها لنفسني؛ لأن الرسالة الغضبي كانت في مسودة الرسائل وأعدت تحويلها، ولم أدرك أن المسودة في صندوق الخاص ستكون ظاهرة لك.

على أي حال كان لا بد أن تتوقع أكثر من ذلك مني وبكثير، ولن تستوعب ما فعلته وما زلت تفعله بجنونك، ولا أدري إلى أي هاوية ستقودنا معا. يبدو أنك تعد ردك هذا للنشر، وبذلك تكون قصمت ظهر البعير، ولم تُبق لي شيئاً لأقوله.

ف. ع

2021-1-6

من يذهب إلى حبيبه معترفا بأخطائه يجب ألا يقابل بهذه القسوة. كنت واضحا وأخبرت كل شيء مع أن هذه النتيجة متوقعة، لكنني لم أكن أتخيل أن تكون بهذا الحجم من النكران.

على أي حال من فتح لي باب هذا الشذوذ أنت. لا تسأليني كيف، فقد حرقني حرقا من الليلة الأولى لتعارفنا، حرقني بتلك الصور المجنونة التي أرسلتها تباعا، صورة وراء صورة، ولكنك كنت تغييبين فأشتاق، ولم تكوني لي، لقد ابتعدت عني كثيرا بعد أن صحت كل عظامي، وهربت كل لحمي، وشربت دماي، واستنزفت أمام الشاشة الزرقاء كل مائي، واستنفدت قوتي وطاقتي، والآن أنا أعيش العلاقة بأسوأ ما يكون الإنسان الخرب.

الخراب هذا، أنت من فعله والله، وكنت أحاول أن أنسك على أجساد أولئك النسوة اللواتي لم أحب منهن أي واحدة، ومن قرأ الكتاب أدرك ذلك. أحد أصدقائي من الكتّاب قرأ الكتاب ولاحظ أثر امرأة الفصل الثاني إلى درجة أنه قال: "لو محلك كنت قتلتها". كنت قاسية معي وأنا أطارد طيفك لعلي أظفر بشيء من حضورك، فلم تكوني تستجيبني لكل تلك التوسلات. ما حيلة المجنون أن يصنع بعدها وقد أفقدته عقله؟ أنا هنا لا أبرر ولكنني أشرح ما كان فقط، ولست أستعطفك أيضا، فلا أمل في أن تكوني الحبيبة التي طمحت أن تكونيها يوما ما. ولكنها هذه هي حالي في الكتاب: "جئتك نظيفاً شفافاً عارياً فلا تتركيني يقتلني الجنون ويقضي على آخر ما تبقى من عقلي الخرب"، أو هكذا حاولت أن أقول.

على طول تلك العلاقة التي جمعتنا لم تكوني كما يجب أن تكون الحبيبة، فأنا لم أظفر منك بلمسة ولا بقبلة ولا حتى بجملة حب حقيقية، كنت دائما مراوغة. لم تكوني تتذكريني إلا في واحد من أمرين إما أنك غير مشغولة وتريدين أن تقطعي الوقت، وإما لأنك محتاجة لشيء ما. لم تكوني تتذكريني كحبيب يجب أن تكوني معه وله.

كنت أحلم أن تطوقيني بذراعيك الأبيضين الناعمين الطريين، كنت مشتاقا أن تضميني لصدرك فتدفئي حرارة نهديك، كنت أتشوق لتلك اللحظة التي تجعليني فيها فيك متوحدا واحدا لتأخذيني

إلى جنتك. عشت ما عشته من هذه السنوات التي قطعتها منتظرا بلهفة كل ذلك وبعدها تتحدثين عن الخراب؟

كل ما دلقته من ماء أمام الشاشة كان بسبب تلاعبك بي، وكل ما قضيتته من وقت مع أولئك النساء كان من أجل أن أقتلك في داخلي، لكنهن لم يستطعن فعل ذلك، ولا أنا استطعت أن أتخلص من ذلك. هذا هو الخراب الفعلي الذي تركتني فيه، عريتني تماما وتركتني بعدها تضربني الأعاصير ويأكلني البرد وتزدردني العزلة وتتفرد بي الوحشة. معك حق أنا إنسان خرب وذو عقل خرب.

لا مجد لي خارج حبك ووحذك من يعلم هذا، أرجو أن تتجاوزي ذلك بأقل ما يمكن من عاطفة، أحببتك وأحبك وسأظل أحبك ويشهد الله على ذلك. احتويني لآخر ما استطعت فإنني لست ملاكا، أو تركيني ولا تحفلي بي واركيني أرمم نفسي وحدي لعلي أعيش بأقل الخسائر أو متصالحا مع نفسي ومع خسائري. فقط توقعي فجأة هذا السيناريو أن تنهضي من نومك في الصباح وتفتشي عني ولم تجدي لي أثرا. هل هذا سيثلج خاطرك ويريحك؟ سأفعلها يوما إن نفذت طاقتي ولم أستطع الاستمرار في المقاومة والعيش على الأمل، على الحب، مع هذه الخدعة التي عشتها سنوات وسنوات، وخرجت منها عاريا جائعا بشعا جشعا شبعا لا عقل لي. كنت راضيا دائما على مضمض بعلاقة "البين بين"، ولكنك لم تكوني ترضين بأي شيء. كنت حبيبة محتملة، ويبدو أنك أصبحت امرأة لا علاقة لها بكل ذلك الجنون الذي غيرني وخرب عقلي.

لست حزينا على شيء إلا لأنني أنفقت الكثير من الوقت في معايشة الوهم. وأشهد أنه كان وهما شديد الوطأة قاتلا ولا سبيل لمعالجة آثاره. أتمنى أن يأتي ذلك اليوم الذي أتطهر فيه من كل هذا الحزن وهذا الخراب اللذين يأكلان كل دقيقة من وقتي ويعتاشان على كل قطرة من دمائي التي أفسدها هذا الحب العقيم الذي لا يرحم.

ف. ح

رسائل 2021

لا تضحكي عليّ بسبب هذه الثقة أو هذا الغرور. فأنا أظن أنني جدير بك وبقراءتك لي

السبت: 2021/1/30

صباحك حب

لم أسمع صوتك أمس، ولم تردي على الرسائل هنا. لا بأس لكنك الباقية التي لا تذهب، والحاضرة التي لا تغيب. لا تتجيري في أكثر من اللازم؛ لأذني عندئذ سأموت قهرا. كنت معي الليلة بكامل جنونك (كيف يكتشف عاشق أنه يعشق حبيبته بكل ما في الأرض من حب ومن قوة).

أحبك حبيبة عمري وشهيتي التي لا تموت، وأغنيتي التي لا تكف عن الغناء، ولغتي التي لا تنضب، وفكرتي التي تتعملق يوميا لتصبغي أسطورتها العصبية على الاحتواء والتفسير.

السبت: 2021/2/6

أسعدت صباحا أيتها الغانية المغتنية الحلوة الشهية الجامحة

أحب أن أحدثك عن الحب في شهر الحب، هل علي أن أقول لك إنني اشتقت إليك جداً، وأكثر من أي وقت مضى، بي رغبة كبرى لاحتضانك والالتحام بك حتى آخر أحشائك، والتمتع بكريستال جسدك البلوري. أمس وكالعادة تصادفني إحدى صورك في "ذكريات الفيسبوك"، يا لهذا الجسم كم تشغلني تفاصيله، يبدو فخذاك شهيتين، أسترجع ما أعرفه من لونهما الوردي منذ رأيتهما أول مرة قبل سنوات، يا لهذه الشهوة التي تتلبسني كلما سمعت صوتك، أو رأيت صورتك، فما بالك إن رأيتك وجها لوجه؟ إن في داخلي بركانا بالكاد أمنعه من الانفجار كلما التقينا. يا لله كم أحبك أيتها الشهية. لعلك تدرين الآن سبب وجعي عقب كل لقاء، نفترق فيه، ليذهب كل واحد منا في طريق لينام في حضن شخص آخر. كم هو مؤلم أن أتركك تذهبين فأعود أجراً أذبال الفشل والانكسار والهزيمة. أشعر بالعبث وقد اجتاح كل دقائق روحي.

لا شك في أنني افتقدتك أمس، وامتنع علي النوم، فقلقت قلقتا شديداً، أحاول أن أراك، وأنا سابح في العتمة، تمتد يدي نحو الهاتف المحمول، أكتب لك رسالة عاجلة، محاولاً أن أجعلك تتحدثين معي ولكن دون فائدة، لا أستطيع النوم، لا شيء في يدي يريد أن ينام، أحاول مرارا ذلك، ولكن دون جدوى.

على أي حال لقد نمت متأخرا جداً، وصحوت باكرا جداً أيضاً، كأنني لم أنم إلا ساعتين أو ثلاث على أبعد تقدير، وليس معي في الحالتين أحد سواك، أفكر فيك طوال الوقت في هذه الأيام، لا أدري لماذا، أشعر في داخلي بالفقدان، أخشى من فقدانك بالبعد عني، هذه خشية حقيقية منذ مدة وهي تجتاحني بآلمها. لا أدري لماذا، هاجس من القلق الشديد يفتت رأسي.

الأسبوع الماضي راجعت الطبيب كما أخبرتك، ما زالت حالتي كما هي، أعاني من فيروس في الدم، لا أدري ما السبب، يمنعني من النوم، حكة في جسدي كله من قديمي حتى كامل جسمي، كلما حككت جسدي زاد اشتعالاً، لقد بكيت بالفعل من سوء هذه الحالة، لا أستطيع الاستقرار بسبب ذلك،

أظل مشغولاً بنفسى يحكى جلدي، إنه أمر مزعج، في العمل، وفي البيت وفي كل لحظة. لم يفلح الدواء بإنهاء هذه الحالة إلا بالتسكين الذي قد يستمر أحياناً ساعات، لكنه يعود لمرادتي مرة أخرى. أعتقد أنه لا داعي للقلق، فقد أخبرني الطبيب أن هذه الحالة غير خطيرة.

سأترك أمر المرض جانباً وأعود لأحدثك عن الحب والكتابة والشعر، هل وصلك مقال الكاتبة صفاء أبو خضرة عن كتاب "نسوة في المدينة"؟ فقد أرسلته إليك في البريد الإلكتروني، ولم أقرأ لك رداً عليه. أتمنى أن أقرأ شيئاً من ذلك أو أسمع رأيك عندما تحدثيني صوتياً إن كان هناك مجال لذلك اليوم. أعرف أنك مشغولة طوال الوقت، وثمة ظروف قد تمنعك من الحديث، ولكن اجعلي لي ولو خمس دقائق. أظن أنني أستحق. لا تضحكي عليّ بسبب هذه الثقة أو هذا الغرور. فأنا أظن أنني جدير بك وبقراءتك لي.

أنهيت أمس أيضاً بناء ديواني الجديد "وشيء من سرد قليل"، بعثته لبعض الأصدقاء لقراءته، ربما أعطوني بعض الملاحظات، أستعد لنشره، ربما يكون ذلك قريباً، جاء الديوان في (180) صفحة عادية (صفحة A4)، ستتجاوز عدد صفحاته ربما بعد "المنتجة" الممتين. إنه ديوان حب في المجمل، لفت انتباهي فيه قصيدة "الحب في شهر فبراير"، قصيدة كتبها العام الماضي (فبراير 2020) ونشرتها في (2020/3/2)، ولكن ليس على نطاق واسع، استحضرت فيها بعض قصص شباط وعلاقة الرغبة الجنسية للقطط فيه. أحببت أن تكوني قطتي ولكن ليس في فبراير وحده. كم أتمنى أن أذوق طعم لذتك ونشوة شهوتك، ولكنك ما زلت تتمنعين وترفضين. في القصيدة أيضاً انتباه للزمن فقد قلت القصيدة في سنة كبيسة، يكون فيها شهر فبراير 29 يوماً، راجعت التقويم، واكتشفت أنك أيضاً ولدت في سنة كبيسة، يا لهذه الصدفة الرائعة. وفي الديوان قصائد كثيرة تتحدث عنك وعن تفاصيل شخصية جداً.

في عيد الحب القادم بعد ثمانية أيام تحديداً، ثمة مفاجأة سأقدمها لك، متمنياً ألا تخذلني الظروف فلا أتمكن من صناعة هذا الطقس الاحتفالي بك، فيا ليتها تكون الفرصة مواتية، فتغدقين عليّ بالقبل، وتضميني إلى حضنك الدافئ، وتشبعني ثمارك الناضجة من أخمص قدميك حتى أعالي النهدي.

بقي أن أقول لك إنني اليوم سأكون ضمن ندوة "أسرى يكتبون" النصف شهرية التي ترعاها رابطة الكتاب الأردنيين، سأقدم عبر تطبيق (زووم) المداخلة الرئيسية في أدب الأسير باسم خندقجي، مركزاً على روايته المهمة "مسك الكفاية- سيرة سيدة الظلال الحرة"، أأمل أن تشاركينا ولو من بعيد البعيد هذا اللقاء.

متشوق لرؤيتك، فإلى لقاء قريب راجياً ألا تكوني معي بخيلة، فقلبي ذاب من طول انتظار هطول مائك الذي أأمل أن يغسل هذا الوجد المركب.

أحبك حتى النهاية، المشتاق إليه بلهفة.

صباحك الخير والحب والرضا.

أخجل وأنا أكتب، وسأكون أشد خجلاً وبؤساً وسوءاً إن لم أكتب، لم أكن أتوقع أن يكون للكتاب¹ كل هذا الأثر السيئ. على ما يبدو ينطبق عليّ مثل "اجي يكحلها عماها". كأن الحب يفقدنا الصواب أحياناً. كيف ينقلب الموقف رأساً على عقب؟ قاومت بكل الطرق ليكون الكتاب جاهزاً قبل الموعد، وإذا به يشعل النار في القلب والعقل، فتتبخر المفاجأة ويصبح الكتاب ليس "هديتك الرائعة" كما قلتِ وشكرتني عليها، بل هو الدمار الذي سيدمر حياتك.

هل عليّ أن أعتذر؟ وكيف؟ وهل سيجدي الاعتذار والاعتراف بسوء ما فعلت؟ غضبك لا شك أفقدني متعة الهدية، والفرح بإنجازها في وقتها، كما أفقدني متعة هذا اليوم، يوم ميلادك، أخجل جداً من كل شيء، من اللغة، ومن نفسي، ومنك. لا تظني بي شراً، أعرف وأعترف أنني كنت متسرعاً، ولكنني لم أك تافهاً أو أحمقاً كما قد تظنين أو تطلقين أحكامك القاسية عليّ.

هل ستسامحين عاشقاً أعمى يخبط في تيه السنوات على غير هدى؟ الأمر لك. كل عام وأنت الحب والجمال، ولكن لا يحسن أن ينتهي هذا اليوم ولا تتحدثين معي. ها هو قد انتهى وأنت غاضبة أشد الغضب، ولم تمنحيني فرصة للحديث لأقول لك كما أفعل دوماً:

تـيـهـي صـبـاً وتـألـقي
سـحـراً وعطـراً أشـرقـي
أنت الهوى من فجره
مخلوقة كي تعشـقي

زاد العمر سنة ولكن الحب كل لحظة يقطع آلاف اللحظات شوقاً وحباً ومنى، سأظل مناضلاً، ولن أضعف، وإن دفعني الموقف كله لإعادة التفكير بالهزيمة النهائية، وإخلاء الساحة، فكتبت: "لقد هزمت، وعليّ إلقاء السلاح، والخلود إلى الصمت". لكنني كما في كل مرة أيضاً لم أستطع. أستحضرك في الرسائل لأكتب لك مرة ثانية وثالثة بغير انقطاع عسانا نتجاوز هذه العقبة التي صارت كأداء متعبة.

الأحد: 2021/3/28

أسعدت أوقاتنا وزادك الله بهجة وعلماً وتألّقاً. أما بعد،

في واقع الأمر عندما أرى أي امرأة أشتاق إليك جداً، أشعر برغبة شديدة لأراك، أحاول أن أركب هياتك على صورتها. إنها مجرد طيف قادم حامل لكينونتك.

¹ المقصود كتاب "أسعدت صباحاً يا سيدتي- الإصحاح الأول لحرف الفاء"، دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، 2021، وكنت أصدرته ليكون هديتي لهذه الشاعرة في عيد الحب (2021/2/14) ولم ترض عما جاء فيه، فحدثت القطيعة التامة بيننا بسببه، ولم نلتق بعدها إلا قليلاً، وكانت لقاءات عامة من خلال الندوات واللقاءات الأدبية.

في البرد تحضر صورتك أوضح، هل من تفسير لهذا التخيل اللامنطقي؟ أشعر في هذه الأيام أنني شديد الاحتياج لتكوني معي، تتحدثين طوال الوقت عن الوقت، عن الفراغ، عن غلاء الأسعار، عن العمل، عن الجائحة المجنونة، عن المسؤولين الفاسدين، عن كل شيء قد يمر في حياتك. عن تحضيرك للطعام وسلق الحمص وإعداد وجبة الفطور والغداء والعشاء، عن إعداد الدروس الإلكترونية، عن مشاكل العالم، عن الحب، وعن تفكير الناس ومشاكلهم الفكرية غير المتوازنة.

هل ضقت ذرعا بهذه الظروف الحالية؟ أنا مستمتع بها جدا، الوقت صار يمنحني ساعتين إضافيتين. لا أدري كيف يحدث ذلك، وإنما صرت أنام في وقت متأخر أكثر قليلا وأصبحو أبكر ساعة، وأعود من العمل قبل ساعة. لا شك في أن الوقت هو هو؛ أربع وعشرون ساعة، إلا أن التوقيت الصيبي يمنحني ساعات أكثر من قبل، أشعر أن الوقت يتمدد فيتسع كل شيء فيه. إنه اختراع عبقرى للتحايل على الوقت لزيادته ولو بالخدعة.

لا أخفيك أن التعليم عن بعد يستهلك نهاري كله، من الساعة الثامنة صباحا وحتى الثانية بعد الظهر. الكل مشغول بالإنترنت، البيت مليء بأصوات المعلمين والمعلمات والطلاب، كانت المدرسة في مكان واحد يأتي إليها الآخرون زاحفين. الآن تبدلت الأوضاع؛ في كل بيت خليط من المدارس والطلاب والمعلمين، يحتل كل واحد منا غرفة، تتحول إلى مدرسة وليست مجرد غرفة دردشة. خليط من الفوضى. لكن التعليم يمضي. هل من جدوى لذلك على الطلاب عموما، أظن أننا نفتقد للحس الأخلاقي ليكون التعليم ذا جدوى في ظل هذه الظروف. أردد دائما هذه العبارة: "هذا وقت اختبار للضمير الإنساني". ما أسهل أن تكيف الظروف لصالح التفلت من النظام! ولكن استفت قلبك. لا أحد يعلم الحقيقة إلا أنت.

فئة قليلة من المعلمين يحاولون صنع ظرف جيد للتعليم كما تفعلين أنت، معجب جدا بتجربتك في التعليم على أية حال قبل كورونا وخلال كورونا. أنت بالفعل مبدعة استثنائية. أسر سرورا بالغا عندما تحدثيني عن إنجازاتك التعليمية في تعليم التلاميذ وإتقانهم للمهارات في وقت قياسي. أمازحك لأكون لك تلميذا. أنا لم أكن أمزح أنا أريد أن أتعلم كيف يجب أن يعلم المعلمون عن بعد باستخدام الإنترنت. لا شك في أنني أبني خبرة ما خلال علاقتي الافتراضية مع المعلمين، ولكنها خبرة عن بعد أيضا فلم أجرب التعليم عن بعد إلا بالإشراف عليه، أحاول أن أبني أفكارا أكثر عملية عن هذا النوع من التعليم بتفكيك المشاهد والمواقف التعليمية.

ستكون الخبرة ناقصة بالتأكيد لأنني لم أجرب بنفسي التعليم الإلكتروني. أحاول أحيانا أن أناقش التلاميذ وأشرح لهم جانبا من الحصص عندما يغيب المعلم لظرف طارئ، أقلدك على أية حال، ولكن كيف أقلدك وأنت تعدين للحصص إعدادا جيدا بوسائل جيدة وأنا أرتجل المواقف وأدفع بالعجلة لأن تسير ولو ببطء من أجل أن ينتهي الوقت. علي الاعتراف أن الأمر ليس سهلا إطلاقاً. بعض المعلمين ينجح في بناء خبرة عملية جيدة في التعلم والتعليم الإلكترونيين.

عندما أصغي إليك وأنت تتحدثين عن تقنياتك في التعليم الإلكتروني، وتركيزك على الإيجابيات، أتمنى أن تعقد وزارة التربية عندما مؤتمرا لمناقشة التعليم عن بعد، وتركز فقط على الجوانب

الإيجابية وتنسى نظرتها التقليدية في عمل الندوات فتضطر مثلاً إلى ذكر السلبيات والعقبات مع الإيجابيات، بل إنني أرى أنه يحظر التطرق في هذا المؤتمر إلى أي موضوع يناقش السلبيات. وعلى المتحدثين تجنب ذكر هذه الألفاظ. فقط عليهم أن يتحدثوا بروح مفعمة بالطاقة الإيجابية ويتغنوا بالتجارب الناجحة والمشجعة. عليهم أن يتجنبوا ذرائع سلبية تعزز الشعور بالكسل والتواني. عليهم أن يتعلموا من تجربتك الشيء الكثير. لا تحسبي أنني أبالغ في هذا التحليل لأنني أراك بعين قلبي، بل أحسب أن قلبي هو الذي هداني السبيل لأرى كل ذلك منك، فأحاول إشاعته لعلنا نستفيد منه ونبني عليه، وصولاً إلى نموذج قريب من المثالية.

أعتقد أنه يجب عليّ أن أنهي هذه الثثرة، لأن في إطالة أمدّها إضاعة للوقت. وما أحوجنا ألا يضيع الوقت خصوصاً في هذه الظروف العصيبة من عمر العالم! دمت بخير وود وجمال.

المشتاق لنغمة صوتك.

السبت: 2021/4/17

أسعدت صباحاً وحبّاً، وكل عام وأنت بخير. شهر صيام مبارك.

اليوم هو يوم الأسير الفلسطيني، وعليّ الذهاب مبكراً للمشاركة في الفعاليات الرسمية وغير الرسمية التي ستقام في الخليل. كان من المفترض أن ترافقني في الرحلة زميلة من نابلس، يبدو أنها لم تكن جاهزة. هاتفتها صباحاً في حدود الساعة الثامنة، لم يطل وقت رنين الهاتف ما يعني أنها لم تكن نائمة، صوتها على الجانب الآخر يؤكد أنها كانت صاحية، وصوتها بكامل رنينه المشعّ. هذا يعني أنني سأذهب بمفردتي. اتفقنا أن تأتي لتحضر الفعالية الرسمية المقامة بعد صلاة المغرب والإفطار الجماعي، سأنام في الخليل، وكذلك زميلتي إن حضرت ستنام هي أيضاً. في رحلة القفول صباح الأحد سنكون سوية، سأعود بسيارتها، أمل أن تحضر. غالباً، النساء لا يعول على وعودهنّ. ليس النساء فقط، كذلك الرجال. أعرف أنك ستعترضين وبشدة.

الليلة الماضية لم أتم مطلقاً، كنت قلقاً جداً، لا أدري، هل هو القلق المعتاد الذي يصاحبني عشية كل لقاء أدبي. في العادة أتوتر، أظل على أعصابي، عقلي لا يكف عن التفكير بما سأقوله، حينما يأتي دوري للحديث.

على العموم، كم أتمنى لو كنت معي، لكنك رأيتك. أتدري أن لنا شهرين ويومين لم نتحدث. تذكرت للتو فيروز وهي تغني. اليوم سيكون متعباً وشاقاً وطويلاً. سأرافق صديقي القادم من حيفا المحامي حسن عبادي في هذه الفعاليات، أولاً في لقاء تلفزيوني خاص بالأسرى تبثه قناة تلفزيونية محلية في مدينة الخليل، سيكون اللقاء ما بين الواحدة ظهراً وحتى الثالثة، سأكون في مقر التلفزيون إن شاء الله في هذا الموعد. ثم جولة في مدينة الخليل القديمة. لا أدري من سيصحبنا في هذه الجولة. فأنا لا أعرف الخليل جيداً، شوارع وأماكن.

أنجزت مادتين مكتوبتين باليد على أجندة 2021، ملخصاً حول كتب أربعة لكتاب أسرى سأحدث عنها في الفعالية المسائية، وتتضمن الحديث عن ثمانية كتب لأسرى يكتبون، أنا سأحدث عن كتاب "جدلية الزمان والمكان في الشعر العربي" لكميل أبو حنيش، وعن سردية "الخرزة" لمنذر مفلح، وكتاب "للسجن مذاق آخر" لأسامة الأشقر، وأخيراً كتاب "أنا نهم" الصادر حديثاً للأسير أحمد العارضة.

المادة الثانية التي أعدتها هي حول الأسر والأسرى والفلسفة التي تقوم عليها فكرة الأسر وأهدافها، وملخصها هو أن من يقوم بعملية الأسر يريد أن يحقق مكاسب سياسية، فلا يوجد هناك أسر مجاني؛ خالٍ من الأهداف.

الآن الساعة تقترب من التاسعة صباحاً، دائماً أخشى من مدهامة الوقت لي في مثل هذه الظروف، أرى أن الوقت قصير مهما طال، لأن مفاجآت الحالة المعيشية في فلسطين ليست مضمونة، أن أصل إلى الخليل باكراً كثيراً خير من أن أتأخر ولو خمس دقائق.

أتمنى أن تتحسن الأحوال بيننا، فشهران من الخصام كافيان. أليس كذلك؟ هل أخذت قديسة يوم الأسير لو أخبرتك أنني على مدار الأيام السابقة حلمت بك، وحلمت بنساء أخريات؟ أصحو من مناماتي مهجوساً بك. ضاجعتك وضاجعتهن في تلك المنامات، كانت لمحات خاطفة وسريعة، إلا تلك الليلة التي حلمت بك فيها. كان حلماً طويلاً شهياً، رأيتك فيه كاملة الضوء، أنجزنا معاً مهمة اللذة لآخر نفس مستطاع.

المحب لك دائماً والمشتاق لحضنك الرؤوم وساعديك الأبيضين الطريين. أفكر أنني لن أعود إليك إلا إذا كان لقاء المصالحة بيننا على مائدة شهوة طويلة نتناول فيها معاً أجسادنا بكل عنفوان. هل يحدث ذلك؟ أتمنى

وأخيراً، لا أدري هل ما زلت تصرين على قراءتي ومتابعتي أم أنك أوقفت ذلك. فأنا ما زلت نشيطاً على الفيسبوك، وعلى تويتر، أتمنى أن تقرئي هذه الرسالة. قصيدتك الأخيرة التي نشرتها لك، نشرت في مواقع كثيرة ومتعددة، في مجلات وصحف أيضاً خارج فلسطين، وصلت لليبيا والمكسيك، فقد نشرت القصيدة كل من مجلة الليبي ومجلة الحركة الشعرية ومجلة أبجديات الثقافية وصحف أخرى كثيرة. لذيدة أنت كقصائدك اللذيذة. الصحف والمجلات بحوزتي سأرسلها لك إن حصل وتصلحنا. قرأت مقالتك الأخيرة. بارعة في الالتقاط مع تحفظي على المدح الزائد فيها، إن هذا المدح يجرح اللغة النقدية، كتبت جراً ذلك مقالة حول النقد ستنشر قريباً، لأن مقالتك استفزتني بلغتها الموهلة في التبجيل.

والآن فلتسمحي لي بالمغادرة وإنهاء الرسالة، الساعة تقترب بجنون نحو التاسعة، عليّ أن أجهز نفسي. ألم أخبرك أنني اليوم سأرتدي بنطالاً وقميصاً جديدين، اشتريتهما لهذه المناسبة. طيفك معي يحرسني من الخراب.

أشتاقك أيتها اللذيذة كفكرة طازجة.

الاثنين: 2021/5/3

أقضي وقت الصباح في الكتابة إليك. في الحقيقة لا أشعر بالملل وأنا أكتب، ربما لأنني أعبى الفراغ بمثله. هكذا صرت متأكدا من هذا الإحساس، في هذا اليوم يكون قد مرّ على خصامنا ثمانية وسبعون يوماً. هل شعرت بالوقت مثلي. أقضي نهاري نائماً في رمضان، لا شيء جديد، لا مشاريع كتابية جديدة، كل شيء قد توقف تقريباً. توقفت عن كتابة الشعر منذ مدة طويلة، لم أعد أنشئ أي نص جديد، ما أنشره هو من القديم الذي كان آخره عام 2020، لا أدري ما هو آخر نص كتبتّه. على أية حال ليس مهمماً الشعر في مثل هذا العصر، وكل من يقول عن الشعر أنه منقذ لا شك في أنه إنسان مهووس أو رومانسي. تخيلي لو أن شاعراً فقيراً ذهب بأجود قصائده للدكان ليشتري بعض الخبز. سيكون أضحوكة بين الناس. لذلك توقفت عن الشعر، لم يعد لديّ ما أقوله. أعمل حالياً على مراجعة كتبي المعدة للنشر، ثمة أشياء عليّ تعديلها، غيرت كثيراً في كتاب "لا شيء يعدل أن تكون حراً" أضفت إليه تأملات جديدة على هامش كتاب "نسوة في المدينة".

عرضت كتاب "هي جملة اسمية" والكتاب الرديف المتصل به "مركزية حضور الاسم في النصوص الإبداعية"¹ على الصديقة الدكتورة ريم غنايم. تحدثنا طويلاً جداً بمكالمة هاتفية، أكثر من ساعة ونصف. ترى ريم أن التجربة جيدة، قرأت الكتابين، لا شك أن لها بعض الملاحظات حول النصوص الشعرية، اتفقنا على بعض التعديل، سأحذف النصوص التي أضفتها وكنت وجدتها مكتوبة بالاسم فقط في ديوان "الحب أن" وفي مقدمة كتاب "بلاغة الصنعة الشعرية"، لا أمل ألبته إلى تغيير العنوان كما اقترحت الدكتورة ريم، مع تسليمي بوجهة نظرها، وربما أنني معها في تخوفها أن يحشر النقاد الكتاب في أنه تجربة لغوية فقط، ويتغاضون عما فيه من تجريب شعري واضح، لا أظن أن النقاد سيهتمون بما أصدره.

كما تقترح ريم أن أحذف من القصائد، وأن أبقى على ثمانين صفحة من الكتاب الذي بلغ (137) صفحة، على اعتبار أن المجموعات الشعرية والقصصية الناجحة هي الكتب صغيرة الحجم المركزة للفكرة والهدف، وتستشهد بمجموعة شيخة حليوي "الطلبية" فهي مجموعة قصصية صغيرة لكنها تفوقت على مجموعات شعرية متضخمة أو أكبر حجماً. بالمجمل أرى ما تراه، وربما فعلت ما تشير عليّ به شريطة أن تظل النصوص محافظة على تنوعها الموضوعي والشكلي وحجم النصوص، لأن فكرة التجريب في الديوان تقوم على المقدرة بكتابة نصوص متنوعة باستخدام الاسم فقط.

الخميس الماضي كان يوماً مختلطاً بين الجميل والقيح، الجميل فيه أنني التقيت أصدقائي حسن عبادي وجميل عمرية ومصطفى نفاع وإبراهيم خلالية، وللحظات الدكتور عادل الأسطة، كان

¹ صدر الكتابان في كتاب واحد "سرّ الجملة الاسمية" عن دار الرقمية، القدس، 2023.

الوقت في حدود السادسة مساءً، البلدة القديمة في هذه الأجواء جميلة، درجة الحرارة مناسبة لقد هدأت حدة الحر، وصلنا صباينة كنعان القديمة، كان في استقبالنا الدكتور معاوية المصري والدكتور عدنان عودة، صباينة كنعان بناء قديم أثري مكون من طابقين يحتضن "جمعية المركز الاجتماعي الخيرية"، سيعقد في هذا المبنى نشاط ثقافي بعد الإفطار، حيث سيكرم منتدى المنارة مجموعة من الكتاب الأسرى. تحدث حسن عن ستة كتاب من محافظة نابلس، وأنا تحدثت عن ديوان شعر جديد لأحمد العارضة، كان النشاط جيداً والحضور رائع ومستمتع.

القبیح في هذا النشاط هو أن دار النشر التي نشرت كتاب أحمد العارضة، وقمت بتقديمه في فقرة إطلاق الديوان، لم يذكروا ذلك إطلاقاً، وكان الأمر سيئاً بالنسبة لي، فهم بهذا العمل يعانوا بالفعل من أزمة أخلاقية كبيرة، لقد تم حذف نهائي من المشهد. أعتقد أن الأمر سيكون مختلفاً لو قام غيري بتقديم الديوان، لم يقيم أحدهم- وكانوا ثلاثة- بالتقاط صورة لي حتى، وبالطبع لم يقوموا بتسجيل فيديو للكلمة التي ألقيتها، ربما فعلوا ذلك، وأنا لا أدري. لقد كانوا تافهين بالفعل وهم يقومون بهذه التفاهة البادية التي تدل على عقل صغير ومنطق أولاد صغار يلعبون في الحارة. لقد أزعجني جدا هذا العمل، مع أنني كنت مصراً على حضورهم، وكان بإمكان النشاط أن يتم دون حضورهم، لكنهم عَضُّوا اليد التي امتدت إليهم بالسلام وطيب النوايا، ليسوا هم فقط من تصرفوا كأولاد، بل أيضاً الصفحات الخاصة برئيس شؤون الأسرى والمحررين؛ لقد تم حذفنا جميعاً: أنا وحسن ولينا كلية من المشهد، فقد قصصوا التقرير الذي أعدته ونشروا ما يخصهم، هذا الفعل ينم عن وقاحة بالفعل.

على العموم، ربما سأكون في الخليل للمرة الثالثة، ثمة أمسية شعرية مشتركة السبت القادم يحييها مجموعة شعراء من الداخل الفلسطيني المحتل وشعراء من نابلس ورام الله والخليل، أو بيت لحم. متشجع جداً إلى الآن للذهاب، لا أدري ماذا سيحدث، الأوضاع الأمنية على الأرض تتجه نحو التصعيد، ربما لن ننجح في الذهاب، فالطرق ليست ملكنا، فالاحتلال يغتالنا كل حين ويحذفنا هو الآخر من المشهد، ليس مشهد الكتابة وحسب بل من مشهد الحياة كلها.

ليس سرا لو قلت لك إنني بالفعل لا أثق بما تقوله السلطة وذبابها الإلكتروني الذي يصف القرارات بالحكمة حتى وهي متناقضة، وأنا كذلك لا أثق بأي عمل وراءه أي فصل فلسطيني، فهم سيستثمرون الدم النازف والعذاب لمصالحهم الشخصية ولمكاسب هزيلة. وستبقى الأمهات وحدها هي التي تعاني إن أمير شاب أو قتل. نعم وحدهن من سيعانين، فالغارقون في كراسيهم في رام الله سيذهبون إلى حفلاتهم متخمين مسرورين مع زوجاتهم وعشيقاتهم وأبنائهم وأحفادهم بعيدا عن تناول الجنود والمستوطنين، وتبقى عتمة السجن والدموع هي الباقية، وستحذفهم السلطة من المشهد أيضاً. هل تلاحظين أننا نشبه بعضنا نحن والأعداء، كلنا يتقن حذف الآخر من المشهد لا فرق بين دار نشر أو محتل أو سلطة متحجرة متوقعة في المقاطعة. كلهم يبدون من طينة واحدة، وعقلية واحدة.

الكتابة تلتهم الوقت بسرعة، عليّ أن أجهز نفسي للعمل. الجيد في هذا اليوم أنه يوم عمل مكتبي، إن نجحنا في الوصول إلى العمل، ونجونا من الحواجز، ومن الاجتماعات الفجائية سيكون هذا اليوم فيه بعض الجمال. أرجو ذلك.

المشتاق.

الخميس: 2021/5/6

أسعدت أوقاتاً.

على الرغم مما بيننا من جنون وقطيعة، يبدو أنها لن تكون وشيكة الانتهاء، إلا أنني أسلي نفسي باستحضارك. لقد اشتقت لحديثك، ولحواراتك، ولأسئلتك، ثمة مفاجآت كانت تحملها لغتك ومعانيك التي كانت تأخذني بعيداً، وتلهمني كثيراً.

لا أخفيك سراً لو قلت لك إن ثمة ما يشوّش عقلي هذه الأيام. كتبت كثيراً، وشاركتُ في أنشطة متعددة، وانتظمت في الدوام اليومي، ولم يعد بإمكانني المشاركة في أمسية الخليل الشعرية التي ستقام- على الأرجح- يوم السبت القادم، بعد الإفطار. ثمة ما أفسد عليّ هذه المشاركة التي أخبرتكَ سابقاً أنني متحمّس لها كثيراً، لاسيما وأن الصديق حسن عبادي حاضرٌ فيها، فأنا أحب أن أراه كثيراً، ولا أملٌ من صحبته. لكن الظروف قاهرة أحياناً.

لقد تخلصت- أخيراً- من سوءة التعليم عن بعد، يبدو لي أنه لم يكن ناجحاً؛ فالوزارة نفسها لا تثق بمخرجات هذا النوع من التعليم، فقد بدا واضحاً من قراراتها المتضاربة والغامضة، وكأنها تقف على حرف. لقد كانت تراوغ باللغة، فلذلك كانت التعليمات مثيرة للأسئلة وغير عملية. الأهالي أيضاً لم يصلوا إلى مرحلة الثقة التامة بهذا النوع من التعليم، فانعكس على الطلاب الذين استغلوا الوقت بالعمل أو بالنوم. والمعلمون كانوا أقلّ أفراد المجتمع التعليمي ثقة، عدا مديري المدارس وكل الطاقم الإداري الذي كان متابعا لهذا النشاط. المخرجات هزيلة، والتعليم في تراجع. ولا شيء يقلل من سرعة التدهور نحو الهاوية.

أنا الآن أقلّ إرباكاً وارتباكاً، فقد عدت للزيارات الإشرافية الوجيهة، ثمة شيء تغيّر في العلاقة بيننا وبين المعلمين، النظام التعليمي متأرجح ومأزوم وعلى شفير السقوط الأخير إن لم يتبادروه بخطة إسناد وطنية حقيقية. فالمعلمون يعلمون وهم قلقون على كل شيء، فقد خلفت هذه المرحلة في النفوس الكثير من عدم القناعة، وانهارت مُسلّمات كثيرة.

ليس هذا هو الموضوع الأساسي الذي كنت أريد الكتابة لك فيه، وإنما أردت أن أثير في حضرتك حول موضوع اللغة- أي لغة-. لم أعد أقتنع بما تقوله الكتب، إنها تقول أشياء غير واقعية، قضية شغلتنني منذ مدة طويلة وهي ظاهرة الأضداد اللغوية، فقد تعلمنا، ونعلم في المدارس هذه الظاهرة

لغويا وبلاغيا، ويبدو أنها مسلمات لا تنقض ولا تنتقد. وقد وجدت في كثير من المؤلفات القديمة والحديثة.

ببساطة أريد أن أقول لك أنه لا أضداد في معاني الألفاظ، كما أنه لا ترادف فيها، فالبر ليس عكسه البحر، فالبحر فيه بر، بل ربما آل البر بحرا أو تحول البحر إلى بر، فلماذا تفترض عقول اللغويين أن البر ضده البحر؟ لا أجد جواباً. بالمنطق ذاته فيما يتعلق بالليل والنهار، لماذا الليل ضد النهار؟ وكيف؟ أتأمل الآية الآتية وأرجو أن تتأملها معي: "والليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون". فالليل لا يتخلق دفعة واحدة، بل تدريجياً، حتى يزول الضوء وتحل العتمة، عدا أن الليل عند العرب ساعات وكذلك النهار، ولكل تلك الساعات؛ نهاراً وليلاً، أسماء، فهل يقع بينها التضاد أيضاً؟ ثمة مشكلة في الفهم. إنها سطحية، الليل والنهار يخرجان من بعضهما، فهما واحدٌ، أو كالبر والبحر- على أقل تقدير- متضمنان في ذات الشيء.

وأكثر ما يثير التساؤل لديّ فيما يتصل بمشكلة التضاد ويلغيها تماماً مسألة الألوان، فقالوا إن الأبيض ضد الأسود، لماذا ليس الأحمر أو الأصفر؟ اللون الأبيض في حقيقته هو مزيج من عدة ألوان كما علمونا، فكيف يكون مضادا للون الأسود. الأبيض أيضاً دليل العدم، ومؤشر على الفراغ. فهل الأبيض ضد لكل الألوان؟ وهل يناقض مكوناته أم لا؟ فكل الألوان المكونة للأبيض، جزء منها مكون لغيره من الألوان التي تسمى مركبة، ويتم الحصول عليها بالامتزاج. هل الألوان صفات للأشياء؟ أظن أنها ليست كذلك. اللون وجد في الطبيعة لا يحتاج إلى غيره ليوجد، ولا غيره محتاج إليه ليكون. فكل شيء، من ناحية منطقية، يمكن أن يكون له أي لون. رأيت كيف أن المسألة مركبة في الألوان؟ إنها جدا غير منطقية عندما نجرها إلى مربع التضاد.

ولعلّ الأشكال الهندسية تشبه الألوان. في رواية إبراهيم نصر الله "مأساة كاتب القصة القصيرة"، ثمة حضور متوهم للضدية بين المربع والدائرة. لقد كتبت في ذلك مقالا طويلاً. الأشكال الهندسية باعتقادي كالألوان تماماً؛ لا شكل يضاد الآخر، فكل شكل له حيزه الخاص، ولماذا نجر أي شكل على أن يكون ضداً لشكل آخر. إنه محض وهم، هل وقع إبراهيم نصر الله في هذا الوهم. أظنه وقع على فكرة خداج، ولم يحسن التعبير عنها. لعلك قرأت الرواية، فنصر الله صديقك منذ زمن بعيد. ولا أظن أن مثل هذه الرواية قد فانتك قراءتها. على أي حال كتبت في الرواية مقالين¹، أرجو أن تكوني قد اطلعت على ما نشر منهما. سيصلك المقال الثاني بالتأكيد في حال تم نشره. أفكر في نشره في صحيفة الحدث الفلسطيني².

¹ تناولت في أحد هذين المقالين قضية "الحن ودواعية السردية في الرواية"، ونشر في عدة مواقع وصحف.
² صحيفة الحدث الفلسطيني، مقال: هواجس ما بعد الكتابة في رواية "مأساة كاتب القصة القصيرة"، 2021/7/31:

فلنخرج الآن من الرواية. ما رأيك بالصفات، كالقصير والصغير والطيب وأشباهها؟ هل يمكن أن تكون أضداداً؟ أعتقد أن حالة نشوء الليل والنهار وانسلاخ أحدهما من الآخر ينطبق على تلك الصفات، فكل قصيرٍ، ربما كان طويلاً يوماً ما، أو يمكن أن يكون طويلاً في قابل أيامه، فلماذا كل قصير هو مضاد لكل طويل؟ وكذلك الكبير والصغير، فالصغير سيكبر، فكيف سيكون ضد نفسه، وعند أي درجة من الكبر أو من الصغر سيحدث هذا التضاد المزعوم؟

فاجأتني الفكرة هذه من جديد هذا اليوم، عندما شرح أحد المعلمين لفظ "الكهولة"، وجعل ضدها حدائة السن. الكهل ضد الحدَث. هكذا ببساطة يتم الاختزال والتبسيط. أعتقد أن المسألة خاطئة تماماً من ناحية منطقية، فمراحل عمر الإنسان التي تبدأ بالطفولة وتنتهي بالشيخوخة، لا يضاد إحداها الأخرى، إنها في حقيقتها تشبه انسلاخ الليل من النهار. وكذلك ينطبق أيضاً على أحوال الإنسان في الصحة والمرض والحزن والسعادة مما اعتاد الطلاب أن يدرسه على أنه من الأضداد.

ليس المعلم مسؤولاً عن هذا الخطأ المنطقي بطبيعة الحال، وإنما العقل التربوي السطحي الذي أقنعه، وأقنع أجيالاً لا تحصى: أن هذه أضداد، وبنى عليها نظريات في الفكر والבלاغة والاعتقاد والفلسفة.

تعاليّ معي أخيراً للنشَب في الناس والحيوانات والحجر والشجر والملائكة والجن والكواكب والنجوم، فكيف يقولون إن الذكر ضد الأنثى؟ ما المبرر؟ لأن أعضاءهما التناسلية مختلفة، وأن وظيفتهما في الحياة مختلفة؟ نظرية الخلق الدينية التي تحدثت عن خلق الإنسان ترى أن الأنثى مُستلّة من الذكر، فهي بعضه، تماماً كما هي العلاقة بين الليل والنهار، وهل تلد المرأة ضدها عندما تنجب ذكراً؟ وهل الجن ضد الملائكة أم أنهم ضد البشر؟ هل الحيوانات ضد البشر أم ضد الملائكة أم ضد الجن؟ هل الأحياء ضد للجَمادات؟ وهل الجَمادات خالية من الحياة؟ القرآن يقول إن كل الموجودات فيها حياة "وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم". تؤكد الآية مبدأ الحياة في كل الموجودات، ما ينفي- منطقيّاً- فكرة التضاد.

أرأيت- أيتها الحبيبة- كيف أننا دخلنا في متاهة من المعاني المتوالدة؟ ولو جريت وراء شهوة الأسئلة لطرحت مئات الأسئلة، واستحضرت مئات الأمثلة مما هو داخل عند الناس وأعرافهم اللغوية في أنه من الأضداد، وما هي بأضداد. أظن لو أنك تعمقت في القرآن ودراسته لرأيت أن القرآن لم يتحدث عن الأشياء والصفات بأضدادها، وإنما هم المفسرون الذين فعلوها وأخضعوا النص للتفسير السطحي، وأعظم دليل على ذلك ما هو معروف بصفات الله وأسمائه الحسنی، فهل يناقض بعضها بعضاً، فهل الرحيم والرحمن يضادان في المعنى الجبار والمتكبر والمهيمن وشديد العقاب؟

ما رأيك بكل هذا؟ أرجو أن يدفعك إلى البحث والتأمل، فالأمر كما أراه يستحق أن يبحث، وأن نسائل قناعاتنا. ولعلك تسأليني: وما فائدة كل هذا، فسواء وجدت الأضداد أم لم توجد؟ ربما أشتر اقتناعنا بفكرة الثنائيات إلى ما هو أخطر في تعاملاتنا البشرية، فمبدأ البيض والسود- مثلاً- في التمييز العنصري سببها هذه الثنائيات اللغوية المتوهمة في الضدية والأفضلية، فكل ضدين يحملان طرفين أحدهما أفضل من الآخر غالباً، والاختلاف على هذه الأفضلية هو أساس الصراع، عدا أن هذه الثنائيات البائسة ستجر البشرية أيضاً إلى التصنيفات العقديّة بين مؤمن وكافر، وما يجره هذا التصنيف من كره وحقد واقتتال، لأنه يحمل في داخله أفضلية ما، هذه الأفضلية المتحكمة في الاختيارات الاجتماعية أيضاً، وحتى في الأشكال الأدبية المتعددة في واقع الحال يتم اختزالها في متضادين: الشعر والنثر، فثمة من يجعلهما ضدين متصارعين، لكل منهما منطقة خاصة في عرفهم، فالنثر عقلي والشعر قلبي، وكأن القلب ضد العقل.

ربما صرت على قناعة أن فكرة الأضداد هي السبب في انتفاء مبدأ التعددية البشرية والكونية، فنحن البشر لا نؤمن بالتعدد في واقع الأمر، وصرنا نبحت عن الضد لكل شيء، ولم نعد نؤمن بأننا كنا مختلفون، وبالتالي لسنا أضداداً، فاختلافنا يعطي للحياة معنى التكامل والحيوية، والثنائية الضدية تعني الحرب والاقتتال والدم، فهذا التفكير اللغوي غير المنطقي هو الذي جعلنا ندرس البشر والأشياء واللغة والأدب وعلاقاتها بجدية قاتلة؛ إما مع، وإما ضد، وبفعلها ينقسم العالم إلى فريقين ومعسكرين، وينعدم أهم أساس قامت عليه الحياة، فمآل الحياة واحد، كما قال الرسول الكريم: "كلكم لآدم وآدم من تراب"، فإذا كنا من أصل واحد فمن أين أتت تلك الثنائيات السقيمة ذات الأثر المدمر؟ ولأنه لا يوجد شيء اسمه أضداد، فإن النص القرآني مزج العقلي بالقلبي والشعري بالنثري، وحقق نصاً مفتوحاً على متعدد، ولا تحكمه الثنائية النصية ولا اللفظية المعنوية، تلك التي قتلت الإبداع العربي أو حصرته في نوعين لا ثالث لهما: الشعر والنثر. فهل تعتقد أن قصيدة النثر كانت أكثر وعياً عندما هدمت سور الثنائيات لتنتقل في أفق التعدد غير المحدودة؟ أعتقد ذلك جازماً.

ها هي الساعة أوشكت على الثانية صباحاً، أرجو أن تثير هذه الأسئلة فيك شهوة الحديث والكتابة إليّ. أتمنى ذلك مع أنني على يقين أنك لن تحفلي بي وبرسائلي كما كنت تفعلين. على أي حال ليس مهماً، يكفي أن أكون متحدثاً وكاتباً وحضرتك صامتة قارئة، متجنباً الوقوع في الضدية، فأنا كتبت صامتاً، وأنت ربما قرأت وأنت تحدثين نفسك، فالفكرة من ذاتها والمنطق هو هو.

دمت بخير، ولعلي أراك قريباً من يدري؟ فليس بيننا إلا حاجز لغوي ليس أكثر! ولذلك فهذا الخصام ليس منطقياً كذلك.

المحبّ لك دائماً، والمشتاق أبداً.

الجمعة، 2021/5/21¹

لا فراس. في شي غلط. مخيف وخطير اللي عم بصير. من جوا عندي غضب. أطفال ونساء ورجال راحوا بأقل من أسبوعين. والعالم (...). عم يتفرج. وهالأ انتصرنا؟ على شو؟ كيف؟ ودم الأطفال اللي شريتها الأرض؟ أنا بتخيل بنتي تكون بدل طفل واحد من اللي راحوا. شو ممكن يكون إحساسي؟ شو رح نعمل هالأ؟؟؟؟؟ وين رح نوخذ ه "الانتصار".

أنا لو بقدر كنت رشيت أمتك كلها بسلاح ولا طفل فلسطيني واحد يقول آخ بعد اليوم. مقاومة شو يا فراس اللي ما رح فيها عدوك؟ شو ذنب العالم اللي بتحب الحياة وما بدها تموت؟ قدر الفلسطيني يضل عرضه مهتوك قدام الكاميرات والكل يتفرج؟؟؟؟؟ هاي هي المقاومة؟؟؟؟؟

ر. غ

الجمعة: 2021/5/28

صباحك الخير، ومساؤك الرضا، وأسعد الله كل أوقاتك، أرجو أن تكوني ذات مزاج جيّد، يسمح أن تحتلمي حماقاتي في هذه الرسالة. اليوم ليس يوم عطلتك، ولكن أمل أن تجدي الوقت لتقري، لعلّ قراءتك تبدّد بعضاً من غيومي.

في الحقيقة لا يكفّ عقلي عن التفكير بالأشياء التافهة والسطحية، لا أعرف كيف يفكر العظماء إجمالاً، إنهم بلا شكّ يفكرون على نحو مختلف. عملي أصبح شاقاً، وصارت قدرتي على احتمال الآخرين وحماقاتهم تتضاءل يوماً بعد يوم. أمل ألا أفقد السيطرة على نفسي يوماً ما. لا أحب أن أكون شرساً وحاداً، أريد أن أقدم واجبي. كثيرون ممن حولي يعيقني فلا أستطيع أن أودي عملي كما أرى.

يوم الخميس كان يوماً قلقاً، كل شيء من حولي كان متوجساً، كنت على أهبة الانفجار، لولا رحمة الله التي تداركتني مراراً. العمل مع المعلمين ومديري المدارس والطلاب والمسؤولين "الحمقى" كله مشاكل، بل كل الوقت مفخخ بالمشاكل، وقابل للانفجار في أية لحظة. للمعلمين ومديري المدارس طرائق شتى في إعاقتي عن العمل، إنهم بالفعل لا يعرفون الانتماء، وهم يقصّرون في أداء واجباتهم، ومن يلتزم قليلاً جداً. إنهم ندره هذا العصر، لاسيما بعد غياب الرادع والعقوبات، وكثرة المنافذ، فكورونا وقرت مساحات شاسعة لخراب الضمائر.

ثمة صورتان تتنازعاني في العمل، وإحدهما تطغي على الأخرى، الكاتب يطغي على المشرف التربوي ويسيطر عليه، هكذا يقول أحدهم، وأتعامل مع المعلمين بخبرة الكاتب والمثقف والعارف. يغرقني هذا الفريق بالذم الشبيهة بالمدح، فأنا إذن فاشل في كيفية توجيه المعلمين لما

¹ كانت هذه الرسالة رداً على نصوص ومقالات أخرى، نُشرت في كتاب "مساحة شخصية- من يوميات الحروب على فلسطين"، دار الفاروق، نابلس، 2024.

يفيدهم. هذا النوع من المعلمين ومديري المدارس حدد سقفه وجعله واطناً، هو يزحف على استه، والمعلمون أيضاً معه زاحفون. لا يريدون أن يرتقوا إلى آفاق من المعرفة المتحررة من الوهم. مَنْ الْمُخَوَّلُ إِذَا بَرَعَ الْمَسْتَوَى، إِذَا كُنَّا سَنَعْمَلُ ضَمْنَ هَذَا السَّقْفِ الْوَاطِئِ جَدًّا؟ سيأتي يوم لنجد أن المعلم والطالب والمدير والمشرف التربوي والمسؤول "الأحمق" يزحفون على أَسْتِهِمْ، ولا يعرفون أن لهم أرجلاً خصصتها الطبيعة البشرية للمشي أو القفز أو التمتع بجمال القامة المنتصبة. فأنا كما أرى نفسي لست مجرد "مشرف تربوي". إن لي أفكاراً تربوية وعقلية تربوية خاصة، وأدعتها مقالاتي التربوية التي اطلعت على معظمها. فأنا أكاديمي وكاتب تربوي، أدمع المهنة بالتفكير والكتابة ولا أقف عند حدود التعليمات القاصرة، مع أنني لا أحالفها، ولكنني على استعداد دائم لإضاءة ظلمتها، وإكمال قصورها.

عليّ الاعتراف أمامك الآن أنني أعاني من هذه المعضلة، الكلّ يشدك نحو الأدنى والأسخف والأتفه، لن أمدح نفسي، فمادح نفسه كذاب بالتأكيد، ولكن ما حيلة المرء إن لم يجد من يقدر قدراته حق قدرها، لقد سألت نفسي وأنا أغرق في محاسبتها: متى يضطر الإنسان إلى مدح نفسه؟ لا ريب أنه يلجأ إلى ذلك عندما لا يجد من يقدره بشكل جيد. ها أنا بين يديك مفاخر بنفسي وأمدحها. أنت الوحيدة التي لن تقولي: مادح نفسه كذاب، لأنك تعرفيني معرفة أكيدة.

ضاعت مني على ما يبدو صورة المشرف التربوي، وصرت كاتباً متعالياً بالمعرفة على الزملاء، لذلك يطالبونني بأن أنزل إلى مستوى أقلّ خلال المناقشات والتدخلات التربوية التي أقدمها أمام الطلاب والمعلمين. زيارة يوم الخميس كانت محبطة بشكل لا يوصف. هل فعلاً كنتُ بهذا السوء؟ لا أدري. إلى الآن أفكر جيداً بالموقف كله.

على أيّ حالٍ لو صدق هذا الذي يدعيه المعلمون والمديرون أكون قد شوّهت صورة المشرف التربوي، وصار لا جدوى لي في الميدان، هل أصبحت أنا كذلك، كزميلي المتقاعد "لا حاجة فنية لي". يبدو أن المؤشرات خطيرة.

لقد أخبرتك في إحدى هذه الرسائل، أنّ شخصيتي ككاتب أيضاً تسيطر عليها شخصية المشرف التربوي، اللغة القاطعة اليقينية، الرأي الحاد الذي لا يحق لأحد أن يحطمه أو يتجاوزه، لغة الأمر والوجوب في مقالاتي كأن الكاتب أو القارئ الموجهة له تلك الكتابات تلميذ بحضرة أستاذ أو معلم بحضرة مشرف تربوي. هذه ملحوظات الدكتور عادل الأسطة، وصديقي حسن عبادي الذي يُديم تذكيري بها كلما جرّنا النقاش إلى منطقة الكتابة وأسلوبها.

ها أنا إذن لا كاتب ناجح، ولا مشرف تربوي ناجح، ضعت بين شخصيتين، كأنني أقع في فخّ "حماقة الغراب"، فلا هو أصبح طاووساً ولا ظل غراباً عندما حاول تقليد الطاووس. مع فارق في الحمق كبير جداً؛ أنني لم أقلد أحداً من الكتّاب أو المشرفين التربويين، دائماً أردت أن أصنع لي شخصية مهنية خاصة مدعومة بـ "التفكير المكتوب"، وتعتمد على تطبيق القوانين والتعليمات بطريقة

حازمة دون التذرع بذرائع غير مهنية وغير إنسانية، وأردت للمعلمين والطلاب، وللزملاء المشرفين أن أقدم كامل خبرتي في الثقافة والتربية دون من أو تبجح. بل إنني أفرح كلما أسديت لأحدهم خبرة أو معروفاً أو خدمة. كذلك كوني كاتباً كنت دائماً على استعداد لمساعدة الكتاب الأصدقاء، بقراءة مسودات كتبهم ومراجعتها وتدقيقها وتحريرها. وأنت أعلم الناس بهذا كله. ولم أسع يوماً إلى تقليد أحدٍ من الكتاب، إنهم مدارس في أساليبهم وكتبهم، وأنا أردت أن أكون مدرستي وأسلوبتي. مخايل الفشل واضحة الآن!

هل تعلمين أنني أغبطك على عملك، إنه مختلف كلياً عن عملي؛ فلا شيء فيه يدعو إلى الانفصام، وأغبطك على كتاباتك التي تخلصت من المراوحة بين مكانين يتنازعان الحضور في الكتابة، ليتني لم أكن مشرفاً تربوياً مع أنني أحب هذه المهنة حباً غير عادي، وفخور بكوني مشرفاً تربوياً، على الدرجة نفسها بكوني كاتباً. يبدو أن من الحب ما أهتم وأعتم وفضح إن لم يقتل. لا حاجة أن أقول لك: إنني لا أتخيل نفسي إلا كاتباً، وأيضاً لا أتصور نفسي إلا مشرفاً تربوياً.

أعتقد أن أحدنا على خطأ؛ إما أنا وإما المعلمون، هل علينا أن نفهم بعضنا بشكل أكثر شفافية ومصارحة. المعلمون في المجمل لا يحبون أن أزرهم، وحتى مديرو المدارس، أجد نفسي ضعيفاً ثقيل الظل، أو الدم. وكل يوم تزداد المسافة بيني وبين المعلمين والمديرين، مساحة الود والاحترام تتقلص يوماً وبعد كل زيارة. "كأنّ الودّ ظل في صباحٍ يزيد تقلصاً حيناً فحيناً"، مع الاحترام للشاعر، وليعذرني على التغيير لدواعي الكتابة!

لا شيء يعجبني فلا أسكت. هذا يزعج الآخرين، لذلك سأجد نفسي على القارعة وحيد وحدي، نبياً مكروها ملفوظاً، وأسفاري العبيثة الأفكار ملقاة في سلة المهملات؛ فالمعلمون والمديرون لا يقرأون أفكاري ولا مقالاتي، ولا يعملون بالتوصيات، ويلقون التقارير في الملفات دون أي اعتبار، لأنه لا مآل لتلك التقارير سوى أنها علامة على زيارة كان فيها الكثير من القلق والتوجس وشد الأعصاب وضبط النفس، وقد أمن المعلمون والمديرون العقاب، فمهما كتبت، لا أحد سيعاقبهم لأنهم محميون بسلطاتهم التنظيمية الفاشلة التي خربت البلاد والعباد، أو يتمترسون خلف غوغائيتهم الفيسبوكية التي تشجع الآخرين على الرجم والسباب واللطم وفتح المناحات، أو يلجأون إلى أركانهم الشديدة التي تخلصهم من العقاب والمساءلة. ولا تجد من المسؤولين "الحمقى" أي تقدير لأي جهد بعد ذلك. في ظل هذا الجو القاتم لا أحد يستطيع أن يعمل بحب وإخلاص، فالأعداء كثرة، ولا أصدقاء.

هذه يا عزيزتي عناصر محبطة، فكم أستطيع أن أصمد، وأقاوم، وأنا أخسر يوماً من عمري يوماً أقضيه مهموماً مغموماً. لا يومٍ عندي أسعد من مساء يوم الخميس، عندما أغادر مكتبي الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر، فعندي يومان كاملان ومساءً طويل لأنتخلص من هذا الانفصام المرضي الذي حشرتني فيه مهنتي الجائرة.

أرجو أن تحتملي هذه الحماقات الباعثة على تعكير المزاج، فلا أحد أشكو له وأفضفض غيرك، لا أحد يفهمني من المحيطين بي، في الأسرة، إنهم محبطون، ولا يفكرون بغير أنفسهم، طالت المسافة بيننا أيضاً. العلاقة بيننا قائمة على المصلحة التي تسير أمر استقامة الحياة بعشوائية خالية من الروح، مُلخّصة في كلمتين: "هات، واشتر" لا شيء غير ذلك. لا أحد يريد أن يسمعك، بل لا أحد عنده وقت لك. الكل مشغول بعالمه الذي وضعته فيه الحياة، فلو تكرمت عليّ بوقت قصير لقراءة هذه الحماقات بالفعل سأكون لك من الممتنين. لأن لك أيضاً عالمك المعقد أيضاً.

لا وقت على المدى المنظور لنلتقي، لعلي أثرثر بحضرتك أكثر. أمل أن تتاح لنا الفرصة؛ فيصلح الحال بيني وبينك، فيا "ليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خرابٌ"؛ لنقول أكثر مما نكتب. على ما يبدو لي الآن بعد هذا الفائض الهشّ من اللغة واللامنطق أنك لو كنت معي لكنت أكثر اتزاناً. ربما، لست أيضاً على يقين.

مهما يكن من أمر نفسي. أتمنى لك عمرا مليئا بالفرح والخير والسعادة.

وإلى لقاء...

الجمعة 2021 / 5 / 28

صباحك فراس

سأقرأ رسالتك حالما أتفرغ من العمل، فأنا في الدوام ومنذ ساعات الصباح ملقّي على عاتقي العمل مع الطلاب على البحث، وأنت تعلم نحن على وشك نهاية الفصل والسنة الدراسية... نحاول أن نعمل بجهد على ما فاتهم من مواد ووظائف قبل نهاية السنة.

المشتاقه بك دوماً.

إ. س

السبت 2021/5/29

يسعد مساك يا شاعر،

أرجو أن تكون بخير.

أمران في هذه الرسالة: نعم، مادح نفسه ليس كذائباً، وأنت تعرف أنني كنت سأقتنص هذه الجملة وأردّ. جميل أن يعرف المرء قدر نفسه، وأن يقبل نفسه صباحاً في المرأة كلّ يوم. مادح نفسه هو مادح نفسه، لأنه يعرف قدرها في هذا العالم. مادح نفسه غريبٌ كصالحٍ في ثمود.

الأمر الثاني: أنك حسمت أمرك دون أن تعرف. أنت على خط التماس بين العالمين، بين عالم الكتابة وعالم التربية. كلما خذلتك واحدة ارتميت في حضن الأخرى. وهذا نظام دفاعي جيّد يجعلك تنجو من خطر المهنتين.

أما أنا، فقد اخترت أن أكون شرساً في كليهما. صحيح أنني دفعتُ ثمناً كبيراً، لكنني دفعته وهو الآن من خلفي. الحرية هي أن تدخل مكتب مدير المدرسة وتقول بصوت عال: يا سيّد عملك فاسد أنت وطاقتك، وتجبره على احترام رأيك وعلى احترام تعاليك.

شخصياً، لا أحب المدارس، على الرغم من أنني كنت طالبة متفوقة. لا أحترم المعلمين ولا أحترم المديرين على الرغم من أنني كنت مدرّسة متميزة وفعلتُ ما لم يفعله آخرون، لكنهم لم يتركوني في حالي، فقررت بعد تعبٍ أن أغادر هذا المجال. المدرسة نظام تربويّ فاشل لا يؤدّ إلا العقد والنفسيات المريضة والمتعبة. أما على الصعيد التعليمي فحدث ولا حرج، ومعرفة المعلمين لا تزيد إلا درجة بسطة عن معرفة الطلاب.

سعيدة برسالتك، أعتذر عن التأخر في الرد. عمل متواصل.

نلتقي قريباً

ر. غ

الاثنين: 2021/5/31

أسعدت أوقاتنا أيتها الرائعة،

منذ يومين وأن أهم بكتابة هذه الرسالة، وها أنا أوفي بوعد نفسي لك لكي أكتب. أكتب لك من مكنتي، لا أحد معي في الغرفة غيرك. صدقي ذلك، ولا تأخذه على سبيل المجاز أو التخيل الشعري. شربت منذ الصباح وحتى الآن كوباً من الشاي وفنجاناً من القهوة، وكأساً من شراب "الزعتمانة". غريب هذا المشروب لكنه ذو طعم جيد، إنه اكتشاف ثقافي بفعل اختلاط القرى والبيئات في أماكن العمل.

أبلغك أولاً أن كتاب "استعادة غسان كنفاني" في طريقه إلى النشر قريباً جداً، الغلاف أصبح شبه جاهز، لا أريد أن أخبرك عما في الكتاب من أفكار. أترك لك قراءته، والاستمتاع به فور صدوره، أتمنى أن يكون ممتعاً بالفعل، سأتكفل بإحضار نسخة لك. لن أعدم الوسيلة.

هذه الأيام منشغل جداً في أمور الوظيفة، لا شيء جديد على صعيد الكتابة. القراءة أيضاً غدت ذات مهمّات وظيفية بعيداً عن المتعة أو التزود بالأفكار ومحاورتها. أقرأ مسودات كتب للأصدقاء، ستصدر قريباً. القراءة تحت هذا الظرف هي عمل خاٍ من المتعة. أقرأ لأسدي خدمة للكتاب لا أكثر، هنا القراءة تكون ذات أهداف لا تعود عليّ بالنفع إطلاقاً. لا أسعى إلى النفعية على كل حال، ولكنها القراءة التي تدور في باب تحقيق النفع للغير، هذا النوع من القراءة يلزمه الجلد والصبر على مشقات كثيرة. لا تستطيع أن تشيح بنظرك عن الكتاب أو عما فيه، أنت مجبر أن تقرأ وتدقق، وتفحص وتنتبه لكل شيء، وللجملة، وللکلمة، وللنقطة والفاصلة. عليك أن تكون "ملك يمين" للكاتب، يفعل بك الأعاجيب وأنت بكل لطف تبسم، وتتابع القراءة دون اعتراض. كم هو مؤلم

هذا النوع من القراءة، لاسيما إن كانت تلك الكتب متعبة، وتحتاج إلى كثير من التحرير وفيها الكثير من الأخطاء. أو أنها تخالف قناعاتك ومجبر على إتمامها وأنت ساكت ومؤدب.

لا أريد أن أجد نفسي بعد فترة وإذ بي أتحوّل إلى مجرد "مدقق لغوي"، وليس محرراً أدبياً، لأن الكتاب يخافون من عبارة "حرر فلان الكتاب"، لكنهم لا يخشون من قولهم: دقق فلان الكتاب لغوياً، بل إنهم يفتخرون بذلك، بمعنى أنهم أصل والمدقق خادم تحت الطلب. لذلك أراجع الكتب للأصدقاء فقط، مع شرط إضافي وضروري ألا يسيروا إلى أنني قمت بالتدقيق. مع أنني أيضاً لا أحب مهنة المحرر الأدبي، فهي تبعدني عن التأليف والكتابة، وتجعلني أيضاً تابعاً، وظلاً، وأقوم بها أيضاً خدمة للأصدقاء ليس أكثر.

على هامش إحدى الاتصالات الهاتفية مع أحد هؤلاء الكتاب الذين أعمل حالياً على مراجعة كتابه، تحدثنا عن الناشرين، وربما تعرفين رأيي في هذا الموضوع، فقد كتبت لك فيه كثيراً، وكتبت مقالات أيضاً حوله ونشرتها. فالناشرون أنواع على أي حال، ولكن أريد أن أقول لك ما توصلت إليه حول تعامل الناشرين مع الكتاب، هذا ما لمستته خلال حوارني مع ناشرين، ومنهم ناشرو كتيبي. ناشرو كتيبي لم يكونوا كلهم على درجة واحدة من الصدق، بعضهم كان كاذباً، وبعضهم كان لصاً، وبعضهم كان مستغلاً وانتهازياً، وبعضهم كان مجرد تاجر تافه. بالتأكيد كان هناك ناشرون جيّدون، فقد تعاملت مع كثير من الناشرين، ولكن من هؤلاء أريد أن أبين لك نوعاً واحداً، وهو أسوأ أنواع الناشرين.

هذا النوع يقسم الكتاب إلى ثلاثة أنواع: قسم يتعامل معهم على أنهم "بنك" لدار النشر والناشر، لتحقيق مصالح الدار في الشهرة والانتشار، ولن تكون هذه الشهرة من نصيب هذا الصنف من الكتاب للأسف، فليس لي حظ من الشهرة عن طريقهم، أما مهمتنا الوحيدة أن ندفع لدار النشر مبالغ طائلة أكثر مما يكلف الكتاب مرتين أو ثلاثاً.

الآن لك أن تتصوري التهافت على النشر من هؤلاء الكتاب، وأنا واحد منهم بكل تأكيد، فأنا من فئة "ادفع تطبع". كتبنا التي ندفع مقابلها مبالغ كبيرة، لا يروج لها على صفحات الناشرين الفيسبوكية، ولا يحملونها معهم إلى معارض الكتب، يطبعونها، ثم بعد فترة يتلفونها، حتى لا تشكل عبئاً في مخازن الدار. كل ما يستفيد الكاتب من هؤلاء هو حصته التي أخذها من دار النشر، مئة كتاب على أكثر تقدير، وهذه تذهب هدايا كما تعلمين، ودار النشر تتعامل معنا كمنكرات لا تضر ولا تنفع، حتى والناشر يعدد إنجازاته لا يذكر كتبنا من ضمن كتبه، على الرغم من أننا نحن وبفضل ما ندفع يقف على رجليه في المعارض، وهو يقدم نفسه خادماً لغيرنا بأموالنا. فما ندفعه للناشرين وهو كبير بمقابل التكاليف الفعلية، سيستثمره خدمة للقسمين الآخرين.

لعلك الآن تعرفين من هما القسمان الآخريان، لقد كنت من القسم الثاني، من يطبع ولا يدفع، ولكن لا تدفع له دار النشر، يعني بالعامية "لا إلك ولا عليك"، والقسم الثالث هو من تدفع له الدار

مسبقاً، وتدفع له مبالغ كبيرة، هذه المبالغ ستحصل مما يدفعه الفريق الأول، ومما يباع من كتب الفريق الثاني الذي لا يأخذ شيئاً، وليس له إلا أن يطبع له، وله حصة من الكتب أما نسبة الأرباح، فلم يحدث أن فعلها ناشر واتصل بكاتب وقال له: تفضل عندنا لنعطيك نصيبك. يسرقون حصته المقررة في العقود المبرمة، بحجة عدم البيع وأن العالم العربي لا يقرأ.

إن الناشرين يستشرسون في عمل الدعاية للفريقين الثاني والثالث، ويهملون تماماً كتاب الصنف الأول "ادفع تطبع"، فترى كتب هؤلاء تتصدر الإعلانات والصور والترويج وعمل الاقتباسات، والسفر إلى المعارض وعمل حفلات التوقيع، لأن الناشر هنا مهمته التجارة والربح، فلذلك تراه في مواسم معارض الكتب، لا يكون إلا تاجراً انتهازياً ولصاً ليس أكثر. يسرق جهود الكتاب من الفريق الأول والثاني لصالح الفريق الثالث، ولصالح نفسه، فهو في النهاية كالقمل يعتاش على رؤوس الكتاب وما أنتجته عبقرياتهم.

أعرف أنها حالة مرضية، وقلبي موجوع منها، وكما قلت لصديقي على الهاتف، وقد أعجبه المثل لدرجة أن عمل على كتابته "قلبي من الحامض لاوي"، بالفعل يصيبني هذا الموضوع بالقرف، ولكن لا أدري لماذا أصر على النشر والكتابة وأنا أعرف أنني سأقع كل مرة تحت طائلة الاستغلال الصريح.

هل لديك حلّ لحالي المرضية هذه؟ آمل ذلك، أعرف أنني ثرثرت كثيراً، لكنني أشعر بالراحة الآن، وقد وجدت من يسمعي ويقرأني، لعلّ عندك بعض حلّ أو مواساة مما أنا فيه. فلا أستطيع ألا أنشر كتاباً ألفته، ولم أجد ناشرًا أخلاقياً يحميني ويقدر ما أنا فيه. ولذلك سأظلّ ضحية للناشرين ما حييت إلا إذا كفت يدي عن هذه الصنعة وكسرت كل أدوات الكتابة، أو أن تحدث معجزة؛ كأنّ أفوز بجائزة!

يا له من حلّ سحري! أن أفوز بجائزة، ساعتئذ ستجدين الناشرين الذين أتلّفوا كتبي ووضعوها في حاويات النفايات الكبيرة، يبحثون عن نسخة مهملة هنا أو هناك ليعيدوا نشرها. هل يحدث وأفوز بجائزة لأتخلص من هذا المرض؟

هل سيغضب مني الناشر بسبب هذا الذي يجول في نفوس كثير من الكتاب الموجهين الذين صاروا يلجأون إلى طباعة عدد محدود من النسخ إرضاء لشهواتهم المريضة واتقاء لشر الناشرين وتلاعبهم. ويعيشون وهم نشر كتاب جديد. بالضبط كما فعلتها مع عدة كتب، نزولا عند منطق واقعية الأشياء، فليس لي من كتابي سوى مئة نسخة، ونسخ دار النشر لا تصل إلى القراء، بحكم أنها ستتلف بعد مدة، إذأ عليّ التسليم والاكتفاء بطباعة مئة نسخة فقط من أي كتاب، وهذه هي استراتيجيتي القادمة لطباعة ما تبقى من كتبي المخطوطة.

أتمنى أن تجعلني هذه الأمنية واقفة على الحدين؛ "بين الجد واللعب"، فكل كتاب الفريق الثالث كانوا فريقاً أولاً أو ثانياً، ولم ينقذهم من عبث الناشرين وتلاعبهم إلا فوزهم بالجوائز. أتمنى أن أقرأ

لك ردا حول الموضوع، لعلني أرى الأمور ببصيرة أخرى غير بصيرتي وبحدس آخر غير حدسي الذي أصدقه إلى الآن حول مسائل كثيرة، ليس النشر إلا واحدا منها.

أراك بخير، ولعلنا نلتقي قريباً، ولتسعديني بالكتابة ريثما تكون الفرصة سانحة للقاء، فأنا مشتاق لكل شيء فيك من "ساسك لراسك" وأنت أجمل النساء وسيدة الكاتبات.

قبلة حارة لشفتيك الرقيقتين المنقوعتين بالعسل اللذيذ.

الثلاثاء 2021/6/1

كيف أنت يا شاعر؟

أعتذر عن التأخر في الرد. مشاغل لراسي كالعادة، وسفر من مكان إلى آخر، أعدّ عدداً خاصاً بـ (....) بين العبرية والعربية. أعدّ لترجمة (أحد دواوينه)، وكتاب (آخر لروائي إفريقي) أقوم بمراجعته عن العربية وسيصدر في (....) قريباً. انتهيت من العمل على أنتولوجيا القصة العربية المعاصرة بين العبرية والعربية وسيصدر قريباً أيضاً.

التحرير الأدبي من أجمل ما قممتُ به على مدار الأعوام الثلاثة الأخيرة. الظلّ أحياناً أفضل من صاحبه، ولا أظنّ أنّ مهنة التحرير هي مهنة خادِم بقدر ما هي ذكاء وسلطة معرفيّة، وإلا فما حاجتهم إليك إن لم يكن لديك ما لا يستطع آخرون القيام به. مهنة التحرير الأدبي مهنة يعيش منها البعض. أما عندنا للأسف لا تزال الطريق طويلة لنعترف بها مهنة.

حالي في مجال النشر حال الإيجابيّ المستغني. فأنا أمتلك وظيفتي الأكاديمية ولا أحتاج إلى عملية التفاوض مع الناشرين، لهذا أختار وأتفاوض بطريقتي وبحريّة مطلقة، وأبني سلطتي بطريقتي. النشر العربيّ فيه شيء من المذلة والمهانة وأنت ترى نفسك تركزُ وتُرفض. لهذا فأنا لا أعول على أحد، وأشعر أنّ هذا أيضاً جزء من درس الحرّيّة والتحرر الذي تعلّمته وما زلت أتعلّمه.

نحن نحبّ الأدب، أحياء فيه طبعاً، لا نرزق منه رزقاً أساسياً، مؤكّد. ولا أستطيع إلا أن أنظر إلى الناشرين بوصفهم "لوبسترات".

شكراً فراس

دمت بخير.

ر. غ

الأربعاء 2021/6/2

أسعد الله كل أوقاتك، للمرة الثانية أكتب لك من مكتبي، ثمّة ما يجعلني أشعر بالقرب منك أكثر وأنا في مكتبي، لا يقطع خلوتي بك إلا بعض الزائرين، من الزملاء العابرين أو المراسلين الذين

يغدقون علينا أحياناً وحسب المزاج، كاسات من الشاي والقهوة والزهورات. على كلّ إنه لأمر جيد أن يستمر هذا الوضع.

نحن الآن على أبواب عطلة صيفية قصيرة، وأقصر من أي عام مضى، تبدأ من مساء يوم 6/15 وتنتهي صباح يوم 2021/8/1، هذا يعني من ناحية وظيفية الاستعداد لإنهاء العام الدراسي، وإكمال المهمات الإشرافية فيما يخصّ زيارات المعلمين، والشروع في أنكد حلقة من حلقات العمل، وهي تقويم المعلمين وتقييمهم، لتبدأ بعدها أعمال الثانوية العامة، لا أستطيع المشاركة في أعمال التصحيح كلها، فحسب التعليمات كل من له قريب مباشر لا يعمل في هذا الموسم. إذأ سيكون أمني وقت طويل أفضيه في المكتب، لا عمل حقيقاً للمشرفين في العطلة الصيفية. في العادة أفضيه بالقراءة بعد إقفال كل ما يجب عليّ لإنهاء العمل من إحصائيات وتقارير ومتابعة نتائج الطلاب.

من أسوأ المواقف التي مررت بها في العطلة الصيفية وها هي العطلة الخامسة التي لا أشترك فيها في أعمال الثانوية العامة، هو أن المسؤول المباشر يكره أن يرى أحدنا يقرأ في كتاب، إنها تولد لديه حقدا ما، أو غيرة، لا أدري. إنه يفضل أن ينشغل الموظفون على اليوتيوب وعلى الفسيبوك أفضل لديه من أن يحضر كتابا ويقرأ فيه. إلى الآن لا أدري لماذا؟ أحاول أن أفهم هذا التصرف ولكنني لا أجد تفسيراً، مهما كانت نوعية المسؤول وادعائه أنه مثقف ويقرأ الكتب. إلا أنه لا يحبذ لك أن تقرأ. إنه على العموم يفهم كلمة "المثقف" فهما خاطئاً جداً.

الفراغ قاتل، ويولد الملل، لكنني لا أملّ بسبب هذين النهرين المتجددين: القراءة أو الكتابة. أنا بطبيعتي أحب هذا كله، ولا أملّ منه. عطلة المدارس الصيفية فرصة كبيرة لمراجعة ما تم خلال هذا العام، من إخلالات ومن منغصات ومن سوء فهم، بينك وبين الزملاء وبينك وبين نفسك.

عدا هذا لقد أعددت للعطلة القادمة برنامجاً جيداً، سأعمل عليه بحب وصبر ومثابرة، سأنتج فيه نحو بناء كتب جديدة ومراجعتها، ثمّة مخطوطات كثيرة في جعبتي، أشعر أنني أسابق الزمن من أجل إتمامها. أفكر فيها طوال الوقت؛ هب أنني متّ فجأة من يقوم بإتمام هذه المهمة؟

ليس لديّ أبناء وبنات مهياًون للقيام بهذا، أولادي مشاغلهم مختلفة، لا يحبونني كاتباً على ما أظن، لم يقرؤوا لي، ولم يناقشني أحدهم يوماً بما كتبت أو عبّر عن إعجابه بي أو الافتخار بي كوني كاتباً. ابني الصغير، طفل ذو عشر سنوات عندما امتلك هاتفاً ذكياً اكتشف اكتشافاً مذهلاً: "بابا إنت مشهور؟"، ضحكت عندما سألني السؤال، كيف يفكر بهذا وما الذي دفعه ليقول ذلك. وبعد حوار قصير، حتى لا أفسد عليه ولا يفسد على نفسه أعباه. عرفت أنه صادق لي صورا على جوجل!

إنه اكتشاف أفرحني، ابني يعرف للمرة الأولى، صدفة، أنني مشهور! أو هكذا يتصور أن كل من له صور على جوجل سيكون مشهوراً حتماً. شرحت له المسألة، وأن الشهرة ليست كما تظنّ، ولا

أدري هل أدركها أم لا. منذ ذلك الحين إلى الآن لم يراجعني بشهرتي المزعومة. كيف يرى ابني الصغير "عصوم" أنني كاتب أو شاعر أو حتى مشرف تربوي، فأنا لا أزور مدرسته التي هو فيها، لا بصفتي وليّ أمر، ولا بصفتي الوظيفية. فوضعه في المدرسة جيد، سلوكاً وتعليمياً، وأظنه لا يكره المدرسة الكره الذي يجعله ينفر منها ولا ينهض مبكراً صباحاً، يستعدّ ليوم الدراسي كما ينبغي. إنه نشيط جداً، وينهض باكراً ويتناول فطوره ويستعد استعداداً كاملاً.

على كلّ سرقني هذا الحديث مما كنت أرغب في الحديث فيه. سأؤجل الحديث في ذلك الأمر لمرة قادمة، حتى لا أفسد هذه الرسالة بإطالتها. أسعدني جداً أنك تقرئين الرسائل، وتردين عليها. هذا له أثر كبير جداً عليّ، ولا أخفيك سرّاً أنني أكون منتظراً رسالتك بلهفة حتى أقرأ الجانب المقابل من لغتي وفكري بلغتك وفكرك.

دمت ودام وهج قلبك المحب، وإلى لقاء قريب.

الخميس: 2021/6/3

سلاماً يا شاعر.

شكر للرسالة.

كما يقول بوكوفسكي "أنا عبقرى ولا أحد يعرف ذلك سواي"، وربّما هذا أجمل ما في الكتابة "إذا بُليتيم فاستتروا".

أجمل ما في عملي أنا كترجمة وناقدة، أن لا أحد من طرفي يعرف تفاصيل عن مهنتي وعملي. هذا يتيح لي مساحة للمناورة واللعب دون أن أقع في سجال وجدال الأخلاقي والتربوي. أنا من كارهي السجلات، صرّت مقلّة في الكلام، لأني طافحة بأفكار الآخرين. وهذا يقزّم التلقظ أمام هالة صمت القراءة وصمت الكتابة.

لعنة أن تكون في الوعي، ونعمة أن تسقط فيه. لا نستطيع بدون الوحدة ولا نقدر عليها.

لماذا لم يعد إليك ابنك بعدها؟ سؤال جيد. لديّ إجابات متعددة له.

ر. غ

الرد:

لا أدري، ولكن أغلب الظن أن عالمي لا يستهويه وليس معنياً به، باختصار، لا يقع ضمن تصوراتها واهتماماتها، قرأت له ما كتبته عنه، ضحك قليلاً ثم مضى لشأنه، فابن الجيران ينتظره على حافة أخرى من العالم ليلعبا الببجي.

دمت وسلمت

صباحك كل شيء جميل يا أحلى كل شيء جميل، يا لملك ما أجملك! لعلك تعلمين أنني مفتون بك، فتنة مركبة، فتنة شهوة لا تطل، وفتنة علم، وفتنة روح وجمال، فما الذي يجعل المرء أسير الصور سوى الحب والاشيئاق؟ إنني كلَّ الوقتِ مشتاقٌ. وعندما لا أقول ذلك أكون قد كتبت اضطرابي واضطرامي بك. تأتي صورتك هذا الصباح أجمل وأشهى من كل ما عداها. ربما لأنني منذ زمن لم أشاهد لك صورة، إني متعلق بالصور إلى حد الهوس، على كل هذه مشكلة قديمة لا حل لها على ما يبدو، وقد جمعت لك العديد منها في ذاكرة الجوال والحاسوب معا، فلا امرأة أجمل منك. كل شيء يبدو فيك رائقا متسقا جميلا بهياً. هل أمدح أم أنغزل أم أتشهى؟ إنني كل هذا وأكثر.

هذا الجمال البهيّ يلعب في الشاعر فيّ شمالاً وجنوباً ويؤرجحني على حدين من شوق وحب. إنه يجعل شيطان الشعر، إن كان للشعر شياطين، حاضراً، شرهاً مثلي تماماً، فيأخذ من لغتي ما يأخذه من اقتباسات الشهوة في حضورك "المتحرش" بي حد الجنون. لا بدّ إذاً من حضور الشعر في هذا الصباح المميز ببسمة اللطيفة وعينيك الرائعتين، وشعرك الكستنائي وذراعك الأسمر الشهيّ. يا لهذا! هل تعتقدين أنني أستطيع المرور عنه مرور الكرام دون أن أحط الرجال متأملاً متشهباً، متمنياً. يا لهذا العذاب أيضاً أن تتمنى شيئاً لا يمكن أن تطوله يدك!

هِيَ حَبَّةُ الْكَرْزِ الشَّهِيَّةِ

فِي الشَّفَاةِ

يَسِيلُ مِنْ بَسَمَاتِهَا

الطَّعْمُ اللَّذِيذُ

هِيَ مَا تَكْوَرُّ فِي الْأَفَاحِي

وَمَا تَعْتَقُ مِنْ نَبِيذٍ

هِيَ حُرْقَةُ الشُّوقِ الْمُمِيتِ

كَلْحِمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهِي

"الْقَلْبُ" الْحَنِيذُ

إن قلبي حنيذ، بل إن كلي حنيذ. لك أن تتصوري ما أنا فيه من غليان الشهوة في هذا الصباح. فيا ليتنا نلتقي، فلا شيء يطفئ النار المشتعلة غير الانغماس في هذا البحر اللجّي، غرقاً فيك حتى ينتهي مني ومنك كل شيء!

أتمنى ألا تطول المسافة بيننا، ويطول وقت الانتظار أيتها الشهية والحبيبة والمجيدة والعلية، يا قمرًا يضيء ولا ينطفئ.

أحبك رغماً عما يعوق كل هذا الوهم! والمشتاق لوحشية قبلتك التي تلتهم شفتي في ميعاد ما. هل يحدث ونفعلها؟ يا ليت! وهل تنفعنا هذه "الليت"؟

إلى اللقاء أيتها الغنيّة بشهوة الجنون المتقد!

ملاحظة عابرة: لقد أعجبني ردك أمس على الرسالة.

الجمعة: 2021/6/4

صباحك عسل

حبيب قلبي فراس. هذا الذي أعشقه بفراس وكتاباته رسائل فيها بوح من أنفاسك المعسولة، صورتك وجهك كانت في مخيلتي طوال الليل؛ أنت جزء مني، وأنا جزء منك.

كم أشتاق لرسائلك، وأقرأها والابتسامة لا تفارق وجهي، وكم يسعدني أن تكتب هذا النوع من الرسائل، رسائل الحب والشوق. قلبي مفتون برسالتك.

إ. س

الاثنين: 2021/6/7

أسعدت أوقاتاً أيتها الجميلة، لا شك في أنني رجل محظوظ في أن يكون لي حبيبة مثلك، أكتب فتقرأ، وتكتب لي ردودها. أسعدني جدا حديثنا هذا اليوم، كان حديثنا شهياً، ألم تنتهي أنني خاطبتك بحبيبي مرات كثيرة، لم أكن أحب أن ينتهي الحديث بيننا، لقد منحني القوة، وشعرت أنني حكيم عصري، تنزلت عليّ الحكمة في آخر مكالمتنا، إنني معك أربي الأمل وأرعاه وأرقبه، فالحياة تستحق أن تعاش، وأن نسير معها إلى أقصى مدى ممكن، كم كنت أتوق لو كنت بقربي، لقبلتك تسعا وتسعين قبلة، وواحدة أخرى على مهل وتؤدة حتى ترتوي خلاياي وخلاياك من كل متعة ممكنة.

لقد شغلني عنك أمس مشاغل كثيرة، اليوم كان مزدحماً، نشاط المنتدى في مقر الوزارة في مدينة رام الله، ورؤية الأصدقاء، والذهاب إلى مكتبة الرعاة لرؤية العم (أبو إبراهيم) نقولا عقل وهو ناشر

كتابي المرتقب "استعادة غسان كنفاني". ما زال الناشر ينتظر تجهيزات الفهرسة في المكتبة الوطنية، وعدني العم نقولا أن يكتب تظهيراً على الكتاب. وها أنا أنتظر.

على الرغم من أن يومنا أمس كان جميلاً، لأننا شعرنا جميعاً نحن أعضاء المنتدى أننا نقدم خدمة إنسانية ووطنية وثقافية للكتاب الأسرى. كنت بالفعل منتشياً لنجاح الفعالية، ولكن وزارة الثقافة كعادتها تعض اليد التي تُمد إليها، تصوري أنهم لم يذكرونا بالخبر الذي أعده عن النشاط لا من قريب ولا من بعيد، وكل العمل قامت به رئيسة المنتدى من الإعداد وحتى التنفيذ الأخير وفرز النتائج، تأتي الوزارة وتقطف العمل هكذا ببساطة وتركنا من الملعب، كأنها أحد البلطجية الذي كانوا يزعجوننا ونحن أطفال، فيستولون على ألعابنا وملعبنا بعد أن نكون قد خططنا ومهدناه للعب، هم يأتون في المرحلة الأخيرة، وكذلك فعلت معنا الوزارة الشيء نفسه، أتت في المرحلة الأخيرة، فترة الإعلام والتصوير، ونسبت العمل لها وكأننا لا شيء. لكننا نرفض ونحن عنيدون جدا أن نكون حطبا لأي وزارة كانت، وسيرون منا ما لا يسرهم ويسعدنا ويسعدك ويسعد كل أصدقائنا بكل تأكيد، ويضع النقاط على الحروف، وينهي هذه المهزلة والبلطجة الثقافية.

على كل حال، لم تكن هذه هي المرة الأولى، وأظن أنها لن تكون الأخيرة، فالحكومة والوزارات عندنا أصبحت طفيليات تعتاش على تعب الناس وعرقهم، في السياسة وفي الثقافة وفي كل أمر. فمخطئ جدا من ظن أن للثعلب ديناً، أو أن للحكومة والوزارات والوزراء صاحباً.

لا عليك، كان يوماً جميلاً، حتى وأنا أحاول أن أتناسى هذا الهم عند احتضاره إلا أنني سعيد جداً، بما أنجزه، أخبرك أن لي في المطبعة كتاباً جديداً سيصدر عن دار الفاروق في نابلس أسميته "لا شيء يعدل أن تكون حراً". جمعت فيه كل الشهادات التي كتبتها حول كتاب "نسوة في المدينة"، والقراءات النقدية التي قدمها الكتاب والكاتبات فيه، وبطبيعة الحال سيكون مقالك في هذا الكتاب، بالإضافة إلى فصل يضم مجموعة من النصوص ذات اتصال بكتاب نسوة في المدينة، بعضها سقط سهواً والآخر عمداً. أظن أن الكتاب جيد في فكرته فقد جعلته تحت عنوان عام "في تأمل تجربة الكتابة". وهذا الكتاب أول تلك الكتب.

سيكون في نهاية هذا الشهر توقيع للكتاب ومناقشته في الخليل، لقد أحببت أن أكرم الكتاب الذي كتبوا لي وأكرم كتابي بهذه الطريقة من الاحتفاء، بحيث جعلت له كتاباً رديفاً يضيئه، بما يشبه الهامش الذي يعرف بالمتن. وسيكون حاضراً معي جنباً إلى جنب في حفل الإطلاق والتوقيع.

هذا مشروع كبير مواز لمشروع الكتابة ذاتها، أرجو أن أستطيع إتمامه على ما أتصوره. يشمل هذا المشروع عدة كتب، وها هو هذا الكتاب أولها. فلا بد من أن يتأمل الكاتب كتاباته، وأن ينظر إلى نفسه بعين القراء والنقاد والكتاب الآخرين.

لا ينتهي حديث الكتابة أيتها الحبيبة، آمل أن تكوني قد قطعت شوطاً في عمالك الجديد، وآمل أن أراه وأطلع عليه، فقد شوقني له كثيراً، ومنتظراً بشوق لقراءته، فلا يكفي الحديث عنه بعمومية الأفكار. أرجو ألا تطيلي عليّ به.

كوني على ثقة أننا سنلتقي ولن ينقطع هذا الأمل ما دمنا أحياء، إنني أنظر بعين قلبي فأرانا وقد شفي الغليل من الغليل، وتمتع الحبيب بالحبيب فكان الوصال، وابتسمت لك الحياة وابتسمت لي، وتألقت وجهك نورا مشعا ونحن نسكر من لذة الحبّ. حتى نلتقي لك مني كل الحب.

الاثنين: 2021/6/7

مساء النور فراس،

أتمنالك بخير. أعتذر عن عدم الرد، والله مشاغل كثيرة هذه الأيام وسفر على الطريق، بالكاد أفتح بريدي.

شكراً لرسالتك، سعيدة جداً بالأخبار الجميلة. أرجو أن تذكّرني بمقالة لي كتبتها عن كتاب نسوة في المدينة، لا أذكر أنني كتبت مقالة، أرجو أن ترسلها، ربّما ملاحظات أو رأي عابر. إن كنت ستترفق شيئاً فأتمنى أن يكون رأياً مؤطرا في شكل واضح اسمه مقالة.

أشدّ على يدك، رائع ما تفعل. الحديث عن وزارة الثقافة حديث شرحه يطول ولا حلّ له.

أحاول هذه الأيام أن أصل إلى حقوق ترجمة غسان كنفاني. أسمعنا لو ناديت حيا. يقولون الحقوق مع زوجته، وزوجته لا تردّ. أيعقل أن يكون إرث أكبر وأهم كاتب فلسطيني في يد مجهولة؟ أين دور وزارة الثقافة؟ كلما أردنا أن نصل إلى حقوق كبار كتابنا غصنا في دوائر لا طائل تحتها.

على كل، لنا حديث في هذا الشأن وشؤون أخرى.

رسالتك الأخيرتان جميلتان ومعبّرتان وفيهما قوة وشرارة وأمل.

دمت بألف خير

ر. غ

الرد:

يسعد مساك يا جميلتي.

كنت أحب أن أسمع ردك في تلك الرسالة التي وصفت أترك في. الصورة التي وضعتها في القصة (الستوري) أنت تعلمين كم أتلذذ بالنظر إليك. فأنت لست جميلة وحسب، وإنما لديك جاذبية لا تقاوم.

بخصوص ما ذكرت من أمر المقال، هو اقتباس منك عندما ترجمت رسالة أيروتيكية فاستشهدت بها. جاء الأمر كأنها مقال أعتذر عن هذا.

خصصي لي وقتاً لأراك في وقت قريب.

ف. ح

الجمعة: 2021/6/11

غاليتي الجميلة أسعدت أوقاتاً وفرحاً وحباً، أرجو أن تكوني بخير، وأن تجدي فرصة لتقرييني وتكتبي لي. أعرف مشاغلك وما أنت فيه، وسأكون سعيداً جداً عندما أقرأ شيئاً منك ولو كان سطراً واحداً. أشتقت إليك جداً، منذ مدة طويلة لم أشاهد لك صوراً جديدة، هل ستسعديني ببعض الصور؟

منشغل أنا كذلك هذه الأيام، لقد عدت إلى العمل على النشاطات الثقافية مع منتدى المنارة، أنشطة كثيرة قادمة، كبيرة بحاجة إلى إعداد وتخطيط جيدين مع رئيسة المنتدى الدكتورة لينا، الأمور تسير بشكل جيد واعتيادي وسلس، وها نحن نعمل، على أمل أن نستضيفك يوماً في موضوع ضمن اختصاصك، وأود أن يكون لنا نشاط حول الترجمة، أفكر منذ مدة بعمل فعاليات حول الترجمة. كنت قد كتبت حول هذه الفكرة، ولكنني لست مترجماً. أعتقد أن سيكون لقاء مفيداً. ربما عملنا على ذلك في اليوم العالمي للترجمة.

وعلى سيرة الترجمة، طُلب مني للمرة الثالثة ترجمة بعض نصوصي إلى اللغة الإنجليزية لتُنشر في مجلات أجنبية، أرسلت دواويني إلى زميلة في الإشراف التربوي لتختار هي النصوص لترجمتها، لم أرد أن أفرض عليها نصوصاً معينة، فأنا أؤمن بالترجمة عن حب وقناعة، وليس بطريقة ميكانيكية. لعلها تترجم لي ثلاثة نصوص على الأقل، للنشر في تلك المجالات. فهل يا ترى سأصبح مقروءاً في لغة غير اللغة العربية؟ ثمة ترجمة أخرى قادمة إن حالفني الحظ لقصة قصيرة جداً، ضمن كتاب يضم قصصاً عربية تترجمها إلى الإنجليزية الكاتبة والشاعرة السورية هند زيتوني. لعلّ تلك القصة تجد طريقها إلى الكتاب. لم تعد تذكر لي هند أين وصل العمل، لكنها تقول لي بين الحين والآخر أنها تعمل على الكتاب¹.

¹ أعلنت الكاتبة هند زيتوني على صفحتها في الفيسبوك بتاريخ: 2023/11/20 أن القصص القصيرة جداً صدرت في كتاب واحد عن دار الدراويش في بلوفديف، بلغاريا، مترجمة إلى اللغتين الإنجليزية قامت بها هي، وأخرى باللغة الفرنسية بترجمة الشاعر مجد العرجوني. ولم ينجح الأمر لتكون مشاركتي ضمن هذه القصص.

قاربنا على انتهاء العام الدراسي، وسأكون في رام الله الأسبوع القادم أيضاً للتنسيق حول فعاليات ثقافية نقيّمها هناك. أكتب كثيراً هذه الأيام. اليوم سيكون هناك ندوة عبر الزوم لمناقشة "أفاق العمل الثقافي في الضفة الغربية"، لم أرض كثيراً عن هذا التعبير "الضفة الغربية"، ماذا على المنظمين لو قالوا فلسطين، كل فلسطين. على أي حال الموضوع مفتوح ومتشعب وآمل أن تتاح لي الفرصة فأقول ما لديّ.

لعلك اطلعت على مقالتي الأخيرة حول الناقد وليد أبو بكر وشعره، ولا شك في أن لديك ما تقولينه حول هذا. أبلغيني شيئاً عن ذلك لو أحببت أن توضحي بعض الجوانب. لقد أنثي الدكتور عادل الأسطة على المقال، ولكنني نسيت- كما قال- أن أذكر راشد حسين ضمن شعراء فلسطين الذين ظلموا بسبب وهج درويش الشعري. أتذكر الآن ما قاله درويش عن راشد حسين: "أنا جزء من راشد وراشد جزء مني، فادفونوا وانهضوا، انهضوا إلى نشيد الحرية، نشيد الوطن، نشيد الفلسطيني العائد".

منذ مدة طويلة أنتظر نشر مقالة لي حول رواية "مأساة كاتب القصة"، المقال طويل، يقترب من ثلاثة آلاف كلمة، يطلب مني المحرر الثقافي للجريدة اختصار المقال وتكثيفه إلى ألف كلمة. كيف أختصر مقالا، وأكثره، فأتلخص من ثلثيه؟ إنها مشكلة. الصحف الورقية مساحتها محدودة، وقد سبب لي هذا إرباكاً وأنا أكتب أحياناً. المحرر الثقافي في الرأي الأردنية كذلك لا يحبذ المقالات الطويلة. يواظب الدكتور عادل الأسطة منذ مدة على إنهاء مقاله الأسبوعي في جريدة الأيام: "المساحة محدودة والكتابة تطول". الجملة الخاتمة فيها نوع من الاعتراض المبطن والشكوى من تقنيات الصحف التي تحدّ من الإسهاب والإيضاح اللازمين في أحيان كثيرة. لذلك أنتظر طويلاً حتى تتاح لي فرصة النشر. المقالات الطويلة أصبحت على ما يبدو مشكلة. أشعر أحياناً أن كل شيء ضيق المساحة هذه الأيام، حتى الفضاء الإلكتروني ضيق ومزدحم. عليّ ألا أخضع عقلي الباطن لاحتياجات الصحف وتقنياتها. يرفض المحرر نشر المقال الطويل على حلقات أيضاً، لأنهم في إدارة الصحيفة توقفوا عن ذلك منذ مدة طويلة. جعلت المقال بين يدي المحرر ولم يحسم إلى الآن، لعله سيفاجئني قريباً فينشر المقال.

غير هذا وذاك، هناك من يعمل على كتاب خاص "أنتولوجيا" شعرية من جزئين لتضم قصائد عن القدس، هكذا يخبرني الصديق حسن عبادي، يرسل إليّ رسالة بهذا الخصوص. لقد تفاجأ حسن أن لي قصائد عن القدس، كل ظنّه- ربما- أنني لا أكتب شعراً إلا في النساء والأپروتيك. إن شأني مع القدس كأني شاعر عربي وفلسطيني، فلم يوجد شاعر لم يكتب عن القدس، الكل كتب ويكتب وسيظلون يكتبون عن القدس، بل ربما القدس هي امرأة الشاعر الفلسطيني الأقرب إلى النفس والوجدان، أنا اكتشفت أنني كتبت عن القدس نصوصاً شعرية كثيرة، أكثر من 20 صفحة في قصائد متنوعة. إنه كمّ يصل إلى حجم "ديوان صغير". مع أنني أتجنب الحديث عن السياسة في الشعر. هناك دراسات كثيرة عن حضور القدس في الشعر الفلسطيني والعربي وتعتبر كشفاً مهما لفريق الإعداد الذين يبحثون عن الشعراء وعن القصائد "القدسية". العمل مسبوق بطبيعة الحال، فقد كان هناك أنتولوجيات عن فلسطين كثيرة، ولعل أهمها "ديوان الفرقان" الذي أعده

مؤلفه "د. أسامة الأشقر" عام 2009 ليجمع قصائد كتبت عن غزة، وكان لي حظ أن يكون لي فيه قصيدة. والعمل المخصص لجمع قصائد الشهيد مجد الدرّة، وهو على ما أظن من جزأين. مأساتنا على ما يبدو ملهما شعرياً مكتنزاً. يا للمفارقة يا عزيزتي! الناس تموت والشاعر يكتب شعراً جيداً، يا للسخرية ما أمر مذاقها!

ما زلت أنتظر خروج الكتابين من المطبعة "استعادة غسان كنفاني"، لم تنته الدار بعد من إتمام الغلاف، أما كتاب "لا شيء يعدل أن تكون حراً" سيكون بين يديّ آخر الأسبوع القادم أو مطلع الأسبوع الذي يليه على أبعد تقدير.

هذا يا الحبيبة ملخص لانشغالاتي وانتظاراتي القادمة. ما أجمل لو تأتين إليّ يوماً فأستضيفك في نابلس! لن أعرفك عليها، وما زلت أذكر قولتك البعيدة: "لا تتعامل معي كمرشد سياحي يا فراس أنا بعرف نابلس أكثر منك". يا لبيتك تأتين وأنا سائحك المشتاق، وأنت أنت الدليل السياحي والعاطفيّ.

بانتظارك بلهفة كل المحبين. اعطني بنفسك جيداً ولا ترهقها بالعمل. قبة لشفتيك الناعمتين اللذيتين. وكلّي شوق لردك وصورتك. أحبك.

الجمعة: 2021/6/11

يسعد مساك فراس،

أرجو أن تكون بخير هذه الأيام.

اعتذر عن التأخر في الرد، لانشغالات بركانية متفجرة يومياً. فترة غريبة عجيبة لن أنساها في حياتي. نعم قرأت مقالاتك عن وليد أبو بكر، مقالة جيّدة وتأملات جميلة. ربّما يحتاج إلى تفسير وتأمّل أكبر في مفهوم "هجران" الكتابة، أو الهجران عمومًا، الجرح النرجسي الذي يصيب الكاتب وهو يتنقل بين أجناس الكتابة ولا يجد نفسه ملجأ في أي منها، فيختار، ربما طوعاً وربّما قسراً، أن يكونوا فيها دوناً عن غيرها. ربما، الأفضل أن نسأل الكاتب عن اختياره وترك المجال للتأملات والتكهّنات حول الأنا الجريجة.

بالمناسبة يصادف يوم 8.7 ذكرى اغتيال كنفاني، وربّما حان الوقت للحفر عميقاً في عمق هذه الشخصية الكاتبة. لم أر حتى الآن مقالة واحدة تتجرأ على تناوله بشيء من الدنيوية، كل المقالات تأتيه من كل الجهات وتثبت صورة القديس. أحب كنفاني كثيراً، وأحب فراس فراس، وقد انتهيت منذ أيام فقط من قراءة فراس فراس.

وربّما بدأت تتخمر فكرة لمقالة قادمة حوله كنفاني.

شكراً جزيلاً لك،

وكم من شهيدٍ في الكتابة الفلسطينية لم يوف حقه...

(الصّور قصّة مزاج وحالة تأمل وعفوية).

لبيلة سعيدة

ر. غ

السبت: 2021/6/12

أسعدت أوقاتاً، لقد أصبحت مشتاقاً إليك جداً، ولا أدري متى تطفئين حر هذا الشوق، كنت متأملاً ألا تخضعيني للمزاج والعفوية في طلب الصورة. لكن لا بأس، فكلك بكامل تجليك المجنون مطبوعة في ذاكرتي وقلبي.

لا جديد لأخبرك فيه، عدا أمر هذا القلب، هي الرغبة فقط في احتضانك، ما تدفني دوماً للكتابة إليك. فلست أمل من الكتابة إليك مطلقاً، أحسن أنك معي ونتحدث سوياً كلما كتبت لك.

بالنسبة للشهيد غسان كنفاني، وما أشرت إليه من مقالات كتاب "فارس فارس"، بعثت لك رابطاً للمقال الذي كتبتة حول شخصية كنفاني النقدية، آمل أن يكون مقالاً جيداً من وجهة نظر نقدية وميتانقدية. باعتقادي نحن بحاجة كبيرة إلى هذا النوع من النقد. لكن النقاد يخذلون القراء في أحيان كثيرة.

دمت بخير، راجياً أن تكتبي لي حول المقال، فأنا أحب تقييمك، وأثق بوجهة نظرك، لم تصلني النسخة المعدلة من الكتاب بعد، حالما تصلني أحولها مباشرة، الكتاب لا يتجاوز (192) صفحة، أرجو أن يصلني قريباً، أبلغني أمس الصديق حسن عبادي أن الكتاب جاهز في نسخته الإلكترونية بناء على رسالة من نقولا إلى حسن.

أدعو الله أن تأتيك المزاجية العالية في تجليها، لتفيضي بها نورا بصورة تشملني بجنون لذتها.
أحبك.

الثلاثاء: 2021/6/14

أسعدت أوقاتاً، أرجو أن تكوني بخير، وأن تتقبلي هذا العزاء الخجول الذي جاء متأخراً. لن أكون "شيخاً" ولا "واعظاً"، فالموت لا بد منه، طال العمر أم قصر، فإننا لله وإنا إليه راجعون، فمن عاش اليوم، سيموت غداً أو بعد غدٍ. فلست أثق في هذه الحياة مطلقاً، فلا تتأسفي، وعلينا أن نستمر، فالحياة مع كل ما فيها من غموض، تستحق أن تعاش.

في الحقيقة، يا عزيزتي، لا أحب أن أكتب عن الموت، بل إنني أنساه وأتناساه على الرغم من أنني أراه يومياً من حولي، في جيراني وأهل بلدي ومعارفي، لم أعد أحفل بالموت لا من قريب ولا من بعيد، فليأت في أي وقت، وليأخذ من شاء، فمن كانت آخرته التراب فله التراب وحسب، فلا معنى

لأن نفكر كثيرا بتفاصيل الحياة، وهمومها، كل حي منا، يؤدي دورا مرسوماً له، وعندما ينتهي دوره، ينزل عن خشبة المسرح، ويأتي غيره من الممثلين، فلا بقاء إلا للخشبة، أما الممثلون فكهم راحلون.

وما دمت أتحدث عن الموت، فهذا هو سعدي يوسف قد مات. أنا لا أحب سعدي يوسف إطلاقاً، لا شاعراً ولا إنساناً ولا مثقفاً. كان منذ سنوات صديقا على الفيسبوك، أنا من بادرت بإضافته بطبيعة الحال، كان جلفاً، مغروراً، يريد أن يقرأه الآخرون، ولا يحفل بغيره، كنا بالنسبة إليه كائنات تعتاش على مخلفات أفكاره التي لم تعد تنفع. حذفته من قائمة الأصدقاء، لأنني أكره الغرور، وأكره العنجهية. وهذه العنجهية ليست تخصه وحده، بل كل من نقول عنهم إنهم "كبار" هم في الحقيقة متعالون، درويش كان مثله وأكثر، لم أحب من هؤلاء إلا سميح القاسم، كان دائما الحضور مع الناس ومع الشباب، تستطيع أن تتحدث معه وتبادلته الأفكار، يقرأ لك، ويشجعك. لم ألتق سميحا، لكنني أحببته من سيرته على لسان معارفه، ولم ألتق أيضا بمحمود درويش، لكنني كرهت فيه عنجهيته من خلال معارفه، أحب درويش شاعرا ولغعا، وأكرهه شخصا، كالمتمني تماما، أكرهه لتعاليه، وأحبه لتغنيه الشعري الجمالي الباهر.

حدثني يا عزيزتي أحد الناشرين أن شاعرا مرموقاً لم يتقبل هديته وكانت كتابا شعريا لشاعر شاب، تصفح الشاعر المرموق الكتاب، ورماه أرضاً، وقال: هذا ليس شعرا. لاحظي العنجهية والغرور، لم يحترم الناشر أولاً، ولم يحترم الكتاب ككتاب ثانياً، ولم يتعامل بلطف ثالثاً. هذا الصنف من الشعراء لو كان يقول قرأنا معجزاً لا أعترف بشاعريته. الشاعر أخلاق وسلوك راقٍ أولاً قبل أن يكون فنان لغة. سعدي كان من هؤلاء إضافة إلى أن سعدي تطور إلى رتبة "شاعر رديء" في آخر حياته الشعرية، صار يهذي. لم يعد شاعرا جديرا بالقراءة، لولا أن "شلتته" من الشعراء أمثاله يصفقون له ويمدحونه. بالإضافة إلى أنني كرهت هذا الشخص لأمر مهم بالنسبة لي، ليس لأنه شيوعي أو يساري، فأنا أحب الشيوعيين واليساريين، وأحترم مناقشاتهم العقلية وإن اختلفت معهم. سعدي بذيء وليس مفكراً، أهان بكلام يقول عنه مؤبونه أنه "شعر" شخصية عائشة زوجة النبي محمد ﷺ، لقد قلّ أدبه كثيراً، ولم يناقش المسألة فكرياً أو عقدياً، وإنما قال كلاماً مبتذلاً في حقها وحق الرسول الكريم. إنه سيئ بدرجة السفاهة والسفالة.

لا تظني أنني أحمل أفكار إرهابية منغلقة، لكنني أحب النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام - حبا جما والله، وأكره كل من يرميه بسوء، أو أن يتحدث عنه بحديث غير منطقي وغير موزون وأمقت كل من شتمه وسبه، المفكرون العظماء حتى من الملحدين والشيوعيين، لا يشتمون ولا يبتذلون في القول إنما يسردون الحديث بالبرهان كما يعتقدون، وهؤلاء أحب أن أقرأهم، لأنهم ينمون عقلي، ويدربونني على سعة الأفق، والاختلاف بحبٍ مع الآخرين، فالعالم ليس شكلاً واحداً وليس فكراً

واحدًا. أعدّ حاليا كتابا حول ظاهرة "شارلي أبيدو"¹ وتفاهة المثقفين والحكام العرب الذين تغنوا بالمستعمرين، ووقفوا إلى جانب الصحيفة وفرنسا الاستعمارية القذرة.

ماذا وجد محمود درويش الذي لا شيء يعجبه في سعدي يوسف ليعجب بشعره، وليكتب له قصيدة ويهديه إياها، أظن أن درويشاً فعل هذا²، لم أعد أتذكر هذا النص ولعله التبس عليّ وخانتني الذاكرة، لعله كتب له كما كتب لسليم بركات وللسياب ولغيرهم. أرجو أن تفيدني، لم أعثر على القصيدة، وربما وقعت في الخطأ وأنا لا أدري.

في كل الأحوال، لا أجد كبير حاجة للحدِيث كثيرا عن الأموات، والزمن كفيل بإثبات شعرهم ومواقفهم، لكنني مستغرب فقط من تسلق ظاهرة "الشاعر الكبير"، فقد تحولت حوائط الأصدقاء الفيسبوكية إلى ملطمة "تتشعبط" على أنفاس الموت.

العزيزة الغالية، أرجو أن تتجاوزي ما أنت فيه، أكاد أشعر بذلك الضيق الذي يكتنف روحك، ولو كنت أعلم ما هي ظروفك لهاتفتك. اکتبي لي أرجوك لأطمئن. قلبي وروحي معك. سلام.

الثلاثاء: 2021/6/15

تحية طيبة فراس،

أرجو أن تكون بخير.

شكرا لرسائلك. قرأتها اليوم فقط بعد انتهاء بيت عزاء الوالد.

انتهيت من استقبال المعزّين ودوشة بيت العزاء والكلام والترثرة. الآن فقط أحاول أن أستوعب ما حصل. هناك أكاديميون ومحاضرون في الأدب يتصلون بي يسألونني كيف مات غرقاً، وأنا أحاول أن أشرح أن نصّ "أجمل غريق في العالم" هو نص لماركيز، وأن أبي مات نائماً، وأنا في زيارة لهم، وكنا قد جلسنا وسهرنا وتعشينا معا وضحكنا. أفقت صباحا وتوجهت إلى غرفته لدعوته إلى الفطور معنا فكان بلا روح.

ربما هو ألم الفقدان مرتين، مرة قبل عامين مع وفاة أخي البكر في الأربعين، وهذه المرة مع وفاة أبي في الستين. ونحن عائلة صغيرة جدا، ولم يعد هناك أحد تقريبا في البيت.

شكرا جزيلاً لك،

سأتجاوز

دمت بخير،

¹ صدر الكتاب تحت عنوان "من قتل مدرّس التاريخ" عن دار الفاروق للثقافة والنشر.

² قصيدة فرس للغريب.

شاعرتي الجميلة:

أسعدت أوقاتاً، وأرجو أن تكوني بخير، ما زلت أفقد وجودك، وأشتاق لرؤيتك، فكلما طلع النهار أتذكرك، هذه حالة يبدو أنها ستستمر طويلاً. لا بأس سنظل على أمل، لعلنا وعسانا نلتقي يوماً.

ها نحن نستعدّ لعقد فعاليات ثقافية بمناسبة الذكرى الرابعة والخمسين لنكسة حزيران المشؤومة، ياه! كم من مناسبات مشؤومة في حياة الشعب الفلسطيني، منذ بلفور اللعين وحتى الآن، يعجز الإنسان عن حصرها. إننا شعب مبتلى بالمصائب. على كلِّ سيكون هناك أمسية شعرية يوم السبت 2021/6/19، سأكون مشاركا فيها عريفا لها، ولك أن تتخيلي كيف يكون شاعرٌ عريف حفلٍ للشعراء. سيشارك شاعران وشاعرتان، أمل أن تكون ناجحة. يوم السبت القادم سيكون حافلاً منذ الصباح وحتى ما بعد العصر. وسيكون هناك حوالي (50) فناً تشكيميا من الناصرة وأخواتها، مشاركين في رسم أحداث النكبتين المشؤومتين، يبدأون بعرض لوحاتهم منذ الحادية عشرة صباحاً.

من أخباري الخاصة الإيجابية؛ أنه ربما سيصدر لي ديوان شعر قريباً جداً، وهو ديوان "وشيء من سردٍ قليل"، وربما شاركت أيضاً بمؤتمر الرواية القادم الذي ستقيمه وزارة الثقافة في ذكرى استشهد غسان كنفاني الشهر القادم. الأمور بشكل عام تبدو جيدة جداً، أعمل على ديوان جديد بعنوان "قصائد إلى صوفي"¹. هذه آخر الأفكار والاحتمالات المستقبلية، ماذا عنك؟ أرجو أن تكوني قد تجاوزت الحالة، ورجعت إلى ممارسة الحياة والكتابة بشيء من الرضا والتسليم.

اقرب موعد لإطلاق كتابي "نسوة في المدينة" سيكون في مدينة الخليل يوم السبت 2021/6/26، بتنظيم من نادي الندوة الثقافي، أرجو أن تتمكني من الحضور، فها أنا أدعوك برغبة شديدة أن تكوني مشاركة معي، بل يكفي أن تكوني موجودة بيننا، سأكون سعيداً وأكثر. وربما كان اللقاء المرتقب في مكان لم يكن في الحسبان.

أعددت لإطلاق الكتاب كتاباً آخر. أهم ما فيه شهادات إبداعية حول الكتاب والقراءات النقدية. يا لغباء أحد محرري المواقع الإخبارية؛ عدّل اسم الكتاب. تخيلي الفصاحة والكياسة والفراسة واللمحية، غير اسم الكتاب وحرره من جديد. غيّي بكل تأكيد، يصبح اسم الكتاب "لا شيء يساوي الحرية" بدلا عن "لا شيء يعدل أن تكون حراً". إنها حالة تذكري بتلاعب الصحف والمواقع الإلكترونية عندما كنت أرسل المقالات، فيقومون بتعديل بعض العناوين؛ ربما رغبة منهم في عنوان لافت كما برر لي أحد هؤلاء. لكن تغيير اسم كتاب مطبوع إلى اسم آخر يودي

¹ صدرت القصائد في ديوان "على حافة الشعر ثمة عشق وثمة موت"، دار بدوي للنشر، ألمانيا، 2022.

بالكتاب وحضوره الإعلامي، أظنها ترقى لتكون جريمة أدبية، إنه تلاعب يخلو من حسن النوايا، إنه جهل مطبق.

أعتقد أنك واجهت مثل هذه المواقف في حياتك الأدبية، قد يحدث في حالة الترجمة كثيراً، فيتم تغيير عناوين الكتب في رحلتها من لغة إلى لغة أخرى. إنها الخيانة غير المحمودة في عالم الترجمة.

سررت برسالتك الأخيرة كثيراً، فكلمنا كتبت لي أزداد شوقاً للكتابة، أحب ذلك منك، وتشعرتني بأهمية أن أواظب على مراسلتك، لأن كل رسالة أكتبها تحمل في طياتها رداً محتملاً إلى درجة اليقين. لا شيء أجمل عندي من أن تكتبي لي. لا تجعليني أنتظر طويلاً، رحمة بهذا القلب الذي يحبك دون حدّ.

بانتظارك متى وأين لا أدري. وحدك والظروف من يقرر هذا.

قبلائي الحارة لمبسمك اللطيف.

الجمعة: 2021/6/18

العزیز فراس،

أرجو أن تكون بخير.

شكراً للرسالة.

مبروك إنجازاتك الإيجابية، سعيدة بأنك تنتج وتعمل وتنشط على الدوام، هذا مهم، إن لم يكن الأهم.

أعتقد أننا سنلتقي قريباً (ربما في نهاية هذا الشهر) سأحاول ألا أحدد لقاءات أخرى في نابلس.. وسأستلم منك هداياك الأدبية.

اليوم، وجدتُ عنواناً، أخيراً، لمجموعتي الشعرية، بعد عناء طويل. ربّما الموت كان سبباً في ذلك...

العنوان هو "....." بالنسبة للمجموعة الشعرية.

دمت بخير

ر. غ

الجمعة: 2021/6/18

الشهية اللذيذة الجميلة التي لا تقاوم، أسعدت أوقاتاً. ماذا تتوقعين أن يحدث عندما أرى صورتك وهي واصفة لكل هذا الجمال الذي لا يقاوم، يشعرني بالجوع إليك، كأنني لم أجرب النساء قط، ولم أتذوق لهنّ طعاماً قبل ذلك. لا تخيلي سعادتي عندما أبرقت الصورة في وسط الشاشة، إنها فعل الجلاء والضيء. كيف لا أرى هذا الجمال ولا أشتاق إليك، يا!!!!!!!!!!!! ما أجمل كل هذا البعيد عني والقريب إليّ!

أخشى أن تحولني الصور إلى مراهق متهور لا يبحث إلا عن متعة في النظر، أخشى أن أموت ولا أتذوق لك طعاماً. يا لها من غصة ألا يتذوق الحبيب حبيبته! يا لها من مرارة ألا يعنما بلحظة من الوصل طويلة، لا تنتهي، ولا تبرد، ولا يخف بها الجنون.

بماذا حدثتك نفسك وأنت تطلقين هذه الصورة؟ كعادتك، ساهمة في البعيد، تبحثين عن مجهول بعيد، كأنك تقلبين كتاب الكون بحثاً عن المعنى. لا أدري كيف أفسر هذا الموقف. هل كان عفويّاً كما قلت لي سابقاً، أراك في كل صورة أجمل وأشهى وألذ، إنك تفقديني متعة السيطرة على نفسي وعلى لغتي، وترفعين درجة حرارتي وأصاب بالارتباك كأن لسعة من كهرباء ضريتي. أو أن مساً من الجنون تلبّسني.

كم أنت امرأة شهية، بعيداً عن حشري بقائمة "الذكور" والنسوية، في لحظة أنسى من أنا، وأرتدّ إلى طبيعتي الوحشية غير المهذبة، وأفكر في افتراسك دون أدنى رحمة. إنني مجنون في التفكير بك. لا أرعوي وغير مبالٍ، لا أرى إلا الشياطين تؤزّني أراً لأخذك دفعة واحدة دون مقدمات.

ماذا فعلت بي أيتها الشقية هذا المساء؟ إنك تحفرين في أم رأسي في عقر دماغي، أشعر أنه يوجعي من شدة الحضور السماوي الأرضي الوحشي الشبق. هل أنا شبق إلى هذا الحد؟ بالفعل لا أدري. أنا لا أشتهيك وحسب، بل لا أعرف إلا أن أشتهيك كل الوقت؛ ليلاً ونهاراً، فلا يكفّ العقل من استحضارك لتكوني متعته الأبديتين.

لن أطلب منك السماح ولا المغفرة، لكنني أطلب المزيد من النار التي تحرقنا معاً في سرير الشهوة الموعود. يا ليت أن ذلك يحدث يوماً، لتذوق كل خلية في كل خلية فيك، فأفرح فيك وأنتشي، وتبرق عينك ويحمرّ وجهك ألقا من روعة الاختمار في لحظة الغرق الشهيّ.

اللغة تخون يا حبيبة عمري، أكتب إليك وكلي مشتاق، وبعضي يسابق بعضي للارتقاء في حضنك، طفلاً لا يبحث إلا عن الأمان هناك. الأمان في أن يحتويني قلبك وعقلك وجسمك، لأكونك وتكونيني. يا امرأة لا تُحدّ، ولا تُردّ، ولا ترتدّ إلا وهي السلطانة التي لها كل ما في هذا الكون يخدمها، ويقبل راحتها، ويتأمل اكتمال حضورها. يا لله كم أنت مذهلة وكم أنا ذاهل، تصيبني الرعدة بجنونها، ويصيبني الحب بدائه الذي لا يريد أن يبطل عدوه في دمائي الفائرة.

أرجوك حاولي ألا تتأخري في اللقاء، والكتابة إليّ، ولا تمنعني هذه اللغة المجنونة من أن تتمتعيني
بجمال لغتك على الأقل، فلم يعد لي صبر أصبره، وانعدمت المقاومة ورفعتُ الراية، فيا ليتك الآن
هنا، ليكون لله قدره فينا يحبه لنا ويباركه.

قبلائي المجنونة لكلك المبدع البديع.

الثلاثاء: 2021/6/22

أسعدت أوقاتاً، ومتّعتك الله بالرضا وراحة البال. منذ ثلاثة أيام وأنا أحاول كتابة هذه الرسالة. لم
أكن أستطع أن أنشئ لك رسالة جديدة، لا أدري ماذا حلّ بلغتي وألجم الأفكار. على كلّ ها أنا
أحاول للمرة الخامسة. كم هي صعبة أحيانا الكتابة. لا بأس، سأحاول مرة أخرى لعلي أنجح. لقد
كتبت ومحوت وتأففت، وانزعجت، كتبت أيضا على الورق فمزّقت وتألّمت. شيء غريب أصاب
لغتي بالشلل التام. ربما يحدث معك هذا أليس كذلك؟ فمأزق الورقة البيضاء مزعج ومقلق،
ويشعر بالضجر، وبالحنن أحيانا.

اليوم أكتب لك من البيت، سأتوجه إلى رام الله، ثمّة عمل مشترك سنقوم به أنا والدكتوراه لينا
الشخشير، تنسيق لفعاليات ثقافية في المدينة، سنلتقي العم نقولا عقل، في مقر مكتبة الرعاية،
وسنلتقي المسرحي المشاكس نضال الخطيب، مؤسس مسرح الطنطورة. نضال شخص رائع جدا،
عائلته كلها ممثلة معه، يشكلون فرقة؛ عائلة فنية مسرحية؛ زوجته وأولاده. ابنه موسى تعرفت
إليه في نابلس السبت الماضي، فتى في مقتبل الحياة، حاصل على جوائز في المسرح. اليوم نحن في
ضيافته في بيته لتتعرف إلى عائلته. تذكرني هذه العائلة بعائلات فنية معروفة، كعائلة بندلي
وعائلة الرحابنة. وعائلة سمير غانم، وبكثيرين آخرين غير هؤلاء العمالقة.

سأبلغك ببعض التفاصيل عن هذه الجولة في رسالة قادمة، أرجو أن تكوني سيطرت على الوقت،
واستطعت إنجاز جانب كبير من العمل. أعرف أن العمل لا ينتهي والعمر ينفد بسرعة، ولكن علينا
ألا ننسى أننا بشر ولنا على أنفسنا حقوق إنسانية وترفيهية. حاولت الاتصال بك هاتفيا، لم يكن
الحظ موالفا لي، فلم أسمع صوتك ولا رنة ضحكك. اقترب الوقت كثيرا؛ يوم السبت القادم
سيكون -كما أبلغتك سابقا- حفل توقيع ومناقشة لكتاب "نسوة في المدينة" في الخليل. أمل أن
تسير الفعالية كما هو مخطط لها في ذهني، على الرغم من أنه إلى الآن لم يعلن الدكتور أحمد
الحرابوي عن الموعد والبرنامج. حاولي أن تكوني موجودة بكل ما استطعت، فوجودك حريّ أن
يجعل للمكان وللوقت بهجة خاصة.

الأسبوع الحالي أسبوع جيد عموماً أنهيت أعمال المكتبية، ولم يتبق عليّ أي عمل أقوم به تجاه
الوظيفة. وفعاليات يوم السبت كانت ناجحة، الأمسية الشعرية والمعرض الفني؛ (33) فنا
فلسطينيا من الداخل الفلسطيني المحتل شاركوا بالمعرض، رائعة تلك الفسيفساء التي تشكلت في
بهو المعرض، ما أثار الانتباه أن عدد الفنانات أكثر من عدد الفنانين. هل هذه مشكلة؟ لا أدري
كيف تفسرين الأمر، ربما النساء تحبّ اللجوء إلى اللوحة لتعبر أكثر من الكتابة، الكتابة فاضحة،

لكن اللوحات مخازن الأفكار، تنتقل من حبسها في القلب إلى حبسها في إطار خشبي، فتنتقل الأفكار من سجن إلى سجن. ربما وقت الفراغ هو المسؤول عن هذه الكثرة في عدد الفنانات. عندنا في قطاع التعليم، صرنا نشهد تفوق الطالبات على الطلاب، والمعلمات على المعلمين، حتى المتقدمين للوظائف يقل عدد المتقدمين ويكثر كثيراً عدد المتقدمات. هل نشهد بعد فترة من الزمن تأنيثاً لقطاع الإنتاج، وخاصة وظائف التعليم والاتصالات والبنوك والتعامل مع الجمهور عموماً. والثقافة أيضاً فمن الملاحظ أن عدد الكاتبات في ازدياد، كأنهن يردن تعويض الماضي والتفوق على الكتّاب في العدد، وفي الإنتاج، وربما في النوعية، فالكثرة لا بد من أنها ستحتوي من بينها أعمالاً جيدة. وقد يكون صحيحاً أحياناً أن التراكم الكمي يؤدي إلى تراكم نوعي جيد.

إن هؤلاء الفنانات- وخاصة بعض من عملت معهن مقابلات- لم يحترفن الرسم، إنما هنّ من "الهواة"، وكُنّ يجدن صعوبة في التعريف بأعمالهنّ، لقد طلب العديد منهن أن أعيد التسجيل مرات متعددة، لسن مشبعت بالفن ولا بالرؤيا ولا بالفكرة، إنما مجرد تأطير ورسم خال من الهدف أحياناً، سوى الرغبة في الرسم نفسه. أغلبهن صبايا بعمر الورد، فيهن شهوة الحياة ونشوتها، فرحات بالمشاركة. لقد كانت فرصة لهن- على أقل تقدير- أن يأتين إلى نابلس ضمن رحلة فنية في حافلة واحدة. هذا جيد في ذاته أن يسافرن هذه المسافة من أجل أن ينظر الآخرون إلى أعمالهنّ. لقد أحببت فيهن الإصرار والعزيمة والثقة بالنفس والجمال وتلك السمرة الكنعانية التي تحلي قسما وجههن.

هناك الكثير مما أرغب في قوله. ولكن عليّ أن أنهي الرسالة، وأعدّ نفسي للسفر إلى رام الله، أرجو أن تقرّبي الرسالة وتوافيني بردك الذي أنتظره بلهفة كل العاشقين، ليفرح القلب وينتشي. كوني بخير لأكون سعيداً.

المشاق للمسة من راحتك والتمتع بالنظر إلى جمال قدك الميَّاس، أيتها الجميلة روحا وفكرا وجسدا وشهوة ولذة حياة. أحبك وبانتظار لفاك.

الثلاثاء: 2021/6/22

صباح الخير،

بعدد المحاولات والتأفف كتبت رسالتك بقلم من الروح. تمنياتي لك بيوم ممتع في رام الله لتوافيني المزيد من النشاطات التي تعلقني بها وخصوصاً بحضن العائلة الفنية. أراعي أنك دائماً مشغول بمشاريعك الثقافية والأدبية لذا لا أسقط ولا أثقل عليك كلماتي ورسائلي.

إ. س

الخميس: 2021/6/24

أسعدت أوقاتاً رغماً عن الطغاة الجناة المتهورين.

كم أنا حزين على ما يحدث من استغناء لهذا الشعب المغلوب على أمره، إنهم يتعاملون معنا كأننا أعداؤهم، بل إنهم يروننا "لا شيء". يتلاعبون بنا كأننا كرة بيد أطفالهم. الوطن كله لعبة للفاسدين، وعزبة للمسؤولين، لكن "الحق كله علينا" نحن الذي نصّبناهم علينا، يجب علينا أن نثور ضدّهم قبل أن نثور ضدّ المحتلين، فلا حرّية لنا دون أن نتحرر من فسادهم وإفسادهم، لقد بتّ على قناعة أننا نعيش تحت ظل نظام عربي فاشل وغبي وانتهازي، ولا يمتلك أي نوع من الحكمة، يواصل مسؤولوه تقاسم الوطن المنهوب أصلا. كأنه لا يكفينا احتلال واحد، ليجتمع علينا شران متحdan ضدنا. نعم إنهما متحdan ضدنا والله، وإنهما في وئام معاً ومتفقان علينا لإذلالنا.

لا تعتقدي يا عزيزتي أن هذا الموقف بسبب ما حدث للناشط نزار بنات، فلم يكن هو الضحية الأولى، ولن يكون الأخير، بل هو موقفي الثابت مذ جاءوا وركبوا على ظهورنا، إنهم كانوا الوباء المستفحل الذي ليس له طب ولا دواء إلا بالثورة الشاملة تقلعهم من جذورهم، لتحملهم الريح هم وأسيادهم من الإسرائيليين لتتخلص منهم دفعة واحدة. إنه هو يوم العيد الحقيقي.

أرأيت المهزلة كم تحمل من مفارقة شديدة البعد في طرفيها؟ الأمن ما زال حاضرا في مفاصل ما يعرف عندهم بالدولة والمؤسسات، على الرغم من أنهم يعيشون وهم "الدولة"، ومستعدون أن يبيعوا الوطن بزجاجة خمر ولمسة نهد من بنت هوى. في كل شيء يجب أن يكون للأمن توقيعه، وإن مررت من مفرزة الأمن فإنك في السليم وستسلم مهام عمل مدفوعة الأجر أو ترتقي في المناصب أو حتى الحصول على وظيفة متواضعة. تخيلي أن هناك قوائم سوداء توزع على لجان المقابلات، للمعلمين الجدد مثلا ليتم تحطيم أشخاص معينين ليبدو أن المسألة طبيعية، وكأنهم يبحثون عن شرعة الفساد. إنهم يفكرون كيف يخرج الفساد مؤدبا وخلوقا وشرعيا وقانونياً.

إنني متخم فعلا بالغيب نتيجة كل هذا الذي يحدث، فلم أعد أومن بأي شخص برتبة "مدير عام" و"أعلى"، فلا يوجد واحد من هؤلاء يملك قراره، فما هم إلا ألعوبة بيد "صعلوك" موظف في جهاز الأمن، لقد مسخوا كل شيء، وكيف يكون لهم مواقف رجولية، وهم أصلا جاءوا برضى "صعاليك" الأمن؟ بل إنهم مستمرين في "العبة العبودية" هذه، لأن عيونهم ترحل كل يوم لكرسي آخر ووظيفة أخرى، ولا يغرنك ما معهم من شهادات وألقاب علمية، فكلهم منقادون لذلك الصعلوك الذي ربما لا يحسن "فكّ الحرف"، يعتاشون من هذه المنظومة العفنة عيشة رفاهية، يصلون ويجولون، وعلى رأي ستي- الله يرحمها- "صار لام سبيت بيت، وصار للخرا مرا يحلف عليها بالطلاق". هكذا أصبحوا مسؤولين وهم حُوء وهواء مطلق.

أشعر برغبة عارمة في أن أصفع وجه العالم، فلماذا يحدث كل هذا الذي حدث؟ يوجعني قلبي والدنيا أصغر من ذبابة فيا ليتني أستطيع إطلاق النار عليها لتكف عن العبث.

أعتذر أيتها الغالية عن هذه الحالة التعيسة التي أمر فيها، أرجو أن تسامحيني، لا حيلة لديّ إلا أن أبثّك أوجاعي، أرجو لنفسي أن تهدياً لأستطيع أن أكتب لك في رسالة قادمة ما هو أجمل من كل هذا الاحتجاج عديم الفائدة.

أرجو أن تكوني بخير. رجائي الخاص أن تظلي هنا لأشعر أنني قويّ. أمل ألا أنهار يوماً وأشعر باليأس من إمكانية التغيير. سلامات.

الخميس: 2021/6/24

مرحبا فراس،

أرجو أن تكون أحوالك بخير هذه الأيام.

أشكرك لإرسال المقالة والنص السابق.

أعتذر عن التأخر في الرد. لا أتواجد كثيرا أمام الإيميل هذه الأيام بسبب الظروف التي أعيشها مؤخرا.

أتمنى لك التوفيق في أمسيك في الخليل. للأسف سيكون حضوري أمراً صعباً للغاية، لكن الجايات أكثر..

سعدني يوسف؟ عيشة بنت الباشا؟ أحيانا عندما لا نقول شيئاً في رحيل أحدهم، فهذا يقول الكثير. سعدني انتهى منذ سنوات طويلة، ليس من الشعراء الأثيرين إلى قلبي، ناهيك عن سمعته السيئة كإنسان وسلوكياته الخرائطية. الشّعْر تجاوزه منذ زمن طويل يا فراس، لهذا كان موته مسألة إعلان مؤجل.

شكرا لك للاهتمام بإرسال ما تكتب إليّ، وأعتذر عن التأخر في الرد.

دمت بألف خير،

ر. غ

الأحد، 2021/8/29

طاب مساؤك

أعلم تماما أنني بأمان معك، وأنت لم تسيء إليّ، ليس لأنك كنت تحبني، ولكن لأنني لم أسيء لك يوماً بل ابتعدت لأن وجودي أصبح عبئا على كلينا واستنزافا لا مبرر له.

لم أرسل لك يوماً حرفاً ليتم تداوله ولا ليتم نشره ولو من باب التوثيق، ما كنت أرسله ليس أدبا ولا أظنه من الأمانة أن تقوم بنشره على الملأ تضمينا لما تكتبه، ولن أسامحك بنشر أي حرف يخصني.

أعرف أنك تقلب الطاولة وعليك أن تكون رجلا نبيلاً كما ينبغي¹.

¹ رددت على هذه الرسالة بالمقالة التي أثبتتها في ص 12 من هذا الكتاب "في معنى النبيل: لن أكون رجلاً نبيلاً إذا".

ف. ع

الأربعاء: 2021/9/1

لا أدري كم يكون هذا الذي سأقوله مناسباً أو ضرورياً، ولكنه لا بد منه، وهو محصلة حاصل لما تعرفين من شئون قلبي المتهدم الأركان الذي لن تبقي منه ذرة إلا وتم سحقها بلا هوادة، وبعد كل ذلك وببساطة تعلنين الانسحاب والتلاشي، فماذا عساي أن أفعل أأصفق فرحاً أم أطرب انتشاء أم أنام هانئ البال قرير العين؟

لعله من نافلة القلب الموجوع بلغة الياسمين المطحون في دروب المستحيل أن أقول:

أنه لا يوجد أحد في هذا الكون قد أحبك مثلما أحببتك، ولن تجدي لقلبي مثيلاً لا في الأولين ولا في الآخرين، ولكن أنت بماذا تفكرين؟

لعلك تقولين: أحبك يا أنت كما لم يحب أحد أحداً أما هو الذي هو أنا فهو مجرد لعبة، قد انتهى دورها وصار أمرها إلى العدم، وفقدت سحرها، فتعطلت أبجديتها ومات ألق حضورها، فهو، ذلك الأنا المقتولة، لم يكن سوى أهزوجة تندرته بها زمناً حتى ارتويت وشبعت، جربت معه ما كان لنفسي أن تعيشه عندما كنت محاصرة ومقهورة، أما الآن وقد جربت ما جربت وتعلمت وتدرت فلا حاجة لي به، فليذهب إلى جحيم ينقله إلى ما يجب أن ينقل إليه، فهو ألعوبي وتقاذفته كالكرة بين يديّ وقدمي حتى تهراً جلده، فما قيمته الآن؟ إنه بالٍ ووبال على نفسه، فليبل على نفسه فليس له من قيمة عندي سوى ما أخرجه من سبيليه، فهذا هو حقه ومستحقه.

نعم هذا هو حقي ومستحقي بعد أن بذلت ما بذلت من حب لم يكن له في مساح الأذهان من أبجدية، فصنعت لك أبجديتك الخاصة، أما وقد استنفدت الصلاحية، وانتهى العرض المسرحي، فليس لوجودي أي معنى، ولأعتاد على غيابك في حياتي، أهذا ما تطمحين إليه وتفكرين فيه؟ ربما أكثر من ذلك.

أتذكرين عندما حضرت ولم تكوني مجرد صديقة، كنت من أول حرف وبوح امرأة الشوق واللظى والحنين، كنت من أول ليلة ياسمين للفرح المقدس والنشوة المعدة بأرجوانية الصفائح الإلكترونية، كنت أنثاي وكنتم إنسانك حاضر ومستقبلك، وكنتم لك وكنتم لي، تذكري جيداً كيف كنا وكيف أنت الآن تهريين من معمعة الصدى الصارخ في كل كيان الكون بأن جريمة عاطفية ترتكب بحق ذلك المصلوب في الريح، أتدريين من هو ذلك المنقوع في رماد ارتعاشاته؟ إنه أنا، أما زلت تذكريين؟

لا تدافعي عن أي فكرة، فكل الأفكار لديّ، وكل التبريرات حفظتها عن ظهر موت، لا تستجلي المنطق المعدوم والفلسفة العبثية، كلها تشربتها جرعة جرعة حتى نسيت كل شيء، ولم يبق إلا أنا

وأنت وهو، والحزن الذي يقذفني بعيداً، والفرح الذي يحملك وردة بين أحضانها الملتهبة، فلتنعمي بماء كوثره، ولأشقي بالذكريات، فلا شيء يهم بعد كل الذي حصل.

لا أقول وداعاً ولكن سيظل الماضي وجعاً ينفصص صوراً حمراء كلما ناداك باسمك في لياليك المجنونة بأحمر أرديتها وأصباغها ووردها المنثور على السرير والوسائد، فلا شيء يموت، لا شيء يموت.

الثلاثاء: 2021/10/5

لفراس الجميل سلاماً

قرأت اللبلة الماضية ديوانك في شغف وسهرت الليل بأكمله على نصوصك من ديوان "على حافة الشعر ثمة عشق وثمره موت".

شكراً لأنك شاعرٌ ملهم ومهم في حياتي... وثمره عشق وثمره موت في العشق أيضاً. نصوص جميلة وكتاب جميل.

جمعت النصوص لأصدقائك الأستاذ حسن عبادي ورائد حواري والصدقات جمانة عتبه تزامناً مع ردك لكتاب "نسوة في المدينة" ورجاء شعبان الزاهدة فيك عشقاً.

وأيضاً نشرت نص كيف أنجو من الايديولوجيا الذي كنت حاضرة فيه من بعيد، النص الذي كتبته إرضاء لذوقي، وبكيت وضحكت في نص "عن الفتيات اللواتي لا يعرفن جدهن" ... فعلاً خسرت كل الخسارة لأنني لم أعرف جدي يوماً... سأبحث عن جدي في المدافن، وأزوره كي أخبره كم أنا خاسرة لفقدانه قبل أن أولد... والمزيد من النصوص من الأيروتيكية لصوفي ونصوص في فترة الحجر الصحي.

! س

الخميس: 2021/10/21

أسعدت أوقاتاً أيتها الرائعة، كشلال ماء عذب. وكل عام وأنت بخير، لقد احتفلنا بذكرى المولد النبوي الشريف، فمنحتنا "السلطة" يوم إجازة، كان يوماً مكثراً بالأعمال لم أشعر به، لقد مرّ سريعاً، ها أنا اليوم أتمتع بإجازة؛ اليوم وأمس، تفرغت للكتابة فيهما، أنجزت فيهما الكثير. لكن ما زال لدي الكثير من المهمات، أصبت بعدوى الغرق في العمل، مثلك تماماً، لكن لا بأس، لعلك تجدين وقتاً ولو قصيراً لتتحدث فيه خلال هذا اليوم أو غداً. أتمنى أن تقرئي رسالتي وأنت تتمطين في فراشك في هذا الصباح التشريفي الجميل. مع أنني أظن أنك صرت منخرطة في معمعة العمل. لكن ربّما حالفني الحظّ هذا اليوم، وتحققت رغبتي، ونلت شهيةً خاطري.

لقد أسعدني جدا ثنائك على الرسالة السابقة، وكدر ذلك السرور أنك لم تردي عليها كتابة، لقد أصابك شيء من الخوف أيضاً، وهذا ما توقعته على أي حال. لماذا تخافين من مغازلي وحي؟ ولماذا تخافين من الكتابة إليّ؟ تذكرني أنني كلما كتبت إليك كأني أمارس الحب معك. كم أشتاق لهذا الفعل يوماً ما؛ فأنا أشتاقك حد الغرق في مياه شهوتك، لعله يكون في يوم شتاء ممطر، فيدفني جسمك، وتشبعني ثمارك.

حالتنا ليست غريبة أيتها المشتهاة كتفاحة، بل إنّ مثلنا في عالم الكتابة كثيرون، لكنهم لا يخافون، ولا يستترون، بل يكتبون ويعلنون الحبّ أعلى من نخلة في سماء أريحا. أضع بين يديك هذا الموقف للكتابة الكويتية ليلي العثمان وما كتبتة في حق الروائي الكويتي إسماعيل فهد إسماعيل. كتبت ذلك في أحد أعداد مجلة العربي منذ سنوات، وقد احتفت المجلة بالراحل إسماعيل فهد إسماعيل، وما زلت محتفظاً بما كتبتة:

"أمام هذه القامة الكبيرة تعجز الكلمات، مهما ازدهرت بمعانيها عن التعبير، عن بعض ما أحمله في قلبي لهذا الإنسان من حب كبير، لا يخجل القلب أن يعترف به، حب كما صورته في كتابي (المحاكمة). أحببتُ إسماعيل ذلك الحبّ الذي لا توجد له تفسير في معجم الكتب، حبّ غير مصنّف في أيّ خانة من خانات الحبّ، ...، كما أحمل له غير الحبّ اعترازاً ومكانة ذات قيمة لا يدرك مساحتها الكبيرة غير قلبي".

أرأيت كيف أنطقها الحبّ؟ لا أخفيك سرّاً أنني شعرت بشيء من الشبه، وتمنيت أن تكتبي عني كتابة مشابهة، لا يهم إن كانت في حياتي أو بعد أن أغادر هذه الفانية، فالروح ستعرف محبيها. ما أثار فيّ الانتباه ما قاله المحرر نقلاً عن ليلي العثمان، وفيه بيان لاستحقاق هذا الحب وهذا الثناء وهذا الوفاء:

"إن إسماعيل هو الرفيق الأصيل في سفرها عبر الحياة منذ أن عرفتة، وهو الصديق الصدوق عبر مسيرتها الأدبية، لأنه وحده من عرفها جيداً، ففرح لفرحها ونجاحها، واحتلم لحظات جنونها وأخرجها ذات يوم من مشكلة كبيرة، وهو وحده الذي يعرفها جيداً".

هل تجددين في شهباً لإسماعيل كما وجدت فيك شهباً بليلي؟ يا ليتك تسعدينني فتكتبي لي رداً ولا تكتفي بمحادثتي هاتفياً، مع أن صوتك عبر الهاتف شهّي، لكن الكتابة أخلد وأدوم. كلما كتبت لي دخلت فيّ أكثر وأكثر. لا تخافي من الكتابة، فهي الحياة والشهوة والجمال والحبّ والخلود. أسعدني جدا أنني سأكون شريكاً لك في مشروع الكتابة التي شرعت به، بل متلف أن نجزه سوياً بأسرع ما يكون، فقد أعجبتني الفكرة جداً.

لم تكن ليلي العثمان هي الوحيدة التي كتبت ما كتبتة لإسماعيل فهد إسماعيل، هناك أخريات كتبن، ولعلّ اطلاعك على الأدب العالمي والعربي والفلسطيني وقرّ لديك الكثير من الأمثلة. تستحضرني أيضاً الكاتبة غادة السمان وما كتبتة وتكتبه باستمرار عن غسان كنفاني، والغريب أن

غادة السمان كتبت لغسان وعنه بعد اغتياله أكثر ما كتبت له وهو حيّ. مفارقة يصنعها الحبّ، وتهندسها الكتابة ذاتها. الآن غادة تكتب كثيراً عن غسان بحب ظاهر، تكتب في ذكرى ولادته أكثر مما تكتب في ذكرى اغتياله، لقد التفتُ إلى ذلك في كتابي "استعادة غسان كنفاني" وكتبت عن علاقة غسان كنفاني بغادة السمان.

ما زلت عند وعدي لك، أتمنى أن أراك قريباً، نشرب الحبّ والقهوة ولذة الوصال، ونكمل أبجديتنا الناقصة، أحبك كما أنتِ شهية مجنونة، بهية كفراشة، قويّة كسطوة صوفي حالم. وما زلت منتظراً تلك "الصورة الموعودة" فلحمك الشهيّ يثير فيّ جنون الحب والشهوة واللذة أيتها الجميلة الطاغية في اشتهاؤها واحتدام جنونها. أرجوك إن تأخرت عني في المجيء لا تتأخري عني في الكتابة، ولا تتواني عن استحضارك في بهاء الضوء تحت أعين القمر.

المشتاق لكلّ شيء فيك.

الخميس: 2021/10/28

أسعدت أوقاتاً، وأتمنى أن تكوني بخير، كم كان مثيراً لمخيلتي عندما تحدثنا بالهاتف آخر مرة، وقد أخبرتني أنك للتو دخلت البيت، وأنت بحاجة إلى أن تغتسلي، كان مثيراً بالفعل هذا الحدث، أصبحت مخيلتي مكتنزة بالتصور الحيّ وأنت تحت الماء بكامل عريك الذي أشتهبه. آه لو تعلمين كم أشتاق أن أغلغل كلي في كلك الشهيّ.

يأخذنا الحديث بعيداً لنناقش الرسائل السابقة بعد أن أحجمت عن الرد عليها، بدعوى أن فيها تهديداً مبطناً. يا للتعاسة! أيهدد حبيب حبيبته؟ وكيف؟ إنه ليس حياً إن وقع مثل هذا التهديد. ربما لم يعجبك أنني أشتهيك، وأطلب ممارسة الحبّ معك، وتخافين ذلك، لماذا تخافين من الكتابة إليّ وممارسة الحبّ معي؟ فهل ستجعلك الكتابة هامشاً وحواشي كما توقعت. إنك أهم متن في مشروع الكتابة فكيف تتحولين إلى حاشية هامشية. هل فعلاً تحبين الحواشي والهوامش؟ لا أظن، فامرأة مثلك تمتلك كل تلك المقومات الفكرية والموهبة الشعرية والبحث والتقصي والجمال لن تكون هامشاً أو حواشي.

بدا لي أنك لن تدخلني في زاوية المرأة التي يستغلها الآخرون جنسياً من أجل الحصول على مكسب ثقافي أو مادي، لأنك محصنة تحصيناً قوياً ضد هذا العفن المصابة به الساحة الثقافية، أعرف أن هذا الموضوع مقلق لكثيرات من الأدبيات. إحداهن تعترض على إحدى المقالات التي أعرج فيها على هذه النقطة وأني أعمم.

لا أعتقد أنه يوجد امرأة مهما كان حظها من الجمال متواضعا أم فائق الحسن إلا وحاول أحدهم أن يتحرش بها جنسياً بالثقافة المفخخة بالجنس والعبارات المعبأة بالشهوة. لكن ليس كلهم تحقق له الأدبيات رغبتة. هذا الهاجس الذي عبرت عنه في حديثنا الأخير لن يصيبك منه شرر أو ضرر لأنك أنت كما أنت لست بحاجة الذكور في مثل هذا الوسط العفن. إنك مكتفية بذاتك

وبمواهبك، بل كثيرون يحتاجون إلى ثقافتك وقلمك واهتمامك، فلا تظني أن جمالك "لعنة" بل إنه هبة ربانية لأنعم به، وأنا حبيبك الذي أنتظر مجيئك على أحر من الجمر.

أعتقد أنه قد حان الوقت لتفكري بالأمر الثاني الذي تخافين منه، فالحب لا يكتمل إلا بممارسة الجنس، وليس كما يرى الآخرون. هذه مسألة ملتبسة سبق وحدثتك عنها. الحب أولاً، ثم الرغبة الجنسية ثانياً، فهل يحتاج الحب إلى الجنس ليؤكد، يبدو ذلك صحيحاً، لذلك جاء السؤال لماذا يحدث الحب؟ أعتقد كما تعتقدين أنه سؤال كبير. هل نحب من أجل الجمال والجنس؟ وهل نحب من أجل القيم والروح؟ أظن أن العامل الحاسم في الحب ليس الجمال، لذلك لا علاقة للجمال بالرغبة في ممارسة الحب، وإلا لاشتغى الرجال كل امرأة جميلة يصادفونها. الحب شعور بالرغبة في الاتحاد والاتحام رمزياً مع الحبيب وبوابته الجسد. فلم يخلق الجسد على هذه الهيئة دون أن يكون له دور فيما هو أهم وأعقد وأجمل.

على أي حال فإن أفكارى واضحة تماماً وأنت تفهمينها جيداً، ولن يكون إلا ما ترغيبين به، ليكون لهذا الفعل تجلياته الروحية التي تفيض تورداً في الوجه ونشوة في الفعل والإحساس. ألا تشعرين بالرغبة لتكتملي معي؟ ألا تشتاقيين إلى ذلك الفعل الحميم لتفعليه معي؟ أظن أنني صرت أقرب كثيراً مما تتخيلين إلى مثل هذا الفعل.

بعيدا عن هذا الاستطراد الذي- ربما- سيشعرك بالضجر، أخبرك أنني شبه غارق في موسم الزيتون، أساعد أحيانا في القطف، هذا الموسم يبدو وفيرا والحمد لله، سيكون الأمر مفرحا جدا إن استضفتك على أكلة "مسخن" شعبية. سأكون سعيدا جدا، سترين قريتي ومكان عزلي، وفوضويتي وكيف أعيش وأين أكتب. لن أخبرك أي شيء سترين ذلك بنفسك. أتمنى أن يعجبك هذا العالم شبه البدائي.

الحبيبة المجنونة والمشغولة دائماً، حدثيني إن استطعت، وتصدقي عليّ ببعض الوقت لأسمع صوتك على أقل تقدير، فالقليل منك يكفيني ويغنيني ويشبع خاطري ويجعلني منتشياً أكاد أطير من الفرح.

أحبك أيتها اللذيذة فلا تطيلي الغياب! أخاف أن يباغتك موعد السفر ولا تأتين، يا لحظي السيئ إذاً، لو بقي الوعد لغوياً على الشفاه وعلى الورق.

الخميس: 2021/11/4

يا إلهي لو كنت أتيت السبت الماضي إليّ لقضينا يوماً ممتعاً في نابلس، لقد كانت الظروف كلها مواتية. حزننا قليلاً لما أخبرتني أنك في طريقك إلى المطار. هذا ما كنت أخشاه، أن تسافري قبل أن أراك، ها قد سافرت، وصدق الحدس، حدسي الذي يشعري أنك ما زلت بعيدة.

لا يهمّ هذا الآن، ما هو مهمّ فعلاً أن تكوني بخير، وأن تنقضي هذه السفرة بسرعة، وأن تنجلي عن جلوتك المحببة في لقاء جميل، وأن تعودى إلى البلاد، وأنت بكامل الألق والجمال. سأنتظرك بلهفة، وشوق، كم تمنيت أن أكون معك، أو على الأقل أحظى بفرصة أن أغمرك قبل أن تطير بك الطائرة إلى الجهة الأخرى من هذا العالم. أشعر بشوق غامر جداً إليك.

أشياء كثيرة كنت أودّ أن أخبرك بها، وكنت أنوي كتابة رسالة غير هذه قبل أن تخبريني بسفرك الذي فاجأني، ولكن لا أدري هل سيسمح وقتك وظروفك وانشغالاتك خلال سفرك أن تصغي إليّ، وتقرئي هذه الرسالة، أصبح الأمر الآن غير مهمّ لأكتب ما كنت أود أن أكتبه.

منذ وعيت وأنا أكره السفر. أخاف منه وأخاف على أحبائي منه، ولا أحب أن أسافر ألبتة. أتشاءم جداً من كلمة سفر "باب السفر جوعان"، هكذا دائماً أظل قلقاً. كثيراً ما أكرر هذه الأفكار، لكن لو كنت معك في هذا السفر، أكون رأبي في السفر مختلفاً؟ تخيلي كم أنا محظوظ لو سافرنا سوياً، لنكون معاً طوال الوقت. أعرف أنني غارق في حلم يقظة سيقتلني لو تماديت فيه كثيراً.

ستكون باريس جميلة بك، سيدة جميلة في مدينة جميلة، يا ليت أن وقتك يسمح لك فتهاقيني من هناك، لأراك في صخب المدينة وهدوئها. قلبي وروحي وكياني كله معك، وبانتظار عودتك. أحبّك أيتها الفضية العميقة مثل ضوء باريس!

المشتاق لكلك لتغمريه بكلك.

الجمعة: 2021/11/5

أسعدت أوقاتاً من هنا حيث الناس ما زالوا يقطفون الزيتون، وأنت هناك حيث تتمتعين بأضواء باريس وأجوائها. كم كان صوتك شهياً هذا الصباح، على الرغم مما عكر صفو الرحلة، من ماطلات المطارات وتعطيلاتها ووصولك متأخرة، ونسيانك حقيبة ملابسك في المطار، لا بأس ستشترين غيرها، ولعلك اشتريت، فهل ستخبريني بذلك؟ أتمنى أن تتحدثي بالتفصيل عن ذلك إن أسعفك الوقت للحديث اليوم ليلاً. سأكون بانتظارك.

أنهيت موسم قطف الزيتون، وكان الإنتاج جيداً، والحمد لله، وها أنا بانتظار مجيئك، لنتناول معاً أكلة شهية من "المسخن"، سنعدّه خصيصاً لك، فتعجلي في المجيء قبل أن تذهب حُرقة الزيت الطازجة اللذيذة.

على فكرة، هل ستسعديني ببعض صورك الشهية وأنت في باريس؟ يسعدني ويهيج خاطري مرآك وأنت في كامل أناقتك وجنون شهوتك التي أحبها وأتوق إليها.

أقبلك وكلي رغبة للالتحام بجنون لذتك المتفتحة في ليل باريس المنعش.

أسعدت أوقاتاً، وأتمنى أن تكوني بخير، كم أتمنى لو أراك وأنت تقودين دراجتك الهوائية، تخيلي لو أنني معك الآن وأتابع تلك الرحلة، أكتب لك الآن وأنت تمارسين هذه الرياضة التي لها آثار نفسية إيجابية، فهي جزء من علاج نفسي وتشعر المرء بالارتياح والهدوء والسكينة وهو يسير تدغدغه نسيمات الهواء وعلى جانبيه المناظر الخلابة. إن بلادنا جميلة كما قلت، بل أجمل مما تتخيل. إننا لا نعرف بلادنا بالقدر الكافي. كان كلامك عن البلاد في غاية الواقعية والجمال والحب. أحببت ذلك كثيراً، وكما شعرت أنك تشبهين طينتها السمراء الخصبة المختزنة بالجمال والنشوة والحياة.

أعاد حديثك عن ركوبك الدراجة الهوائية في "سيران جماعي" الحنين إلى يفاعتي، حيث كنت بارعاً في قيادة دراجتي الهوائية التي ركبت قطعها واحدة واحدة، فاكتمت مهارة تصليح الدراجات أيضاً. كنت في تلك الفترة من حياتي أكثر نشاطاً، وأكثر قوة، كنت أستطيع أن أصعد الطرقات الجبلية وأنا أقود الدراجة، لقد ساعدتني دراجتي الهوائية على أن أمرن عضلات رجلي اليسرى، وأن أتجاوز ما بها من ضعف بحكم الإعاقة في الأطراف اليسرى.

أحدثك عن ذلك الوقت الذي كنت فيه طالبا في المرحلة الإعدادية، كنت بلا أصدقاء. كانت دراجتي هي صديقتي، كنت أقودها في حارتنا. السيارات كانت قليلة في القرى، والبيوت كانت قليلة، الشارع مسفلت واسع نظيف مفتوح، والوقت بعد العصر، كنت دائما أغني الألحان الشعبية وأنا أقود الدراجة، كانت المعاني والأبيات تنثال عليّ انثيالاً. كنت أرغب أن أصبح زجالاً شعبياً. لكن لا أدري من أو ما الذي قتل عندي هذه الموهبة. لعلها تحولت وتشكلت على ما أنا عليه الآن. إلى الآن عندي حنين وحب جارف لأغانينا الشعبية: العتابا والميجانا والمرّبع والمقسوم والشروقي.

أعدك أن أقود وإياك الدراجة الهوائية إن جئت إليّ زائرة، حارتنا ما زالت مفتوحة الطريق ممتدة والشارع أوسع من الشارع أيام الطفولة قبل أكثر من ثلاثين عاماً، زادت السيارات بلا شك، وكذلك البيوت، لكن أهلها ليسوا فضوليين، ولن يقفوا وراء شبابيكهم ليراقبونا. إنهم أفضل من أن يفعلوها. لن يلتقطوا لنا الصور والفيديوهات ولن يشهروا فينا على الفيسبوك وعلى التيك توك. أعدك أن لا شيء من ذلك سيحدث. إن أهل قريتي أناس رائعون بالفعل. وخاصة أهل الحارة التي أسكن فيها.

أتمنى لك السلامة في رحلة اليوم أيتها المبروكة الشيخة، فبركاتك ستحل على الفريق، وأرجو أن تحلّ عليّ أيضاً فتروديني ببعض الصور. أراك شهية مجنونة كفراشة وأنت تطوين الطريق متراً بعد متر.

هل يا ترى ستحدثيني بعد عودتك وقبل أن تغتسلي؟ أرجو أن تخبريني عن هذه الرحلة، وعن انطباعاتك فيها، واما حدث فيها من مواقف طريفة، لا بد من أن هناك الكثير من المواقف التي تحدث للإنسان رغماً عنه أحياناً.

أرجو لك رحلة ممتعة، وبانتظارك أيتها النشيطة الحلوة، فبركاتي- كوني شيخاً سابقاً- ستحل عليك أيضاً، وليس كتلك البركات التي يريدونها بعضهم، وتحمل معنى أيروسيا كما قلت. لن تصابي بأي مكروه، فلتحرسك العناية الإلهية، وليحفظك الله من كل ما يسوءك.

حبيبتي الرائعة، أرجو ألا توصيلني البحر وأعود منه عطشاً كما أومتت لي بتعاملك مع الآخرين، فأنا لست كأحدهم. فثمة شوق في الحنايا لا بد من أن يطفأ في مرجل الحب والوصال واحتدام الشهوة واضطرابها في لحظة صوفية، لا أرجو لها أن تموت، أو أن تظل محل احتمال قد لا يحدث.

أتمنى ألا تنسي طلبي ببعض الصور. أحبك، وبانتظار عودتك بكل ما أوتي العشاق من قوة وبهجة وجنون.

السبت: 2021/11/16

صباحك الحبّ أيتها الرائعة الشهية في كلّ شيء، ها قد أتى المطر ولم تأتني، وتقولين قد بدأ العدّ التنازلي، ولما تحضري، ألم تعلمي أنني منذ وعدك الأول باللقاء، وأنا أعدّ تنازلياً؟ لكن لا شيء بعيد ما دام أنّه لا بدّ قادم. وها أنا أعود إلى مراسلتك بعد انقطاع طويل؛ أملاً فيما تتوق له النفس وترجو.

كان الوقت كلّه حافلاً، ما زلت أكتبُ وبغزارة، أنأمل كلّ شيء من حولي، وأحاول أن أجعلها كلّها قابلة للكتابة، ربّما هذه هي مهمّة الروائيين، لا مهمّة النقاد أو الشعراء. على أيّ حال ثمة أشياء حدثت تهّم الكتابة، أحببت أن أطلعك عليها، وأولها: أنني بانتظار خروج كتابي الثالث والعشرين من المطبعة "من قتل مدرّس التاريخ؟"، كتاب مختلف في موضوعه؛ إنّه يتناول ظاهرة الصحافة سيّئة السمعة والصيت "شارل أبدو" واستفزازها المشاعر الدينيّة، فجمعت كلّ ما كتبته في هذه القضية ضمن هذا الكتيّب صغير الحجم، لأثبّت رؤيتي ووجهة نظري تجاه بعض القضايا المبدئيّة في الحياة. وما زلت منتظراً ديوان "وشيء من سرد قليل"، فما زال في المطبعة، ويستعصي على الخروج والانطلاق، لا أدري ما الذي يقيدّه هناك!

في زيارتي الأخيرة لمدينة جنين للقاء مجموعة من كتّاب فلسطين المحتلة عام 1948، ثمة أمور مزعجة كثيرة، فقد اكتشفت خلال هذه الرحلة مهمّة جديدة للكاتب، أو لي أنا على الأقلّ، إنّ مهمّتي أن أؤدي كلّ من عرفت، هكذا تقول لي امرأة غاضبة، لها بي صلة عابرة، أو على الأصحّ هي تقول إنّ صلتي بها صلة عابرة، تبعث لي برسالة "حقودة" بأئسة تقطر سُمّاً، تقول في جزء منها: "أنت تلحق الأذى بكلّ من عرفك". يبدو أنّ كلامها صحيح نوعاً ما، فالكتابة تثير المتاعب والمصاعب. صديقة كاتبة أخرى، لها وجهة النظر ذاتها تعبّر عنها وهي تضحك بعد أن قرأت ما كتبتة مؤخراً منتقداً مجلة ميريت الثقافية، وتقول: "يا لك من كاتب، لم توفّر أحداً، خُفّ عنهم يا زلمة". صديقتي هذه لم تصفني بالمؤذي لكنّ اعتراضها يحمل هذه الصفة.

أظنّ أنّك أيضاً قد وقعت في هذه الورطة من الكتابة. تذكري مثلاً كم مرّة جرّتك الكتابة للدفاع عن النفس أو أدخلتك في متاهات لا تدرين كيف دخلتها. ربّما الآخرون أحياناً يدفعونك لتكون مؤذياً. الغريب أنّي شخص مؤذٍ، هكذا قال لي أصدقاء كثيرون، وهو نفسه السبب الذي جعل امرأة ما منذ سنوات تركني إلى غير رجعة، بل وتكرهني كأنني "لا شيء" كما قالت. الكتابة كانت سبباً في انفضاح أمرنا، وقد كان سرّاً، اكتشفنا الفضوليتون بسرعة كبيرة، وصاروا يتابعون ما أكتب فيلمزونها بالحديث عني، فترداد خجلاً أمامهم، ليتخلّق حقدًا عليّ ليصبح هجراناً تاماً غير جميل. هي الآن تعتبر نفسها ضحيّة من ضحايا كتابة كاتب مؤذٍ جدّاً. لذلك كثيراً ما تمّنت لي الموت في رسائلها العاجلة التي كانت تكتبها بين الحين والآخر.

المرأة الأخيرة التي أوقعني في شركها سنة كاملة باسمها المستعار وهي تكذب عليّ وتمثّل أنّها تحبّني، أيضاً اتّخذت الموقف ذاته، فأنا مؤذٍ جدّاً بالنسبة لها، هكذا قالت لي في إحدى رسائلها المقتضبة قبل نحو ثلاثة أشهر. لقد غدت الكتابة عنها كتابة تجلب لها التعاسة، بل ربّما ساهمت في تقويض حياتها. تركتني من أجل أن تظلّ بسلام، ليس هذا هو تهديدها الأول، بل إنّها منعتني من أن أنشر نصوصاً كثيرة، وهدّدتني قائلة إنّك لن تراني ولن تسمع صوتي بعد ذلك لو نشرت ما كتبتّه، نشرت تلك النصوص متجاهلاً تلك التهديدات. أعتقد الآن وقد رحلت إلى غير رجعة أنّ معها بعض الحقّ، فقد كانت هي أيضاً امرأة مؤذية، وأنا كنت كاتباً مؤذياً.

هي ذاتها التي تعتقد أنّني "كاتب غير نبيل" لو قمت ونشرت ما بعثته لي من رسائل، ولو حرفاً واحداً منها. سأقوم بنشرها بالتأكيد في الوقت المناسب في كتاب، فكل ما كتب لي فهو لي وهو من حقّي، وأتصرّف فيه كيفما أَرغب وأشاء. لقد باتت على قناعة تامّة أنّ كثيرين يعرفون أنّها هي المقصودة في كتاباتي الأخيرة. لا أظنّ أنّ هناك شيئاً أثقل على النفس من امرأة كانت محبّة وتهدّد، لا أتصوّر امرأة شقافة تحمل شيئاً من نزق البلطجيّة، وهذه خيبة كبرى وليست فقط مجرد إحساس بالأذى. هذه المرأة أبعدنا الخوف، والأولى أبعدنا الكره، والنتيجة واحدة، هي الكتابة. كذلك أخاف أن تجبرك الكتابة على أن تتعدّي عني كالأخريات، فهل يحدث ألا أراك نهائياً، وأظللّ منتظراً؟¹

لا تستعربي منّي هذا التوجّس، النساء اللواتي يتعرفن عليّ يبدن خوفهنّ منّي لأنني مؤذٍ، سأكتب عنهنّ، وعن قصصهنّ معي أو موافهنّ، إحداهنّ لا تخاطبني إلّا بـ "الشّرير". تنبهي كثير من النساء ألا أفعل وأكتب عنهنّ، إحداهنّ؛ امرأة جميلة ذات حكاية طريفة، تستلّ منّي وعداً مغلظاً باليمين من أجل ألا أكتب عنها. وعدتها ألا أذكرها بخير أو بشّر في أيّ نوع من أنواع الكتابة، فارتاحت واطمأنت، وما زالت ترافقني إلى اليوم براحةٍ وهدوءٍ بال. بل لقد صار بيننا أشياء مشتركة كثيرة، ومشروع كبير مفاجئ؛ لعلّه يرى النور قريباً. إنّه ليس مشروعاً كتابياً على أيّ حال، فالكتابة لن تأتي بخير أو جمالٍ أبداً.

¹ لم ألتق بهذه المرأة (ر. غ) نهائياً، حتى امتنعت عن الكتابة إليّ، خوفاً من نشر رسائلهما، كما فعلت (ف. ع) أيضاً.

ليس فقط النساء العاشقات من يشعرون بالأذى، الأصدقاء يرونني مؤذياً أيضاً، صديق آخر تتعرض سيارته لحادثين وأنا معه برفقته؛ واحد أول النهار، والثاني آخر الرحلة. يكلفه الحادثان بعض المال ويسببان له الإرباك في حياته الاجتماعية، أنا كنت سبب خسارته وإرباكاته، فلولا أنه يحبني ورافقني بناء على دعوتي له لم يكن ليحدث كل هذا. صديقي هذا لم يتحدث معي بعد الحادثين، اكتفى بمراسلتي لأقرأ له ما يكتب. لقد قالها مزاحاً وجاداً: "أرأيت كيف الحبّ يجلب الأذى؟". لعله رأى أن في امتناعه عن التواصل معي بعض الراحة والبعد عن الأذى. تخيلي لو أنّ سيارتك المسروقة سرقت وأنا برفقتك هل ستربطين هذا بذلك كما فعل صديقي؟

صديقي المقرب يحاول أن يقول الشيء نفسه، لكن بطريقة أخرى، فالقولة لا تُبلّ بغمي، بمعنى أنّ كلّ شيء أسمعته أحوله إلى موضوع كتابي. الأمر مزعج مؤذٍ، هذا ما يريد أن يقوله لي صديقي، فهو دائماً حذر في الحديث معي، لأنني سأقول كلّ شيء يوماً ما وأكتبه، ولذلك فأنا مصدر قلق وأذى له ولغيره من الأصدقاء.

على ما يبدو أنني كاتب سيئ الحظّ، وليس فقط عاشقاً سيئ الحظّ، إن أتيت فلن أكون عاشقاً سيئ الحظّ بالتأكيد، على الرغم من أنني لست حقوداً ولا حسوداً، وأحبّ الخير لكلّ الأصدقاء، ربّما يعود كلّ ذلك إلى مغالطات الربط بين السبب والنتيجة، ولا أريد أن أفلسف الأمور، فقط أردت أن أخبرك كيف يتمّ التعامل مع بعض الأحداث، وكيف يتمّ تفسيرها.

رأى أصدقاؤني ومعارفي وأحبائي فيّ يثير حزني كثيراً إلى حدّ البكاء الداخلي. نعم لقد صرت أبكي سرّاً في داخلي، كلّ من حولي من الأصدقاء يذكرني كم أنا شخص سيئ، أجلب الأذى، حتّى الزملاء، بعض الزملاء والزميلات يقولون عني أنني شبهة وسبّة، والبعد عني مكسب. فمن أتعامل معهم في العمل في مواقع كثيرة يعتقدون أنني أيضاً على قدر كبير من الأذى.

في الحقيقة، أيتها الحبيبة، لا أستطيع احتمال هذا الشعور الضاغط عليّ في أنني شخص مؤذٍ، هذا شعور قاسٍ بالفعل. فكّرت في الاعتزال التام، لكنني لا أستطيع؛ عملي يجبرني على أن أكسر طوق العزلة يومياً عن نفسي، لا أستطيع المكوث في المنزل دون عمل، ثمّة مسؤوليات يلزمها أن أعمل، صرت أكثر صمتاً في العمل، لا أدخل في أيّ نقاش، لأنّ النقاش سيجعلني شخصاً مؤذياً. احتكاكات العمل جعلت مني كائنًا مزعجاً، مؤذياً. ربّما يلزمي إجازة طويلة؛ لا أرى فيها أحداً، ولا أحد يراني. كيف أوقر هذه الفرصة؟ لا أدري. فكّرت في الانقطاع عن العالم واقعياً وافتراسياً، أغتبر أرقام الهاتف، بل لا أريد هاتفاً نهائياً، وأرغب في التخلّي عن كلّ ما يوصلني إلى الآخرين أو يوصلهم إليّ، وهذه أمنية قديمة ورغبة تلحّ عليّ منذ سنوات. فكّرت في التوقّف عن النشر، وليس عن الكتابة، لكن ثمّة ما يدفعني لأظّل موجوداً. عندي هوس لا أعرف كيف أتخلّص منه، الأذى جزء من هذا الهوس. كثير من القراء يشتموني؛ لأنني أؤذيهم بأفكارهم المتحرّشة الصادمة التي تجربهم على خلع ملابسهم الداخلية وتحسّس أعضائهم التناسلية ليطمئنوا على سلامتها وفعاليتها، فأكسر حلقة الهدوء حولهم، وأنبش في أشياء يجب ألاّ تنبش.

أشير عليّ، ماذا عليّ أن أفعل لأجتنّب الآخرين أذى الكتابة؟ هل كان أصدقائي على باطل ووحدي على حق أم على العكس تماماً؟ هل كلّ شيء صالح ليكون موضوعاً للكتابة؟ يريد أصدقائي أن يردّوني إلى المربّع الأوّل، إلى مقولة: "ليس كلّ ما يُعرف يقال"، بل ليس "كلّ ما يقال يفهم كما هو". ما رأيك؟

بالفعل أشعر بالتعب، وصرت أعاني من الصداع كثيراً وهذه هي حالتي وأنا اكتب لك الآن. أخاف أن أصاب بالأمراض المزمنة؛ نتيجة شدّ الأعصاب والتوتّر الدائم. فهل الكتابة مجردّ صنعة أم أنّها صنعة مؤذية؟ تبدو الكتابة هكذا في حقيقة أمرها. كثير من الكتّاب تعرّضوا للضرب بسبب ما كتبوه، كدت أقع في هذا الفخّ منذ سنوات، فامتنعت عن الكتابة كي لا أضرب على أيدي الزعران والبلطجيّة، كما تعرّض يوماً ما أحد النقاد إلى البلطجيّة الثقافيّة من أحد الكتّاب، فأرسل له من يؤذيه، لأنّ هذا الناقد كان مؤذياً فيما كتبه عن ذاك الكاتب البلطجي.

سلسلة من الأذى تصنعها الكتابة. فيا لها من صنعة شريرة شيطانيّة، تفرّق المحبّين، وتوغر الصدور، وتجلب الأعداء، وتفسّخ عقود الأصدقاء وعهودهم، كثيرون غاضبون منّي بسبب هذه الكتابة، فمن تناولت كتبهم بالنقد ولم يعجبهم ما كتبت تفيض نفوسهم حقداً وغضباً عليّ، بل إنها لتفور في مرجلها، وتتمتّى لي العثرة والاندثار، ولا داعي لأعدّد لك الأسماء، فهي كثيرة ومزعجة.

هذه المسألة قد تدفع الكاتب ليمسي وحيداً يجتّر حزنه وألمه ووحده، ويأكل أصابع الندم، فيموت بالسكّنة القلبيّة دون أن يجد من يقول: "عليه رحمة الله". بل "الحمد لله لقد ريّحنا من شرّه وأذاه".

لقد آن الأوان لأراجع نفسي وأصلح من أمرها، عليّ أن اختار بين الكتابة ومتطلّباتها وبين الراحة والهدوء. ولا أعتقد أنّ هذا القرار سهل، أو أنّي قادر على اتّخاذه- على الأقلّ- في المدى المنظور.

أراك قريباً كما وعدتني، ولا تنسيّ فالمطر أتى ولم تأتني، وبدأت العدّ التنازليّ منذ أمد بعيد، منتظراً لحظة الصفر. أحبك، فكم أنا مشتاق لاحتضانك، لعلّ المطر الخارجيّ يمطرنا بنشوته ولذّته ونحن معاً. فلا تخلفني عندي عقدة الشاعر نزار قبّاني، فأنا كذلك مثله: "أخاف أن تمطر الدنيا ولست معي/ فمند "وعدت" وعندي عقدة المطر".

الخميس: 2021/11/18

أسعدت أوقاتاً، وأرجو لك سفراً آخر موفّقاً. كنت أمل أن نتحدث هاتفياً قبل صعودك الطائرة، لكن يبدو أنني تأخرتُ وأنتك مشغولة، أفدّر اهتمامك بالأصوات الجديدة في أدبنا المحليّ، وبحثك عن تلك "الحساسية الشعريّة والأدبية الجديدة" في الأدب، لا سيما أدبنا المكتوب عن معاناة غزة، والخارج من معمعة الأحداث وقلب الواقع هناك. الأمر مأساوي جداً يا عزيزتي في غزة المحاصرة.

عندما ناقشنا قبل أيام مجموعة "غزة أرض القصيدة" الشعرية وجدت فيها الكثير من صور الواقع التعيس على كل المستويات، وأسعدني اطلاعك على ما نشرته عن المجموعة. الحديث عن المجموعة لا يعني عن قراءة تلك القصائد. ما زلت مشغولا في أمر تجميع تلك القصائد لأزودك بها، لتطلي عليها كلها.

أتمنى أن تكون هذه السفارة موفقة كسابقها، وأن يكون هناك متسع من الوقت لتتحدث على هامش أعمالك، وأن تزودني ببعض صورك في تلك البلاد الساحرة الجميلة.

كما تعلمين خرج كتابي الجديد من المطبعة "وشيء من سرد قليل"، وكم سرني اتصالك بي وبكل فرح وحب تهنئني بصدوره. سيكون للكتاب أمسية إطلاق وإشهار ومناقشة في متحف محمود درويش، رتب لي الأصدقاء في وزارة الثقافة هذا الأمر مع إدارة المتحف ومع الشاعر والناقد الدكتور المتوكل طه الذي أسعدني جدا بقبوله تقديمي في هذه الأمسية، وأنتظر تحديد الموعد، سأخبرك بالموعد تحت أي ظرف من الظروف، كم أتمنى أن تكون حاضرة معي وبقرتي. أظن أن الأمر ضرب من الخيال، وغدا أمنية مستحيلة. إلى الآن لم نلتق على الرغم من كثرة التأكيدات أن نلتقي قبل هذا السفر، لكنك طرت في أعالي الجوّ وتركتني مع أسمهان! وما نفع أسمهان وأنت لست معي؟

سيكون اليوم أيضا بُعِد الساعة 12:00 ظهرا لقاء إذاعي، تستضيفني فيه المذيعة راية حمدان في برنامجها طلات ثقافية لأتحدث عن كتاب الصديق الرفيق الأسير كميل أبو حنيش "وقفات مع الشعر الفلسطيني"، هذا الكتاب الصادر عن وزارة الثقافة مع ديواني "وشيء من سرد قليل"، وقد حررته، وكتبت مقدمته، وفيه عن دواوين ثلاثة لي وقفة راقية. سأزودك باللقاء، سيكون مسجلا على صفحة وزارة الثقافة الفلسطينية.

على أيّ حال هذه هي أخباري التي لم أستطع أن أخبرك إياها اليومين السابقين.

سأنتظر قدومك إلى البلاد بكل صبر وشوق، لعلّ حظاً يحالفني فنلتقي. قلبي وروحي وكياني كله معك، وبانتظارك لعلنا نرتوي ولن نملّ من الحبّ، فاستعدي أن تغرقني معي لنذوب معا في لحظة الوصال المرتقبة.

أشتهيك، وأحبك، وبانتظارك، فتخلصي من كلّ ما عداي وتعالني إليّ.

الجمعة: 2021/11/19

عزيزتي وغاليتي وشهيتي المنتظرة، أسعدت أوقاتاً، أما بعد:

فها هو المطر نازل سحّ مدار، يشجي صوته أذني ويثير شهيتي للقائك. لا أدركم ستمكثين في سفرتك هذه، سأنتظر على أية حال، صديقي يشاكسي ويكتب ردا على الرسالة السابقة "يا طول مشيك في البراري حافي"، عندما أنهيت الرسالة السابقة بأنني سأنتظرك. صديقي يتابعني ويتشفى

بي، فأنا صرت أثير شهية الشفقة لديه، على طول رسائلتي السابقة، وأنا أقول سأنتظر. صار الأمر مثيرا للشفقة فعلا. لكن لا بأس، فهو لا يعرف يقيني بك، ولا حبي لك، فأنا مستعد أن أنتظر أكثر مما انتظرت أضعافا، ما دام آخر العطش ريّ ووصال. أنا على يقين من هذا، ولعلمي أنك لست مراوغة، ومقدر ما أنت فيه من شغل وانشغالات.

حبيبتي القريبة مني والأقرب من روحي إليّ، هل تصدقين أنني أشعر بالدفع وبحرارة الدم تندفق في شراييني وأنا أكتب لك على وقع المطر في الخارج؟ صوت الماء يشعرنني بالسعادة، الجو لطيف نوعا ما وهو شاعري، يجعل وجودك ضروريا ولو بصيغة هذا التخيل الجميل. إنها حالة شبيهة بحالة "برد ورياح ومطر، تكتك على الشباك" لكن دون البرد والرياح، مطر فقط، نازل بهدوء وحنان ورقة كأنه ذلك الوصال المتدفق الجامع بين السماء وبين الأرض، التقاء محبين، وليس عنف محاربين. هذه هي الحالة في الخارج الآن. إنها حالة من الجمال الكوني التي تفيض نشوة في الروح.

أتمنى أن تكون أمورك بخير كلها، إلى الآن لم تتحدثي معي، عسى المانع خيرا، أخبريني إن استطعت ولو شيئا قليلا عن أحوالك، أنتظر كل شيء منك وأي شيء، وأرجو أن تكون صور المواد والقصاصد التي أرسلتها لك نافعة، إلى الآن لم أستطع الحصول على ما وعدتك به، ووعدني أحدهم به. لم يعد الاتصال بي، ولم يرسل لي رسالة على الفيسبوك، يبدو أنه لم يتمكن من الحصول على المطلوب. لا تقلقي، الكتاب الأصلي بحوزتي، وسأزودك به في لقائنا المرتقب. فلعله قريب.

غدا بعون الله سألتقي ببعض الأصدقاء، لنذهب سويا لتقديم واجب العزاء في صديقنا المرحوم، أبو رأفت¹، لقد عانى كثيرا رحمه الله في الفترة الأخيرة وتألّم، لكنه لم يضعف، نابلس في الفترة الأخيرة خسرت كثيرا من أعلامها. يا لها من مدينة مستنزفة في كل شيء!

لا تنسي أن تتكلمي عليّ ببعض الصور من هذا السفر. أتدري ماذا فعلت اليوم؟ لقد جمعت كل صورك على الحاسوب في مجلد واحد، وأخذت بتأملها واحدة واحدة. صور وملامح تقول ما تعجز اللغة أن تقوله، ليست صامتة إلا لأنني عاجز عن الكلام وعن تفسيرها، إنما هي صور ناطقات بليغات، أقصى ما تكون البلاغة والفصاحة.

الساعة عندي الآن تعدت الحادية عشرة ليلاً، مستأنس وأنا أكتب إليك، كأنك هنا. وضعت اليوم اللمسات الأخيرة على ديواني الجديد "على حافة الشعر: ثمة موت وثمة عشق"، وقد قدمته بحب وجمال فارهين الصديقة العزيزة هند زيتوني. إنها كاتبة وشاعرة رائعة بحق. سأعمل على نشر الديوان في السنة القادمة (2022) إن بقينا من أهل الحياة والشعر والحب والجمال والحيوية.

الحبيبة الغافية بعيدا هناك في بلاد البرد والبعد، أراك بقلبي، دمت لي روحا لا تنقطع عن بث الحب والحياة، وإلى لقاء قريب أيتها المغردة في قلبي كعصفور دوريّ.

¹ الناشر مجد عبد الله البيتاوي، صاحب دار الفاروق للثقافة والنشر. توفي بتاريخ: 2021/11/18.

المنتظر بحب ولهفة.

الأربعاء: 2021/11/24

عزيزتي الجميلة الشهية، كل وقت وأنت أجمل مما أراك، وأشهى مما أتمنى، وألذ مما ينبغي.

سعدت سعادة لا توصف، وقد سرقنا الوقت في الحديث أمس لأكثر من ساعة ونصف، كنت مليئة بالأفكار، مليئة بالغضب، مليئة بالحرقة، كنت رؤيوية مستقبلية أكثر مما قد يستوعب الآخرون. أحمد الله على أن تمت الأمور بسلام، وأنت لم تصابي بأي مكروه في رحلتك الأخيرة. كنت قلقا جدا وأنت لم تردي على رسائلي القصيرة المرتبكة كل حين. قلب العاشق دليله على ما يبدو.

هل صار الوقت أقرب من أي وقت لنلتقي، آمل أن يكون بعد أسبوع من اليوم كما توقعتي، سيكون لقاء تاريخيا بالنسبة لأفراح قلبي المبتهل والمتبتل في محراب جمالك الشهي، يا ليتك تدرين ماذا أعد لك من جمال الاحتفاء والاحتفال بذلك اليوم. أرجو ألا تخلف الظروف موعدا فتتكسر نشوة القلب ويغضب وجه العالم، وتسود صحائف الملائكة الرابضين على كتفي وكتفيك.

الحبيبة التي أغرق في تفاصيلها حتى قبل أن أراها. ألا انظري في هذه الطقوس لتستعدي لها، واتركي الأدباء والشعراء والنقاد جانبا ولا تدخلهم بيننا في اللقاء المرتقب، إنه لقاءنا نحن، نجوانا نحن، حديث في الحب والغزل والشوق والنشوة. لقاء تأمل الجمال وتفاصيل التفاصيل في كلك المعلن والمستتر. يا له من لقاء يذبيني على شفتيك بقبلة تعيد إحيائي على صدرك المنتشي.

حبيبي الجميلة الفارحة في كل ما يخطر على بال، وما لا يخطر في قلب حبيب بعد، أدر لك قلبي في تلافيف هذه الرسالة مغلقة بهذه القصيدة المعدة للقائنا فتأمليني على هديها. أحبك حتى يرضى الحب عتي وعنك، ويشملنا بعطفه وكرمه.

من أين أبدأ طقسنا الموعود في ذاك السريز؟

تعالني بملابس الحب الأنيقة

مثل ضوء الشمعدان

وهيئيني قبل ذلك باغتسال مستطيل في مياه دافئة

واسترخي بقربي دونما تعب وخوف

لأعبر فيك بعد بعض مقدمات

وأكملي نقصي المعرف ههنا

واكتملي بحرف من نشيد

عطشي شديد يا كؤوس الظل يا ولهي المديد...

تعالَى كِيْ أَعَدَّ أَصَابِعُكَ
عَشْرِينَ مَرَّةً
سِتًّا وَعَشْرِينَ سَنَةً
وَأَزْرَعُ بَيْنَ نَهْدِيكَ الصَّغِيرِينَ
بَيْنَ كُلِّ خَلِيَّتَيْنِ
عِبَارَتَيْنِ
وَوُرْدَةَ وَقَصِيدَةَ وَحُرُوفَ بَاءٍ
تَعَالَى كِيْ أَغْوَصَ فِي كُلِّ التَّفَاصِيلِ الْمَثِيرَةِ وَالْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ فِي التَّخْيُلِ...
وَأَفْوِضُ أَمْرِي لِلْأَصَابِعِ
لِلْحِكَايَاتِ الْغَرِيبَةِ
لِلصَّدَى الْمَمْتَدَّةِ عِنْدَ الدَّغْدَغَةِ
وَاسْتَقِيمِي فِي مَتُونِ الْآهِ عِنْدَ إِشْبَاعِ الْفِرَاقِ لِتِلْكَ الْمَحْبُورَةِ
مُؤَيَّضَةً وَحَلِيبَ مَاءٍ
تَعَالَى مِثْلَمَا تَأْتِيَنِ مَتِيْ
خَلِيَّةَ مَرْوِيَّةَ مَجْلِيَّةَ مِثْلَ بَلُّورِ مُضَاءٍ
وَاسْتَكْمَلِي أَنْثَاكَ فِي بَكلِّ أَصْنَافِ "الذِّكَاةِ الْعَاطِفِيْ"
وَجِيْ فِي اشْتِعَالَاتِ الضِّيَاءِ
تَعَالَى مِثْلَ رَائِحَةِ الشُّتَاءِ
بِمَا تَبَدَّى مِنْ رِبْعِكَ عِنْدَمَا تَجَلَى عَلَى شَفْتَيْكَ أَحْلَامِ النِّسَاءِ
تَعَالَى مِثْلَمَا تَأْتِي الْغُيُومُ
وَاسْتَفِيْقِي فِي مَسَاحَاتِ امْتِدَادِ أَصَابِعِ عَشْرِينَ فِي مَرِحِ السَّمَاءِ
تَعَالَى مَعَ حَسَاسِيْنَ وَجُوقَةَ أَنْبِيَاءِ
وَرِيَا حِ نَاعِمَاتِ الْخَطُوءِ مَعَ ذَاكَ الْفِضَاءِ
لَا تَتْرَكِي شَيْئًا وَرَاءَكَ دُونَ أَنْ يَحْلُوَ عَلَى مَسِّ الصِّفَاءِ
تَعَالَى وَالشِّفَاهُ نَدِيَّةَ مَحْمَرَةَ عَطَشِي تَرَدَّدَنِي بَيْنَ حُرُوفِ نَدَائِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَصْدَى النِّدَاءُ
تَعَالَى قَامَةَ حُورِيَّةَ وَرَقَاءِ مِثْلَ يَمَامَةَ هَدَلْتُ
وَأَشْجَتُ فِي الْغِنَاءِ
تَعَالَى يَا ابْنَةَ الْكَرَمِ الْمَعْدَّ مِنْ اغْتِبَاقِكَ كَلَّمَا حَلَّ الْمَسَاءُ

تعالَى مثل نهر جامع على شَطِيهِ مَغْتَسَلِي
وتعمّدي طقساً تمزّد مثلما شدّت يشاء
تعالَى علّنا في الوقت ندخل دون لعبته الطويلة في افتعالٍ واقتضاء
دون فلسفة أو كسرة من فكرة أو ربّما شيءٍ يؤخّرنا عن المضمون في كلّ ابتداء
تعالَى دون أيّ شيءٍ
غير أنتِ

أنت أنتِ الاشتهاء الكامل الإحراق في كلّ اشتهاء
أنتِ الإضاءات المسافرة النقيّة كلّما أزهرت رؤيا
واستعرت الحرف من خلل السناء

تعالَى كي تعديني كما كنتُ فعلتُ
وتخفّي من لحظتين جريحتين قصيرتين في هذا اللقاء
وتفرّغي مئّي إلى بكأس الخمرة النشوى تدفّق في انتشاء

تعالَى كي أقصّ لك الحكاية كلّها
فعند طفولتي الأولى تعلّمت الرواية
وتركتها مكتوبة على جدران ظلّي
ولم أكمل نهايتها

وبدأتها بوشاية العرّافة الكبرى
تعلّمني اغتيايي في يديك مشيئاً
أصغني لأشجاري وعرفني النداء
تابعاً صوتاً بعيداً قادماً من غربة محفوفة
تقتات من عسف الخفاء

تعالَى واسمعي ضويّ
تشرّيبني أغنياث
فأشيايي الخفيّة ناضجة

ويرضعها الخافت المحموم أكثر من شتاء
تعالَى واكتبي إحياء أسفاري على وهج اللقاء

حبيبتي التي يجعلها الوقت وترفعها اللحظة إلى مقام القديسة إنني لمننظر على أحر من الجمر.
سأخبرك سرا عندما نلتقي ماذا حدث معي وأنا أكتب لك هذه الرسالة الغارقة في نشوة الرضا
والجمال.

الاثنين: 2021/11/29

حبيبتي وشهيتي أسعدت أوقاتاً،

منذ أمس وأنا لا أستطيع التفكير إلا بشيء واحد هو أنت وشهيتك الباهرة. لأول مرة في حياتي تستولي عليّ هذه الحالة، كلي مشتاق لكلك وإلى الآن في هذه اللحظة، أريدك بكل ما أوتيت القوة من طاقة، صورتك وحديثك وهياتك وشهوتك وضحكك لم يفارق أي منها عقلي. إنني أتوجع يا ... وجعاً لا أستطيع تحمله.

نسيت ما يفصلنا من مسافة، وصرت فيك في طرفة عين، نقلتني مما كنت غارقاً فيه إلى بهجة روحية وحسية لم تكن لتتكرر أو لتكون أصلاً لولا تلك المفاجأة التي جعلتني مندهشاً مشدوهاً، هربت مني الكلمات وعجزت عن التعبير. كل ما كنت أريده هو أنت؛ لأنعم بك وبشهوته وأطفئ حرارة تجتاحني بعنف ليس لي قدرة على وصفه.

حبيبتي المتصببة جنونا وجمالاً، أكتب إليك لأنيم ما صحا فيّ من جنون وشوق، فهل تستطيع الكتابة أن تردّ إليّ جزءاً من هدوئي. يا ليتك الآن معي، وبقربي، لكننا صنعنا ما يجب أن نصنعه، ولكننا خلقنا اللحظة التي فيها نحترق سوياً في مرآشف العشق الندية التي تحولنا إلى نبتتين خضراوين نابتتين على أطرافنا.

ها نحن أيتها الحبيبة على مشارف الوعد، فلا تجعلني المسافة أطول مما هي، فتعالي لتصوغي لغتي على شفتيك قبلة وقصيدة ولحظة فرح فردوسية لا تنتهي، منتظر ومشوق وممتلئ بك كلي. أكاد أشم رائحة النشوة في صدرك وفي وردتك الناضجة وفي سمرة جسدك المشوب بالزهرة الناعمة.

تعال يا تعالي، لقد احترقت بك، فلا تنتظري أكثر، ولا تجعليني رمادا تذرني الرياح في معمعة العاصفة المجنونة التي صنعتها في كياني وأبت أن تهدأ إلا أن أعبرك بكل جلال وقداسة النشوة. لقد امتنعت بمائي مرتين وأنا أكتب لك، فهلا رحمت جنونك في أيتها الإلهة التي لا تقاوم. أحبك فلا تتأخري عني.

رسائل 2022

أحبك وأنت كآلهة تعلو على كل بشري لتضيئي وجه العالم باللغة

الجمعة: 2022/8/5

سيدتي وسيدة الشعر، صباحك مثل وحي يرتل أغنية.

أعود إليك في كل حين، أطالع سعدك الميمون وأقدارا جمعتنا، وأشم أزهارا أهدتنا رحيقها الصباحي معمدا بندي الشهد المقطر من شفتيك القرمزيتين، أعود إليك في كل التفاصيل، في رسائل الصباح الغامرة بالمحبة والمودة وأشكال الحظ المتشكل في صورة الورد وفي بوح أغنية تحمل عني وعنك ما نكابده ونشتاق لأن نقوله في أجمل تعبير يتجاوز حدود الحروف ويتسامى فوق أحجار الأبجدية الصماء، فهل لها أن تحمل ولها عميقا كالذي نحمل يا سيدة الشعر؟

أعود إليك وإلى تلك الرغبة الجامحة في أن تلقي بتعبك على كتفي فترتاحي وأنت تتنفسين أنفاسي، وتشعرين بالأمان، فلا تجدين من أحد سواي لتبثيه ذلك الهمّ المتجمع كقيمة أحاول أن أبددها بلمسة شوق تنهال كذاذ الربيع لتغسل كل ألم.

أعود إليك، وتعودين إليّ كلما ضاقت النفس بأسرارها، لأجذك حضنا دافئا، يحضنه الصباح، ويخصه بكل بوح جميل في معناه، مسافر نحو دهاليز النفس، يفتش عن كل بارقة نور تسطع هناك؛ لتلقاني وقد تهيأت لأكونك وردة تضمينها إلى ورود بساتين العاشقين، فتروينها بكأس من خمرة القبل المعتقة الحنين.

أعود إليك كما يعود النهر لمصبه، فيسكب كل مائه كظهور الروح التي تعفنت بأورام الواقع الأليم، فتصنعين الأبجدية الملقاة على عاتق اللغة لتقول عني ما يجب أن تبوح به، أعود إليك كطفل بريء إلا من غواية الحب العفيف الذي يطلبك كل صباح ليراك أسنى وأبهج وأكمل.

أعود إليك في نغمة الرسائل الملتاعة، لأكون قربك حيث أنت هناك تعانين مما أعاني من سيطرة الرقباء المتربصين ببوحنا، فينتابك بعض من خوف وشوق وحب، أعود إليك كما تعود الموجة الهاربة فتنداح مطمئنة في أحضان حبيبها ذلك البحر الذي ضمها ليعيد تشكيها على هدي نور القمر الجميل، يا سيدة الشعر الجميل.

أعود إليك مع كل رشفة من فنجان قهوة علاها السحر من طعمها المرّ، ليحلوا الزمن، ويعود كما كان أول ما كان، خاليا من كل ما عداك من صور وأغنيات وأمانٍ شارحات جمال الجنون، وقد تعالقت الأرواح، وتغازلت القهوتان بصورتي وصورتك في ذات الحلم القديم الجديد، وكأنه عزف متصل لا نهاية له.

أعود إليك وأنا الذي لم يفارقه الحنين، أعود إليك كما لم يعد شيء لأصله، أعود إليك ليكون ذلك الذي نطمح أن يكون، فلا شرف كشرف الحب الطاهر، ولا نفس كنفسك الفائحة عطرا أبديا يا سيدة الأبدية، إليك إليّ أعود، ولن أبرح أن أغني لك كل صباح ما نبت في خاطري من بهجة اللقاء

القريب، حتى وإن كان أملاً وحلماً لن ينتهي التفكير فيه، فأنت ذات وصال الروح ولا مندوحة عن أن تكتملي في ذات بهجة ذات صباح في يوم هو إشراق المنى يا سيدة الشعر.

دمت للصباح وردة، وللغناء لحنه، وللصورة سحرها، وللزمان عييره، ليحملك الصباح على أجنحته فيضمك الزهر والنسرين وطوق الياسمين، فيفرح القلب المشتاق وقد ارتوى من كؤوس الوصال من جمال جمالك الذي ليس له مثيل.

يا سيدة الشعر أحبك وأنت كآلهة تعلو على كل بشري لتضيئي وجه العالم باللغة.

الجمعة: 2022/8/12

سيدي وسيدة الشعر المحمل على مراكب التاريخ، صباحك الجمال والحب، أما بعد،

ما زال في الورد سر لم يُدع بعد، ولم يكن ذلك الماضي الذي ربما توجست منه إلا عاملاً من عوامل صياغتي كما أنا الآن فعلاً، فما هو أنا غير ذلك العمر المترابك في ذاتي ووجداني وعقلي، صقلته التجارب ونحته الظروف ليخرج في نهاية المطاف أنا بصيغة ما، ولولا كل ذلك لما وجدتني الآن كما أنا في ذلك الذي تحبينه في.

سيدي وسيدة البهاء،

يكتبنا الزمان بسفره كما يحلو له القدر، وهل لنا أن نعترض؟ وهل لنا أن نعانده؟ وهل لنا أن نغير مجرى مجهول لا ندري إلى أي الدروب يسحب قامتنا النحيلة الواهية؟ فأينا يملك روحه ليملك مستقبله؟ شيء جارح ربما، لكنه وقفة تأمل لعلك ترتاحين قليلاً من هم اللحظة وثقلها، فالغيب ليس لنا، وما علينا إلا أن نعد للخطوة القادمة، مهما كانت مجنونة، لكنها بالتأكيد ضرورية جداً لاستمرار بوح الورد والأغنية والعمر المصنوع من مواضع تتخيل كبعض تباريح في ريح قادمة، علينا أن نصمد في وجهها، نتحداها لنكون أجمل.

سيدي وسيدة المعنى المكتمل بضياء الروح،

عرفتك جيداً، بتفاصيل مكتوبة على لوحة من أمنيات، كتبت لك وأنا على قناعة بأن الغد القادم أجمل، فالماضي جهزنا بعقافيره المؤلمة، لنكون بصحة وعافية، وأرقدنا على سرير مشافيه لنكون أصلب عوداً، لا أن نعود بكامل سذاجتنا إلى السرير نفسه مرة أخرى في ذات المشفى لتتناول الدواء نفسه، فلا شك أنه لن يصلح الآن بعد هذه المدة التي مرت ونقلت خلايانا إلى نوع جديد من العيش والأمل، فلا يصلح غذاء الأمس ليكون طعاماً للغد.

سيدي وسيدة اللحظة المتوهجة،

من منا لا يعيد التفكير، ولا يعاوده الحنين؟ من منا يقبل لنفسه أن يغتسل في ماء اغتسل فيها قبل حين حتى أسنت؟ من منا لا ينظر إلى سني عمره المقطوعة كأنها غابر وعابر وشيء ما؟ ولن نقول

إنه لم يكن، بل علينا أن نعترف أنه كان، وأنه جزء منا، ولكنه ليس لنا من أوجاعه المعاصرة نصيب، فنحن الآن لسنا نحن قبل أيام، فكيف وقد مرت السنوات الطوال، علينا أن نلتفت إلى شؤون قلبنا، ونعترف بأنّ له حقا علينا، يجب أن نُؤديه لا نتركه مهملا، فإنه لا شك سيموت ويذبل، ونصبح شبه آلات تحركنا الحياة واحتياجاتها، لنصل في آخر محطة العمر، وقد ندمنا ندما شديدا على أننا لم نقتنص فرصة العمر السانحة.

سيدتي وسيدة القمر المطل علينا من علو شموخ ليلته الوردية،

كان ما كان، ولم يكن ليكون غيره، فهذا هو القدر، بخيره وشره، فلا تندبي الحظ لا قليلا ولا كثيرا، وكل ما عليك وعليّ مجابهة ما يعترض قطار وصولنا لمحطة اللقاء الأخيرة، ولنكن على أتم الاستعداد والجاهزية، فالعمر قصير، والأمانى مشبعة، فلندعها تهطل بالوصول القريب.

ثلاث رسائل من (ص. ز)

الثلاثاء: 2022/3/1

يا لمحاسن الصدف، كيف عثرتُ عليك فجأة؟ لقد سرني جدا وأفرحني أنني قرأت ديوانك الجديد "وشيء من سرد قليل"، أعجبتني ما فيه من أفكار. أظن أنك كنت تكتب على جسدي أنا وليس على جسد حبيبتك التي اشتيتها وربما أغرقتها بمائك وغرقت هي بمائها وهي تقرأ. يا لها من امرأة محظوظة، كيف لك أن تريني نهديتها بهذه الرقة وبهذه العذوبة، تمنيت أن يكون نهداي هما من رسمتهما أو تبتلت على قبتيهما ومسدت أديمهما ولاعبت حلمتيهما. إن لي نهدين أجمل من نهدِي حبيبتك. صدقني ستجن لو رأيتهما، سأرسل لك صورة لترى.

كيف أثرت شهوتي وشهيتي أيها ال...، القبله عندك في هذا الديوان عالم مفتوح، جعلتني أعود إلى تلك المرات التي استمتعت بها عندما كان يقبلني حبيبي خلسة يسرق قبلاته من خدي في غفلة عما حوله، إنما أجمل تلك القبل هي القبل الثورية التي تفجر المشاعر وتذيب الكيان، تخيلتك بي تقبلني بكل هذه القبل التي مررتها على شفئي ونهدي وبطن وشيء ورقبة حبيبتك، يا ليتني كنت أنا التي تقبلها وتعصر شفتيها بشفتيك، لتحسيني، أنا الوحيدة التي تنتظر حبيبا يعيدها إلى الحياة أو رجلا يشغف بها فيأتي بها ويرفعها إلى نشوتها القدسية. لا تخف لم يبق من أثر قبلته على شفتي وجسدي شيء، فقبلني في أي مكان وستراني كما تحب فلن تشم رائحة ذلك الرجل الذي رحل منذ سنوات، نسيته تماما فلا تقلق لن تشعر بالغيرة وأنت معي، ستنسى أنك على الأرض، سنكون وحدنا في جنة الشهوة، وحدنا وحدنا!

لا تستغرب أيها العاشق الفنان، لقد خلعت كل أعذارِي وأنا اكتب لك، متجرئة شجاعة. أكتب إليك وأنا عارية تماما في السرير أشتهيك وأكتب فتضطرم شهوتي فأفيض فأرتعش فأشعر بالبرد فأبكي وأشتمك، يا إلهي كم عذبتني أيها اللئيم بهذا الشعر الذي أحرق روعي وأشعل جسدي.

كتابك هذا مجنون مثلك أيها النحيل النحيف، أعرض عليك أن تأتي إليّ في شقتي لتقضي معي ما شئت من الوقت حتى ترتوي مني وتشبع، وأعصرك في سريرك كحبة ليمون وتعصرني كحبة برتقال شهية ناضجة، كرزتاي على صدري تنتصبان كلما قرأت جملة من هذا الشعر، ووردتي بين فخذِي تبتلّ كلما مددت يدك نحو وردة حبيبتك.

لا أريد أن تحبني ولكن أريدك أن تروي عطشي أيها المجنون، تعال ولا تبطئ عليّ ولا تبخل علي بك. وإياك أن ترفض فسأقتلك لو راوغتني وتركنتي رمادا دون أن تعيد لي بعض زهر قد ذبل. أنت الرجل والشاعر الذي أعطيه كل ما يريد فأنا لك كيف ما أردت ومتى أردت.

أرجوك لا تقل عني شفقة أو عا...رة. إنما من حقي أن أشتهيك أنا أيضا. لو رأيتني جنبك في السرير أعلوك حيننا وحيننا تعتليني ستنسى العالم؛ فلديّ صدر سيشبعك، وفرج سيسعدك، وردفان

يزغلان عينيك ويمرجهان شهوتك بانتصاب كامل، وفخذان شهيتان مكتنزتان وشفتان لم تتذوقا
طعم قبلة منذ سنوات. فالنهر فيّ يعود إلى الجريان بفعل شهوتك التي لا تقاوم!

طلب أخير مسموح لك أن تنشر هذه الرسالة إن أحببت فلا شيء عندي أخاف عليه أو منه. إنما
الخوف كله ألا أكون بجانبك ولو لساعة من زمن.

أشتهيك يا رجلُ فلا تتأخر!

ملاحظة: صورة المرأة¹ التي في هذه اللوحة العالمية تشبهني كثيراً.

الجمعة: 2022/3/11

صباحك قبلة تنعش روحك الحلوة. صحوْتُ من النوم باكراً جداً، كنت فيّ، غارقاً في حرير جسيمي
وتعوم في شهوة مائي. يا لتلك اللذة ما أبدعها معك! يا ليتك بقيت مدة أطول، وليتني لم أصحّ...

أرجو أن تقرأ رسالتي قبل أن تقوم من مقامك. أعتقد أن سيريك دافئ بمن فيه، لكنني لو كنت أنا
التي فيه لأصبح أكثر دفئاً. فلو كنت معي وبجني لكان للوقت طعم الجنة... إياك أن تشك بمثل
هذا!

يكاد يقتلني الفضول لأعرف... أظن أن حبيبتي قد سألتك عني، أليس كذلك؟ أعرف أنك لن
تجيب على رسالتي هذه. أشعر بخيبة أمل أنك لم ترد على رسالتي الأولى، واكتفيت بنشرها على
الملا. لا مشكلة لديّ، انشر ما تريد، وأشبع غرور ذكورتك. أصدقاؤك مثلي يقتلهم الفضول يا
ليتك حدثتني عما حدث بينك وبينهم، يحسدونك عليّ أليس كذلك؟

في فترة انتظار رسالتك التي لم تأتِ قرأت كتابك "نسوة في المدينة"، لم يعجبني كثيراً، هناك
مشاهد قصصية جميلة لكن الكتاب بالمجمل كتاب ليس جيداً، تعاطفت مع امرأة الفصل الثاني،
يا ليتني كنتها، هل هي بالفعل حبيبتي التي تكتب لها كل شيء كل يوم؟

سأبوح لك بسر لو طاوعتني، فإنني أعرفها جيداً وقابلتها كثيراً، أظن أنها لا تستحقك بالمرّة، لو
كتبت فيّ ما كتبته فيها ووصفتني كما وصفتها لم أدعك تفلت مني دقيقة واحدة قبل أن أعصرك
كلك فيّ. وأريك كل شيء كما وصفته، ما زلت أحفظ شكلها كما ترسمه في قصائدك... كلما قابلتها
تفحصتها وأقول: كم أنت بارع في الوصف والتصوير. أعجبتني جداً تركيزك على عجيزتها ونهدتها،
أؤكد لك أن لها عجيزة رائعة ومن حق لعابك أن يسيل على شقيها وما بينهما، ونهداها جميلان
ومغروران يقتحمان العين دفعا لانتصابك مع أنها قاربت الستين عاما على ما أظن، أعذرك لكنها لا
تقدر قيمتك!

¹ ترفق مع الرسالة صورة لوحة للفنان أنتولي كولوجين (Anatoliy Kalugin).

المرأة في الفصل الرابع امرأة غير ناضجة لغويا، ولا مشاعريا، أعتقد... إن كانت فعلا حقيقية، ستصحو من سكرتها وستتركك.

اسمع، أعرفك كلك، وكل ما فيك أعرفه حتى موضع الشامات في جسدك، ستقول أين لي هذا سأخبرك لو شاركتني ليلة واحدة على الأقل في شقتي. ها أنا أطلب منك للمرة الثانية أن تزورني في شقتي، لا تدعي أنك يوسف عصرك، تعال واشبع مني وأشبعني إلا إذا كنت لا تستطيع... فالأمر مختلف.

كل يوم تنام صورتك معي، تخيل أنني أضع صورة لك على صدري يوميا قبل أن أنام... أغفو وأنا أتخيلك تمارسني برقة حتى أصل لكامل شهوتي وأنت في.

لعلك لم تصدق، ومعك حق، ولكن تعال وانظر، وادخل إلى غرفتي ونم معي على سريرتي وتمتع بي. واستحم معي سترى جنوني، سأعيد صناعتك على مهل. وأنسيك كل النساء العالقات على جثتك، سأزيلهن كلهن، وأتركهن ماضيا يعيش في كتبك وقصائلك.

كم أشتاق أن تكتب ردا على رسالتي، هل تخاف مني؟ أطمئنتك أنني لست مخبرات لأوقعك وأستغلك، كل ما في الأمر أنني أشتهيك، وأريدك، ولن تفلت مني مهما حاولت، سألاحقك لآخر نفس فيك وفيّ، وستجثو يوما بين فخذي لثروي. أنا متأكدة، ولن يطول بك التمتع حتى تهطل مطرا غزيرا يغسل لوعتي وحر اشتياقاتي.

قبل أن أختتم...

جميلة مقالاتك حول فيلم صالون هدى، وأشارك الرأي فأنا يسارية التوجه مثلك، كم كنت مذهلا في التحليل وخاصة فيما له علاقة بالسلطة والمقاومة. أرجو ألا تنسى أنك أيضا معلمي، تعلمت على يديك أشياء كثيرة، فدعني أرد لك جزءا من هذا الجميل، لأعطيك نفسي راضية مرضية.

لن أرسل لك صورا لي هذه المرة حتى ترد على رسالتي أو تأتي إليّ، ستجد مع هذه الرسالة شيئا من جمال الطبيعة في الصورة المرفقة، وهي مسروقة عن صفحتك تحمل أمنيته لاحتضانك كما احتضنت الزيتون شجرة لوز مزهرة!

على أمل قريب باللقاء!

الثلاثاء: 2022 / 3 / 15

مرحبا،

عساک بخير، أنا لستُ بخير مطلقا ونهائياً، لم أستطع الانتظار حتى مواعي الأسبوعي الذي قررته أن يكون موعدا رتيبا بيني وبينك، أشياء دعنتي لأكتب لك قبل هذا الموعد.

لم أنم طوال هذه الليلة، الكوابيس تلاحقني، تسيطر عليّ صورتك، صرخت مرات عدة في عمق الليل، صرت أشبه بالمجنونة، فكرت بالاتصال بك عدة مرات، بين الاتصال وعدمه ثوان، أكاد أجن، أكاد أجن، لا شيء في هادئ كل ما في يطلبك ويشتاق إليك، لا شيء ينقذني من هذا الضياع سواك، أخاف أنني تجاوزت مرحلة التعلق الجنسي بك إلى الحب. هل سيحدث ذلك؟ جواب هذا السؤال عندك.

لا أعلم؛ هل صرت تنتظر رسائلي، وما هي ردة فعلك عليها؟ كم أنت غامض يا فراس، كم أنت جبان. لماذا لا تبعث إليّ ردودك؟ لماذا فقط تقرأ وتصحح أخطائي الإملائية والنحوية وتنشر رسائلي؟ هل حولتني بهذه السرعة إلى مشروع كتابي؟ كم أنت انتهازي لئيم!

كدت أختنق في جوف الليلة الماضية وأنا أشعر أنني أغرق في فضاء لست فيه، ليس هناك هواء، يا الله أين ذهب الهواء؟ أين الأكسجين؟ هل سترقّ لحالي وتراني، على الأقل في مطعم أو مقهى؟ لا أريد منك أكثر، رسالة فقط، رداً من كلمتين أو حتى كلمة، لا أريد منك أكثر... لا تتركني فيك معلقة بين أرض باردة وسماء لم ترحمني.

أحس نفسي أنني على حافة الانهيار، هل يرضيك سقوطي وانتحاري للخلاص من هذا الجنون؟ صدقني لو قلت لك إنني سأنتحر لو بقيت على هذا الصلف والتكبر، لا تجعلني أكرهك.

كل ما يجنني ماذا ينقصني لماذا لا تريديني، وأنا امرأة كاملة مكتملة كل شيء فيّ طيب وناضج وشهي، يا لهذا العفاف الذي يحيطك فجأة وأنت الذي لم تقصّر في أكل النساء وشريهن وتمزيق لحومهن، والانغماس بين أفخاذهن واستعمار نهودهن ومصّهن وعرك فروجهنّ. وقفت عليّ! يا لك من ساديّ لئيم مجنون غبي! إياك أن أموت بسببك، لعنتي ستظل تلاحقك طووووول عمرك!

رسائل صوفي

يا وردة في الروح تهفو

فيضُ عليك وألفُ

الأربعاء: 2021/3/2

عزيزي فراس

عندما نحيا ونتمنى ونأمل ونتأمل لا ندرك الخافيات، إنها تقاديره سبحانه وتعالى، لقد منحتني الحياة الكثير، عائلة أحبها جدا، وإنسان مثلك كنت السند والصديق ومجمع كل شيء جميل بالنسبة لي.

حاولت مرارا أن أتحايل على نفسي وأكتب بطريقة لا أزعجك، لكن الطرق أمامي مسدودة، علينا أنا وأنت أن نواجه مصيرا حددناه في جموحنا وأفكارنا، أن نواجه الواقع، أكتب إليك وكلي أمل أن تفهم موقفي، ربما لو التقينا في زمن آخر لكنت لنا حياة جميلة معا، أما وقد اجتمعت علي الكثير من الأمور الصعبة فقدت رغبتني في كل شيء، زهدت، زهدت في الحب، وزهدت في الأحلام. أعرف أن القرار الذي اتخذته اليوم سيكون صعبا على كل من حولي، بل وصعبا علي، لكنني أم أولا وآخرا، وكل همي أن أسلم الأمانة وأنا مطمئنة وراضية، لقد قررت اليوم العودة إلى زوجي والد أبنائي، اعترضت العائلة كلها على هذا القرار لكنني أعرف تماما أن هذا هو ما يجب أن يكون، لا أريد أن يموت أحدنا وقلب أبنائي ممزق بالشكوك والظنون، لا أريد هذا الشتات لأطفالي، لقد رأيتهم كيف يضيعون مني، تائهون بيني وبينه، خاصة بعد فحوصاتي الأخيرة وبدء انتشار المرض. فراس.

لقد كنت صادقة معك كل الصدق، لكني الآن عاجزة عن الماضي قدما، لم يعد لدي أي رغبة، وأنت تعرف تماما طبيعة العلاقة بيني وبينه، وكان شرطي أن نبقي كما كنا، كل في زاوية لكننا تحت السقف ذاته.

سأترك لك خيار أن نبقي معا أصدقاء نتشارك كل شيء، أو إذا فضلت الابتعاد سأحترم رأيك مهما كان مع العلم أنني متمسكة بك لكن بصورة أخرى بعيدة عن فكرة الزواج. عزيزي فراس.

أتمنى لك مزيداً من الإبداع وأن يتم الله عليك العافية والرضا ويسعدك مع عائلتك وزوجتك التي لم يفارقني حتى اللحظة صوتها المخنوق عند علمها بالأمر. ورغم ذلك مضيت، لكن حكمة الله غلبت كل شيء.

سأواجه ابتداء من الأحد علاجا جديدا سأبدأ معاناة أخرى فوق معاناتي ولا أعرف إلى أي مدى سأصل. كن بخير. ممتنة للحياة التي عرفتك فيها. إلى اللقاء.

صوفي

الأربعاء: 2021/3/2

عزيزتي صوفي

أعرف أن أحلامي الجميلة عمرها قصير، لكن هذا الحلم كان أجملها، لذا فإنه أقصرها، تتنازعي الآن عاطفتان، لا أخفيك أنني من داخلي صدمت، من رؤية هذه الرسالة الطويلة، وقدرت أنها ستحمل شيئاً مزعجاً.

لقد توقعت منك موقفك هذا أمس، عندما أبلغتني بما حدث، وربما أنا شخصياً للحظة، تعاطفت، وتخيل إليّ أنك عدت إليه أو أنك ستعودين إليه، وهذا ما تم. قلب العاشق دليله. يؤكد موقفك كم أنت نبيلة وشفافة، مع أن القلب يقول لي عكس ما يقول العقل في هذه اللحظة، إلا أنني أقدر موقفك هذا تقديراً عظيماً، على الرغم من أنني أغالب حزني الشديد على كثير من الأشياء، والأحلام والتصورات والتمنيات. الموقف صعب، لكنك اخترت ما هو صائب، أقول ذلك وأنا أدعس على قلبي وأخنقه بحزنه.

أحترمك وأقدرك وأحبك، وأتمنى من الله العلي العظيم أن يشفيك وأن تتحسن الأحوال، ويزهر الربيع في دروبك كلها.

سيظل لك في قلبي مكانتك الخاصة التي لا تضاهي.

ف. ح

السبت: 2022/3/19¹

أيها المجنون:

كيف سوّلت لك نفسك أن تقرأ رسالة تلك الماكرة؟ ألم تر كيف دسّت سُمّ شهوتها في السطور؟ هل تلذذت بكلماتها، هل تخيلتها؟ إن كان لديك القدرة أجبني. هيا، اعترف، هل تحركت فيك مشاعر الرغبة؟

هل عضضت شفتك السفلى بينما تقرأ شبقها المُتناثر كقنبلة متفجرة، ماذا عن شظاياها، هل لامست أعضائك عضواً عضواً، هل غفوت على وسادتك مع ابتسامته متلذذة بما قرأت ووسع خيالك كل شيء؟

أنا أكرهك، أكره هذه العنجهية التي تناولت فيها رسالة من غريبة، وددت لو كانت منذورة لك، بينما تدفع بها إلى صفحتك وبيديك الإلكتروني مغترّاً ومُتساهياً، لا أدري إن كان بوسعي أن أصمت أكثر، فأنا أعتصر قلبي بين يدي وألوكُ عُصارتَهُ، ثم أقذفُ به آخر الدرج ليتدحرج أمامي على الشارع فيدوسه المارة، لن يشفي غليلي سوى تقطيعه إرباً إرباً، ومحقه محقاً وتسويته في الطريق فيتحجر ويصبح كالأسفلت.

¹ تعترض على الرسالة الأولى للمرأة المدعوة (ص. ز)

أيها المجنون،

قفزة واحدة صوب جهنم أهون عليّ من امرأةٍ أخرى تُصاحبُ جنونك واشتهاءك، لذا، عليك تقديم نذورك، إما أن تراني كل نساء الأرض، أو تراني كلهن، لا خيار ثالثاً بينهما أو سواهما، وإلا سأحلّ سفك دمي للغيرم يبعثُ جثتي كنسيمٍ رطبٍ يتبخّر لحظة شمس، وسأتبرّع بعيني التي تراك في كل شيء للكلاب الضالة في الشوارع لتفقا فيها كلّ الحب، وسأجهشُ بروحي، أصرخها كصرخةٍ أخيرةٍ لا تقوم بعدها إلا الساعة.

فهلأ أرحت قلبي وقلت لي إنك من كتب تلك الرسائل لتثير في براكين الغيرة، أو أنّ تلك المعنوية بشعة للغاية وعجوزاً هرمة وتكتب لك من باب الدعابة لا أكثر، لا، لا أريد هذا الحل أيضاً، فهي بكل الأحوال امرأة.

أخبرني كيف أعفو وأصفح عنك الآن، بينما أرفع صخرتي أعلى الجبل، فتنقاسم العصافيرُ ضحكاتها على خبيتي، ثم أنزلُ الجبل مرةً أخرى، أحملُ صخرتي وأرتفعُ بها غير آبهةٍ لتقوس الخوف في جنباتي.

كم أكرهك، أيها المجنون، ليت كل نساء الأرض يتحوّلن ذكوراً سواي، وأبقى امرأتك الوحيدة حتى أموت.

صوفي

الاثنين: 2021/4/19

أعرف أنني لن أجرؤ على إرسال هذا النص إليك، وأحاول قدر استطاعتي بل وسأبذل جهدي أن لا أرسله، لكنني في النهاية سأقوم بذلك.

وسط كل تلك القفزات لا أريد أن أقول لك إنني فجأة تحولت إلى كنعن، أقفز كثيرا بقائمتين أماميتين أقصر من الخلفيتين، لكن ما يثير اهتمامي أنني أحمل في جعبتي الكثير، فناديل تتكور في رحم الكلام، كتّاب عميان عاثوا في الورق خرابا، وحجارة أنوي أن أجلبها الحكايات التي تتعاضم في رأسي... كل ذلك ونسيت أن أخبرك عن بقايا عطر امرأة بتّ معها في كوخ بعيد ليلة كاملة، امرأة اشتهت رجلا في البعيد وتعثرت في الوحدة، سردتها أحاديث كثيرة لم أعرفها، وشريتما الشاي معا دون أن أعرف هل حلو كثيرا أم فيه بعض المرارة، أعرف أنكما في تلك الليلة الباردة لم تفكرا في حزن دافئ يجمعكما، لا لأنك قديس فلم تربك أنوثتها، ولا هي كذلك لتغمر فجوة عميقة داخلها، بل لأنكما قصيدتان تترنحان في بال شاعر مغمور هيا للحياة فضاضة المعنى.

أعرف أنني لست جريئة إلى الحد الذي أخبرك فيه بغيرتي منها، ولا أجد تفسيراً لذلك.

هل لأنها أخذت فسحة ليلية كان من الممكن أن أخلق فيها تكوينا آخر معك؟

أم أن الشياطين الكامنة في كانت مترنحة كثيرا وأيقظت آلهة غيظي؟

أجل، أنا امرأة غيورة جدا أذوي في حديقة منسية نبتت في عطر امرأة أخرى اخترق الحدود إليك.

ربما أجرؤ ذات يوم وأرسل لك هذه الرسالة لسبب بسيط، أريد أن أغيظك، ربما نبشت الكلمات العالقة في رأسي وتخلصني من كل هذا الطنين.

صوفي

يضمني بساعد اللهفة، يلفني بأولى همسات الشبق، وحيدة أدنو إليه دون رحمة برعشاته، سأعاقب الغياب بقبلة أقول في سرى وأختبئ في ثنايا صدره.

أطوي خجلا قديما، أنسلل بشفتي على عنقه الرطب أقبل كل خلية، أدنو من شحمة أذنه، كم هي شهية بين شفتي، أنصت لتأوهات لذته فيذوب كل الثلج الرابض فيّ، وأعرف أني مثل اللهب سأهب في الجسد، كل الجسد كلما اقترب.

أفترس صدره، عالمي الذي روضته بيدي وقبلاتي، أخلع عني ثيابي ليصطك اللحم باللحم فنلتصق مثل توأمين خلقا في جسد.

يلتحم الصدر بالصدر واللسان باللسان، تلتحم النار بالنار وتتأجج الشهوة.

يدفعني إليه، ينتصب فوق أحلامي وشغفي أمنحه جسدا فائضا بالشهوة، وأشعل له لهيب غنجي ودلالي، أغرز أظافري لذة في ظهره ويمنحني كثيرا من القبل.

أبعد بين شجرتين عالقتين في جسد الحب...

فيهتز الكون.

صوفي

قصيدة رسالة

أريدها مثلَ النهارِ واضحةً، تقسّرُ أشياءها على مهلٍ معي

عشرونَ قنديلاً لحبيبتِي الغائبة¹

1

نصبح فينا على خيرٍ
الآنُ
ننهضُ مِنْ علينا
نضحك لآخر ما تبقي من حلمٍ
فينا وحدنا
يتنفسُ الورد عطور صباحنا
وجهكٍ وحده الساطع في وسط العتمةِ
والبردِ ودفقِ المطرِ
يا ليتني الآنَ بعمقِ حِصنكِ دافئاً
لأشعرَ أنني حرٌّ وحيٌّ

2

هذا الصباح الياسمينُ
لمن يكونُ؟
لحبيبة تُهدي الجمال بعمقه
فيشتعلُ الحنينُ
هذا الصباح الياسمينُ الفدُّ
كيف يكونُ؟
لك الأزهار شعشعها الصبا
فالحبّ دينُ

3

هذي الأنا اللآ شيءُ
تغرق في اللآ شيءُ
تنقذني نسائمٍ وحيكِ الفجريّ
ضحكة وجهك في الصّباحِ النَّديّ
المحمّلِ أغنياتٍ

¹ نشرت القصيدة على عددین في صحيفة التآخي العراقية، 2023/2/8، و2023/2/22.

تخلق لي عمراً جديداً
يستريح على غصون يديك

4

موجوداً على طرف العالم النائي
القريب إليك جداً
أسمع كل شيء
من صفير الريح في الشباك
لحفيف صوت سعادتك
أحسن في دفء همس وسادتك
ولذيذ طعم الصحوة الأولى
بحضن منابحك
أرد فيك الشمس نوراً
يستلذ بفيض أشعتك
وتعانقني أصابعي
وتعلقين عليّ ورد أصابعك
كقصيدة نشوى
يصلى الحب في افتراز قصيدتك
فيا لهذا "الوحي"
الجنوبي المسمى في القصيدة
فيض سرّك

5

هُمُ الأُحبة إن غابوا
وإن حضروا
في القلب مسكنهم كالروح
في البدن
فأستضيء بهم
بنور الشوق
إنهم فرحي وسرّ حروف الشعر

والشجن

6

أيتها الساكنة خلف حدود الخيال

لا تبكي

فالدمع البادي في عينيك

جمرة في سويداء قلبي

المملوء بطيفك

7

وأنا السائر للخلف

فلعلّي لم أكبر أبداً

قد وهن الجسم

حيناً وترهل

والروح الطفلة قد خفتت

والليل الساقط في جلدي

أشلاء كيانٍ يتخلخل

8

وأنا أقول لها بكلمتين

وقبله

وأعدّل اللغة الخؤونة في سطور صباحها

لتقوم قبله

ويغرد الشعر الجميل على غصون الورد

يفوح مثله

هي كلّ شوق في الحنايا

ساكن

يهدي الغرام سبيله

فيصير حله

9

من ألف عام يا سيّدي

وعمري أربعون طفلاً
ما زال يسبح في خلتيته الجنينية
يحتاج حليبه الأول المنسي في أنساغ أمه
ما زال حضنك دافئاً
كما هو قبل ذاك الماء الساكن في عروق الياسمين

10

الحروف مثلي جائعة لمعنى
فيك مختبئ
ومشتبك في
كمثل شهيتك الأخرى
تراوغي على ثقة شهية ثالثة
محزومة كسنبله خضراء مبتلة
أستجدي إسمك
أقضمه حرفاً حرفاً شبه تفاحة
فيبدو سائغاً في الفكرة الجائعة

11

أغمضت عيني
أردّ بعضي نحو بعضي
أصلي على أطرافك المملأى بذاتي
أراك نبيّه
تشعل البخور في رؤيا الصلابة
أغمضت عيني
كي أراك هناك نور ملائكة
ولحن عطر قرنفل
أشرب من راحتك ملدّي المتراثية
أغمضت عيني
أشرق في إلهة متسامية

12

ليس بوسعي أن ألمّ صورتها وأمضي
ناعمة الخدين
كأنه الندى المسروق من لؤلؤ وشذى
طافح الحمرة راوٍ بالفرح
تضحك مثل أغنية جريئة
أستعمل معها الكناية كي أوارِي ما تعرّق من شفاهي السائلة
أكتبُ شيئاً سريعاً كي أوثّق ضوءها المنساب في ذاكرتي
ولا أمضي لشيءٍ غيرها
هل أها تفها؟
وهل ستأتي مثل موج الصوت كركرة العذوبة في غدِير الماء؟

13

وتفجّري مثل التّهز
حبّاً وشعراً
ومطرز
فيضي عليّ شهية
وبهية في كلّ أمر
دفيّ ومائي والهوى
تجري إلى ذاك المقرّ
جّيّ بجّي
وانتشي
جسداً وروحاً وزهز

14

شهرزادُ يراعُ المحبرة
ترتقُ أفاظَ الغلاف الخارجيّ لوجي نصّ
وتعلّقُ الكلماتِ أثماراً على شفّي
تخلقني في راحتها لحن همس
مختالة مثل الضياء

مثل خطو الكبرياء
تحرسُ الأحلام في ولهِ الدَّماءِ
ترتديني فكرة عليا
نغني في اتِّحادٍ حلوٍ جِرْسُ

15

لَنْ تتوهَ وهيَ معي
ولن تضلَّ وتشقى
سأشفي بها
ويتسعُ المدى برحيبٍ طُهرِي
لن تتوه غارقةً بحري
ستسري نجمةً علويةً
لتكتبَ في أناملها الرهيفةِ سَفْري
لن أتوهَ ولن تتوهَ
سيصفو بالكؤوسِ اللامعاتِ
على الشفاهِ نقيَّ خمري
لن نتوهَ
أنايَ بعضُ أنينها
وهذا الهادئُ الأبديَّ عطري

16

يا امرأةَ الصورةِ
فيضي
واسكنيني
واستبيحي كلَّ ما يأتيك مَيَّ
واجرعيني
واستجيرني بالصباحِ الحلوِ
بالمعنى اليقيني
أيهذا الظلُّ
لا تعتمِ رؤاك على ظنوني

كم سيكبر من جنونك في الموج
جنوني

17

أصدِّقُ وجهكِ القمريِّ
إحساسَ اللِّغَةِ البعيدةِ
والقريبيةِ والحزينةِ والسَّعيدةِ
أصدِّقُ مَحَبْرَةَ القصيدةِ
ظلالَ أصابعكِ الظَّرِيَّةِ تكتبُ للصَّبَاحِ
أصدِّقُ أخيلةَ المرايا
أصدِّقُ نظرتي نحوَ امتدادِ بصيرةٍ تُبصِّرُنَا
أصدِّقُ كلَّ شَيْءٍ حيٍّ
ما دامَ وجهُكِ صادقاً مثلَ طعمِ الصُّوءِ فيَّ
مثلَ نهرٍ جامحٍ يجري ويجري
يشرُّ في تجلِّيه الحكايا
أصدِّقُ لَوْنَ حَمْرَتِكِ اللذيذةِ
أصدِّقُ طعمَ نفسي
إذ صرَّتِ بعضاً من أنايَ

18

طعمُكِ هذا
الذي ما زالَ على بقايا أعضائي
يغمرني بالصهيل
ليس لي دعوة سوى
"أن يكلوكِ اللهُ في وتراً من نشيدٍ"

19

عشق الجمال جمال روحكِ
والنقا
يا سر روجي يا أمانى المنتقى
يا بوح أغنية الصباح

تألّقي
كالضوء يعلو في معالي المرتقى
كالغيم يسكن في مسارج
مائه
يهمي اشتياقاً ورواءً
فسقى

20

هُوَ النَّصُّ الْأَخِيرُ
كَأَوَّلِ نَصِّ كُنْتَ فِيهِ
رِوَايَةً لَنْ تَنْتَهِيَ
دَائِرِي، لَوْلِي
مُتَمَرِّدٌ مِثْلِي عَلَيْكَ
عَلِيّ
فِي عَجِينَةِ أَضْلَعِي
هُوَ النَّصُّ الْأَخِيرُ مَرَاوِعُ
وَمَشَاكِلُ مَعْنَاكَ فِيّ
مَا كَادَ يَنْهِي حَرْفَهُ إِذْ يَرْتَدِيكَ
وَيَبْتَدِي

الثلاثاء: 2023/2/7

صباح القصائد العبقة شوقاً ومحبة، صباحك عشرون قنديلاً يضيء وجهك حبا وعشقا ولوعة المشتاق.

منذ أن أرسلت لي قصيدة "عشرون قنديلاً لحبيبتى الغائبة" وأنا أسبح بكل كلمة وحرف في القصيدة بحواسي الخمسة. أتيّة لذة تنساب من حروفك، وأي كلمات تتدفق من مياه حميمية المعنى "عشرون قنديلاً" أنار وجه قصيدتك بكل حب وبكل اشتها.

يا فراس لولا غياب الحبيبة ما كنت تصنع لنا نصاً كله طراوة واشتياق، أحبك فراس، ومعك لن أتوه ولن نتوه، بل سنجني ثمرة الحب واللقاء والصباحات ونضحك من ثغر الياسمين الأبيض.

إ. ش

التعليقات على الرسائل

اكتشفت أن الشعراء والكتاب أيضا أطباء

خالد ياسين ذياب

مقال¹ لافلت للكاتب فراس حج محمد، في تسلسل أفكاره وترابطها ووضوح قناعاته ومفاهيمه وحياده، وسعة صدره و(تسامحه المدروس) المنبثق عن إحاطة أستاذية بدقائق الموضوع الفلسفي، تجاه السابقين والمعاصرين ممن أنهكوا الفلسفة وفكرها ومنهجها في سراديب الجدليات السفسطائية، أو على الأقل غير المتجلية في تفاعلاتها وارتكازاتها للكثيرين من الدارسين، كما والتعبير عنها بعمق ووعي وتركيز ولغة مفهومة من الجميع وسلسلة في كلماتها وصياغتها.

ولعل ما يزيّن كلّ ذلك هو (النفسيّة الطيّبة) للكاتب والمؤمنة بيقين راسخ والمتفائلة والمنبسطة في روحيتها وآفاقها الإنسانية السويّة والعلميّة المستوعبة بمحبّة للكثير من المدركات التي ينمّ عنها المقال.

أحمد إسماعيل أحمد

صدقت، فقد أنقلنا بعباراتهم وتفسيراتهم التي عليك البحث عن حقيقة مقاصدهم، إلا أنني أقرأ لهم دائماً حال شعور أن هناك حالة من البلادة هلت على عقلي، وأريد أن أقوم بحركة تنشيط له، أو أن أكون في حالة بحثية لأمر أقوم به. وإن أردت الغوص في الفلسفة فعليّ أن أذهب إلى الأشاعرة والمعتزلة، ومن على شاكلتهم، وأنا مع قولك لم يدخلون الفلاسفة في أتون الغموض ولا نصل إلى نتيجة إلا ما يخيل لنا أننا قد وعينا هدفهم.

عبد الهادي شلا

أحييك على هذا المقال، والنبش فيما غرق فيه الناس ولم يتدبروه... أعجبني أن وضعت النماذج التي لا يتجادل فيها عاقل... بل يميل إليها... يبقى أن نملك القدرة على فهم و التعامل بهذا المنطق العميق...

نوال زحالقة

رسالة هادئة سلسلة ممتعة، رغم جفاف المنطق الذي نعرف. ما إن أنهيت قراءتها حتى أثارت عديدا من الأسئلة وذكرتي برسالة "التربيع والتدوير" للجاحظ التي قامت على فكرة التضاد والتناقض باستقصائها ودقتها. أما ما نعلمه في مدارسنا من مفهومي الترادف والتضاد، فليس دقيقا، والهدف منه لا يتعدى تكريس المفهوم أكثر من معرفة المتضادات والمترادفات في اللغة، علما أن طلابنا ومعلمينا أيضا لا يتغلغل مفهوم التضاد لديهم أكثر من المستوى الشكلي المرئي، وما دمت أعملت المنطق في محاكمة الاشياء بالتأكيد ستصل إلى فلسفة التوحيد بينها رغم تحورها وتماهيتها وفقا لمقتضيات الحاجة. من الموجبات للقراءة في ظرف خلت الصفحات الزرقاء منها.

¹ كثير من القراء تعاملوا مع هذه الرسائل على أنها مقالات.

سمر لاشين

بخصوص محتوى الرسالة والحديث عن انتخابات اتحاد الكتاب باختصار هو تكملة لمنظومة الفشل بالوطن العربي، نحن كأمة عربية لن نتقدم خطوة للأمام، ما دام هناك تعين للمواقع والمؤسسات والهيئات المهمة بأي دولة يخضع للواسطة والمحسوبية والرشوة والشللية، وليس على أساس الكفاءة والأحقية بتولي المنصب.

بخصوص أدب الرسائل لاحظت في الفترة الأخيرة وجود منشورات عديدة بخصوصه، هل هذا الأدب له مقومات معينة حتى نكتبه بشكل جيد أم أنه يكتب كما كنا نكتب رسائل ونرسلها للغير نكون على طبيعتنا فيها؟

فراس حج محمد

هو فن قديم، وفيه يخرج الكاتب عن التزامه بحرفية الكتابة ليكتب بأريحية، وهو يندرج ضمن أدب البوح والاعتراف، وعادة ما يكون الأسلوب غير متقن، لأن من كتبه لم يفكر بنشره وما نشر منه نشر بعد وفاة كاتبه. تتيح لي كتابة الرسائل الإطناب والانتقال من موضوع إلى آخر بحرية أكثر من المقال.

سماح خليفة

بالمناسبة قرأت ديوانك "مزاج غزة العاصف" منذ زمن، وهو قيم بالفعل وجذبي حقيقة، أما "وأنت وحدك أغنية" قرأت جزءا بسيطا ولم أكمله لظروف... أنا حضرت نقاش كتب في دار الفاروق، ولا أظن أن ديوانك سينصف هناك، المشكلة تكمن في حالات كثيرة جدا، في تخزين فكرة ما عن الكاتب لحدث ما اختزل في الذاكرة، وبناء عليه يحاكم الديوان، وشيء طبيعي في ظل هذه البيئة- إن صح التعبير- أن يظلم الديوان وكاتبه.

أحب أن أضيف أن ما كتبتة سابقا بخصوص المرأة أو الأنثى يكاد يكون متشابهاً أو ربما هيئاً للقارئ ذلك، ولذلك أصاب القارئ بعض الملل من جراء ذلك، أما ما كتبتة سابقا خارج هذا النطاق فقد أبدعت بحق، وأنا من الأشخاص الذين شدتني كتاباتك لتفردتها وتميزها.

أما إصداراتك الحديثة فلم أحظ بشيء منها لأبدي رأيي.... وتبقى يا أستاذ فراس الكاتب المبدع الذي حفزنا على القراءة والكتابة....

سامح أبو هنود

فراس حج محمد موسوعة أدبية متحركة.. هذا الإنسان رائع له كل الاحترام والتقدير

نور التوحيد يمك

لست أدري ماذا يسمى هذا اللون الأدبي ربما هو بوح محشو في رسالة أو أنه فن أعمق منه، غير أنه شدني إلى أن اصطدمت بالكاتب هذا الاسم الذي لو وقع بصري عليه من البداية لتحاشيت القراءة، فلتعذر صراحتي. راقني حكمه على الروايات المذكورة التي يستند إلى دراية بالبناء اللغوي الذي يولد على أساسه النص. لم أقرأ "حرب الكلب الثانية"، لذا سأكون حيادية فيما يتعلق بها، لكنني قرأت "مصائر" وأعتبرها من أقوى الروايات، بل وأتمنى أن تتواجد في كل بيت وأمقت كل من يتهم الكاتب بالتطبيع. قرأت كذلك "مملكة الفراشة" وفكرت في تمزيقها كما فعلت مع رواية أخرى للكاتب نفسه. أنا الآن أقرأ أكثر في كتب النقد، ربما لأنني لا أريد لذائقي فقط أن تحكم على العمل الأدبي.

نور التوحيد يمك

أنا لا أقصد أن أطعن في الكاتب وربما أكون فعلاً بحاجة إلى الكثير من القراءة والخبرة لأفهمه لكن ما يسميه هو تحزراً في كتاباته يطلق عليه السواد الأعظم من القراء في دولتنا (انحراف)، خاصة أننا بلد محافظ موشوم بالحياة... أنا لم أقرأ له شيئاً باستثناء هذه الرسالة، غير أنني رأيت الغضب في عيون من قرأوا له، ولو كانت جلّ كتاباته بهذه الشاكلة لعكفت على قراءتها. لا ننكر أنه موهوب وإبداعه يسبق زمانه لكن كتاباته كما قلت متحررة ولن تجد بسهولة تقبلاً لها لدى القراء.

أ. نزهة الرملاوي

الكاتب فراس حج محمد يتقدم في كتابة الرسائل... لأنه يتمتع القراء بأسلوبه السلس أثناء توصيل المعلومة... فلا يفرض عليه أسلوب التلقين ولا يعتمد جفاف المعلومة... بل يعتمد تبسيطها بشكل لافت يروق للقارئ...

مريم ربيع مريم

ليت لنا في كل مكان نسخة من السيد فراس حج محمد... جميل سردك... محبب أسلوبك.

مادونا عسكر

الأستاذ فراس أستاذنا كلنا. يعلم ويوجه ويمنح من خبرته دون غاية، ما لن نجدته إلا نادراً في زمن المصالح على جميع المستويات.

خلود نزال

فراس إنسان رائع وراق يطيب لنا الحديث معه أو عنه أو الجلوس مع كتاب خطه بقلبه ليهبنا جمالا لا ينسى.

شريف سمحان

فراس ومن خلال سنوات معرفتي به... فهو شخصية قد تكون جدلية عند البعض... لكنها متفانية ومتجددة في عملها ونتائجها... كاتب متجدد ومتمكن من أدواته ومفرداته وتطويره للنص. فراس حالة متشظية... أفكاره جنونية إلى حد ما... مُختلف في أشياء كثيرة. المفارقة عن غيره أنه الأجرأ.

صبحي فحماوي

ليس صحيحا أن كل من يكتب الرواية يكتبها بهدف الجوائز... فلم تكن أيام غسان كنفاني ولا توفيق الحكيم ولا حنا مينا ولا ألف ليلة وليلة جوائز. ليس صحيحا أن الروائيين ليسوا معنيين بالإبداع، بل معنيون بالنشر والترشح للجوائز. هذا تسطيح لفن الرواية... وسطحية في فهم المبدعين من الروائيين... المسرح مات لأسباب عدة منها التلفزة، ومنها أن كل مخرج يريد أن يكون هو المؤلف والموسيقي والممثل وموزع التذاكر وفي الديكور والملابس والمؤثرات السمعية والبصرية، فوصل إلى مرحلة أنه هو المشاهد الوحيد لمسرحياته الحداثية الساقطة.

بسام أبو غزالة

بدأت في قراءة رواية إبراهيم نصر الله "حرب الكلب الثانية". أراها مملة فعلا. لكنني سأتحامل على نفسي لإنهائها، لأنها نالت جائزة البُكر العربية. (لاحظ كيف كتبت اسم الجائزة: بُكر" بضم الباء لا بالواو. لأنها بالأحرف اللاتينية (Booker) - لا (Poker)!!!)

إبراهيم جوهر

جميل ومدهش... هذا الفتى الظريد المشاكس (فراس) يكتب بوعي وحزن كبيرين ليعزي المرحلة التي يراها الناس عارية لكنها تصرّ على أنها ترفل بثياب التفاؤل والبهجة...!

صديق من الفيسبوك

كنت أظن الأطباء فقط يكتبون وصفات تصرف من الصيدلية، إلا أنني اكتشفت أن الشعراء والكتاب أيضا أطباء. وأما قولك أنك غسان فالغساسنة كثر، وقولك هي غادة، فالغادات أكثر. ابق اكتب.

لا أدري كيف تستطيع وصف تلك الدقة في المشاعر وكيف تتوغل بها بحيث تنقلنا معك في معاناة الكاتب ونشعر بأنك تتحدث عنا. وسعيدة بأنك عدت لكتابة الرسائل.

صديقة من تويتر

أولاً وقبل كل شيء تحية طيبة، اشتقت جدا لقراءة مقالاتك. عبثا أحاول أن أنقل لك إحساسي بعد قراءة القصة، فلا أعرف لملمة هذه الحروف بين أصابعي، ولا هذه الدموع التي تجمدت في عيوني.

كنت دوماً أقرأ القصة وأعيش تفاصيل حروفها في الخيال، لكن لربما لأول مرة أقرأ شيئاً لك بهذا العمق من الحزن.

ثم هذا الرد بعد أن نشرت التعليق على حسابي في تويتر.

جميل رد الجميل فراس....

وجميله هذه الابتسامات التي لم أعرف كيف أوقفها... لتتحول بسحر فيزياء الفرح إلى بهجة القلب.

إن شكرتك عنها لن أوفيك حقك لأنها فعلاً أتت في وقتها...

وكأن شيئاً ما ومن غير سابق إنذار أخبرني أنني سأجد شيئاً يحملني من حزني هذا ...

من كل قلبي... شكراً

وفاء القاضي

ترتجف يد القارئ دهشة وهو ينظر إلى نفسه وقد اتشح السواد حتى ألفه، فيتوهم أن الكاتب التقط صورته ونثرها في نهاية العام رسالة اعتذار، ثم يفيق عند النقطة الأخيرة وهو يرى فضاء يضح بأشبهه له قد ألقوا السواد وألفهم، إنها الحياة في صورها الكثيرة.

كل عام وأنتم بخير أستاذ فراس.

ع.ح

أنت تمتلك ناظورا له قدرة على التسلسل لأعضاء الجسد وأخذ صور تشخيصية لها... إضافة إلى صور طبقية للدماغ... قادر على فض عري الروح، وعلى رؤية نفسك عاريا أمام المرأة مع بعض النتوءات والتضاريس والتشويهاات غير المرغوبة في الجسد!

وهذا شيء لا يجسر عليه أي أحد، أتساءل لماذا يزعل الأصدقاء من سرد بعض المواقف معهم إن لم يكن هناك شيء ما يدل على أنهم هم...؟ لماذا لا يعتبرون أنفسهم سينا أو صاداء، وكثيرا ما تتكرر إحدائيات تلك المتغيرات في معادلة أناس كثر؟

لن أقول لا فضح الله أحداً أمامك، لكني لن أخاف من أن تسرد بعضاً من مواقفي طالما أنك لن تبذل خصوصيتي بماء تشهريك، وطالما أنك لن تضع شيفرة لحديتك، يستطيع أحدهم فكها، لن أخاف منك، ولن أكسر مرآتك، ليس لي بطحة، وإن كانت لن أحسس عليها.

هـ. ف

مارس الحب بلا انقطاع لآخر رمق فيك، ودع قلمك يخط على الجسد ما يشتهي. عندما أقرأ رسائلك لا أحسها تخاطب جميلتك فقط، أولاً تخاطبني أنا عاطفياً قبل عقلياً، ومن ثم للعالم بأسره.

فكيف استطعت تصوير الكتابة، وما يعترى الكاتب بالشهوة والشبق الجنسي؟ والمصيبة أن كلامك صحيح مائة بالمائة. بالفعل عندما فكرت ما يختلج من مشاعر عند الكتابة تشابه الأحاسيس عند بلوغ الذروة. يا ربي

وتعرف الغريب أمس قلت مثلك "لا تضع قلمك في محبرة غيرك" لـ....، واليوم تكتب عن القلم...، ما هذه المصادفة؟

فراس أنت كاتب رائع وإبداعك لا ينتهي. أنت تستحق كل الحب والتقدير.

ز. أ

يا من تظن أنك تجلس على عتبات القلب تنتظر الإذن بالدخول، سأبدأ من حيث انتهيت أنت بكتابتك عن أحوالك، كنت قد سألتني بذلك عن أحوالي، لأني أنا هو أنت وأنت هو أنا، فأخبارك هي أخباري أنت سألت وأجبت في ذات اللحظة، أو تظن أن المشاعر أحضان وعناق؟ المشاعر توارد خواطر وأحاسيس، أنت تألمت، فأنا أشعر بالإعياء أيضاً، أما بالنسبة لعملتي فكما وصفت. لكن سأوضح الصورة قليلاً.

أنا أجهد نفسي كي أروضها، كي لا تكف عن التفكير بك، والنفس أمارة، لذا لا بد من جلدها كي تكف عن شهوتك، فأنا أقاتلها، وأمنع عيوني من القراءة؛ كي لا أشعر أنني أخونك عندما أقرأ لغيرك، وبالقراءة لك فالإثم الأعظم أشعر أنك تحدثني أنا والغيرة تهب كالإعصار ويولي كتابه وصورته بين بيدي وصدر هذه وتلك وعندها. ربما أسبّك وأشتمك نحن بنات حواء جبلنا على حب التملك ونبذ الشرك بالحبيب...

ربما مجنونة، كيف لا وأنا أزور المكان الذي جمعنا كلما سنحت لي الفرصة، ويراودني شيطاني عن نفسي بطرد من أجدهم هناك، إلا إن الحياء يمنعني، فهذا مكاننا، كيف لهم التعدي عليه؟ ويكون بودي إغلاق المكان، كما أغلقت صفحتك وأنا على يقين بصدق كلامك لأني مؤمنة بك وهذه تكفي...

ليس الانحناء للريح ضعف، فالورود ربما تنحني للريح، لكنها بذات اللحظة تراقصها وتتمايل، وتذهب الريح التي نتعوذ منها كلما هبت، وتبقى الأزهار بجذورها تنمو وإن حاولت الريح أن تقتلها فشدًا الزهر ينتشر، ولا يستطيع أحد أن ينكره...

وأخيرا وليس آخرا سعدت بكلامك عن تحسن صحتك والمال يأتي ويذهب، وحالك أفضل من حال (أمل دنقل) وغيره. امض قدما وأبلغ صديقك الحوارى تحياتى. فرحت بك، وبنشر كتبك وأنتظر أن تقول لى إنها فى المكتبات وهنا وهناك...

إلى لقاء وردى يلىق بى وإياك.

إبراهىم سرحان

أستاذ فراس...

لا أخفى عليك أنى كلما قرأت لك نصاً؛ نثراً كان أم شعراً، فإنى أغبطك على سعة خيالك، وتمكنك من تطوىع اللغة ومفرداتها فى الوصف الذى هو أكثر أغراض الشعر حاجةً لمفردات اللغة واشتقاقاتها إن صح التعبير. تتحفنا دائما بإبداعاتك وىنتابنا إحساس أن ما عجزنا عن استخراجها من قلوبنا قد أتى لنا جاهزاً، وعلى طبق من ذهب، من خلال بلاغتك وصورك البىانيه الرائعة... فلك الشكر على كل إبداع تتحفنا به.

ماجدة الفرجانى

لماذا أغلقت التعليقات على منشور محاسن الصدف¹، لأنك تعلم جيداً بأنك ستفتح النيران على نفسك، وستلقى ضربات النيران الصديقة، لأن المقال عبارة عن ترجمة صريحة قبيحة لفيلم بورنو سئ جداً والتعليق لهاوية وعلى بطل من هذه النوعية، ولولا نظرياتك العلمية المدروسة جيداً وصحيحة وبعض كتاباتك وأشعارك الجيدة فلن تجد قارئاً واحداً.

قمر عبد الرحمن

لو كان هنا من يقدر الأدب كما يجب لكنت بلا منازع شكسىير فلسطين. وما أقوله يقيناً بلا مجاملة بعدما قرأت لك عدّة إصدارات أذهلتنى! لا تستعجل ربّما المجد الحقيقى بعد الرّحيل، وهذا مفرحٌ ومبكٍ فى ذات الوقت.

جمانة العتبة:

لقد عرفتك منذ سنتين تقريباً، ولا زلت أرى فىك كاتباً فذاً ورائعاً، رغم اعتراضى على بعض النصوص أو الأشعار، وهذا رأى الشخصى والذى بكل بساطة أوّمن بأن ما يزعجنى أستطيع أن أففز عنه بكل بساطة... فإذا لم يعجبنى ما كتبت حتى لو سطر أستطيع أن أففز عن هذا السطر أو أن لا أقرأه أولسنا نملك الخيار ونملك الإرادة؟ ولكنى أوّمن أيضاً بأننى وأن قفزت عن بعض السطور فباقى السطور لها أهمية كبيرة، يجب أن أقرأها لعدة أسباب... الموضوع عادة يكون له أبعاد أكبر

¹ تشير إلى الرسالة الأولى ل (ص. ز) [الثلاثاء: 2022/3/1].

من السطور المعترضة عليها... وفي مقالاتك اللغوية أجد قوة في اللغة ووجهة لكل كاتب ولكل من أراد التغيير بداخله عما هو موجود... والأهم بأنك تسطر بقلمك ما ينبش أفكارا لم يتسابق إليها كتاب آخري... فأنت مميز بكتاباتك.

أما عن الشعر فأنت تمتلك اللغة القوية والتصاوير القوية أيضا... لك كتاب لم أجد بيتا يشبه الآخر، وقلت لك ذلك وقتها... وبنظري ليس كل الشعراء قادرين على ذلك.

هل أنت مؤذ بكتاباتك... لا أجد للكلمة معنى هنا، فمن يؤدي فقد قرر الأذية، ولكنك مزعج ربما "لمن يعترض على بعض مقالاتك". وكل إنسان يختار أن يبتعد عما يزعجه فهي حرية شخصية... أتابع مقالاتك دائما وقلت لك أقفز عما يزعجني، ولكني أقرأ الباقي لأن فيه فكرة، ولأن لغتك في وصف الفكرة دائما في مكانها.

لا تزعج يا فراس أو انزعج قليلا لك الحق، ولكن لا تجعل ما يزعجك يؤثر عليك... فهناك من ينتظر منك الأفكار الجديدة والجميلة فلك الحق في أن تكتب عن الحق والخير والجمال... وسأبقى أقفز عما يزعجني وأعمل على قراءة باقي النصوص.

زياد الجيوسي

يا صاحبي أنت مشاكس، ولست شريرا، اكتب ولا تهتم طالما أنك تبتعد عن الشخصية، فكلنا في بوحنا نستند فيما نكتب لحدث ما أو امرأة ما أو حكاية ما، وتأتي البراعة بالقلم وخيال الكاتب لإبعاد المعني أو المعنية، فلا يفهم رمزية ما نكتب إلا هم... لكن كما يقول المثل: "يلي على راسه بطحه بحسس عليها" فيظنون أن كل الناس التي ستقرأ ستعرف أسرارهم.

منى النابلسي

"أنت كلما احترقت أشرقت أم أنك كلما أشرقت احترقت؟ ستقتلك الكتابة. أرجو لك موتاً مدهشاً، وحياة أبهى من الحياة".

زهراء فاضلي

شخصيتك الواضحة والصريحة انعكست على كتابتك، وجعلت الوضوح يتسيد على ناصية الكتابة لديك، أي عندما كنت أقرأ ما أرسلته لي كنت أراك دون قناع ولا توظيف رمز، لتقي نفسك من الآثار الموبقة، وهذا ما جعلني أخاف عليك من قلمك.

توظيف الرموز في أرض كفلستين سائر عند الأدباء، نظرا لإخضاع كتبكم ومقالاتكم للاحتلال وأنت تعرف بأنهم يراقبون كلمات معينة. ليتك لو اتخذت جانبا لا يسبب إشكالات أو بالأحرى تعرب عن الخلل الموجود بصورة رامزة. وبذلك تؤدي مهمتك بالحياة كما تقول، وأنت على حسب معرفتي لك، ولما تكتبه خلال هذه الفترة الوجيزة، عندك القدرة وأي قدرة على فعل ذلك. وفي أي مقام تكتب فيه، تبعد.

مثلاً إذا وضعوك بوادي الشعر تصبح سيدا للشعر، وإذا كتبت عن الفلسفة والربيع تغدو كذلك أيضا وقس على هذا، كما يقول النحاة.

وبالتالي الأمر إليك، وافعل ما تراه صوابا... بشرط أن لا تسبب الأذى لنفسك وللمن يحتاجون لحضورك بجانبهم.

المقال حول ما جاء في قصيدة المحاكاة "ما حاجتي لرجل؟"

لقد آلمني أن حبيبتي تُسْرِقني القصيدة

السبت: 2020/4/18

في طفرة المشاعر الجياشة تقودني حماقتي لأرسل، كالعادة، قصيدة لتلك المرأة التي أحبها، أو هكذا أوهم نفسي، أو ربما هي أوهمتني بذلك، ولا أدري إن كان هناك احتمال رابع لهذه الحالة البائسة التي أعيشها منذ تسرّيت إلى دمي وفكري وخطايا حياتي. ومعى كثير من العشاق مثلي يعانون مما أعاني، المهم في الأمر أنني في أعلى حالات الوهم من العشق والشعر معاً أرسل لتلك المرأة قصيدة¹، فرحا مسرورا، فيأتي ردها السريع على تلك القصيدة مغلوطا سيئا، فقد كتبتُ رسالتها بعنف عاطفي واضح:

الثلاثاء: 2019/11/19

بائعات الهوى ينثرهن عطر مجونهن على الطرقات

يدلقن شهوتهن على المارة

يستوين مع اللواتي في خدورهن يتعشقن رائحة الحبيب ويسكرن من مجرد الفكرة.

ف.ع

كانها أرادت أن تقول أن لسْتُ من هؤلاء أيها المجنون، وهي بالفعل ليست منهنّ. كانت القصيدة التي أرسلتها تتعلق بالشوق وتتوق لها، إذ "ما حاجتي لامرأة لم تقضمي التفاح ولم تلعب معي"، واللعب الذي كنت أقصده لعب الحبيبة مع الحبيب، اللعب المفضي للنشوة واللذة، لا لعب المراوغة واللعب بالأعصاب؛ كما يحدث بيننا في العادة، إذ هي كثيرا ما تجيد اللعب بأعصابي، فقد اعتادته زما طويلا حتى أتقنته، ووجدت عاشقا غرّاً جهولا، فتدرّبت جيدا، حتى غدت بي لعوبة محترفة.

تلك المرأة التي أتوهم أنها حبيبتي وشاعرتي وملهمتي تختزن قصيدي أربعة أشهر في بريدها الإلكتروني قبل أن تعود لي بقصيدة على منوالها، فأجبتها أن القصيدة مسروقة عن قصيدي تلك. آلمني أن حبيبتي تسرق قصيدي، وتخفيها بقصيدة لها، وليس عندها الجرأة لتقول، كما كانت تقول في السابق، إن هذه القصيدة من وحي قصيدة لي، وتسمي اسمي فأشعر بالنشوة. أبلغها أن القصيدة مسروقة عن قصيدة لي كتبتها لها في لحظة شوق مجنون لوصولها هي، وطرذا لكثيرات يخمن حولي، أو أحوم أنا حولهن، بصورهنّ الطافحة باللذة المكشوفة، نساء ذات صدور وأفخاذ مكنزة، تفوح من صورهنّ الشهوة.

تضحك كعادتها ضحكتها الصفراوية بعد أن وصفت نصها بأنه "نص متهور منتفض على نصك". لست أدري هل كانت تردّ على تلك القصيدة أم تتحرّش شعرياً بقصيدة "النهود في حجرها

¹ رسالة الثلاثاء: 2019/11/19. (من مجموعة رسائل 2019، ص 174)

"الصحي"، فقد بعثتها ردًا على رسالة قصيدة "النهود في حجرها الصحي"¹، لكن النص نفسه محاكاة واضحة للنص الأول، ولأنها مجيدة في حرق الأعصاب وبارعة فيه تريد خلط الأوراق واختلاطها. هكذا أفكر فيها عندما تريد أن تلعب مع لعبة لغوية شعرية من هذا النوع، وتعبئ من دمي بعض قصائدها. أتخيلها الآن تمصّ دمي وتعيد حقنه في نصوصها. إنها هادئة تماما وهي تفعل ذلك.

المشكلة ليست هنا بكل تأكيد، بل في أنها تسرق نصوصي وتعيد إنتاجها على بُعْدٍ مني وبهدوء غير عاطفي، ولتكون تلك القصائد مجالا لتضحك عليّ بها متى وجدت مجالا لتلعب معي هذه اللعبة من المراوغة البادية جدا في ردها عليّ: "حلو أنه مسروق، يعني هكذا تحليك مسروق، هذا الذي قدرت عليه، لماذا لا يكون تماهيا معه. يعني أنت بعثته لي من أجل أن أسرقه؟". (ف. ع)

سألت نفسي حينها: هل تحتاج أربعة شهور لتتماهى مع النص؟ يا لها من "ثعلب"! كيف خطر على بالها هذا الرد؟ لم أقل لها هذه النقطة من الاعتراض، اكتفيت بحديثها، وأخذت أحدثها عن حلم حلمته بها الليلة الفائتة. تركتني أهذي وحدي، ولم تردّ على ما تبقي من لغتي في محقق الرسائل الإلكترونية.

إنها ليست أكثر من خدعة، وخدعة قاسية جدا، لكنني أصبحت محصنا؛ فلن تنطلي عليّ الخدع إطلاقا بعد أن انطلت عليّ خدع كثيرة شتى سابقة. لماذا خدعتني هذه المرأة بهذا الشكل؟ ولماذا صدقت خدعتها في كل مرة؟ لا أدري كل ما أعرفه ومؤمن به هو أنني لست أكثر من ذكرٍ قردٍ تتسلى به وقت الفراغ، وكلما رأيت أن لديها فائضا من الملل، أو عندما تشعر بعسر في الكتابة تحدثني، ريثما تتحسن نفسيّتها قليلا، ومن ثم تغادرني طويلا، ولا أسمع صوتها، ولا أقرأ لها جملة واحدة في رسالة عابرة. لا أقول ذلك تحرّشا بها كي تراجع نفسها لتتحدث وتعترض، لا شيء من ذلك أرجو، كل ما في الأمر أنني أتأمل فعلها وفعلي وفعل القصيدة ليس أكثر.

تأخذني هذه المرأة هذه المرّة وتدخل بي إلى رواية "عندما بكى نيتشه" للروائي إرفين د. يالوم، وهي رواية عظيمة في تصوير حالة اللتباس بين نيتشه وتلك المرأة المسماة "لو سالومي".

هذه الفكرة، وتلك الأسئلة الواردة في الرواية ليست جديدة، إنها شغلي الشاغل منذ عرفتها وحتى اليوم، كررتها كثيرا حتى أنني بتّ أخشى من التكرار والملل. أعود فأكتب لأذكر نفسي بأني أكتب وأنا لا أستطيع عنها فككا على الرغم مما في القلب من "حقد لذيذ" تجاهها متمنيا أن أفرغه يوما في أحشائها ونحن في التحام وصالنا المجنون، ساعتئذ سترتاح بلابل قلبي، وتهداً صقور أفكاري، وليذهب الشعر بعدها إلى الجحيم وإلى الهاوية ولتسرقه كله إذا شاءت، ولكن ليس قبل أن تأكلني كما ينبغي لامرأة لعوب، تفرغ كل جنونها ومجونها دفعة واحدة، وهي تتمرد بعنفوان على موائد لذتي بجسدها الماسي المصقول، كأنها جملة بزاقة في جسد القصيدة المغمس بحليينا الشفاف.

¹ نشرت القصيدة في ديوان "على حافة الشعر- ثمة عشق وثمة موت"، في مجموعة قصائد "في حبسة الكوفيد التاسع عشر، ص 212.

وأخيراً...

كل امرأة لا تهزها قصائد العشق ورسائل العاشق فليُبْلِغْ في فمها الثعلب، وتلعبْ بنهديها الفئران، وتعشش تحت أبطيها العناكب، ولينم في فرجها الذباب، وليكن ظهرها مسرحاً للجنادب، وبطنها مأوى للنمل، ولتمصّ دم فخذيها العقارب، وتصبح حديث الأساطير، ولعنة الكتابة.

الفهرس

5	الإهداء:
7	المقدمات
9	لماذا توقفت عن كتابة الرسائل؟
12	في معنى النبيل: لن أكون رجلاً نبيلاً إذأ
14	التصدير
15	رسائل إلى أميرة الوجد (ش. ح)
25	رسائل (2016 و2018)
157	رسائل 2019
179	رسائل 2020
187	رسائل 2021
246	رسائل 2022
251	ثلاث رسائل من (ص. ز)
256	رسائل صوفي
262	قصيدة ورسالة
264	عشرون قنديلاً لحبيبتى الغائبة
272	التعليقات على الرسائل
283	لقد آلمني أن حبيبتى تُسْرِفني القصيدة
285	وأخيراً...
286	الفهرس
288	جانب من سيرة ذاتية

جانب من سيرة ذاتية

فراس عمر حج محمد

كاتب فلسطيني مقيم في قرية تلفيت؛ إحدى قرى محافظة نابلس، ولد في (1973/7/30م)، حاصل على درجة الماجستير في الأدب الفلسطيني الحديث عن بحث بعنوان "السخرية في الشعر الفلسطيني المقاوم بين عامي 1948-1993".

نشر العديد من المقالات والقصائد والنصوص في مجالات النشر المختلفة؛ المواقع الإلكترونية، والصحف، والمجلات العربية، في فلسطين والوطن العربي، والمطبوعات العربية حول العالم، وفي كتب الاختيارات (الأنثولوجيات) الخاصة بالشعر الفلسطيني؛ ديوان "الفرقان- قصائد عن حرب غزة 2009"، وديوان "الشهيد- قصائد عن مجزرة كفر قاسم".

عضو مؤسس لمنتدى المنارة للثقافة والإبداع في مدينة نابلس، وعضو الهيئة الإدارية لجمعية الزيفونة لتنمية ثقافة الطفل لعام واحد، ومحرر في مجلتها (الزيفونة الصغيرة، والزيفونة الكبيرة)، وعضو اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين. وعضو لجنة قراءة في عدة دور نشر محلية. ومسؤول مكتب فلسطين ضمن هيئة تحرير مجلة الليبي التي يصدرها مجلس النواب الليبي. عمل معلماً لمدة تزيد عن (12) عاماً، ومشرفاً تربوياً منذ عام (2008) وحتى الآن.

أصدر (34) كتاباً، وله أيضاً مجموعة من الكتب النقدية والشعرية والسردية المخطوطة والمعدة للنشر، وحرّر (12) كتاباً، ووردت للكاتب ترجمة في كتاب "دليل آفاق حرة للأدباء والكتاب العرب" (الأردن، 2020)، الجزء الثاني منه؛ الترتيب (172).

كتب عن هذه الكتب والنصوص الأدبية شعرية وسردية العديد من الكتاب والنقاد العرب والفلسطينيين، وأجريت مع الكاتب عدة حوارات صحفية منشورة ولقاءات تلفزيونية وإذاعية. وشارك في العديد من الأنشطة الثقافية المحلية في فلسطين (مؤتمرات، وندوات، وأمسيات ومهرجانات شعرية، وحفلات توقيع الكتب ومناقشتها).

اشترك في العديد من الأنشطة التربوية مع وزارة التربية والتعليم الفلسطينية في مجال التدريب وإعداد المواد التدريسية، وكان من ضمن فريق إعداد وتحرير الإصدار الثاني من مجلة القانون الدولي الإنساني التي كانت تصدرها وزارة التربية والتعليم الفلسطينية من أجل تعريف طلاب الصف الحادي عشر بالقانون الدولي الإنساني، وعضو الفريق الوطني للتعليم الإلكتروني في فلسطين.

أشرف على مجموعة من كتب الأسرى قبل الطباعة، وراجع مجموعة من الكتب والأبحاث لمجموعة من الكتاب الفلسطينيين.

الكتب المطبوعة:

- كتاب "رسائل إلى شهرزاد"، دار غراب للنشر والتوزيع، مصر، 2013
- كتاب "من طقوس القهوة المرة"، دار غراب للنشر والتوزيع، مصر، 2013

- مجموعة "أناشيد وقصائد" (للفتيان والفتيات)، جمعية الزّيزفونة، فلسطين، 2014
- ديوان "أميرة الوجد"، جمعية الزّيزفونة، فلسطين، 2014
- دراسة "قراءة في كتاب قلب العقرب للشاعر محمّد حلمي الرّيشة، ذلك المنتبه المختلف"، فلسطين، 2014.
- كتاب "دوائر العطش"، دار غراب للنّشر والتّوزيع. مصر، 2014
- ديوان "مزاج غرّة العاصف"، جمعية الزّيزفونة، فلسطين، 2015
- كتاب "ملاحم من السرد المعاصر- قراءات في القصّة القصيرة جدّاً- دار موزيك للتّرجمات والنّشر، الأردن، 2015
- ديوان "وأنتِ وحدكِ أغنية"، دار لبيرتي بوكس، القدس، بالتّعاون مع بيت الشّعر في فلسطين، 2015.
- كتاب "يوميات كاتب يدعى X" (قصص وسرد -1)، دار الرقمية، فلسطين، 2016.
- كتاب "كأنّها نصف الحقيقة" (قصص وسرد -2)، دار الرقمية، فلسطين، 2016.
- كتاب "في ذكرى محمود درويش"، جمعية الزّيزفونة، فلسطين، 2016.
- ديوان "الحبّ أن"، دار الأمل، الأردن، 2017.
- كتاب "شهرزاد ما زالت تروي- مقالات في المرأة والإبداع النسائي"، دار الرقمية، فلسطين، 2017.
- كتاب "ملاحم من السرد المعاصر- قراءات في الرواية"، مكتبة كل شيء، حيفا، 2017.
- كتاب "ملاحم من السرد المعاصر- قراءات في متنوع السرد"، مؤسسة أنصار الضاد، أم الفحم، 2019.
- ديوان "ما يشبه الرثاء"، دار طباق للنشر والتوزيع، رام الله، 2019.
- كتاب "بلاغة الصنعة الشعرية"، دار روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- كتاب "نسوة في المدينة"، دار الرعاة وجسور الثقافية، رام الله وعمّان، 2020.
- كتاب "الإصحاح الأول لحرف الفاء- أسعدت صباحا يا سيّدي"، دار الفاروق للنشر والتوزيع، نابلس، 2021.
- كتاب "لا شيء يعدل أن تكون حرا- على هامش كتاب نسوة في المدينة"، دار الفاروق للنشر والتوزيع، نابلس، 2021.
- كتاب "استعادة غسان كنفاني"، دار الرعاة وجسور الثقافية، رام الله وعمّان، 2021.
- كتاب "من قتل مدرّس التاريخ"، دار الفاروق للنشر والتوزيع، نابلس، 2021.
- ديوان "وشيء من سرد قليل"، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2021.
- ديوان "على حافة الشّعر: ثمة عشقٌ وثمة موت"، دار بدوي للنشر والتوزيع، ألمانيا، 2022.
- كتاب "في الوجه والمواجهة"، دار الرعاة وجسور الثقافية، رام الله وعمّان، 2023.
- كتاب "متلازمة ديسمبر"، دار بدوي للنشر والتوزيع، ألمانيا، 2023.
- كتاب "في رحاب اللغة العربية"، دار بدوي للنشر والتوزيع، ألمانيا، 2023.

- كتاب "سرّ الجملة الاسمية"، دار الرقمية، القدس، 2023.
- كتاب "تصدّع الجدران- عن دور الأدب في مقاومة العتمة"، دار الرعاة وجسور الثقافية، رام الله وعمّان، 2023.
- ديوان "في أعالي المعركة"، دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، 2023.
- كتاب "مساحة شخصية- من يوميات الحروب على فلسطين"، دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، 2024.
- كتاب "الترثرات المحببة- الرسائل"، دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، 2024.

تحرير الكتب:

- كتاب مؤتمر الزيفونة الأول لأدب الأطفال، (نحو أدب أطفال فلسطيني وطني)، مع أ. شريف سمحان، جمعية الزيفونة، رام الله، 2016.
- ديوان "اصعد إلى عليائك في"، فاطمة نزال، مكتبة كل شيء، حيفا، 2017.
- كتاب "إيفا شتال حمد- أممية لم تغادر التل"، بالاشتراك مع أ. حسن عبادي، دار الرعاة ودار جسور ثقافية، رام الله وعمّان، 2020.
- كتاب "لا تعجب زعترنا أخضر- قصائد"، بالاشتراك مع أ. حسن عبادي، دار الرعاة ودار جسور ثقافية، رام الله وعمّان، 2021.
- كتاب "الكتابة على ضوء شمعة"، بالاشتراك مع أ. حسن عبادي، دار الرعاة ودار جسور ثقافية، رام الله وعمّان، 2022.
- كتاب "وقفات مع الشعر الفلسطيني"، كميل أبو حنيش، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2021.
- كتاب "تحيا حين تفنى"، ثائر حنيبي، دار الرعاة ودار جسور ثقافية، رام الله وعمّان، 2021.
- ديوان "أناهم"، أحمد العارضة، دار طباق، رام الله، 2021.
- ديوان "العزيمة تربيّ الأمل"، أماني حشيم، حيفا، 2022.
- ديوان "أنا سيّد المعنى"، ناصر الشاويش، حيفا، 2022.
- رواية "المعبد الغريب"، للأسير رائد الشافعي، دار الرعاة ودار جسور ثقافية، رام الله وعمّان، 2023.
- ديوان "تمرد"، للأسير عبد العظيم عبد الحق، مخطوط.

الكتب المخطوطة:

- السخرية في الشعر الفلسطيني المقاوم بين عامي (1948-1993).
- في حضرة الشعراء.
- مقالات في الدين والدولة والمجتمع.
- نظرات في التجربة الشعرية.
- نظرات في الواقع الثقافي.

- نظرات في الكتابة النقدية.
- الوقوع في اللهب.
- ديوان "أي امرأة كنت أنا".
- ديوان "ثلاثية الشاعر والظل".
- ديوان "تنهيدة... تنهيدة ثم المطر".
- ديوان "رسائل خاصة جداً".
- كتب ومؤلفون.

كما يوجد تحت الطبع كتاب "انتباهات الطليعي في عوالم الكتابة" للناقد رائد الحواري، متحدثاً عن تجربة الكاتب الكتابية. وكتاب "مقدمات نسائية"، مقالات لمجموعة من الكاتبات متحدثات عن الكاتب وكتبه وأشعاره ورأيهنّ فيه كاتباً.